
المدخل
في
Bibliotheca Alexandrina
0004685

المدخل
في
فن التحرير الصحفي

تأليف
دكتور عبد اللطيف حمزة

الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

هـــذا الكتاب

(١)

كنا قبل اليوم حين نتحدث فى دروس الأدب عن النثر نقول إنه نوعان:
أولهما ــ النثر العادى أو لغة التخاطب ، وهو النثر الذى نصطنعه فى حياتنا اليومية ، وليس هذا النثر أدباً ولا ينبغى له أن يكون منه فى شىء .

وثانيهما ــ النثر الفنى، وهو النثر الذى نتجاوز به لغة التخاطب العادية إلى حيث يتوفر فيه شرطان أساسيان هما : التفكير من جهة ، والجمال من جهة ثانية ، وهذا النوع الأخير يعتبر أدباً ، ولا يشك أحد فى أنه جزء منه .
كنا قديماً نقسم النثر فى دروس الأدب هذا التقسيم . أما الآن ـ ومنذ ظهور الصحافة ـ فنحن مضطرون إلى أن نقسم النثر أقساماً ثلاثة هى :

النثر العادى ، أو لغة التخاطب .
والنثر الفنى ، أو لغة الأدب .
والنثر العملى ، أو لغة الصحافة .

وهذا النثر الأخير يقف فى منتصف الطريق بين النوعين المتقدمين ؛ له من الأول عاديته وألفته وسهولته وشعبيته ، وله من الثانى حظه من التفكير ، وحظه كذلك من عذوبة التعبير ، ولكن لا يشترط فيه دائماً أن يسمو بتعبيره إلى مرتبة النثر الفنى الخالص ـ نقول : لا يشترط دائماً فيه ذلك ، لأن سمو النثر العملى أو الصحفى إلى مرتبة النثر الفنى أو الأدبى ليس من الأمور المحظورة على الصحافة ، بل كثيراً ما نرى بعض المواد التى تنشرها الصحيفة تتطلب هذا المستوى الرفيع من جمال التعبير ، كما سنوضح ذلك فى غير هذا الموضع من الكتاب إن شاء الله .

من أجل ذلك يصف الأوروبيون الصحافة بأنها « الأدب العاجل » وبأنها « أدب غير خالد » ، ذلك بأنها أدب وقتى ، والمحرر الصحفى لا ينفق فيها من الجهد ما ينفقه الأديب .

(٢)

نحن نعلم أن المشتغلين بالصحافة كانوا دائماً — وإلى عهد قريب — من رجال الأدب ، ليس ذلك فى مصر وحدها ، ولكن فيها وفى غيرها من الأمم ، وكان لذلك أثره فى اللغة نفسها ، فقد كان الصحفيون قديماً لا يعرفون كيف يفرقون بين اللغة التى تستخدم فى الصحافة واللغة التى تستخدم فى الأدب ، ثم سرعان ما أصبحت الصحافة حرفة من الحرف . ومنذ ذلك الوقت فقط أخذت الصحافة تنفصل شيئاً فشيئاً عن الأدب ، وصارت فناً قائماً بذاته له لغته المستقلة ، وصار لهذا الفن الجديد — وهو فن التحرير الصحفى — أصول وقواعد ، وتفرع هذا الفن الجديد أيضاً إلى فروع وشعب .

ونحن نعلم أن للصحافة فنوناً ثلاثة على وجه الإجمال وهى :

أولا — فن التحرير ، وهو الموضوع الذى نتناوله فى هذا الكتاب .

ثانياً — فن الإخراج ، وهو الفن المتصل بالورق والمداد والطباعة والصور والألوان ، وتنسيق الصفحات ، وكتابة العناوين صغيرها وكبيرها ، وباختصار - هو الفن الذى يحاول به مخرج الصحيفة أن يجعل منها تحفة فنية جميلة يتسابق القراء إلى اقتنائها والانتفاع بها .

ثالثاً — فن إدارة الصحيفة ، وهو فن يتصل بالترويج والتوزيع والإعلان ، وغيره من الأمور التى تدر الربح على الجريدة .

تلك هى الفنون الثلاثة للصحافة . وقد رأينا — أو على الأصح - رأى (قسم التحرير والترجمة والصحافة) بكلية الآداب أن يبدأ التأليف فى الفن الأول ، وهو « التحرير » ، وعزم القسم بمشيئة الله أن يواصل البحث

فى هذا الفن وفى الفنين الآخرين ، وفى سبيل هذه الغاية سيتعاون الأساتذة فى هذا القسم من أقسام الجامعة ، ومنهم الخريجون الذين يريدون الحصول على الدكتوراه فى الصحافة . ولن يمضى وقت طويل — بإذن الله — حتى تزخر المكتبة العربية بالبحوث العلمية والفنية التى تتقدم بها الفنون الصحفية كلها خطوات إلى الأمام .

(٣)

ولكن ما هى أقسام التحرير الصحفى من حيث هو ؟

هنا يختلف العلماء فيما بينهم اختلافاً بعيد المدى ، ومصدر اختلافهم هو الأساس الذى يبنون عليه تقاسيمهم المختلفة على هذا النحو :

فمن العلماء من يقسمون التحرير الصحفى على أساس الموضوع : فتحرير خاص بالسياسة ، وتحرير خاص بالعلوم ، وثالث خاص بالاجتماع ، ورابع بالتعليم ، وخامس بالمرأة ، وسادس ، وسابع ، وثامن بالسينما والمسرح والرياضة والكتب والزراعة الخ ، وعلى الصحف — فى رأى هؤلاء — أن تخصص صفحة لكل موضوع من الموضوعات السابقة على حدة .

ومن العلماء من يميلون إلى تقسيم التحرير الصحفى إلى فنون من حيث الزاوية التى ينظر منها المحرر إلى هذه الفنون . فهناك الزاوية التاريخية ، وهناك الزاوية النقدية ، وهناك الزاوية التى تتصل بالخبرات الخاصة الخ .

ومن العلماء من يفضلون تقسيم التحرير الصحفى على أساس الأشكال المختلفة لهذا التحرير . فمن أشكال التحرير الصحفى — كما هو معروف — المقال ، ومنها العمود ، ثم الحديث ، والتحقيق ، والأخبار المسرودة ، والأخبار التى على شكل قصص ، والأخبار التى على شكل طرائف خفيفة يقصد بها إلى التسلية والإمتاع ، ويسميها الإنجليز والأمريكيون « Features » وكثيراً ما تتصل هذه الطرائف بموضوع من الموضوعات الإنسانية التى يميل إليها القراء ، ثم من أشكال التحرير الصحفى أيضاً الماجريات على

اختلافها من برلمانية إلى قضائية إلى دولية وهكذا .

وهذا التقسيم الأخير هو الذى أخذنا به فى هذا البحث .

ومن هنا يتضح لنا منذ بداية الأمر كيف تتداخل فنون التحرير بعضها فى بعض ، وكيف يصعب التمييز بينها تمييزاً لا يقبل الشك ، وسنعود إلى الحديث عن هذه المشكلة فى بداية الكتاب الرابع من كتب هذا البحث .

(٤)

على أن الفن الصحفى فى ذاته من أشد الفنون كلها قبولا للتطور ؛ ذلك لأنه من أشدها اتصالا بالحياة الإنسانية والنشاط الإنسانى ، وهذا النشاط فى تغير مستمر ، لا تستطيع الحياة البشرية معه أن تثبت على حالة واحدة .

فرب كتاب يؤلف فى (الفن الصحفى) هذا العام يصبح شيئاً قديماً فى ذاته بعد أعوام .

غير أن ذلك لا يصح أن يمنع العلماء من القيام بالتأليف فى هذا الميدان فإن كل بحث من هذه الأبحاث — فضلا عن أنه يرشد إلى أصول هذا الفن وقواعده — يحمل فى طياته العمر الزمنى لهذا الفن ، أو الدرجة التى بلغها فى فترة بعينها من حياة أمة من الأمم .

وتلك أسباب من شأنها أن تجعلنا نقدم هذا البحث إلى القراء وإلى العلماء منهم بنوع خاص — فى شىء كثير من التواضع أولا — ومن الاعتراف بالواقع التاريخى ثانياً ، ومن التقدير الدقيق للفرق بيننا وبين الأمم التى سبقتنا إلى التأليف فى هذا الفن آخر الأمر .

وحسب هذا البحث أنه يعتبر من أول ما كتب باللغة العربية فى الفن الصحفى بمصر .

وأملنا كبير فى أن تأتى بعدنا أجيال من الباحثين يتابعون التقدم الذى تصيبه الصحافة العالمية أو الصحافة الإقليمية من حين إلى حين ، ويرسمون الطريق القويم الذى تنفذ منه الصحافة إلى المثل الأعلى الذى يطمع فيه الجميع.

وهنا يسرني أن أستطرد إلى ذكر طرف يسير من رسالة « قسم التحرير والترجمة والصحافة » بجامعة القاهرة ، وهو القسم الذى أنشىء فى مصر منذ عام ١٩٥٤ فقط ، وإن كان قد سبقه إلى الوجود « معهد التحرير والترجمة والصحافة » بالجامعة منذ سنة ١٩٤٠ ، وكان لا يقبل فى ذلك المعهد غير الطلبة الذين أتموا دروسهم فى كليات الجامعة على اختلافها ، على حين أن القسم أصبح يقبل فيه الطلبة الحاصلون على شهادة إتمام الدراسة الثانوية .

(٥)

إن رسالة « قسم التحرير والترجمة والصحافة » بالجامعة يمكن أن تتلخص فى العبارة الآتية وهى :

« رفع المستوى العلمى والفنى والخلقى لجميع المشتغلين بمهنة الصحافة فى مصر ، والعمل على إثبات الشخصية المصرية لصحافتنا القومية فى جميع المراحل التاريخية التى مرت بها إلى اليوم » .

(فأما المستوى العلمى) أو الثقافى فمبنى عندنا على أساس من الفهم الصحيح لمهمة الصحافة الحديثة . وتنحصر هذه المهمة فى تنوير « رجل الشارع » وتزويده بالثقافات التى يفهم بها المجتمع ، كما يفهم بها الأوضاع السياسية والاجتماعيـــة التى تراد به فى هذا المجتمع ، وذلك ما دامت الحكومات الحديثة على اختلاف أشكالها تعتمد على « رجل الشارع » فى إقناع الأمة بهذه الأوضاع ، أو فى إشراكها إشراكا فعلياً فى رسم هذه الأوضاع .

والصحافة الحديثة هى المسئولة فى الحال والاستقبال عن إفهام المواطنين معنى صحيحاً لكلمة « الوطنية » بحيث تصبح مرادفة فى أذهانهم لكلمات « الضمير الحى » « وتقدير المسئولية » .

والصحافة الحديثة هى المسئولة فى الحال والاستقبال عن إشراك المواطنين فى كل حركة يراد بها نقلهم من طور إلى طور ، ومن حالة إلى حالة ، ومن مستوى مادى أو معنوى إلى مستوى أعلى منه .

ولن يتيسر للصحافة الحديثة شيء من ذلك حتى تزود « رجل الشارع » بقدر من المعلومات يفهم به التيارات أو المذاهب السياسية ، والاجتماعية والاقتصادية والفكرية .

ومعنى ذلك باختصار أن مهمة الصحافة الحديثة ليست بجرد سرد الأخبار مهما غلب عليها الطابع الإنسانى ؛ ولكن سردها والتعليق عليها ، وشرحها « لرجل الشارع » شرحاً يبصره دائماً بما يجرى حوله الآن ، وما سيجرى حوله فى المستقبل .

ومن هنا تتضح ضرورة الهدف الأول من أهداف « قسم التحرير والترجمة والصحافة » ، وهو الهدف العلمى أو الثقافى كما يتضح السبب الذى من أجله ينظر بعناية خاصة إلى موضوع « ثقافة الصحفى » .

(٦)

وأما (المستوى الفنى) فبنى عندنا كذلك على أساس من الفهم الصحيح للصحافة باعتبارها فناً من الفنون الحديثة . وإذا قلنا (الفن) فنحن نعنى الموهبة والاستعداد من جهة ، كما نعنى التدريب والممارسة من جهة ثانية .

ذلك أن من الناس من هو موهوب بالطبيعة : موهوب فى الموسيقى ، أو موهوب فى الأدب ، أو موهوب فى الصحافة ، وهكذا . وهؤلاء الموهوبون من حقهم على الدولة دائماً أن تعينهم على الظهور فى المجتمع ؛ كأن تيسر لهم سبيل الدخول فى المعاهد الخاصة ، وتنفق عليهم بسخاء فى هذه الناحية ، وتمنحهم أعظم الفرص الممكنة لإظهار المواهب التى خصهم الله بها .

والفرق كبير – على أية حال – بين موهوب حرم حظاً من التعليم ، وآخر نال حظا أو حظوظاً من التعليم . وتطبيق ذلك على الصحافة واضح كل الوضوح ؛ فهناك طرق خاصة لتحرير الخبر الداخلى ، وهناك طرق خاصة لكتابة العمود أو المقال الصحفى ، وهناك طرق خاصة لكتابة

الحديث أو التحقيق ، ونحو ذلك . وليس شك فى أن وقوف المحترفين للصحافة — حتى الموهوبين منهم — على هذه القواعد والأصول يمدهم بطائفة من التجـــارب الكثيرة من جانب ، ويشحذ عقولهم ومواهبهم للوصول إلى طرق أخرى جديدة من جانب آخر ، وقل مثل ذلك بالقياس إلى الفنون الصحفية الأخرى - عدا فن التحرير - كفن الإخراج ، وفن الإعلان ، وفن التوزيع ، وفن الدعاية . . الخ..

ومن هنا تتضح ضرورة الهدف الثانى من أهداف الجامعة ؛ وهو الهدف الفنى ، وفيه تعتمد الجامعة على إمكانياتها الخاصة أولا ، وعلى المعونة التى تقدمها الصحف الكبرى لتدريب الطلبة والطالبات فى دورها بعدذلك.

(٧)

أما (الهدف الخلقى) فبنى عندنا كذلك على أساس من الفهم السليم لظاهرة فى منتهى البساطة وخلاصة هذه الظاهرة أن الصحيفة (كالخبز واللبن واللحم والخضر والفاكهة) من المواد التى تدخل البيت كل صباح ومساء ، فينبغى إذن أن تكون على جانب كبير من النظافة والنقاء ، بمعنى أن تكون نقية من الجراثيم التى تجلب الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة.

ومعنى ذلك أن على الحكومات — كما على الشعوب — أن تساعد على وقاية صحفها من الأفكار السامة ، والآراء الخبيثة ، والنظريات الهدامة ، والصور المريضة أو الضارة بوضع من أوضاع المجتمع ، سواء اتصل هذا الوضع بالدين ، أم بالأخلاق ، أم بالمفهوم العام لكلمة « الوطنية » أو « الحرية » ، أو « المسئولية » الخ ،أما الصحافة الصفراء التى لا هم لها إلا إثارة الجمهور - لاقصد غير ابتزاز الأموال واللعب بغرائز النساء والرجال - فصحافة ضررها أكثر من نفعها ، بل عدمها خير من وجودها .

هل من الحذق الصحفى — مثلا — أن يعمد المخبر الصحفى إلى سرقة التقارير من رجال الحكومة والأعمال ، مهما كان الدافع إلى هذه السرقة :

من ادعاء خدمة مصلحة من مصالح الوطن العليا ، أو الكشف عن سر من أسرار مؤامرة كبرى ؟ نظن لا !

هل من صالح الجريدة الشعبية أو من صالح القراء أنفسهم أن تسعى الصحف فى نشر الجريمة ، وأن تجعل الغرض من نشرها التشهير بالأسر المعروفة ، أو النيل من الشخصيات المرموقة ، أو المبالغة فى وصف الطرق التى اتبعت فى تنفيذ الجريمة ؟ نظن لا !

إننا نكتفى بهذين المثالين ، ونوضح للقارىء موقف « قسم الصحافة » من كل منهما على حدة ، ونربط حكمه هنا بهذا الهدف الثالث من أهدافه ، وهو الهدف الخلقى .

أما سرقة الخبر مهما كان الدافع إليها فإننا نرى أن ذلك إن أصاب الغرض مرة فإنه يخطىء هذا الغرض مرات ، وإذ ذاك تنحط قيمة المخبر الصحفى فى نظر المجتمع ، وتفقد الصحيفة ثقة الجمهور والحكومة فى وقت ما . وفى شتى الوسائل التى يدرسها الطلبة للوصول إلى الخبر مايغنى عن ارتكاب السرقة . ومن هذه الوسائل — على سبيل المثال — الصداقة التى ينبغى أن ينشئها المخبر دائماً مع الناس على اختلاف الدرجات والطبقات ، ومنها الإيهام بالعلم ، بمعنى أن المخبر يستطيع بلباقته أن يوهم مصدر الخبر بأنه على علم به .

وعن طريق الصداقة يستطيع المخبر الناجح أن يدرس نفسية الرجل أو المرأة التى هى مصدر الخبر ، وله أن يبنى العلاقة بينه وبينهما على المجاملات والهدايا والطرائف ، وإشباع الهوايات الخاصة التى يكشف عنها المخبر فى الشخصية التى هى « مصدر الخبر » ، وهذا وذاك من الأمور الجائزة ، بل المستحسنة عند رجال الصحف ، ولها جزء من ميزانيتها فى أغلب الأحيان .

وأما نشر الجريمة على أساس من التشهير والتشنيع والفضيحة والمبالغة — فشىء لانقره مطلقاً ، بل نرى فيه دليلا على انحطاط مستوى الشعب ومستوى

الجريدة معاً . وكما قال أحد أساتذة الصحافة فى الجامعات الأمريكية لطلبته كلما دخل حجرة البحث أو المحاضرة: «انشروا الخبر - أيها الطلبة - دائماً بالطريقة التى تستطيعون أن تقرءوه بها على آبائكم وأمهاتكم وأخواتكم فى منازلكم الخاصة» ! ومعنى ذلك إذن أنك حين تنشر الخبر وترى فيه كلمة نابية ، أو عبارة مقذعة ، أو أسلوباً يخدش الشرف ، وتحس أنك غير قادر على أن تقرأ ذلك على أبيك أو أمك أو أختك فى منزلك ؛ فمن المروءة والشرف فى هذه الحالة أن تحذف هذه العبارة وتأتى بأخرى غيرها قد تؤدى معناها على وجه التقريب . ولكن ليس من المروءة والشرف أن تختفى وراء الكلمة المطبوعة وتتركها تنفث السموم القاتلة فى البيت والطريق والنادى والمقهى الخ .

وقد ذكرتنى كلمة الأستاذ الجامعى المتقدمة بمـــا كان يفعله الأدباء المصريون فى القرنين السادس والسابع للهجرة ، ففى تلك الفترة من فترات الأدب المصرى اخترع النقـاد المصريون فنوناً كثيرة من البديع منها فن أطلقوا عليه اسم «النزاهة» ، وقالوا فى تعريفه يومئذ :

«النزاهة هى أن ينزه الـكاتب أو الشاعر نفسه عن ألفاظ الفحش والبذاءة ، حتى يكون الهجاء — كما قال أبو عمرو بن العلاء — تنشده العذراء فى خدرها فلا يقبح عليها» .

أليس معنى ذلك أن «النزاهة» صفة من صفات الأدب المصرى منذ العصور الوسطى إلى اليوم ؟

أليس معنى ذلك أن «النزاهة» طابع تمتـاز به الشخصية المصرية فى الأدب منذ ذلك العهد ؟

أليس معنى ذلك أن القيم الإنسانية نفسها خالدة بخلود النفس البشرية ذاتها ، وأن فى بقائها ما ينذر الأشرار من الـكتاب والأدباء بالويل ؟

إننا نرجو حين نؤرخ للصحافة المصرية دائماً أن نجد لها هذا الطابع الذى امتاز به الأدب المصرى منذ عصوره الأولى ، وإذ ذاك نطمئن إلى

أن الصحافة ـ التى هى بنت الأدب ـ ستحافظ دائماً على الطابع الذى يمتاز به هذا الأدب ، وإذ ذاك أيضاً نفخر بأن الصحافة المصرية ستحمى على الدوام ظهر الشخصية المصرية، وتمكنها من النماء والقدرة على مغالبة الزمن.

(٨)

(وبعد) فهذا البحث الذى بين يديك مؤلف من مقدمة وأربعة كتب وخاتمة ، أما (المقدمة) فهى ما فرغت الآن من قراءته .

وأما الكتاب الأول فموضوعه الرأى العام وتعريفه ، والفرق بينه وبين الاتجاه العام والسخط العام ، والحدود التى ينبغى أن تحد الرأى العام فى ذاته ، ثم كلمة عن تطور الرأى العام فى مصر .

وأما (الكتاب الثانى) فموضوعه (فن الخبر) تحدثت فيه عن تعريف الخبر ، وطرق صياغته ، والمذاهب المختلفة فى نشره ، ولغة كتابته ، وعلاقته بالمجتمع .

وأما (الكتاب الثالث) فموضوعه (فن المقال) تحدثت فيه عن تعريفه وأنواعه الثلاثة التى هى: المقال الأدبى ، والمقال العلمى ، والمقال الصحفى ، وعن الحيل الصحفية التى تتبع فى التحرير فى أوقات الأزمات والظروف السياسية الشاذة ، وهى الظروف التى تفرض فيها الرقابة فرضاً شديداً على الصحف .

وأما (الكتاب الرابع) فموضوعه (فن التقرير) ونعنى به فن الحديث الصحفى ، وفن التحقيق الصحفى ، وفن الماجريات : قضائية كانت أم برلمانية أم دبلوماسية أم دولية ، وخصائص كل منها .

وفى (الخاتمة) تحدثت حديثا عاماً عن (مستقبل التحرير فى مصر) .

والله أسأل أن ينفع به طلبة العلم ، ومحترفى الصحافة فى مصر والشرق إنه سميع مجيب .

مصر الجديدة فى نوفمبر ١٩٥٦

دكتور
عبد اللطيف حمزه

الكتاب الأول

الرأى العام

الرأى العام

(١)

الصحافة والرأى العام :

« الصحافة حارس الأمة الأمين »

« فمن الذى يعلم الوطنى حقوقه . ؟ من الذى يرشده إلى واجباته ؟ من الذى يكون له عونا فى المعترك الذى يلقى بنفسه فيه ، ومن الذى يدرأ عنه عادية كل من أراد به سوءا ؟ »

« هى الصحافة وهى وحدها دون غيرها على الدوام » .

« وإذ لم يكن هناك صحافة أصبحت الشجاعة الأدبية أمراً من الأمور الشاذة ، بل أصبحت فى حكم المستحيل ؛ وكذلك شأن الشجاعة الحربية ، فإن الجندى لا يرمى نفسه فوق الخطرّ ، ولا يقدم على المهالك ، إلا عند ما ترمقه أعين زملائه ، ويشجعه صوت الطبول ورائحة البارود ! »

ولأجل أن يتكون الرأى العام ، وتتوطد دعائمه ، يجب أن يوجد ذلك الصوت القوى العظيم — صوت الأمة — الذى يعطى كل ذى حق حقه ، فيثنى فى كل يوم على العاملين ، ويؤنب المقصرين ، ويذكر الناس بالمنافع العامة المشتركة ، وبالمبادىء الاجتماعية ، ويؤازر بقوته كل حق من حقوق الأفراد (١) » .

ويقول الأستاذ هارولد لاسكى فى كتابه « محنة الديموقراطية(٢) » :

إن القدرة على توجيه الأخبار وجهة معينة هى نفسها القدرة على حرمان القراء من أن تصل إليهم المادة التى يستطيعون بها أن يكونوا لأنفسهم رأياً فى كل مشكلة ، وإن من يوازن بين الطريقة التى عالجت بها الصحافة البريطانية موضوع نزع السلاح فى وقت انعقاد مؤتمر جنيف عام ١٩٣٢

---

(١) الأخبار عدد (٢٩٥٠) بتاريخ ٩ فبراير سنه ١٩٢١ .

(٢) الأستاذ هارولد لاسكى فى كتابه « محنة الديموقراطية » ص ٧٤ .

والطريقة التى عالجت بها تلك الصحافة أخبار السلوك الجنسى عند رجال الدين الانجليز فى الفترة نفسها ليشهد أن الصحافة البريطانية أولت كل اهتمامها للموضوع الأخير بقصد إهمال الموضوع الأول على الرغم من أنه خطير . وهنا لايجد القارىء صعوبة ما فى اكتشاف الطريقة التى يتكون بها الرأى العام فى بلد من بلاد الديمقراطيات الرأسمالية كانجلترة

الحق أن الصحافة مرآة الأمة ، ولسانها الناطق بأفكارها وآرائها ورغباتها وحاجاتها ، وآلامها وآمالها ، ومن هنا جاءت قوتها ، وقد أطلق الناس عليها اسم « السلطة الرابعة » ـ أى أنها رابعة السلطات الثلاث المعروفة ، التى هى السلطة التشريعية ، والسلطة القضــائية ، والسلطة التنفيذية . وطريق الصحافة إلى كل ذلك هو التحرير — أعنى تحرير الخبر أو المقال ، وهما مادتا الصحف على اختلاف ألوانها ونزعاتها .

ولتكوين الرأى العام فى ذاته وسيلتان هامتان هما :

الكلمة المطبوعة ، والكلمة المسموعة . ولكل من هاتين الوسيلتين مجالات تظهر فيها :

فالكلمة المطبوعة تظهر فى الصحيفة وفى المجلة ، وهما مدرستا الشعب وصاحبتا الفضل الأول فيما يصيبه من تطورات سياسية واجتماعية واقتصادية.

كما تظهر الكلمة المطبوعة فى الكتاب ، وفى اللافتات ، وفى ا[illegible] نات وفى شتى ضروب الإعلان .

وتظهر الكلمة المطبوعة أيضاً فى أجهزة استقبال الأخبار Tickers ، وهى الأجهزة التى تقوم عليها وكالات الأنباء ، وعلى هذه الأخيرة تعتمد الصحف فى حصولها على الأخبار الهامة وغير الهامة هنا وهناك .

أما الكلمة المسموعة فتظهر فى الراديو والتليفزيون ، وهما آلة الدهماء فى أغلب الأحيان ، لأن الخاصة ليس لديها من الوقت ما تنفقه فى الجلوس إليهما واستيعاب الجزء الأكبر من منهج كل منهما اليومى .

وكما تظهر الكلمة المسموعة فى السينما ، والمسرح ، والمدرسة ، والجامعة ، تظهر أيضاً فى المحادثات الخاصة بين الأصدقاء ، سواء أكانت هذه المحادثات فى المنزل ، أم فى الطريق ، أم فى النادى ، أم فى المركبات العامة . وسواء أكانت همساً ، أم نجوى ، أم كانت على شكل شائعة ، أم اغتيابا ، ونحو ذلك .

على أن الوسيلة الأولى منهما هى التى تعنينا فى هذا البحث . وهذه الوسيلة هى الكلمة المطبوعة ، والعجيب حقاً أن يكون للكلمة المطبوعة كل هذا التأثير القوى فى النفوس ، أو هذا السلطان الكبير على القول ، ومن هنا أصبح الرأى العام عن طريق الكلمة المطبوعة قوة عظيمة لا يمكن أن تقاوم ؛ فقد تتعرض الجيوش نفسها للهزائم ، أما الصحف وما تحمله للناس من قوة الرأى العام فقلما تتعرض لذلك ، وقلما تستطيع الحكومات نفسها أن تؤثر فى الصحافة إلا بطريق الإلغاء أو التعطيل .

والتاريخ حافل بالأمثلة العديدة التى تدل على قوة الرأى العام الآتى من طريق الكلمة المطبوعة فى الصحيفة .

فلقد قبضت السلطات الإنجليزية على (عرابى) ، وعزمت على التنكيل به ، وبأصحابه ، ثم ظهرت جريدة التيمس معلنة أن عرابى سيحاكم محاكمة نزيهة ، وسيعامل معاملة إنسانية مستقيمة ، فاضطرت الحكومة الإنجليزية أمام هذا التصريح أن تعدل من خطتها ، وترجع عما عزمت عليه (١) .

وأمامنا الآن — ونحن نكتب هذا الكتاب — مثل حى من التاريخ المصرى الذى نعيش فيه ، وهذا المثل هو تأميم قناة السويس ، فمنذ أعلنت الحكومة المصرية هذا التأميم فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ هاج (المستر إيدن) رئيس الوزارة البريطانية ، وأراد أن يعلن الحرب على مصر ، ولكن الرأى العام فى العالم كله ـ وفى انجلترا نفسها ـ كان لا يريد الحرب فى ذلك الظرف .

---

(١) التاريخ السرى لاحتلال الإنجليز لمصر ، لمؤلفه المستر بلانت ، انظر الترجمة العربية للكتاب ص ٣١١ — ٣٢١ .

غير أن (إيدن) ومعه (موليه) رئيس الوزارة الفرنسية ، و (بن‌جوريون) رئيس الوزارة الإسرائيلية ، دبروا أمرهم بليل ، واتفقوا فى مؤامرة تجاهلوا فيها الرأى العام ، وتغفلوا هذا الرأى ، واعتدوا جميعاً على مصر .

واستنكر الرأى العالمى هذا الاعتداء ، ولولا هذا الاستنكار الصارخ، ولولا مقاومة الشعب المصرى الباسل ، ولولا الإنذار الروسى للحكومات الثلاث التى اعتدت على مصر ، لنشبت الحرب العالمية الثالثة ، ولأصبح مركز هـذه الحرب منطقة الشرق الأوسط ، ولا يدرى إلا الله نتيجة ذلك على الحضارة الإنسانية والشعوب الشرقية والغربية .

(٢)

تعريف الرأى العام :

من أجل هذا وجب علينا أولا أن نعرف المقصود تماماً بكلمة الرأى العام عند إطلاقها ، ما دامت الصلة وثيقة بينه وبين الصحافة على هذا النحو:

عرفه الأستاذ « كلاريد كنبج » فى مقدمة كتابه « قرارات فى الرأى العام » فقال :

« إنه الحـكم الذى تصل إليه الجماعة فى مسألة ذات بال ، وذلك بعد مناقشات علنية ، ومستوفاة » .

وعرفه الأستاذ « جيمس برايس » فى كتابه « الديمقراطيات الحديثة » فقـــال :

« إنه اصطلاح يستخدم للتعبير عن مجموع الآراء التى يدين بها الناس بإزاء المسائل التى تؤثر فى مصالحهم العامة ، والخاصة » .

وعرفه الأستاذ « ألبورت Alport » فقال :

« إنه تعبير صدر عن مجموعة كبيرة من الناس عما يرونه فى مسألة ما ، أو اقتراح واسع النطاق ، بحيث يمكن استدعاؤهم لهذا التعبير ـ سواء أكانوا

مؤيدين للفكرة أم معارضين لها ، وبحيث تكون نسبتهم العددية كافية لإحداث تأثير ما بطريق مباشر ، أو غير مباشر » .

وعرفه الأستاذ (ألبج) Albig فقال :

« إنه ثمرة تفاعل الأفكار فى أى وضع من أوضاع الجماعة التى تصدر عنها هذه الأفكار » .

فهذه تعريفات أربعة من عشرات التعريفات التى صدرت عن علماء النفس والاجتماع والصحافة ، وكلها توضح الدور الخطير الذى يلعبه الرأى العام فى حياة الأفراد والمجتمعات ، وإن كان بعضها يقلل إلى حد ما من أهمية الدور الذى يقوم به أفراد قليلون فى الأمة ، هم المجددون ذوو الأفكار التقدمية فيها ، فبمقدار ما تكون أفكارهم جديدة على المجتمع يكون الأمل قليلا فى نجاحهم أول الأمر ، إلا أنهم إذ يوطنون أنفسهم على الكفاح والصبر ، يستطيعون النجاح فى نهاية الشوط .

ولكن ماذا يؤخذ من التعريفات السابقة على وجه الإجمال فوق ما ذكرناه حتى الآن ؟ يؤخذ منها ما يلى :

أولا — أن الرأى العام هو الاتجاه الذى تتخذه الجماعة فى مسألة بعينها بعد بحث هذه المسألة من جميع وجوهها بحثاً علنياً بطريق الصحافة أو بطريق الخطابة أو بطريق الإذاعة أو بغير ذلك من وسائل الإعلام .

ثانياً — أن الرأى العام بالمعنى الصحيح لهذه المشكلة لا يشترط فيه أن يكون رد فعل للتقاليد والعادات التى عليها الأمة ، وإنما هو نتيجة تفكير سليم فى المصلحة التى تعود على المجموع ، أو هو محاولة فى بعض الأحيان للتوفيق بين هذه المصلحة من جهة ، ومجموعة التقاليد والعادات التى عليها الأمة من جهة ثانية ، بل إنه إذا أريد التحرر أحياناً من سلطان العادات والتقاليد ، فإنه لا سبيل للمجتمع فى هذه الحالة إلا بالرأى العام، لأنه وحده القادر على إحداث التحرر الذى تطلبه المجموعة التى تصبو إلى التحرر .

ثالثاً : أن الرأى العام استناداً إلى النقطة السابقة لا ينبغى أن يكون ثمرة اندفاع عاطفى فى المجتمع ، ولا ينبغى أن يكون نتيجة لتغلب طائفة بعينها ذات مصلحة خاصة من طوائف المجتمع . وليس من الضرورى — كما قلنا — أن يكون مرتبطاً كل الارتباط بميراث الأمة من تقاليد وعادات ونحوهما .

ولنضرب المثل هنا بالحركة التى قام بها المرحوم قاسم أمين باسم تحرير (المرأة) ، فقد كان المصريون فى القرن الماضى لا يعترفون بالسفور ، ولا بحق المرأة فى الاشتغال بالأعمال العامة ، ولا بحق المرأة حتى فى التعليم . لجاء قاسم أمين وأخذ ينشر مقالاته التحررية فى جريدة « المؤيد » ، وهاج الرأى العام فى مصر ، وتضاربت الآراء فى هذا الشأن ، وتعرض الكاتب نفسه لكثير من السخط والسخرية من جانب الشعب ، وأخيراً وبعد لأى أمكن لهذا الرأى أن يؤثر فى نفوس الكثرة من المصريين الذين آمنوا بحق المرأة فى السفور وفى التعليم . وهكذا استطاعت الصحافة بطريق الرأى العام أن تزعزع أركان رأى قديم كاد يصل فى نفوس المصريين إلى حد التقديس ، وأن تهدم عقيدة من العقائد الاجتماعية التى وصلها المصريون بالدين الحنيف . بل هكذا جاءت الصحافة بالدليل القاطع على أن الرأى العام هو وحده القادر على تغيير النزعات العامة ، وزعزعة العقائد الموروثة ، ومحاربة الآراء القديمة لتحل محلها الآراء الحديثة .

رابعاً : أن التعبير عن الرأى العام لا يكون إلا فى جو من الحرية التامة ، أما فى ظل النظام الدكتاتورى فإنه يتعذر على الرأى العام تحت ضغط من الحكام أن يقوم بهذا التعبير إلا بطريقة سرية ، كثيراً ما تكون أخطر على الحكومة الدكتاتورية من ألد أعدائها ، وشر خصومها ، وأخطر معارضيها .

فمنذ تطلعت الشعوب إلى التمتع بحريتها لم تجد الصحافة ضماناً قوياً لبقاء هذه الحرية ، ومن هنا بدأت العناية بأمر الصحف ، والفضل فى ذلك يرجع لأولئك الأبطال الذين استخدموا أقلامهم الحرة فى الدفاع عن الحرية

وأثبتوا للعالم أن الحياة الحقيقية لا ترتكز إلا على حرية تلك الأقلام وإفساح ميادين العمل أمامها » (١) .

(٣)

الفرق بين الرأى العام ، والسخط العام ، والاتجاه العام :

تقع أزمة من الأزمات فى أمة من الأمم ، فإذا بالقادة والزعماء فى هذه الأمة يبسطون آراءهم فى أسباب الأزمة ، ويقترح كل منهم علاجاً لها ، ويروج كل حزب فى صحفه لما يراه من رأى .

وباحتكاك الآراء المختلفة ، ووجهات النظر المتباينة تستطيع الأمة أن تتبين وجه الصواب فى الأزمة أو المشكلة التى تواجهها ، وبتبلور هـــذه الآراء والأفكار فى خطة واحدة تكاد تجمع عليها الأمة يتألف ما يسمى « بالرأى العام » فى لغة العصر الحديث ، أو « حكم الجماعة » فى لغة العصور السابقة .

ولكن هل تصلح الجماعة كلها لإبداء الرأى ؟ وهل تصلح كلها لمناقشة هذا الرأى ؟

هنا ينبغى للباحث أن يفرق تفرقة واضحة بين طبقتين — على الأقل — من طبقات المجتمع : طبقة المستنيرين أو المثقفين الذين يستطيعون أن يدرسوا الأمور ، وطبقة السوقة أو الدهماء أو المنقادين الذين ينقادون انقياداً أعمى لرأى من الآراء ، أو فكرة من الأفكار ، لأنهم عاجزون تماماً عن مناقشتها لمعرفة مقدار الخطأ أو الصواب فيها .

ومن هنا كان تصرف الطبقة المستنيرة فى المسائل العامة مخالفاً كل المخالفة لتصرف الدهماء أو السوقة فى هذه المسائل .

---

(١) من كلمة للأستاذ أمين الرافعى تعليقاً على الكلمة التى اقتبسها من (جول سيمون) .

أما الطبقة الأولى فهى التى تسمع وتقرأ ، وتناقش وتفهم ، وتكون لنفسها رأياً ما فى نهاية الأمر .

وأما الطبقة الأخيرة فلا عمل لها إلا السير وراء الزعماء والقادة منساقة لهم ، متأثرة بهم وبآرائهم .

ومن ثم نجد أفراد هذه الطبقة الأخيرة يتبعون أول ناعق،ويستجيبون لأول صيحة ، ويسلكون سبيل الهياج أو الثورة ، ولا يملكون لأنفسهم القدرة على مناقشة المسائل التى ثاروا من أجلها ، والمشكلات التى أبدوا سخطهم عليها

وعلى ذلك تنبغى التفرقة دائماً بين :

(١) الرأى العام : وهو مايصل إليه المجتمع الواعى بعد تقليب وجهات النظر المختلفة ، والآراء المتعارضة .

(٢) والسخط العام : وهو ماتصل إليه الجماهير بمجرد الإثارة والانفعال برجل واحد فقط ، أو فكرة واحدة فقط ، أو زاوية واحدة فقط لا تكاد تسمح لغيرها من زوايا النظر الأخرى أن تظهر إلى جانبها .

(٣) والاتجاه العام : وهو ما يكون نتيجة لاتفاق الجماهير على شىء معين يرون فيه صيانة لتقاليدهم ، أو دفاعاً عن دينهم ، أو محافظة على تراثهم ، ونحو ذلك .

أجل — تنبغى التفرقة الواضحة بين هذه الكلمات الثلاث :

(فالرأى العام) هو — كما قلنا — نتيجة البحث والدرس والتجربة والفحص . وهو من هذه الناحية يعتبر قوة خالقة ، وإن كان فى بعض الأحيان — وإلى حد ما — يعتمد على ماضى الأمة ، وعاداتها وتقاليدها ، وعلى ما يسمى بالنزعات أو الاتجاهات العامة فيها .

ومن ثم كان الوعى القومى فى بلد من البلاد إنما يقاس (بالرأى العام) فى كل بلد ، ولا يقاس مطلقاً (بالسخط العام) فى هذا البلد ، اللهم إلا نادراً

وفى ظروف معينة ، وذلك لسبب واحد فقط ، هو أن الناس فى حالة (الرأى العام) ، يتمتع كل منهم بفرديته ، ويستطيع أن يظهر شخصيته ، وأن يظفر بالحرية الكافية لشرح وجهة نظره التى يقتنع بها ، ويريد أن يقنع غيره بما فيها من صواب .

ولكن الناس فى حالة (السخط العام) تنعدم فرديتهم وذاتيتهم أو تكاد ، ففى الزحام والتجمع تنمحى هذه الصفات، ويفكر الناس بالصور والخيالات، ويكون المجال واسعاً أمام الزعماء والقادة – من غير العقلاء – وهم المعروفون عند الأوروبيين باسم (الديماجوج) ، ممن يثيرون الجماعات ويستغلون سذاجتها وانعدام الفردية أو الذاتية بين أفرادها .

إن الشعب فى حالة (السخط العام) يكون أشبه شىء بالنظارة فى المسرح ، يتأثرون بالرواية المسرحية وقت مشاهدتهم لها ، فلا يستطيعون الجمع وقتئذ بين المشاهدة والنقد ، ولا يستطيعون التمييز بين شتى المواقف المسرحية المعروضة عليهم فى ذلك الوقت .

(٢)

أنواع الرأى العام :

اختلف الباحثون فى الرأى العام ، فمنهم من رأى أنه ثلاثة أنواع على النحو الآتى :

١ – الرأى العام المسيطر .   ٢ – الرأى العام المستنير أو القارىء.
٣ – الرأى العام المنقاد .

والأول – رأى القادة ، والزعماء ، والحكومات فى أغلب الأحيان .

والثانى – رأى الطبقة المثقفة فى الأمة ، وهى الطبقة القادرة على الدرس والمناقشة .

والثالث – رأى السواد الأعظم من الشعب ممن لا يستطيعون متابعة البحث أو الدرس .

ومن الباحثين من رأى أنه ـ أى الرأى العام ـ ثلاثة أنواع ، ولكن على النحو الآتى :

١ — الرأى العام الكلى .　　　٢ — الرأى العام المؤقت .

٣ — الرأى العام اليومى .

فالأول — يتصل اتصالا قوياً بالدين ، والأخلاق العامة ، والعادات ، والتقاليد الموروثة ، وغيرها من الأشياء الثابتة فى الأمة ، ولذا يمتاز هذا النوع بالثبات ، ويشترك فيه السواد الأعظم من الناس .

والثانى — هو ما تمثله الأحزاب السياسية ، والهيئات العامة والخاصة ؛ وذلك عندما تسعى لتحقيق هدف معين فى وقت معين .

والثالث — هو النوع المتقلب كتقلب الجو فى شهر أمشير — كما يقول المصريون — وعليه تعيش الصحف اليومية ، والإذاعة ونحو ذلك .

ومن الباحثين من يرى فى الرأى العام كذلك أنه أربعة أنواع :

١ — رأى الأغلبية أو الأقلية　　　٢ — رأى الأقلية مجتمعة .

٣ — الرأى الساحق .　　　٤ — الرأى الجامع .

فالأول — هو رأى الجماعة حين تنقسم إلى هذين القسمين : أغلبية ، وأقلية . وقد تتحول الأولى إلى الثانية ، وقد يحدث العكس ، ومن أجل هذا كان لرأى الأقلية وزن كبير فى الأمة ، وذلك أن أصحاب الأقلية إنما يعتمدون على بذل الجهود الكثيرة فى سبيل الوصول إلى الأغلبية ، وبهذه الجهود تنتفع الأمة .

والثانى — هو رأى الأقليات الكثيرة حين تتفق أحياناً على رأى معين فى ظرف معين ، ولهدف معين ، ولكن قد يفضى هذا النوع من الرأى بالأمة إلى التحول السريع من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، ومن أجله قد تسقط وزارة ، وتعقبها أخرى ، ويستمر الحال على ذلك حتى تتمكن إحدى الأقليات من أن تصبح أغلبية .

وأما الثالث — فكثيراً ما يكون نتيجة لاندفاع الشعب ، أو نتيجة لتكاسله فى بحث المشكلات العامة ، والشعب إذا وصل إلى الرأى الساحق عن طريق البحث أو الدرس فإنه يكون فى مثل هـذه الحالة بلغ الذروة ، ولـكنه فى الواقع قلما يصل إلى ذلك .

والرابع — هو الرأى تجمع عليه الأمة ، ولا يكون ذلك فى الأعم الأغلب إلا فى الأمور التى ترتكز على ماضى هـذه الأمة ، وما ورثته من عادات ، ونزعات ، ومعتقدات . وهـذا الرأى هو ما سميناه من قبل بالاتجاه العام ، أو النزعة العـامة ، وهو شيء لا يناقش فى العادة ، وإذا تعرض أحد لمناقشته عرض نفسه للخطر المحقق .

ومع هذا وذاك فى استطاعة عدد قليل من القادة فى كل أمة أن يقنعوا أمتهم بفساد جزء من أجزاء هذا الرأى الجامع ، بشرط ألا يمس هذا الجزء أصلا من أصول الدين أو العقيدة ، فمن الممكن — مثلا — أن ينادى مصلح من المصلحين فى أمريكا بفساد الفكرة القائمة بالتمييز بين السود والبيض، وإن كان ذلك يحتاج من مثله إلى صبر طويل . وكفاح مرير ، وعمل متواصل .

فعلى الصحفى دائماً أن يعرف كيف يفرق بين هذه الأنواع للرأى العام ، وعليه أن يفرق بين ما سميناه بالرأى العام ، والسخط العـام ، والاتجاه العام ، فبهذه التفرقة يأمن الزلل فى تفسير الحوادث التى تجرى فى المجتمع .

(٥)

دور الصحافة فى تكوين الرأى العام :

نحن نعرف أن الصحافة أقدر من غيرها على التأثير فى الجمهور ، وهى بلا شك أقدر فى هذه الناحية من الإذاعة ومن الخطابة ، بل هى أخطر منها فى الوصول إلى هذه الغاية .

والسبب فى ذلك أن الصحيفة تستطيع — بخلاف الخطب والإذاعة — أن تدعو إلى فكرة من الأفكار ، أو رأى من الآراء ، وأن تكرر هذه الدعوة

يوماً بعد يوم بصور مختلفة ، والصحيفة بهذا التكرار أشبه شيء بقطرات الماء التي تسقط تباعاً وباستمرار على صخرة قوية ، ولا بد لها يوماً أن تخرق هذه الصخرة ، وقد تصل إلى تحطيمها وتهشيمها فى نهاية الأمر .

غير أنه من الخطأ مع هذا وذلك أن نعتقد أن الصحافة تصنع الرأى العام بكل ما فى هذه الكلمة من معنى . فإن الأولى من ذلك أن يقال إن الصحافة تأخذ من هذا الرأى وتعطى ، وتؤثر فيه وتتأثر به ، تقود الشعب وتنقاد له ، توجه الحكومات وتتلق توجيهاتها وهكذا .

ومن ثم نجد الفرق واسعاً بين الرأى العام فى أمة متعلمة ناهضة واعية ، والرأى العام فى أمة جاهلة نائمة متغافلة .

الأولى — تستطيع الاستفادة من الصحافة ، أو بعبارة أخرى تؤثر فيها وتتأثر بها .

والثانية — عاجزة عن الانتفاع بالصحافة ، ولا دخل لهـــا تقريباً فى تكوين الرأى العام الذى تعنى به الصحف .

وفى هذا المعنى يقول الأستاذ « توماس جيفرسون » عبارته المشهورة » :

« إننى لا أستطيع الاعتقاد بأن الصحافة قد بلغت غايتها إلا إذا أصبح كل إنسان يعرف القراءة والكتابة ويعرف كيف يقرأ الصحيفة » .

(والخلاصة) حتى الآن أن الأمانة الصحفية تحتم على الصحف أن تتوخى الدقة فى رواية الأخبار — داخلية كانت أم خارجية . كما تحتم عليها كذلك ألا تنظر إلى الربح المادى وحده ، بأن تعرض الأخبـــار على الجمهور عرضاً ينطوى على سوء القصد قبل كل شيء ، أو بأن تحرف الأخبار تحريفاً يبعدها عن الحقيقة كل البعد .

ذلك أن الصحافة مسئولة عن توجيه الأمة ، مسئولة عن تكوين الرأى العام الناضج فيها ، وهذه المسئولية فى الأمم الضعيفة أو الجاهلة أو المتأخرة أثقل منها بكثير فى الأمم القوية المتعلمة الناهضة .

وفى هذا المعنى يقول الزعيم الشاب مصطفى كامل :

« إذا كانت الصحافة فى كل بلاد العالم شديدة التأثير ، عظيمة الفائدة ، فإنها يجب أن تكون فى مصر أشد تأثيراً ، وأكبر نفعاً ، لأن الأمم الحية غنية عن إرشاد الصحف فى كثير من الشئون »

« أما فى مصر وبقية بلاد الشرق فوظيفتها أن تكون المهذبة المؤدبة ، المنشطة المشجعة ، القائمة مقام المجالس النيابية ، حتى ترقى الأمة وتنال كل حقوقها » .

ومهما يكن من شىء فنى استطاعتنا أن نقول إن هناك أموراً كثيرة تؤثر فى الدور الذى تؤديه الصحافة فى توجيه الرأى العام .

منها صبغة الصحيفة أو الهدف الذى ترمى إليه هذه الصحيفة ، فإذا كان الهدف تجارياً فى مجموعه ، وكان الربح المادى هو الغرض الأساسى من إصدارها فإنها إذ ذاك تقل عنايتها بتوجيه الرأى العام ، وتزداد عنايتها بتملق القراء ، فلا تنشر لهم إلا ما يلائم رغباتهم ، ولو كان فى ذلك ما يضر بمصلحتهم التى هى مصلحة المجتمع .

ويتصل بهذا العامل عامل آخر هو سياسة الصحيفة ، فإذا كانت سياستها ترمى إلى العبث بالأخبار أو تلوينها تلويناً خاصاً لغاية من الغايات الخاصة بها كذلك ، فإن الرأى العام إذ ذاك يتعرض بنفسه لمحنة من أشد المحن ، ويحار القراء يومئذ فى معرفة الحقيقة فتنحرف الأفكار والخطط انحرافاً بليغاً .

وثم مظهر آخر من مظاهر سياسة الصحيفة ، فقد ترغب هذه الصحيفة فى اتباع سياسة الإثارة ، وقد تزهد فى هذه السياسة ، ومن الصحف ما تعتمد اعتماداً تاماً فى كتابة الأخبار على الإثارة ، ومنها ما تقتصد اقتصاداً ظاهراً فى ذلك ، والذى لا شك فيه أن الرأى العام يصلح باتباع الطريقة الأخيرة ، ولا يصلح مطلقاً باتباع خطة الإثارة .

ثم إنه من العوامل المؤثرة فى الرأى العام عن طريق الصحافة عامل

الحكومة ، وسيطرة هذه الأخيرة أو عدم سيطرتها على الصحافة ، والذى لا شك فيه أيضاً أن الرأى العام لا يتكون تكوناً صحيحاً فى ظل حكومة من النوع الأول ، ولكنه يقترب من الكمال فى ظل حكومة تبسط للصحافة من الحرية ما يكفى للتعبير عن جميع الآراء ومختلف الاتجاهات .

وهنا يحلو لنا مرة أخرى أن نسوق عبارة للأستاذ أمين الرافعى ذكرها فى افتتاحية السنة الثالثة لجريدة الأخبار(١) قال :

« قامت الصحافه بدور كبير فى النهضات الوطنيـــة التى شهدها الشرق والغرب ، وقد عرفت لها الشعوب المختلفة هذا الفضل فجعلت فى مقدمة أنظمتها الدستورية أن تكون الصحافة حرة لتستطيع تأدية واجبها العظيم الذى أنشئت من أجله ، وقد تبين قادة الحركات السياسية أن هذه الحركات يصعب نجاحها ما لم تكن الصحافة بجانبها لتقوم بقسطها الكبير فيها » .

وقال « سايبس » : « الصحافة هى الضامن الحقيق للحرية السياسية ، فإذا أردت إصلاح العيوب العامة وجدت من الصحافة أكبر عضد لك فى عملك ، فهى التى تنير الرأى العام ، وتكون بمثابة المصباح يهتدى بضوئه ، ومتى ظهر هذا المصباح أمام أعداء الأمة ، وخصوم الإنسانية استولى عليهم الرعب وبادروا إلى العدول عن تنفيذ نياتهم الضارة التى كانوا يتآمرون عليها فى الظلام » .

« فاتركوا الصحافة تعمل لإعداد النفوس لفعل الخير ، اتركوها تؤهل العقول للشعور بالواجب الوطنى » .

ومضى الأستاذ أمين الرافعى يقول : « وقد ارتأى كثير من الفلاسفة والسياسيين والمؤرخين أن الأمة التى لا تحترم حرية الصحافة لا تستطيع النهوض بنفسها ، ولا يسعها الانتفاع من جميع الحقوق الأخرى التى تكون متمتعة بها ، مهما كانت هذه الحقوق عظيمة الشأن فى ذاتها » .

---

(١) انظر العدد رقم (٥٨٧) بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٢٥ .

وقال جول « سيمون » :

« إذا كان للشعب حق التشريع لنفسه بواسطة النواب الذين ينتخبهم ، وإذا كانت السلطة الحاكمة لا تمتلك سن القوانين ، ولا عرضها ، ولا رفضها ، وإذا كانت الانتخابات للهيئات النيابية حرة وغير مقيدة — إذا كان للشعب كل هذه الحقوق — فإنها تظل جوفاء وهمية خيالية ما لم تتأيد بضمانة كبرى هي حرية الصحافة » .

فالذين يتقدمون للخدمة الوطنية عن طريق الصحافة إنما يتقدمون لتحمل عبء ثقيل لا يجوز أن يستهان فيه بالمسئولية المترتبة عليه ، ولاسيما إذا كانت الصحافة فى عهدهم محرومة من التمتع بحريتها ، فهم مضطرون من جهة للنضال فى سبيل تحرير صحافتهم ، كما أنهم مطالبون من جهة ثانية بأن يستخدموا الدائرة الضيقة المخصصة لعملهم فى سبيل الدفاع عن القضايا الوطنية التى وقفوا أنفسهم على خدمتها ، والسعى فى نجاحها مهما تحملوا فى هذا الطريق من تضحيات مختلفة .

فذلك إذن هو الدور الذى تقوم به الصحافة فى جميع الأمم وهو دور خطير للغاية — ما دامت الصحافة تقوم بواجبها بكل شرف ونزاهة . وهنا يطيب لى أن أستطرد قليلا فأقول عن الصحافة المصرية : إنها كانت فى العشر الأخير من القرن التاسع عشر والعشور الثلاثة الأولى من القرن العشرين — كانت فى نظر التاريخ صحافة رأى بالمعنى الصحيح ، وذلك بالرغم مما تعرضت له تلك الصحافة من إيذاء وتعطيل ، وبالرغم مما كانت تعانيه من قانون المطبوعات (١) .

كان الصحفيون فى تلك الفترة التى نشير إليها يقدرون مهمة الصحافة على الوجه الذى شرحه أحدهم ، وهو هنا الأستاذ أمين الرافعى ، وكانوا يوطنون أنفسهم على البذل والتضحية فى سبيل قيامهم بهذا الواجب الأعلى .

---

(١) ارجع الى ص ٢٤ من « القانون والرأى العام » .

أما اليوم فالصحافة المصرية قد وجهت كل عنايتها إلى أمرين: هما الإخراج، والتوزيع ، وهما الناحيتان اللتان لم تبد صحافة الأمس عناية كافية بهما فى الحقيقة . ولسنا نبالغ إذ نقول : إن صحافة اليوم وجدت فى الاهتمام بالإخراج الفنى كل ما يعوضها عن الاهتمام بإبداء الرأى ، والثبات على المبدأ ، وتوخى مصلحة المحكوم قبل توخى مصلحة الحاكم .

(٦)

القانون والرأى العام :

أيهما أشد تأثيراً فى سلوك الأفراد والجماعات : الرأى العام أم القانون ؟ وأيهما أرعى للصالح العام ، وللمثل الأخلاقية ، وللتقاليد والعادات : الرأى العام أم القانون ؟

وهل يستطيع الرأى العام أن يسن قانوناً أو يلغى قانوناً ؟

الإجابة على هذه الأسئلة توضح لنا قيمة الرأى العام من جهة ، كما توضح لنا الصلة بين الرأى العام والقانون من جهة ثانية ، وتزيدنا معرفة بالدور الخطير الذى يؤديه الرأى العام فى حياة الناس آخر الأمر .

والمتأمل فى حياة الأفراد والجماعات يراها تسير فى أكثر الأحيان بقوة التقاليد والعرف والعادات ، وكل واحد من هذه الأشياء إنما هى ثمرة الرأى العام ، أو الأفكار المتفق عليها بين الناس فى كل شأن من شئونهم الخاصة والعامة .

ومعنى ذلك بجلاء أن الإجماع بين الناس على نوع من أنواع السلوك يعتبر قانوناً عرفياً من القوانين التى تسيطر على الحياة العامة من جميع جوانبها ، وتخلق ما يسمى بين العلماء باسم « المناخ الاجتماعى » .

ومن ثم كان (الإجماع) أصلا من أصول الشريعة الإسلامية ، لا يقل فى خطورته أو فائدته عن الأصول الثلاثة الأخرى التى هى : القرآن ، والسنة ، واجتهاد الأئمة .

وكالشريعة الإسلامية فى ذلك جميع الشرائع الأخرى ، أى أنه ليس فى استطاعة القوانين الوضعية أن تهمل هذا الأساس القوى من الأسس التى تبنى عليها ، وهو «الرأى العام» ، وخاصة إذا بلغ هذا الرأى مرتبة «الإجماع» . وفى هذا وذاك ما يدل دلالة صريحة على أن الرأى العام هو الذى يصنع القانون ـ أو بعبارة أدق ـ هو الأصل الأول من الأصول التى يعتمد عليها واضعو القانون ، وكثيراً ما نرى بعض المجتمعات البدائية محكومة بالتقاليد السائدة بين أفرادها وبالعرف والعادات التى هى بمثابة القوانين غير المكتوبة .

وصف المستر بلانت نظام الحكم البدوى فى نجد عام ١٨٧٩ فقال :

« . . . وفى نجد تعيش هيئة اجتماعية طبقاً للنظام الذى يحكم به دعاة المثل الأعلى فى بلادنا ، فلا ضرائب ولا بوليس ، ولا تجنيد ، ولا إكراه فى أى شىء . ولا قانون لهذه الهيئة فى حقيقة الحال إلا الرأى العام ، ولا نظام إلا ما تمليه مبادىء النبل والشرف (١) » .

ومعنى ذلك أنه لا ضرر من أن تحكم الأمم بالرأى العام الذى يسودها ، وأن فى الإمكان أن يحل هذا الرأى محل القانون ، ويقوم بكل وظائفه ، ويأتى بثمرته .

وأكثر من هذا وذاك أنك ترى فى بعض الأحيان أن الرأى العام فى الأمة المتحضرة يستطيع أحياناً أن يلغى قانوناً مكتوباً بنفس القوة التى استطاع بها أن يسن هذا القانون المكتوب .

وكثيراً ما يكون ذلك فى الأوقات التى يبدو فيها القانون المكتوب كأنه يتعارض ومصلحة من مصالح الجمهور ، وفى هذه الحالة يضطر الفقهاء وواضعو القانون ان يخضعوا خضوعاً تاماً لهذه المصلحة ، وفى مثل هذه الحالة كذلك تظهر قيمة « الاجتهاد » كأصل من الأصول التى يبنى عليها التشريع .

(١) التاريخ السرى لاحتلال الإنجليز لمصر الترجمة العربية ص ٤٦

وعندى أن الأساس الذى بنيت عليه فكرة الاجتهاد فى التشريع هو ماذهب إليه عامة المفكرين من أن رجال القانون فى أى جيل من الأجيال إنما يمثلون فى الواقع جيلا متخلفاً عن الرأى العام السائد فى هذا الجيل ، أو بعبارة أخرى : يمثلون الجيل السابق أكثر مما يمثلون الجيل الحاضر أو اللاحق ، فإذا صح ذلك فإنه يفضى بنا إلى القول فى صراحة بأن كل جيل من الأجيال فى حاجة ماسة إلى طائفة من (أهل الاجتهاد) يشرعون له من النظم والقوانين مايتفق والحالة التى انتقل إليها ، أوما يتفق والتطور الذى خضع له ، فإذا حرم جيل من الأجيال من هذا الاجتهاد أصبح القانون الذى يخضع له جامداً لاحياة فيه ، وعجز هذا القانون عن أن يحل مشكلة، أويحمى مصلحة ، أو يساعد على أى نوع من أنواع التطور أو الرقى .

والذى لا شك فيه أن الرأى العام هو وحده القادر دائماً على أن يكشف عما بالقانون القديم من نقص ، ويعبر عما يحتاج إليه الجيل الجديد من إضافة أو تعديل أو حذف .

ومهما يكن من شىء فنحن إذ نتعمق البحث فى طبيعة الرأى العام من جانب وطبيعة القانون من جانب آخر ، نجد أن بينهما فروقاً من نواح شتى منها :

أولا — أن الرأى العام - كما قلنا - يعتبر أصلا من الأصول التى يبنى عليها القانون ، والعكس قلما يصح .

ثانياً — أن القانون بحاجة على الدوام إلى تأييد من الرأى العام ، ولذا فإنه كثيراً ما تتعرض القوانين التى لا تظفر بهذا التأييد إلى خطر الإلغاء فى اللحظة التى يظهر فيها أن هذا القانون ضار بمصلحة من مصالح الجمهور ، ومثال ذلك :

« أن من القوانين الأمريكية مالم يرض عنه الرأى العام الأمريكى ، مثل قانون حظر صناعة الخمور وتناولها سنة ١٩٢٠ ، وقد قامت ضده الدعايات

فى كل مكان على زعم أنه يناهض الحرية الشخصية وينتقص منها ، فظهر رأى عام يطالب بإلغائه حتى تم إلغاؤه(١) » .

ثالثاً ـ الرأى العـــام أكثر ملاءمة لنفسية الشعوب والأفراد من القانون . بل هو أكثر منه مرونة وأقدر على التعبير عن حاجات الناس ، وهى الحاجات التى يسن من أجلها القانون فى معظم الحالات .

رابعاً ـ الرأى العام تثيره العواطف، بينما القانون لا يأبه لهذه العواطف، بل كثيراً ما نسمع المحامين فى بعض القضايا يصيحون فى وجه القاضى : الرحمة فوق العدل ، ولكن تذهب صرخاتهم هباء ، ولا يسمع لها القضاة فى أكثر الأحيان .

خامساً ـ الرأى العام من وضع الجمهور على مر السنين ، فى حين أن القانون من وضع طائفة قليلة من هذا الجمهور فى فترة معينة ، وهم المشرعون .

* * *

والرأى العام بما له من هذه المزايا الخمس على الأقل يعتبر قوة هائلة تستطيع المحافظة على كيان المجتمع ، وتستطيع النهوض بصيانة المثل الأخلاقية التى لهذا المجتمع . وهذه القوة الهائلة تستطيع القيام بكل هذه الأمور الهامة بدون عصا الحاكم أو تهديد المستبد ، أو بطش الدكتاتور .

والمهم أنه فى ظل الديموقراطية الصحيحة يزدهر الرأى العام وينمو كما نما بقوة فى مثل البيئة اليونانية القديمة ، أو البيئة الإسلامية المجيدة ، على أيدى الخلفاء الراشدين ، ومن جرى على نهجهم من حكام المسلمين .

(٧)

الرقابة على الصحف :

مهما بولغ فى حرية الصحف فإن لهذه الحرية حدوداً معينة ، والشارع

(١) الرأى العام : بحث للدكتور حسين عبد القادر ، نشر بمجلة كلية الآداب فى مايو سنة ١٩٥٥

حينما وضع القوانين التي تخوّل الحكومة حق الرقابة على الصحف إنما قصد في الحقيقة إلى حماية المصالح العامة ، والذود عن التقاليد التي تواضع عليها الناس ، فأخذهم بشيء من التحفظ في إبداء الرأى ، حتى لا تضر الحرية المطلقة بكيان الفرد أو المجتمع ، من أجل ذلك تحرص الحكومات على فرض شيء من الرقابة على الصحف ، وتتخذ هذه الرقابة الحكومية مظهرين في الغالب :

أولهما — مظهر الرقابة الاستثنائية في وقت الحروب والثورات ، فإذ ذاك تخضع البلاد للأحكام العرفية التي تبيح للحاكم العسكرى أن ينظر في كل خبر صحفي قبل نشره ؛ وذلك عن طريق الرقيب الذى يكون له مطلق الحرية في حذف ما يريد وإثبات ما يريد .

وثانيهما — مظهر الرقابة الجزئية ، وذلك عن طريق القضاء ، إذ ينظر القانون إلى رئيس التحرير على أنه المسئول الأول عن كل ما ينشر في صحيفته من خبر يكون ضاراً بالفرد أو بالمجتمع ، وكاتب المقال يعتبر شريكا لرئيس التحرير في هذه الحالة .

وعلى الرغم من هذا وذاك ، فمن الحق أن يقال إن الشارع في هذه المحاولات قد يتجاوز الحد في تنظيم حرية الرأى حين لا يكتفي بالقيود الضرورية لحماية الدولة أو المجتمع ، بل يعمد إلى وضع العراقيل في سبيل هذه الحرية ، وقصده منها ـ في الأعم الأغلب ـ حماية الحكام المستأثرين بالسلطان ، ومنع الناس من نقد أعمالهم ، أو التعليق على تصرفاتهم ، أو محاسبتهم على أخطائهم التي يرتكبونها أحياناً ضد شعوبهم ، من أجل ذلك حرصت الشعوب كلها ـ حينما وضعت دساتيرها ـ على أن تنص في هذه الدساتير كلها نصاً صريحاً على ضمان حرية الرأى ، والنظر إلى هذه الحرية على أنها حق طبيعي لا غنى عنه للفرد .

وعلى هذا فالواجب أن تكون الصحافة حرة لا رقيب عليها من جانب

الحاكم ؛ فإن هذا شرط أساسى لنجاحها ؛ إلا أنه يجب ألا تتعارض هذه الحرية الصحفية وصالح الوطن ، وألا تكون أداة لعرقلة نهضته ، كما يجب ألا تقف هذه الحرية فى سبيل حركة الشعب الوطنية والقومية بحال ما .

ومهما يكن الأمر فهناك نظريتان تختصان بالتشريع الصحفى من حيث حرية إعلان الرأى .

الأولى — ترى أن الصحافة وغيرها من طرق النشر والإعلان يجب أن تتحرر من كل قيد قانونى مهما كان هذا القيد .

والثانية — ترى فرض القيود القانونية على هــــذه الحرية مادام من واجب الدولة حماية الأفراد والمحافظة على النظام العام .

ولكل نظرية من هاتين النظريتين أنصار ، ولكل طائفة من هؤلاء الأنصار حجج .

فمن أنصار النظرية الأولى — على سبيل المثال — ميرابو أحد أبطال الثورة الفرنسية المعروفة ، يحكى أنه قال :

إن حرية الصحافة دواء لكل الأدواء ، وأن تقييدها لا يعوق فى الحقيقة إلا الشرفاء [1] » .

ومنهم رويه كولا الذى قال فى كلامه عن الصحافة :

« خير قانون ألا يكون هناك قانون » .

ومنهم أميل دى جيروردان الذى قال :

« الصحافة التى لا تترك حرة ليست صحافة بالمعنى الصحيح ، ولكنها صحافة متسامح فى وجودها ، لأنها صحافة يتضافر عليها العسف والتحامل فى وقت معاً » .

ومع هذا وذاك ففى الصحافة كما يقولون دواء يشفى من دائها ، فقد أضحى القارىء لا يقنع عادة بمطالعة صحيفة واحدة ، والضرر الذى

---

(١) حرية الرأى وجرائم الصحافة والنشر للدكتور رياض شمس ص ١١٣

تحدثه صحيفة ما تصلحه الصحيفة الأخرى ، بحيث يزيد خير الصحافة فى النهاية على ما فيها من شر[١] » .

على أنه لا خوف فى الحقيقة من هجمات الصحف ، فقد يكون من ورائها خير للفرد الذى هو موضوع هـذه الهجمات ، وخير للمجتمع إذا أريد إظهار عيوبه ونقائصه .

ويحدثنا الزعماء والسياسيون أنهم أفادوا من أعدائهم بأعظم مما أفادوا من أنصارهم وأصدقائهم ، حتى لقد ظهر فيهم من يقول . « أن يكون لك فى عالم السياسة اسم ردىء خير من ألا يكون لك اسم على الإطلاق » .

والأمريكيون يذهبون فى حرية إعلان الرأى إلى أبعد حد ، ويرون فى الحرية على هذا النحو أماناً من كل شر ، وكذلك يفعل الإنجليز فى بلادهم ، وأكثر شعوب القارة الأوربية فى وقتنا هذا .

أما النظرية الثانية — وهى النظرية التى تفرض قيوداً قانونية على الحرية ـ فلها كذلك أنصار كثيرون ، يرون أن من واجب الدولة حماية الأفراد والجماعات ، وتنظيم الحقوق والحريات ، والاحتراس الشديد من أولئك الذين يهاجمونها ويعكرون عليها صفوها وسلامتها ، ومن ثم بادرت الحكومات بوضع القوانين التى تحول دون إساءة استعمال الحريات بوجه عام ، وحرية الصحافة بوجه خاص ، وفى صلب القانون العام جزء هام اسمه (جرائم الرأى) ، وهو مادة تدرس فى معاهـد الصحافة كلها تقريباً إلى يومنا هذا ، وقد نص هذا القانون على عقوبات خاصة فى أمر السب أو القذف وغيرهما من الجرائم التى ترتكب عن طريق النشر .

والقاعدة الأساسية فى هذا القانون تتلخص فى أن لكل فرد حرية فكرية فى أية مسألة دينية أو سياسية أو اجتماعية ، ولا عقاب على التفكير وتكوين الرأى مهما كان مخالفاً للقانون ، إنما العقاب على إعلان الرأى

---

(١) نفس المصدر المتقدم ص ٢٤ .

المخالف للقانون بطريقة من طرق العلانية المعروفة ، والعقاب كذلك على استعمال العنف فى إقناع الغير بهذا الرأى المخالف .

ومعنى ذلك أن العقيدة شىء وإبداء الرأى شىء آخر، لأن إبداء الرأى وسيلة من وسائل التأثير فى الناس ، وقد يكون فى ذلك ضرر ما يحيق بهم ، فعلى الحكومة فى هذه الحالة أن تحمى المجتمع من الآراء الضارة بمصالحهم ، ولذلك يفرق القانون دائماً بين إبداء الرأى والتحريض على اعتناق هذا الرأى : فالأول مباح فى جملته ، أما الثانى فيعاقب عليه القانون ، ومن حقه — عند اتباع النظرية الثانية — أن يفعل .

وجاءت بعض البلاد — ومنها مصر — فنظرت إلى الشيوعية - مثلا - على أنها من المذاهب السياسية الخطيرة ، وخطورتها فى نظر هذه البلاد آتية من أنها تعتمد أولا على العنف أو القهر ، ولذلك يعاقب القانون المصرى الصادر فى سنة ١٩٤٦ كل من يدعو إلى الشيوعية ، ويحاول إقناع الناس بها ، وما زلنا نسير على هذا القانون إلى اليوم .

على أن الرقابة الصحيحة هى التى تكشف عن النيات السيئة والأغراض المضللة . والرقيب الذكى هو الذى يكشف عن هذه النيات السيئة ، حتى ولو لم يقصد الكاتب إلى شىء منها .

* * *

(والخلاصة) أن للصحافة أن تخوض فى هذه الموضوعات المختلفة برفق ، وأن تعتمد فى ذلك على الجدل المحض ، وألا تتجاوز الجدل إلى غيره من مظاهر القهر ، وهى بهذه الشروط تستطيع أن تنجح فى أمور شتى ، مثل تنقية الدين من عار الخرافة ، ومثل إقناع الأمة بفكرة جديدة تحل محل أخرى قديمة ، وكثيراً ما يكون ذلك حين يثبت للأمة أن الفكرة القديمة قد بليت واستنفدت أغراضها ، كما يقول السياسيون .

* * *

على أن هذه الحدود التى يحدّ بها القانون من حرية الصحافة فى بعض الأوقات أشبه ما تكون بعلامة الخطر أو الإنذار التى نجدها أحيانا فى الطريق العام ، وليس من الحكمة مطلقا أن يتجاهل العاقل هذه الأشياء ، ولكن ليس معنى ذلك أيضاً أن يبالغ فى خوفه منها مبالغة تشل حركته ، وتحدّ من نشاطه وقوته فالصحفى المقيد قلما يكتب شيئاً له قيمة ، والصحفى متى فعل ذلك حكم على نفسه وعلى جريدته بالجمود الأبدى ، وحال بين أمته وبين أن تتطور وتتقدم ، وربما كان ذلك بعض ما عناه الدكتور محمد كامل مرسى حيث قال :

« والذين يدعون مخلصين إلى التوسع فى توفير الحريات الفردية إنما يدعون إلى ذلك على اعتبار أن الإنسان بفضل ما بلغه من المستوى الرفيع فى أمور الاجتماع ، وفى الأخلاق ، وفى الثقافة ، خليق أن يدرك واجباته نحو الدولة ، ونحو المجتمع ، ونحو سائر المواطنين ، بحيث لا يحتاج الحال إلى تقييده بقيود ونظم تقلل من نشاطه الاجتماعى ، على اعتبار أن الحرية نفسها — مع بعض المراقبة — كفيلة بتنظيم نفسها ، وبتطورها مع الزمن إلى الأصلح والأنفع(١) » .

* * *

هذا هو منطق الحكام ورجال القانون والقادة والزعماء .

أما الأدباء ورجال الفنون بوجه عام فإنهم يبغونها حرية واسعة لا حدّ لها ، ويؤمنون إيماناً لا يمازجه الشك بأن الحرية ـ مهما حشد لها الظالمون ، وبيت لها المتآمرون ، وكاد لها الكائدون ـ لابد وأن تبلغ ما تريد .

وقف الأستاذ أنطون الجميل فى مجلس النواب المصرى يوماً وطالب الحكومة المصرية بمثل هذه الحرية ، واستشهد فى كلامه بأبيات للشاعر خليل مطران قال فيها :

(١) « حرية الرأى » لمؤلفه الدكتور رياض شمس ، المقدمة بقلم الدكتور محمد كامل مرسى.

كسروا الأقلام هل تكسيرها   يمنع الأيدى أن تنقش صخراً ؟
قطعوا الأيدى هل تقطيعها   يمنع الأعين أن تنظر شزرا ؟
أطفئوا الأعين هل إطفاؤها   يمنع الأنفاس أن تصعد زفرى ؟
أخمدوا الأنفاس هذا جهدكم   وبه منجاتنا منكم فشكرا

أجل ، إن حرية الرأى مكفولة لكل صحيفة ، وهى فى الأمم الناهضة القوية أظهر منها فى الأمم الضعيفة المتخلفة ، ولذلك لا تؤثر الحزبية فى الأمم الأولى ولا تضعف قوة الرأى العام فيها ، فلا تراها تعادى الحكومات القائمة بغير سبب ، ولا تراها تعارض فى الأعمال الحسنة كما تعارض فى الأعمال السيئة سواء بسواء ، بل تصل الأمم الراقية فى أكثر الأحيان إلى حد أن تتفق فيها جميع الأحزاب على طائفة من المسائل القومية الكبرى لا تصبح موضعاً للمناقشة تحت أى ظرف . وإذ ذاك تصبح المعارضة مسئولة هى الأخرى عن الحكم . ومن أجل ذلك يطلق على المعارضة فى انجلترا اسم « معارضة جلالة الملك أو الملكة » أسوة بالاسم الذى يطلق على الحكومة نفسها وهو « حكومة جلالة الملك أو الملكة » .

وفى هذا ما يدل على احترام الحكم البريطانى للمعارضة ، ومدى شعوره بالاشتراك فى تحمل التبعات التى يتطلبها موقف المعارضة .

(٨)

نشأة الرأى العام فى مصر :

سبق أن تعرضنا لهذا الموضوع فى بداية الجزء الأول من (أدب المقالة الصحفية فى مصر) فذكرنا الدوافع التى دفعت إلى ظهور الرأى العام ، ولخصنا هذه الدوافع فى خمسة دوافع وهى :

١ — التدخل الأجنبى فى مصر .
٢ — استبداد الحكم المصرى منذ تولى محمد على هذا الحكم .
٣ — الأزمة التى وقعت بين الخديو إسماعيل والباب العالى .

٤ — ظهور الدستور العثمانى سنة ١٨٧٦ .

٥ — ازدياد الحركة الفكرية فى مصر بظهور السيد جمال الدين الأفغانى .

فلقد كان من آثار هذه الدوافع الخمسة ظهور المحاكم المختلطة ، وإقرار الامتيازات الأجنبية ، وظهور صندوق الدين ، والمراقبة الثنائية ، ثم الوزارة الأوربية ، والإكثار من استخدام الأجانب فى مصر ، وفساد القضاء المصرى ، وظهور السخرة التى عانى منها الفلاح كثيراً ، وفداحة الضرائب التى أثقلت كاهل هذا الفلاح ، وظهور إسماعيل بمظهر الرجل المسرف إلى الحد الذى أضر بسمعة البلاد المالية والأخلاقية ، وبداية الرغبة الملحة من جانب المصريين فى أن يمنحوا الدستور الذى منحه عبد الحميد للشعب التركى ، وأخيراً ظهور جمال الدين الأفغانى فجأة على مسرح السياسة المصرية ، ونشاط هذا الرجل فى إيقاظ المصريين من سباتهم ، وحثهم على المطالبة بحقوقهم ، واسترداد الحرية التى لهم .

ثم انتقلنا من ذلك إلى ذكر الحركات الشعبية التى كانت مظهراً للرأى العام أو صدى له ، وأشرنا إلى أن هذه الحركات كانت تظهر أحياناً على شكل صحافة أهلية ، وأحياناً على شكل جمعيات علنية ، وأحياناً على شكل جمعيات سرية .

ولا بأس هنا من الإشارة إلى بعض هذه الجمعيات الأخيرة التى لم نتحدث عنها فى الماضى لندلل بهذا الحديث على أن هذه المنظمات السرية كانت كالصحافة العلنية قادرة على تطوير الأمة والانتقال بها من حال إلى أخرى أفضل منها ، ومن تلك الجمعيات على سبيل المثال :

أولا : الجمعيــة السرية للضباط :

وهى أولى الجمعيات السرية فى مصر : ظهرت عام ١٨٦٧ م وكان رئيسها فتى يقال له « على الروبى » ، وانضم إليها فيما بعد رجال من أهمهم : أحمد عرابى ، وعلى فتحى ، وعبد العال حلمى ، وغيرهم .

وقد اعتادت الجمعية السرية إذ ذاك أن تسند ظهرها إلى شخصية من الشخصيات المرموقة ، ولذا رأينا هذه الجمعية السرية التى نتحدث عنها الآن تحاول التقرب من الأمير حليم — وهو الابن الوحيد الباقى من أبناء محمد على الكبير — وكان مرشحاً لتولى العرش بعد إسماعيل ، لولا سعى هذا الأخير فى تغيير نظام الوراثة على نحو ما هو معروف فى التاريخ المصرى .

وقد وصلت أنباء هذه الجمعية وأنباء الأمير حليم إلى مسامع الخديو إسماعيل، فعمل على نفى حليم من مصر ، وإبعاده إلى القسطنطينية ، فتم إبعاد هذا الأمير قبل أن يتمكن من إشعال ثورة دبرها مع أعضاء هذه الجمعية السرية ، كان الغرض منها قتل الخديو إسماعيل ، وكان الأمير حليم قد مهد لهذه الثورة (بعريضة) قدمها إلى الخديو إسماعيل مطالباً إياه فيها ببعض الإصلاحات الاقتصادية التى ترمى إلى التخفيف من عبء الضرائب عن كاهل الفلاح ، ولم يكن من اليسير على إسماعيل أن يقوم بإصلاح كهذا فى وقت كان فيه غارقا فى ديونه ، ممعناً فى إسرافه وملذاته . .

وأخيراً أعلنت هذه الجمعية السرية عن نفسها ، وكان ذلك فى عام ١٨٧٩ وأطلقت على نفسها يومئذ اسم « الحزب الوطنى » ، وهو بطبيعة الحال غير الحزب الوطنى المنسوب إلى مصطفى كامل ، ومهما يكن من شىء فتلك هى المرة الأولى التى سمع فيها صوت يدافع عن « الفلاح » فى مصر ، وفى المرات التالية تابع المصلحون ترديد هذا الصوت ، إلى أن كان عهد الثورة العرابية التى دافعت عن مصالح الفلاح ، وسمى زعيمها أحمد عرابى إذ ذاك « بزعيم الفلاحين » .

وكان من أعضاء الحزب الوطنى يومذاك شريف باشا ، وشاهين باشا وعمر لطفى باشا ، وراغب باشا ، ومحمد سلطان باشا ، وآخرون .

وكانت هذه الهيئة فى الواقع صدى لظهور المعارضة فى داخل مجلس النواب واحتجاج المجلس على المشروع المالى الذى أعدته حكومة

رياض لتعلن به على الملأ أنها فى حالة إفلاس ، وإذ ذاك رأى المستنيرون فى هذا المشروع امتهاناً لكرامة الأمة ، وكرامة الحكومة ، وكرامة النوب ، واجتمعوا بدار السيد البكرى نقيب الأشراف ، وفكروا فى تسوية مالية يمحون بها عار الإفلاس ويعلنون فيها أن البلاد قادرة على الوفاء بديونها ، وانتهزوا الفرصة يومئذ للمطالبة بتأليف وزارة وطنية لايشترك فيها الوزيران الأوروبيان ، على أن تكون هذه الوزارة القومية مسئولة أمام مجلس النواب (١) .

ثانياً : جمعية مصر الفتاة :

نشأت هذه الجمعية فى مدينة « الإسكندرية » عام ١٨٧٩ . ولئن كان قوام الجمعية السابقة ضباطا من الجيش المصرى ، فقد كان قوام هذه الجمعية نفراً من الشبان المثقفين الذين أطلقوا على جمعيتهم اسم (مصر الفتاة) .

ولم تهدنا الوثائق حتى الآن إلى معرفة زعيم هذه الجمعية ، ولكنها تهدى إلى بعض الأعضاء المنضمين إليها ، ومن هؤلاء محمد أمين (نائباً للرئيس)، ومحمود واصف (سكرتيراً) وعبد الله النديم ، وأديب إسحق وسليم النقاش (أعضاء) .

ثم حدث بتأثير عبد الله النديم أن تغير اسم هذه الجمعية من « مصر الفتاة » إلى « الجمعية الخيرية الإسلامية » ، وهى غير الجمعية الخيرية المعروفة فى مصر فى أيامنا هذه ، ومن ذلك الحين خرجت هذه الجمعية من السر إلى العلن ، وكانت هذه الجمعية أيضاً قد أعدت لنفسها صحيفة تتحدث بلسانها ، واسم هذه الصحيفة « مصر الفتاة » التى ظهرت فى أواخر عام ١٨٧٩ ، وبعد صدورها بعام واحد تولى رياسة تحريرها أديب إسحق ، وكان النديم يشاركه فى تحريرها .

(١) راجع كتاب « أدب المقالة الصحفية فى مصر » جزء ٢ ــ للمؤلف ص ١٦

وهكذا تكاملت لهذه الجماعة هي الأخرى مقومات الحزب السياسى ، ثم ما كاد توفيق يجلس على عرش مصر حتى بادرت الجماعة فقدمت إليه (عريضة) ضمنتها مقترحاتها فى الإصلاح ، ورفعتها إليه يومئذ باسم (اتحاد الشبيبة المصرية) .

وكانت هذه العريضة تدل دلالة صريحة على مبلغ الثقافة التى تمتع بها الأعضاء ، فقد شرح هؤلاء الأعضاء فى مقترحاتهم الحالة الاجتماعية ، والحالة الاقتصادية التى عليها البلاد ، ووصفوا بإسهاب سوء حالة الفلاح ، وأشاروا إلى عيوب القضاء ، وإلى فساد الإدارة ونحو ذلك ، وأرجعت (العريضة) سوء الحالة إلى أسباب أربعة هى :

أولا : حصر السلطة كلها فى يد شخص واحد .

ثانياً : الحاجة إلى قانون ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم .

ثالثاً : فساد القضاء المصرى .

رابعاً : انحطاط التعليم والحاجة إلى العناية الكافية بشئونه .

وقيل إن رئيس هذه الجماعة هو عمر باشا لطفى محافظ الإسكندرية ومن أعضائها يومئذ السيد إبراهيم أبوهيف ، والسيد إبراهيم مسعود بك ، والسيد محمد شوباش بك ، والسيد عبد القادر الغريانى .

وفى عام ١٨٨٠ وقف نشاط هذه الجمعية فى مصر . ويبدو أن من أسباب ذلك انضمام أكثر أعضائها يومئذ إلى الحزب الوطنى الذى تقدم ذكره .

ثالثاً : الجمعية السرية المنسوبة إلى عباس حلمى الثانى :

شعر عباس بأنه فى حاجة شدة إلى الاستعانة على السلطات الإنجليزية بقوة الشعب المصرى ، وقوة المثقفين فيه خاصة ، لكى يقوموا بتنظيم حركة وطنية ، فأوعز إلى مصطفى كامل بعد عودته من فرنسا بتأليف

هذه الجمعية ، فتألفت منه ومن :أحمد شفيق باشا صاحب كتاب « مذكراتى فى نصف قرن » وآخرين من المصريين والفرنسيين الذى كان يعنيهم أن يشتركوا فى مقاومة النفوذ الإنجليزى .

وحين علم الخديو عباس بعد ذلك بوجود جمعية سرية غرضها تحرير مصر يرأسها أحمد لطفى السيد ، ومن أعضائها عبد العزيز فهمى ، وأحمد طلعت ، وعبد الحليم حلمى ، وعلى بهجت ، طلب إلى مصطفى كامل أن يفاوض أحمد لطفى السيد فى شأن انضمامه ومن معه إلى الخديو وجماعته ليؤلف الجميع حزباً وطنياً برياسة الخديوى ، فأجابه أحمد لطفى السيد إلى ذلك ، واجتمع هذا الأخير بمصطفى كامل فى منزل محمد فريد ، وتم لهم تأليف الحزب الوطنى على النحو الذى أراده الخديو عباس إذ ذاك .

رابعاً : جمعية المودة السرية لضباط الجيش : -

مرة أخرى عمد ضباط الجيش المصرى فى وادى حلفا وسواكن إلى إنشاء جمعية سرية ، وذلك بعد حادث مشهور فى التاريخ المصرى الحديث باسم (حادث الحدود) ، فقد كان ، الخديو عباس فى زيارة للسودان فاستعرض إحدى فرق الجيش هناك ، وأبدى بعض الملاحظات فى أثناء الاستعراض ، فأحدثت هذه الملاحظات أزمة كبيرة تدخلت فيها بريطانيا واضطرت الخديو إلى سحب ملاحظاته ، وأحدث ذلك امتعاضاً فى نفوس الضباط المصريين فى السودان ، فأرادوا تأليف هذه الجمعية السرية عام ١٨٩٤ وكانت تهدف إلى إرسال التقارير السرية إلى الخديو عن جميع الحركات التى يقوم بها الدراويش فى منطقة وادى حلفا وسواكن وتقارير عن حركات الضباط الإنجليز وأعمالهم هناك .

خامساً : جمعية المقاصد الخيرية .

هى هيئة شعبية لم تكن فى الواقع على شكل جماعة سرية ، وكان من

أعضائها الشيخ محمد عبده ، وكان من عملها الانغماس فى أمور السياسة ، واجتماع الأعضاء من حين لآخر للخطابة ، والتداول فى أمور كثيرة ، وتكوين رأى عام فى كل أمر من هذه الأمور على حدة ، وذلك للمجاهرة أو المطالبة به فى الوقت المناسب . وقد اجتمعت هذه الجمعية فى ١٧ فبراير ١٨٨٢ للتصديق على المشروع الأساسى لمجلس النواب وخطب الشيخ محمد عبده خطبة بليغة فى ذلك الاجتماع (١) .

وبعد ، فليس من شك فى أن جميع هذه المنظمات السرية والعلنية تدلنا دلالة قوية على وجود ما يسمى برأى عام ضد الفساد القائم فى مصر فى ذلك الوقت ، وهو فساد سياسى واجتماعى وقضائى وإدارى ، ومن أسبابه القوية عدم العناية بأمر التعليم ، والخضوع التام لسيطرة الأوربيين .

وقد رأينا كيف استتبع ظهور هذه الجمعيات على مسرح السياسة المصرية ظهور الأحزاب السياسية من جانب ، وظهور الصحف الشعبية من جانب آخر .

وهكذا كان الشعور بسوء الحالة فى مصر يظهر أولا ثم تظهر الصحف والأحزاب بعد ذلك ، وقد أعان هذا كله على نضج الرأى العام فى هذه البلاد ؛ وهو الرأى الذى كان له الفضل فى مقاومة الاستعمار الأوربى أكثر من سبعين عاماً ، انحسر بعدها ظل الاحتلال البريطانى عن مصر ، وتحررت فى أثناء ذلك أكثر دول الشرق الأدنى من هذا القيد (٢)

---

(١) انظر المرجع المتقدم ص ١٧ و ١٨ .

(٢) يلاحظ القارىء أن موضوع « نشأة الرأى العام فى مصر » فى هذا البحث مكمل لموضوع « نشأة الرأى العام فى مصر » أيضاً فى الجزء الأول من مؤلفنا « أدب المقالة الصحفية فى مصر » .

مصادر الكتاب الأول

1 — Anatomy of Pnblic opinion.
by : Norman Yoem Powell.

2 — Public opinion and Propaganda.
by: Leonard Doob.

3 — The making of Public opinion.
by Emory Bogardus.

4 — Public opinion.
by : William albig.

5 — La Prupagande Nouvelle forcce Publicue.
Par :. Drien cout,

6 — Das Internationale Zeitungs Wesen;
Karl Bómer.

7 — The Flow of News :
The International Press Institute.

٨ — جرائم الصحافة والنشر ، للدكتور رياض شمس .

٩ — الرأى العام ، بحث بقلم الدكتور حسنين عبد القادر (بجلة كلية الآداب) جامعة القاهرة بتاريخ مايو ١٩٥٥

١٠ — أدب المقالة الصحفية فى مصر ، الجزء الأول للدكتور عبد اللطيف حمزة .

الكتاب الثانى

فن الخبر

الصحفى يجب ألا يتعشى فى منزله

(صحفى انجليزى)

الفصل الأول

نشأة الخبر وأهميته

الغاية من الصحافة هى جمع الأخبار التى تمس الصالح العام ، والأخبار هى حجر الأساس فى بناء الصحافتين القديمة والحديثة ، وعن هذه المادة تصدر جميع المواد الصحفية الأخرى على اختلافها ، أى أن هذه المادة هى الأساس الأول الذى تقوم عليه الصحافة بجميع ألوانها المعروفة ؛ كالمقال ، والتعليق ، والعمود ، والتحقيق ، والحديث ، والماجريات الصحفية على اختلافها ، ولولا الخبر ما عرفت هـــذه الفنون الصحفية التى نشير إليها بحال ما ، غير أنه من الخطأ أن يظن أن نشأة الصحافة مرتبطة بنشأة المطبعة ؛ فالأصح من هذا أن يقال : إن الصحافة ترتبط فى الواقع بالصفات الإنسانية والاجتماعية فى نفوس البشر ، وإن كان لاختراع المطبعة أعظم الأثر فى تطور الصحافة ذاتها ، فقد تأثرت الصحافة بها كما تأثر غيرها من مظاهر الحضارة فى المجتمع . وآية ذلك أن المجتمعات البدائية تناقلت الأخبار بطرقها الخاصة منذ القدم ، فقد كانت تتناقل أخبار الصيد والقنص ، وأخبار الحرب والسلم ، وأخبار الزواج والعبادات والدين ، ونحو ذلك بطريق النقش على الصخر ، أو بطريق الأبواق ، أو بطريق المنادين الذين يجوبون الأماكن الآهلة بالسكان ؛ أو بطريق الرواة الذين يروون الأخبار والأشعار فى كل مكان ، أو بطريق الرسل الذين تناط بهم مثل هذه الأمور .

ثم ارتقت الصحافة من هـــذه المرحلة الصوتية إلى مرحلة الكتابة الخطية التى ظهرت أولا فى شكل خطابات دورية ، ثم ظهرت بعد ذلك فى شكل كتب صغيرة ، وبقى الحال على هذا حتى ظهرت المطبعة فى منتصف القرن الخامس عشر للميلاد ، ومع ذلك لم تنتفع الصحافة بهذه الأداة

الجديدة قبل أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر .

والحق أن أهمية الأخبار ليست وليدة العصور الحديثة ، ولكنها بعض ما ورثته هذه العصور الحديثة عن العصور القديمة ، فقد كان الناس قديماً — وبخاصة فى الأمم المشهورة بالتجارة والملاحة — يستقون الأخبار من التجار ، ومن البحارة ، وكان تجار البندقية بنوع خاص من أهم من نقلوا الأخبار عن الشرق ، ووصفوه بالغموض والغرابة وغيرهما من الصفات التى لفتت إليه أنظار الغرب .

وهكذا منذ القدم ووسائل الحصول على الأنباء متنوعة تنوعاً ظاهراً : فمن شعراء ورواة للأشعار ، إلى سفراء تبعث بهم الحكومات إلى البلاد البعيدة ، ومن تجار وبحارة يركبون متن البحار ليجلبوا فيما يجلبون إلى بلادهم مادة الخبر ، إلى غير هؤلاء وأولئك . أليس معنى كل ذلك أن الحكومات والشعوب والأفراد والجماعات تدرك أن العلم بالأخبار خير من الجهل بها ، وأن الوقوف على هذه الأخبار يعتبر نوعاً من التسلح ضد الحوادث والمحن المستقبلة ، أى أن الأخبار فى ذاتها ليست إلا نوعاً من الإنذار فى الوقت المناسب عما حدث أو ما سيحدث للفرد أو للأمة . وما الصحافة فى الواقع إلا مظهر راق من مظاهر الإعلام فى العصور الحديثة ، وهى وسيلة من وسائل الإعلام إلى جانب الوسائل الأخرى المعروفة ، وهى الوسائل التى تكاد تنحصر حتى الآن فى أربع ، هى : الصحافة ، والإذاعة ، والسينما ، والتليفزيون .

ولا ننسى أن كل وسيلة من تلك الوسائل الثلاث يمكنها أن تعين الأخرى فى سبيل الحصول على الأنباء ، ومن هذا القبيل ما تعمد إليه بعض الصحف فى الوقت الحاضر من أنها تنشىء لنفسها قسما من أقسامها يدعى (قسم الإصغاء الإذاعى) ، وبهذه الطريقة تمكنت إحدى الصحف الإنجليزية من التقاط النبأ الذى أذاعته وكالة تاس السوفيتية ، وهو نبأ وفاة (ستالين) ، وحققت الصحيفة بذلك سبقاً صحفياً لا شك فيه .

ولكن إلى متى بقى الخبر فى الصحافة هو كل شىء فيها تقريباً ؟ وما الأسباب التى من أجلها قلت أهمية الخبر بالقياس إلى غيره من مواد الصحيفة ؟

أما فى مصر فقد كانت الصحف التى أصدرها القائد الفرنسى بونابارت تهتم بأخبار الحملة الفرنسية وحدها ، وتحمل للجند الفرنسيين فى مصر أهم الأنباء فى بلادهم التى أتوا منها ، وتمدهم كذلك بالأخبار التى يعرفون بها شيئاً عن الديار التى أتوا إليها ، وكذلك كانت الجريدة التى أصدرها محمد على باسم الوقائع المصرية تعنى عناية تامة — جهد المستطاع — بأخبار المحاكم ، وبنشر الأوامر التى يصدرها الوالى إلى كبار موظفيه .

ثم فى ظروف سياسية خاصة من أهمها — ظروف الاحتلال البريطانى — تحولت الصحافة المصرية من صحافة خبر إلى صحافة رأى ، وظهرت الصحف التى تحمل كل واحدة منها اسم زعيم من الزعماء المصريين الذين لهم آراؤهم فى السياسة المصرية فى ذلك الوقت ثم فى منتصف القرن العشرين أو قبله بقليل عادت للخبر الصحفى أهميته الأولى ، وأصبح مقدماً على مقال الرأى ، وأصبحت الصحيفة غير محتاجة إلى الأسماء العظيمة تلتمس الرواج عن طريقها ، وتعتمد عليها فى بقائها حية بين الناس .

أما فى أوربا — وخاصة فى انجلترا — فقد كانت الناحية الغالبة عليها هى ناحية الخبر ، ثم بتقدم الطباعة من جهة ، وتقدم الحياة السياسية من جهة ثانية ، وتقدم الديمقراطية التى جعلت من الشعب مصدر السلطات من جهة ثالثة ، ظهرت صحافة الرأى إلى جانب صحافة الخبر ، وحدث أحياناً فى بلاد (كانجلترا) أن صدرت الصحف وهى لا تشتمل على أخبار مطلقاً وإنما تشتمل على مقالات فقط ، والسبب فى ذلك أن الحكومة كانت تفرض الضرائب هناك على الخبر ، ولا تفرضها على غير ذلك من مواد الصحف كالمقال وغيره .

ومهما يكن من شىء فنحن إذ ننظر فى الصحافة الحديثة ندرك بوضوح أن أهم العناصر الأساسية لصحيفة من الصحف هى :

أولا : الخبر

ثانياً : المقال .

ثالثاً : التقرير .

فالخبر هو الوظيفة الأولى للصحف ، والمهمة الأساسية لها ، والمقال
ئى فى المرتبة الثانية مباشرة بعد الخبر ، لأنه كثيراً ما يكون تعليقاً على
ذا الخبر ، أو بياناً لمغزاه السياسى أو الاجتماعى أو الثقافى ؛ ونحو ذلك .

والقارىء الحديث لا يكتفى بأن يعرف الخبر ؛ بل يتوق دائماً إلى
مرفة معنى الخبر ، ومقدار تأثيره فى المجتمع ، وإن كانت حاجة الطبقة
ى تمثل الرأى المنقاد فى الأمة إلى قراءة المقال أشد من حاجة الطبقة التى
ثل الرأى النابه بها ، ومع ذلك لا تجد من هـذه الطبقة المنقادة من يقرأ
لقال فى الجريدة .

وإذن فعلى الصحافة الحديثة واجب عظيم فى العصر الحاضر هو توجيه
لأمة عن طريق المقال توجيهاً صحيحاً فى النواحى السياسية والاجتماعية
الاقتصادية ، وعليها كذلك واجب آخر لا يقل عن الأول فى الأهمية .
هو تثقيف الشعب نفسه تثقيفاً يعينه على المشاركة القوية فى الحياة السياسية
الحياة الاجتماعية والحياة الاقتصـــادية ؛ وطريق ذلك كله هو المقال .
هنـا يجوز لنا أن نستطرد قليلا لنقول عن صحف الرأى : إنها نوعان :
صحف مستقلة ، وصحف حزبية » .

والاستقلال فى الصحافة ليس معناه الحياد ؛ والوقوف موقف المتفرج
يال المشكلات العامة فى المجتمع ، لاتبدى الصحيفة فيها رأياً ، ولا تعبر
ن فكرة ، وإلا أثر ذلك فى انتشارها . وربما أفضى إلى موتها واختفائها .

وأما الصحف الحزبية فهى التى تعبر عن آراء حزب معين ، وتفرض
لى نفسها اتجاهاً معينا ، ومع ذلك لا ينبغى أن تسرف الصحف الحزبية
ى الدعاية .

ولدينا مثال يوضح هذه الحقيقة ، هو جريدة الديلى هرالد الانجليزية . وهى جريدة حزب العمال فى انجلترا ، فقدكانت فى أول أمرها تملأ كل صفحاتها بالدعاية لحزبها ، فسرعان ما منيت بالفشل ، وقل انتشارها إلى درجة لا تحتمل ، فلم يكن من مجلس الإدارة إلا أن اجتمع ، وقرر ألا تزيد نسبة الدعاية الحزبية فى الصحيفة عن عشرة فى المائة ، وفى النسبة الباقية من هذه الجريدة تنشر الموضوعات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، مما يعنى به الجمهور القارىء عناية كاملة .

بقى أن نشير فى ختام هذا الفصل إلى أمرين هامين يتصلان اتصالا قويا بما للخبر من خطورة كبيرة فى الصحف :

أما أول الأمرين : فهو « الحاسة السادسة » التى لا بد منها للصحفى حتى يكون أقوى من غيره من الناس فهما لقيمة الخبر ، وتقديراً لأهميته ويكون أعظم قدرة على التمييز بين خبر جدير بالنشر ، وآخر لا يستحق هذه الصفة . والحق أنه كما يمتاز الشاعر بأنه رجل مرهف الحس أكثر من غيره من الناس ؛ فهو إذا فرح كان فرحه أكثر من فرحهم ، وإذا حزن كان حزنه أشد من حزنهم ، وهو إذا انفعل بالأحداث كان فى انفعاله بالأحداث أعمق وهكذا ، فكذلك ينفرد الصحفى بقدرته على فهم الأحداث الجارية ، والتمييز بين الأخبار العامة . ومن الخطأ كل الخطأ — كما يقول الصحفيون المجربون — القول بأن الأنباء إنما تولد من غير أن نشعر بها ، فإن هذه الحاسة الصحفية — أو الحاسة السادسة — التى نتحدث عنها هى التى ترشد الصحفى دائما إلى أهمية الخبر من ناحية ، وإلى المصادر الصحيحة التى يستقى منها هذا الخبر من ناحية ثانية .

وأما ثانى الأمرين اللذين يتصلان اتصالا وثيقا بالخبر من حيث هو : « قدسية الخبر » وواجب الصحفى نحو الأخبار دائماً هو الواجب الذى

يمليه عليه الشرف ، وتحض عليه الأمانة والنزاهة ، وهذا الواجب هو نقل الأخبار نقلا صحيحاً ، وتسجيل المعلومات المتصلة بهذه الأخبار تسجيلا صحيحاً كذلك .

فلو قدر الصحفى أن الخبر هو الأساس الأول لكل ما يكتب فى الصحف من تعليق ، وعمود ، وطرائف ، وحديث ، وتحقيق ، ونحو ذلك ، ولو قدر الصحفى أن الخبر هو الأساس الأول لكل تصرف يبدو من جانب الحكومة ، أو الأفراد ، أو الهيئات ، أو الشعوب — لو قدر الصحفى كل ذلك لأدرك أن عليه واجباً لا مفر من أدائه ، وهو تحرى الصدق والأمانة فى الحصول على أخبار من مصادرها الصحيحة ، ثم المحافظة التامة على سرية هذه المصادر ، متى رأى أصحابها ذلك . ثم الأمانة الكاملة فى نقل الخبر ذاته ، ومعنى ذلك أنه لاينبغى للصحيفة — حرصاً منها على ما يسمى بالسبق الصحفى — أن تستهين بهذه الأمانة ، أو تعبث بسرية الأخبار .

« حدث فى أمريكا أن اختطف طفل رضيع من عربته الصغيرة ، ووضع الخاطف ورقة صغيرة يطلب فيها الفدية ، وأبلغ الحادث إلى البوليس الذى رأى من المصلحة إذ ذاك عدم إذاعة الخبر إلى أن يعاد الطفل إلى والديه ، ووعدت الصحف بعـــدم النشر ، إلا صحيفة واحدة رأت فى الموضوع خبراً مثيراً للقراء ، فنشرت الخبر ، وتبعتها الصحف الأخرى فى ذلك بعد إذ أصبح الخبر معروفاً ، وكان من أثر ذلك أن فشلت خطة رجل البوليس ، وعثر على الطفل الذى كان وحيد والديه بعد أيام جثة هامدة وضاع كل أثر من آثار هذه الجريمة ، وهكذا أفسد هذا السبق الصحفى الذى حرصت عليه الصحيفة خطة البوليس للتعرف على الجناة ، وانحطت قيمة الصحيفة التى سعت إلى ذلك (١) .

---

(١) جلال الحمامصى : صحافتنا بين الأمس واليوم ص ١٢٦ و ١٢٧ .

الفصل الثانى

تعريف الخبر

لماذا نحرص على تعريف الخبر أولا ؟ وهل لذلك صلة ما بطريقة اختيار الخبر الذى ينشر فى الجريدة ؟ .

الحق أن الصحف تختلف طعومها ومشاربها لدى القارىء باختلاف فهمها للخبر الصحفى من حيث هو :

فهناك صحيفة من الصحف ترى أن حوادث الجريمة وأخبارها أهم من سواها من الأخبار والحوادث ، ولذلك تختار لهذه الأخبار أحسن الأمكنة فى الصحيفة .

وهناك جريدة أخرى ترى أن الأخبـــار السياسية والاقتصادية والاجتماعية بشكل ما أولى بالنشر عما عداها من الأخبار الأخرى ، ولذلك تتوخى الأماكن الجذابة فى الجريدة وتخص بها هذه الأخبار الكبيرة أو الصغيرة ، واختلاف الصحف فى تقدير الأخبار على هذه الصورة — هو المؤثر الحقيقى فى اتجاهات الشعب واتجاهات الحكومة ، والعكس صحيح أيضاً ؛ فإن هذه الاتجاهات من جانب الشعب أو الحكومة كثيرا ما تؤثر فى الصحف من ناحيتين هما :

١ — ناحية اختيار الأخبار .

٢ — ناحية التوزيع والانتشار .

وهكذا يصبح اختيار الأخبار عملا مهماً فى نظر الحكومات ، ونظر الشعوب معاً ، كما سبق القول فى ذلك ، ومن أجل هذا وجب أن يدرس

الصحفيون موضوع « تعريف الخبر » دراسة جيدة ، ويكونوا لأنفسهم رأياً واضحاً فى هذه المسألة .

« الخبر الصحفى هو الجديد الذى يتلهف القراء على معرفته ، والوقوف عليه بمجرد صدوره فى الجريدة ، ومعنى ذلك أن أحسن الأخبار الصحفية هو ما أثار اهتمام أكبر عدد ممكن من الناس » .

هذا التعريف للخبر الصحفى هو ما ذهب إليه الأستاذ ويلارد بلاير Willard G. Bleyer فى كتابه « الصحيفة وتحريرها » .

وذهب أستاذ آخر ، هو (وليم مولسبى Willim maulsby) فى تعريف الخبر الصحفى إلى أنه « وصف أو تقرير دقيق غير متحيز للحقائق الهامة حول واقعة جديدة تهم القراء » . لهذا تبقى أن تتوفر للخبر خصائص الدقة والإثارة والتجاوب مع الوقت والوضوح التام ونحو ذلك.

وهناك تعريف ثالث للخبر الصحفى يمثل الناحية الواقعية أو العملية Pragmatic للصحيفة ، وهو تعريف ماكدوجل Mac Dongall . وفيه يقول :

« الخبر الصحفى تقرير عن حادث معين ترى الصحيفة فى نشره وسيلة للربح المادى » .

وثم تعريف للأخبار يقول إنها « أى حادث أو فكرة أو رأى ابن ساعته يمكنه أن يفهم أو يؤثر فى عدد كثير من الأشخاص فى مجتمع ما ويكون مفهوماً منهم » .

أما لورانس كامبل ، R ؛ وولسلى فى كتابهما Exbloring lournsliam فيذهبان إلى أن الخبر « وصف أو تقرير عن حادث أو موقف أو فكرة تنشره الصحيفة لأنه يهم القراء ، ولأنه يدر الربح على الناشرين » .

ويقول كارل وارين فى وصف الأخبار الصحفية « إنها بعض وجوه النشاط الإنسانى الذى يهم الرأى العام ويسليه ، ويضيف إلى معلوماته

جديداً . وتفسير ذلك : أن الذى تعتبره ، موسكو ، خبراً ربما كان شيئاً تافهاً فى بلاد كالهند ، وأن المادة التى تهتم بها صحيفة المحافظين فى انجلترا تلقى بها صحيفة الأحرار فى سلة المهملات .

وبوجه عام فإن (الأخبار هى كل شيء لم تعلم به أمس) .

ومعنى ذلك أن تعريف الخبر الصحفى أمر ليس بالهين ، فقد عقدت مجلة كوليير الأسبوعية الأمريكية ندوة جمعت إليها عدداً كبيراً من محررى الصحف فى أمريكا لكى يمدوا المجلة بتعريف صحيح للخبر الذى ينشر فى الصحف ، ولكن أعضاء الندوة اختلفوا اختلافاً كبيراً فى ذلك .

فظهرت المجلة وبها عدد كبير من التعريفات ، منها على سبيل المثال :

١ ــ الخبر هو كل ما يهم القراء أن يعرفوا عنه شيئاً ما .

٢ ــ الخبر هو كل شيء يرغب عدد كاف من الناس فى قراءته بشرط ألا يكون خارجاً على قواعد الذوق العام ، وقوانين السب والقذف .

٣ ــ الخبر هو كل شيء يحدث ويهتم به الناس .

٤ ــ الخبر هو كل ما قد يتحدث عنه الناس، وكلما كان الاهتمام الذى يثيره فيهم أكبر ، كانت قيمته أعظم .

٥ ــ الخبر هو الاستطلاع الدقيق للأحداث الإنسانية ، والكشوف والآراء التى تهم الناس وتؤثر فيهم .

٦ ــ الخبر هو كل ما يحدث وكل ما توحى به الأحداث وكل ماينجم عنها .

٧ ــ الخبر هو الوقائع الأساسية التى تتعلق بأى حدث أو مناسبة أو فكرة تستحوذ على اهتمام الناس ، وتؤثر على الحياة وعلى السعادة البشرية .

٨ ــ الخبر قائم فى أساسه على الناس ، ويجب أن يكون محدوداً بما يعنيهم ، وما يرضيهم دائماً .

٩ ــ الخبر يشمل كل أنواع النشاط الجارى الذى يستحوذ ـ بصفة ـ عامة ـ على اهتمام الناس. وأحسن الأخبار ما أثار اهتمام أكبر عدد من القراء .

١٠ ــ الخبر كل ما يتعلق بالصالح العام . وكل ما يهم القراء أو يترك أثراً فى علاقاتهم ونشاطهم وآرائهم وأخلاقهم وسلوكهم .

١١ ــ الخبر هو الذى تقول الصحيفة عنه إنه خبر .

والنتيجة من كل هذه التعاريف السابقة أن الخبر الصحفى مادة من أهم مواد الصحيفة ، وأنها تهم القراء من جانب ، وتهم الصحيفة من جانب آخر ، وأنها تعتبر مورداً من موارد الثروة للصحف .

والحق أن الأخبار لم تعد حاجة من حاجات الصحف وحدها ، وإنما أصبحت حاجة من حاجات الأمة كلها ، ولذلك اتخذت الأخبار مكانها الممتاز فى جميع وسائل النشر ، ومنها الصحف والإذاعة والسينما والتلفزيون .. الخ

حدث أن أضرب العمال فى انجلترا حوالى سنة ١٩٣٠ فاضطرت الحكومة إلى وقف إصدار الصحف ، ولكنها ـ أى الحكومة ـ لم تجد مفراً من إذاعة الأخبار على الجمهور ، فأصدرت باسمها نشرة إخبارية أطلقت عليها اسم « الجازيت البريطانية Britanic Gazette » ، ودلت بهذه النشرة على أن مسئولية الإعلام ـ من حيث هى ـ تعتبر إحدى المسئوليات التى تقع على عاتق الحكومات .

وان هذه الحكومات والشعوب التى تخضع لها لا تستغنى عن الخبر بحال ما وإلا أحست بنقص ظاهر فى حياتها لا يمكنها أن تصبر عليه ، ومن أجل هذا أثر عن عملاق الصحافة الإنجليزية « لورد نورثكليف » أنه قال :

« الشىء الوحيد الذى يساعد على زيادة توزيع الجريدة هو الخبر ، والخبر هو كل ما يخرج عن محيط الحياة العادية المألوفة ، ويكون مدار حديث العامة والخاصة » .

ومن ثم كانت للخبر أهميته التى أشرنا إليها فى الفصل السابق ، وأصبحت رسالة الصحفى تنحصر أو تكاد تنحصر فى جمع الأخبار بأمانة ، وسردها ونشرها بأمانة ، ثم التعليق عليها بأمانة ، حتى أن الصحفى الذى يخل يوماً بهذه الأمانة يصبح فى نظر الحكومة والجمهور أشبه رجل بالصانع الغشاش ، أو التاجر المطفف ، أو الطبيب ، أو المعلم الذى هان عليه العبث بشرف المهنة .

وهنا يعود الباحث ليواجه المشكلة مرة أخرى ، وهى إلى أى حد يجب أن يتصف الصحفى المسئول بالأمانة التامة حيال الخبر الذى ينشره فى الجريدة ؟ هل يحق له أن يساير عواطف الجماهير فيعمد من أجلهم إلى نشر الخبر حيناً وإلى تشويهه حيناً آخر ، حتى يصبح الخبر متفقا والرأى العام . .

والجواب على هذا ، أن الصحيفة ليست إلا عقداً اجتماعيا بين ناشريها من جهة ، وقرائها من جهة ثانية ، وفى هذا العقد الاجتماعى اتفاق ضمنى بين هذين الطرفين على أمور كثيرة ، من أولها أداء هذه الأمانة .

وهذا الاتفاق الضمنى ـ كما يقول الاستاذ « ويكهام استيد » فى كتابه المعروف عن الصحافة ـ إنه من نوع العلاقة الصحفية التى تقوم بين الطبيب والمرضى مع فارق واحد ، هو أن رجال الطب يعملون طبقا لنظام خاص ، بينما الصحافة لا تزال مهنة حرة لا تخضع إلا لعدد محدود من القيود الخارجية ، ومن القيود الداخلية .

وانظر إلى الأستاذ « استيد » هذا يمضى فى بيانه قائلا :

« إنى أعتقد ـ كما يجب أن يعتقد كل إنسان ـ أن الاخبار الكاذبة أكثر ضرراً من الأطعمة المغشوشة أو الفاسدة ، ذلك أن الصحافة ذات الكلمة الممتازة فى نفوس القراء ، مادتها الأولى فى العقل العام ، وبضاعتها القيم الإنسانية بوجه عام ، وهدفها الأخير هو السعى نحو الكمال » .

ولكن ليس معنى هذا أن تكون الصحيفة راكدة أو غير جذابة ، فإنه ليس شيء أخطر على الصحافة من الركود ، فالركود مدعاة للكساد ، والكساد طريق إلى الموت ، ومن هنا تحرص على الجريدة على نشر الأخبار الغريبة متى وجدت إليها سبيلا .

وهنا نسمع صوت من يقول فى سخرية مريرة لا تخفى على سامعيها : ولكن الفضيلة لا تحوى غير العادى من الأمور ، أما الرذيلة فتحوى كل المادة التى تشتهيها الصحافة ، كما تشمل عنصرى الإغراب والإثارة ، ومن هذه الثغرة الاخيرة تنفذ الصحافة الصفراء ، أو الصحافة المثيرة ، وحجتها فى ذلك أنها لا تريد أن تكون صحافة مملولة ، وهذا صحيح - إلى حد ما - ولكن متى وقفت الصحافة الرشيدة على هذه الحقيقة عرفت أن أمامها صعابا كثيرة ، وأن عليها أن تتغلب كل يوم على واحدة منها ، وإذ ذاك تحاول هذه الصحافة أن تستعيض بالتدريج عن عنصر الغرابة عنصراً آخر: هو عنصر التنويع فى عرض مواد الصحيفة .

فهذه أخبار سياسية يهتم بها السياسيون .

وهذه أخبار اقتصادية يهتم بها الاقتصاديون .

وهذه أخبار رياضية يهتم بها الرياضيون .

وتلك أخبار علمية أو أدبية أو فنية يعنى بها ذوو العلم والأدب والفن .

وبمقدار ما تتنوع الصحف يزداد عدد قرائها ، وتنشأ صداقة وطيدة الأركان بينها وبين القراء ، فتراهم (يتعلقون بها ، ويزدادون مع الأيام وفاء لها) ، ويؤثرونها على غيرها من الصحف التى تعتمد على الإغراب والإثارة وما إليهما .

ومعنى ذلك أنه يجب على الصحفى أن يشعر دائماً بهذه الأمانة الصحفية ، وأن يكون له ضمير يقظ يمنعه من نشر خبر من الأخبار ما لم تكن وراء نشره مصلحة تعود على القراء أو المجتمع .

كما ينبغي للصحفي أن تكون العلاقة طيبة بينه وبين مصدر الخبر ، فإن هذه العلاقة هي الأساس الذي تبنى عليه عملية استنقاء الأنباء .

ويجب على الصحفي ألا ينسى مطلقاً أن مصدر الخبر هو وحده صاحب الحق في نشر الخبر أو عدم نشره متى أراد .

وباختصار شديد يجب على الصحفي أن يدرك أن الخبر ليس ملكا له ولا ملكا للصحيفة التي يعمل بها ، ولا ملكا للرأي العام ، ولكنه ملك للحقيقة فقط .

وكل هذه الاعتبارات هي التي أملت على « هدوله لاسكى » أن ينصح طلبة الصحافة في كتابه « الصحافة والشئون العالمية » بأن يضعوا نصب أعينهم الحقائق الأربع التالية :

الأولى — أنه لا توجد حكومة في العالم لا تعمل على توجيه الأخبار الوجهة التي تخدم مصالحها .

الثانية — أن هناك هيئات كثيرة تعمل في جمع الأخبار على أساس تلوينها بما يمليه عليها ميولها وتجهزها .

الثالثة — أن للمراسلين وزنا خاصاً في عرض الأمور ، وهم لذلك يعمدون إلى تلوين الاخبار التي يبعثون بها إلى الصحف .

الرابعة — أن لمكاتب التحرير هي الأخرى شخصيتها الخاصة التي تضفيها على الأخبار ، وطريقتها الخاصة التي تقدم بها هذه الاخبار للقراء .

(والخلاصة) أن الاخبار وجمعها واختيارها وطرق صياغتها إنما تعتمد اعتماداً تاماً على المصدر الذي أتت منه . وعملية امتحان هذا المصدر والتحقق من نزاهته هو أصعب عملية تواجه المخبر الصحفي ، وتقف أمامها الصحيفة نفسها موقف المحكمة أمام الشهود .

الفصل الثالث

فى سبيل الحصول على الخبر

تحصل الجريدة على الأخبار الداخلية عادة بطريق المخبرين الصحفيين أو مندوبى الأخبار الذين توزعهم على المصالح والوزارات والإدارات المختلفة ، وتجعل كل واحد منهم مختصاً بمصلحة أو وزارة أو إدارة ، ونادراً ما يقع المخبر على موضوع يكتبه من تلقاء نفسه ، فإن تسعة أعشار الأعمال التى يقوم بها المخبر الصحفى يكلف بها من قبل رئيس قسم الأخبار ، وهو الشخص المكلف من قبل الجريدة بوضع خطة يومية يسير عليها المخبرون تكون مبنية على الحس الصحفى الدقيق عند هذا الأخير، فبهذا الحس الصحفى يستطيع أن يعرف بواطن الأخبار الجديرة بالنشر فى الصحيفة التى يعمل بها ومع هذا وذاك قد يحدث أن يجد المخبر فى طريقه شيئاً يستحق الإخبار عنه ، وإذا ذاك يتجه إلى أقرب (تليفون) ويبادر إلى تبليغ الجريدة هذا الخبر الذى عثر عليه بطريق المصادفة ، ثم يعود إلى تنفيذ الخطة التى وضعها له رئيس قسم الأخبار ، ومعنى ذلك أن المصادفة تلعب دورها أحياناً فى الحصول على الخبر، وفى السبق الصحفى إلى هذا الخبر. وكثيراً ما تربح الجريدة مادياً من وراء ذلك .

وقد اطلع الشعب المصرى يوماً فى جريدة « الأهرام » على خبر زواج (توفيق نسيم باشا) رئيس مجلس الوزراء ، وهو فى السبعين من عمره ، من فتاة نمساوية فى السابعة عشرة من عمرها ؛ وكانت جريدة الأهرام أولى الجرائد المصرية التى سبقت إلى نشر هذا الخبر الذى شغل بال الرأى العام فى مصر مدة ليست بالهينة .

وسمعت يومئذ أن السبب فى نشر الخبر يرجع إلى الأستاذ جبرائيل تقلا صاحب (الأهرام) حينذاك، وقرأت فى كتاب الأستاذ جلال الدين الحمامصى

(صحافتنا بين الامس واليوم) (١) بعد ذلك ما يلى :

« فى ذلك الوقت الذى اشتعل فيه الغرام بين السياسى العجوز والشابة النمسوية من المرحوم الأستاذ (جبرائيل تقلا) بقرية من القرى ، وأراد أن يبقى فيها ليلة واحدة ، وبينما هو يسجل اسمه فى دفتر الفندق لاحظ صاحبه أنه كتب أمام جنسيته أنه مصرى ، فأخبره بأن بين نزلاء الفندق مصرياً آخر كبيراً اسمه توفيق نسيم ، وأن هذا السياسى الكبير سيتزوج من ابنته ، وأحس الأستاذ جبرائيل تقلا بأنه وقع على نبأ هام ، نبأ لا بد أن يحدث دوياً فى مصر ، وأمسك الأستاذ تقلا بالورقة التى سجل عليها اسمه فشطب ليلة واحدة ، وكتب : عدة ليال ، فقد شعر بأن مكانه « كصحفى » هذا الفندق حيث تولد قصة صحفية ضخمة ، وبالفعل كانت القصة من الضخامة بحيث شغلت قراء الأهرام عدة أشهر .

وقد أصبح من المعتاد أن نرى فى كل وزارة من الوزارت أو مصلحة من المصالح الحكومية وغير الحكومية قسما يقال له : « إدارة الشئون العامة » أو « مكتب الصحافة » ، ومن هذه الأقسام يستقى المخبرون الصحفيون أخبارهم فى أغلب الأحيان ، وفى استطاعة المخبر اللبق أن يحصل على أخبار الوزارات بطرق فيها شيء من الخفاء ، كأن يحصل عليها من طريق السعاة وصغار الموظفين ، وبذلك يصل إلى الأخبار التى تبالغ بعض الوزارات والمصالح فى إخفائها ، ولكن يشترط فى هذا الخفاء ألا يصل بالمخبر الصحفى إلى حد الإخلال بالشرف ، أو ارتكاب جريمة السرقة أو غيرها من الأساليب التى تعافها الصحافة الشريفة النزيهة ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك فى المقدمة .

ويعود المخبرون إلى الصحيفة ، ويقضى كل منهم وقتاً فى كتابة أخباره ، وفى ركن من الورقة يكتب اسمه ومصدر النبأ الذى أتى به ، ويحسن به

---

(١) انظر الكتاب ص ١٥٧

إذ ذاك أن يكتب كل موضوع أو كل خبر من ثلاث نسخ : واحدة يحتفظ بها لنفسه ، والثانية توضع فى ملف خاص به ، والثالثة تأخـــذ طريقها إلى رئيس التحرير مارة فى أثناء ذلك بعدة مكاتب فى إدارة الصحيفة .

ومن أهم هذه المـكاتب : مكتب المراجع Rewriter الذى يعيد كتابة الأخبار بعد غربلتها غربلة جيدة ، ثم يبعث بها إلى رئيس الأخبار ليقوم فيها بوظيفته ، ثم ترسل إلى سكرتير التحرير الذى يحدد لـكل خبر مكانه فى صفحة الأخبار الداخلية ، ثم ينتهى بها المطاف إلى رئيس التحرير كما سبق القول فى ذلك ، وليس على هذا الأخير أن يقرأ جميع ما يصل إليه منها ، وإنما يكتفى بمـا له من صلة قوية بالسياسة أو بالمشكلات العامة ونحو ذلك .

ثم تواصل الأخبار رحلتها إلى أن تصل فى النهاية إلى غرفة الجمع ، فتجمع ثم تؤخذ عليها تجارب (بروفات) ، ويقوم المصححون بتصحيحها قبل أن تدور عجلة المطبعة دورتها النهائية .

هذا كله من حيث الأخبار الداخلية . أما الأخبار الخارجية فتأتى إلى الصحف عن طريق وكالات الأنباء ، أو عن طريق المراسلين الخارجيين للصحيفة فى مختلف الأنحاء (ولـكل صحيفة قسم خاص بالمترجمين الذين يتولون ترجمة هذه الأخبار من اللغات الأجنبية إلى اللغات العربية) ثم ترسل الأخبار مترجمة ليعيد سكرتير التحرير ، أو من يقوم مقامه إذ ذاك قراءتها ، ويحدد مكانها من الجريدة ، وأخيراً تعرض الأخبار الخارجية على رئيس التحرير ، لعله يجد فيها ما يستحق التعليق بكلمة خاصة ، هى فى الغالب كلمة الجريدة ، أو ما يسمى (بالمقال الافتتاحى) أو (العمود الرئيس) فيها .

* * *

ولاخلاف إذن فى أن وكالات الأنباء هى المصدر الرئيس لجميع الأخبار الخارجية التى تنشر فى صحيفة من الصحف ، ولكن إلى جانب هذا المصدر

الرئيس نجد هناك مصادر أخرى أشرنا فيما مضى إلى شيء منها .

فمن ذلك «القسم الإذاعي» للصحيفة ، فقد تذيع المحطات الخارجية نبأ له أهمية خاصة ، فإذا صادف أن سمعه بعض رجال الصحيفة ، وسارع فى تسجيله وتوصيله إلى قسم الأخبار ، فإنه يكسب لصحيفته سبقاً صحفياً كما قدمنا .

ومن تلك المصادر التى نشير إليها بعض الشخصيات الكبيرة التى يلتقى بها الصحفيون بطريق المصادفة ، ويستطيعون الحصول منهم على بعض الأخبار الهامة . ومن الشخصيات الكبيرة : سفراء الدول الأجنبية ، ورجال السلك السياسى متى أمكن للصحفى أن يحصل منهم على معلومات أو أخبار هامة ، وقلما يتمكن الصحفيون من ذلك فى الحقيقة .

ونعود إلى المصادر الرئيسة للحصول على الخبر فنجملها فيما يلى :

١ ـ مندوب الأخبار فى الصحيفة .

٢ ـ مراسل الصحيفة فى الداخل ، ومراسلها فى الخارج .

٣ ـ وكالات الأنباء المحلية والدولية أو العالمية .

٤ ـ وكالات الأعمدة الصحفية وسنشرحها فيما بعد .

٥ ـ المتطوعون بالأخبار من أصدقاء المحرر أو المخبر وغيرهم .

٦ ـ أماكن الشرطة (أو نقط البوليس) .

٧ ـ دور الخدمة ، وبها (إدارات فى الشئون العامة) الخاصة بإعطاء الأخبار .

٨ ـ المؤسسات العامة ، وبها كذلك (إدارات الشئون أو العلاقات العامة) .

ومن عمل هذه الأخيرة إعطاء الأخبار الخاصة بالمؤسسة .

٩ ـ المحاكم على اختلافها .

١٠ ـ الشخصيات العامة أو الكبيرة فى المجتمع .

١١ ـ الاجتماعات العامة والنوادى العامة ونحو ذلك .

١٢ ـ المؤتمرات الصحفية على اختلاف أنواعها .

١٣ ـ المصادفة فى الطريق العام .

والمهم أن الصحفى هو الذى يدعم المصادر الروتينية بمصادر أخرى ذاتية أو شخصية ، ولا يتيسر هـذا التدعيم إلا عن طريق الصداقات والعلاقات الطيبة التى له ببعض الأفراد أو بالشخصيات الكبيرة التى يمكن أن تكون مصدراً للخبر ، ولنا أن نقف وقفة قصيرة أمام المرحلتين وهما : المخبر والمراسل :

المخبر الصحفى أو مندوب الأخبار :

مندوب الاخبارهو العنصر الهام فى عملية جمع الأخبار ووظيفته واحـدة ، وهى أن يذهب بنفسه إلى مسرح الحياة ويحصل بنفسه على المعلومات التى يتكون منها النبأ الذى يهم القراء ، وقد يتذرع المخبر إلى ذلك بصفتين هما :

١ ــ صفة الاهتمام الشديد بعملية الصحفى، وهو العمل الذى جعل منه مراقباً للركب الإنسانى فى مروره بطريق الحياة وجعله مضطرا إلى مشاهدة المسرحيات السياسية من خلف الكواليس كما يقول رجال التمثيل ، وأما الصفة الثانية فهى :

٢ ــ صفـة الفضول ما دام العمل الصحفى ينطوى على شىء من المشقة ، ويحتاج إلى شىء من المزاحمة ، ولذلك يقول أحد رجال الصحف :

« إن المندوب الذكى أغلى عند صحيفته بكثير من المحرر الذكى » .

المراسل الصحفى :

مهمته إمداد الصحيفة بمواد غزيرة من حقله بداخل البلاد إن كان مراسلا داخليا ، أو بخارج البلاد إن كان مراسلا أجنبيا ، غير أن العمل الذى يقوم به المراسلون فى الخارج أشد صعوبة وخطورة من العمل الذى يقوم به المراسلون فى الداخل .

وأشد ما تكون مهمة المراسل الخارجى خطورة حين يشترك فى مؤتمر صحفى فى بلاد أجنبية ويحاول أن يعطى أخبار هذا المؤتمر ، وأن يشترك فى توجيه الاسئلة إلى رئيس المؤتمر ، أو الشخص المسئول فى الدولة المضيفة للمؤتمر .

والمراسل الخارجى هو المسئول عن بيان قيمة الأحداث التى ينقلها إلى صحيفته ، وعن تفسير هذه الأحداث وإعطاء صورة دقيقة للشخصيات الكبيرة التى تقترن بكل حادثة منها ، ومن ثم أصبحت لهذا المراسل الخارجى أهمية عظيمة يعرف بها فى المسرح الدولى .

والمراسل الخارجى كالمراسل الحربى ـ تواجهه صعاب كثيرة ـ ينبغى له أن يواجهها بشجاعة تامة ، منها سوء المعاملة التى يلقاها أحيانا من أهل البلد أو من حكومته ، ومنها الشعور بالوحشة ، وبالريبة فى كل من يلتقى بهم فى هذه البيئة الجديدة ، ومنها الرهبة الشديدة من الوقوف فى المعركة التى يجمع منها الأخبار ليبعث بها إلى الصحيفة ، وحسبه كل ذلك لكى يكون شخصاً فدائياً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى (١)

طرق مشروعة للحصول على الخبر :

قبل أن ندع الكلام عن كيفية الحصول على الأخبار ، ينبغى أن نشير إشارة عابرة إلى بعض الطرق التى يعمد إليها المخبر الصحفى فى الحصول

---

(٢) ارجع إلى كتاب (أخبار الشرق الأوسط و الصحافة العالمية) ترجمة الدكتور عبداللطيف حمزة ووليم الاميرى .

على الأخبار ، وذلك فيما خلا الطريقة المعتادة التى منها الذهاب إلى المصالح الحكومية المختلفة ، أو أقسام البوليس ، أو المحافظات والمديريات ، والمحاكم والمدارس ، والمعاهد والجامعات ، ونحوها .

ويستطيع المخبر الصحفى أن يحصل على أهم الأخبار من المصادر الهامة بطرق سليمة لا تخرج فى مجموعها عن طريقة « العلاقات » أو « الصداقات » التى ينشئها المخبر بين حين وآخر مع الشخصيات التى تعتبر مصادر هامة للأنباء .

وهنا يجب على المخبر اللبق أن يدرس ميول الشخص الذى هو مصدر الخبر ، وعلى أساس متين من هذه الدراسة يستطيع أن يتقرب منه ، وأن يبذل أقصى جهده فى مجاملته وملاطفته ، وإذا لزم الأمر أن يقدم إليه الهدايا والألطاف فليفعل ، فإن الهدية فى هذه الحالة لا تعتبر نوعاً من الرشوة . أو هى — على الأصح — رشوة بيضاء لا تحمل غير معنى المجاملة التى يأنس الناس إليها .

ومن طرق الحصول على الخبر فيما عدا (الصداقة) طريق آخر ، هو ما يسمى الايهام بالمعرفة ، وكثيراً ما تجوز هذه الحيلة على مصدر الخبر ، فيتساهل فى التصريح به ما دام هذا الخبر قد أصبح معلوما لكثيرين من الناس ، كما أوهمه المخبر بذلك .

وهناك طرق أخرى كثيرة لا تخفى على ذكاء المتمرنين ، ولا مجال هنا لسرد هذه الطرق أو الإلمام بها أو نقدها والحكم عليها .

وإليك مثلين منهما : أحدهما على طريقة الإيهام بالمعرفة ، والثانى على طريقة الصداقة وإنشاء العلاقات الخاصة بمصدر النبأ :

المثل الأول (وهو مثل على الإيهام بالمعرفة) (١) .

حكى أحد الصحفيين الانجليز عن نفسه قال :

(١) راجع كتاب أزمة الضمير الصحفى للمؤلف ص ١٦٠ و ١٦١

إنه كان جالسا فى مقهى من مقاهى الاسكندرية على شاطىء البحر ، وتصادف أن جلس معه على نفس المائدة أحد كبار تجار الثغر المعروفين ، وجرى الحديث بينهما فى أمور عدة أشار التاجر الكبير فى بعضها ـ عن غير قصد ـ إلى إلحاح الخديوى إسماعيل فى بيع نصيب مصر من أسهم قناة السويس وإلى أن هذا التاجر الكبير يتمنى لنفسه أن يربح هذه الصفقة . وهنا تغير لون الصحفى الإنجليزى وأحس كأنه جالس على برميل من البارود — على حد تعبيره — ولكن المهنة الصحفية أوجبت عليه فى هذه اللحظة أن يتماسك أو يتظاهر بالثبات التام ، كما أوجبت عليه المهنة كذلك أن يلجأ إلى طريقة الإيهام بالمعرفة .

فأوهم التاجر الكبير أنه على علم بهذا السر الخطير ، وهنا اطمأن التاجر إلى أنه لا يذيع سراً من الأسرار ، وأفاض فى الحديث عن أسهم القناة ، ثم ما كاد التاجر يغادر المكان حتى أسرع الصحفى الانجليزى إلى مكاتب البرق ، وأرسل برقية إلى دزرائيلى رئيس الوزراء البريطانية حينذاك ، وما كان من دزرائيلى هذا إلا أن اتصل من فوره بآل روتشلد ـ وهم من كبار رجال المال فى انجلترا ـ وطلب منهم المال اللازم لشراء أسهم القناة . ولم ينتظر دزرائيلى ريثما يحصل على إذن بهذا المال من مجلس الوزراء ، أو مجلس العموم ، أو من الجالس على عرش انجلترا إذ ذاك .

المثل الثانى : (وهو مثل على استخدام الصداقة) :

هو حادثة جرت للأستاذ مصطفى أمين حكاها عن نفسه قال :

إنه كان بلندن فى الوقت الذى دارت فيه مفاوضات (صدقى — بيفن) وقد تم الاتفاق بينهما على نصوص معينة ، غير أن مستر بيفن اشترط أن تبقى هذه النصوص سراً من الأسرار فلا تنشر إلا بإذنه فى الوقت الذى يحدده هو ، وإذ ذاك ساقت الظروف مصطفى أمين فتعرف إلى

سيدة اتضح أنها تعمل فى مكتب مستر بيفن ، وبطريقة غير مباشرة علم مصطفى أمين بأن هذه السيدة هى التى كتبت على الآلة الكاتبة نصوص الاتفاق ، فدعاها مصطفى أمين مرارا للجلوس معه فى مقهى من مقاهى العاصمة ، ولاحظ فى كل مرة يجلس اليها أن هذه السيدة تلتقط قطع السكر التى يقدمها المقهى وتمسك بيدها هذه القطع باحتراس تام واهتمام وتدسها فى حقيبة يدها (شنطتها) بخفة وعجلة ، إذ ذاك أحضر مصطفى أمين فى اليوم التالى كل تموينه من السكر وأسلمه إلى هذه السيدة العظيمة ، ففرحت به فرحاً عظيماً .

ونظرت إليه على أنه أعظم هدية لأطفالها الصغار الذين لا يكفيهم تموينهم من السكر الذى يوزع عليهم بالبطاقة .

ومن ذلك الوقت نشأت صداقة متينة بين مصطفى أمين وهذه السيدة ، وعن طريق هذه الصداقة استطاع مصطفى أمين أن يحصل على ورق الكربون الذى كتبت عليه نصوص الاتفاق وما لبثت هذه النصوص أن نشرت فى بعض الصحف الصادرة فى مصر ، وفوجىء بها (مستر بيفن) كما فوجىء بها رئيس الوزارة المصرية إذ ذاك اسماعيل صدقى .

إلا أننا نحرص الحرص كله هنا على القول بأن الحصول على الأخبار يجب ألا يضطر المخبر الصحفى بحال من الأحوال إلى سلوك الطرق غير الشريفة ، كالسرقة والتساهل فى العرض ، وخراب الذمم ، والتضليل ، والغش ، ونحو ذلك من الأمور الضارة بالسمعة والشرف ، فليكن معلوماً أن الصحافة شيء ، والجاسوسية شيء آخر ، والصحفى الشريف ليس جاسوساً للمجتمع ولا للدولة ، ولا ينبغى لأحد أن يطالبه بشيء من ذلك ، وبهذا ننفى عن الصحافة كل عمل يشينها أو يسيء إلى كرامة المشتغلين بها .

على أنه لا مناص من القول بأن الوسائل الميكيافلية التى تقول : « بأن

الغاية تبرر الواسطة ، لا تجوز مع المخبر الصحافى إلا فى حالات شاذة كأوقات الحرب مع دولة أجنبية ، وظروف الاحتلال الأجنبي الذى ينشب أظفاره فى الأمة ، ففى مثل هذه الأحوال يجوز للمخبر الصحفى أن يلجأ إلى طرق يخدع بها العدو الأجنبي ، ويحاول أن يتغفله ليحصل من أتباعه على الأخبار ذات الصلة الوثيقة بسلامة الوطن (١) وذلك كله على القاعدة القائلة (الحرب خدعة) .

وتاريخ الصحافة المصرية يحفظ لنا مثلا من أقوى الأمثلة على ذلك وهو:

قضية التلغرافات :

وهى القضية التى تعرضت لها صحيفة المؤيد ، وخرج بها السيد على يوسف بطلا من أبطال الصحافة المصرية ، وزعيما من زعماء الشعب المصرى .

وخلاصة هذه القضية أنه فى مايو سنة ١٨٩٦ أصدرت نظارة الحربية أمراً بعدم إمداد المؤيد بأية معلومات عن الحملة المصرية على دنقلة ، مع السماح فى الوقت نفسه بهذه المعلومات للصحف الموالية للاحتلال البريطانى يومئذ ، ومنها جريدة المقطم ، وبذلك تفقد المؤيد — التى هى جريدة الشعب المصرى — قيمتها الإخبارية ، ويفضى بها الحرمان من الأخبار إلى الموت الابدى .

ومعنى هذا وذاك أن الأمر أصبح مكيدة مدبرة ، ومؤامرة منظمة ضد الشعب المصرى ، والصحافة المصرية ، وهكذا تحولت المسألة يومئذ إلى مسألة عداء بين سلطة قوية قاهرة هى سلطة الاحتـــلال البريطانى ، وشعب أعزل من السلاح هو الشعب المصرى .

(١) ارجع الى كتاب أزمة الضمير الصحفى ص ١٥٩ — ١٦٢

فى مثل هذه الظروف وحدها يباح للصحفى الوطنى أن يحصل على الخبر بطريقة أو بأخرى من الطرق الغامضة ، وهذا ما فعله السيد على يوسف صاحب جريدة المؤيد ، فقد اتهم بأنه اتصل فى الخفاء بمواطن من أقباط مصر هو « توفيق أفندى كيرلس » الموظف بمكتب بريد الأزبكية — وهو المكتب الذى كان يتلقى البرقيات الخاصة بالحملة المصرية على دنقلة — واتفق معه على الوصول إلى هذه البرقيات الخاصة بالحملة ، وعبثاً حاول القضاء المصرى بعد ذلك إثبات الصلة بين السيد على يوسف وتوفيق أفندى كيرلس ، وأكثر من ذلك رأيناهذا الأخير يعترف فى المحكمة بأن المعتمد البريطانى هو الذى حمله على الإعتراف بهذه الصلة ، وسلك سبيل العنف والضغط عليه فى الاعتراف بها ، والحقيقة أنه لا صلة بينه وبين السيد على يوسف ، وإزاء هذا الاعتراف الصريح حكمت المحكمة ببراءة السيد على يوسف ، وخرج السيد إذ ذاك محمولا على الأعناق ، والشعب يهتف بحياته وحياة المؤيد ، وبقى أمر الحصول على هذه التلغرافات سراً لا يعرفه أحد من رجال الوكالة البريطانية إلى اليوم .

فذلك ظرف من الظروف التى يضطر فيها الصحفى إلى سلوك الطرق الغامضة ، ومنها طريق الرشوة بالمال على سبيل المثال ، ذلك أن الصحيفة — والأمة معها فى مثل هذه الحال — تعتبر نفسها فى حرب ، والحرب خدعة . وظروف التآمر على سلامة الوطن ، أو إماتة الروح الوطنى فى أهله ، تبيح للصحف يومئذ سلوك جميع الطرق التى من شأنها إحباط المؤامرة .

الفصل الرابع

تقويم الخبر

بم نقوّم الخبر ؟ أو ما هى الخصائص التى ينبغى توافرها فى الخبر حتى يكون هاماً فى نظر الصحيفة ؟ أو ما هى الاسس التى يبنى عليها تقديم خبر من الأخبار على سواه ؟ لا شك أن هذه الخصائص أو القيم كثيرة منها :

١ — الجدة أو « عنصر الزمان »

ومعنى ذلك أن أغلب ما ينشر فى الصحيفة من الأخبار إنما هو أحداث أمس واليوم والغد . أما أحداث الاسبوع الماضى فلا تصلح للنشر إلا إذا كانت قصتها لم تتم بعد .

ذلك أن الاخبار هى فى الواقع أسرع البضائع فى السوق استعداداً للتلف أو للفساد ، ولذا نرى الخبر الصحفى يبدأ موضوعه دائماً بكلمة « اليوم » إذا كانت الصحيفة مسائية أو « أمس » إذا كانت الصحيفة صباحية .

وعلى هذا فالزمن عامل هام جداً فى الخبر ، حتى أن ساعة أو ساعتين قد تؤثران فى قيمـــة الخبر الصحفى من حيث هو ، ولذا نرى أن « آخر الأنباء » أكثرها لفتاً لأنظار القراء ، وفى موضوع الجدة فى الخبر يعرض لنا سؤالان هامان :

أولهما — أيهما أولى بعناية الجريدة : التثبت من صدق الخبر ، أم السبق الصحفى فى نشر الخبر ؟ . والذى نراه أن التثبت من صحة الخبر هو الأهم دائماً ، ولو أدى ذلك إلى التأخر فى نشر الخبر يوماً أو يومين ، فإن فى اتباع هذه الطريقة الأخيرة أمانا من خطر كبير على الجريدة ، هو خطر « التكذيب » ، والتكذيب يفقد الجريدة ثقة القراء بها ، وفى فقدان هذه الثقة ضياع لها .

حدث مرة أن تناقلت وكالات الأنباء نبأ قالت فيه : « إن سلطان باشا الأطرش قد مات » ، وتسابقت الصحف المصرية فى نشر هذا الخبر ، عدا « الأهرام » ، فلما سئل أنطون الجميل رئيس تحرير هذه الصحيفة يومئذ عن سبب ذلك أجاب بقوله متهكما :

« من لم يمت فى الأهرام فإنه لم يمت » . وبالفعل أذاعت وكالات الأنباء فى اليوم التالى خبراً قالت فيه : إن الذى توفى هو والد سلطان باشا وليس هو سلطان باشا نفسه » .

ثانيهما — ما موقف الجريدة من الخبر التاريخى ؟ أو بعبارة أخرى : هل يصح أن تكون مادة التاريخ خبراً مثيراً يستحق النشر ؟

والجواب على ذلك : أن التاريخ يمكن أن يكون خبراً صحفياً مثيراً فى حالات خاصة ، فإذا استطاعت صحيفة مصرية فى الوقت الحاضر أن تنشر وثيقة أو خطبة من خطب أحمد عرابى لم تكن قد نشرت من قبل فى كتاب من الكتب التاريخية فإن هذه الوثيقة أو الخطبة تثير اهتمام القراء ، وتكون لها صفة (الجدة) التى نتحدث عنها الآن .

قيل إن مائتى صحيفة أمريكية دفعت كل منها آلاف الدولارات لكى يكون لها قبل غيرها الحق فى نشر قصة للكاتب الإنجليزى « تشارلز ديكنز » كتبها فى أيام صباه ، ولم يسمع أحد بها من قبل .

٢ — المحلية « أو عنصر المكان »

كل إنسان فى الوجود يهتم بنفسه أولا ، ثم بالوسط المحيط به بعد ذلك ، والأشياء المحيطة به تتدرج عنده فى الأهمية ، فيلتفت من هذه الأشياء إلى الأقرب فالأقرب ، بمعنى أنه يهتم بذويه وأصدقائه ، ومكان عمله ، ومكان عبادته ، ومكان لهوه وهكذا . وحادث يحدث لأحد أصدقائه لا بد أن يثير اهتمامه ، ولا بد أن ينفعل به انفعالا عظيما ، ولكن حادثة تحدث لولده فى الطريق أو فى المدرسة تجعله يقفز من مقعده ، ويخرج هائماً على وجهه .

وتراعى الصحف هذه الصفة من صفات الخبر مراعاة دقيقة ، وتفرق من أجل ذلك بين الطبعة التى توزع فى العاصمة ، والطبعة التى توزع فى الأقاليم ، فإذا وقعت الحادثة فى العاصمة عنيت بها الطبعة التى توزع فى العاصمة عناية تامة ، وقلت هذه العناية بالقياس إلى طبعة الأقاليم أو المدن ، والعكس بالعكس .

ومن الأمثلة على هذا العنصر — وهو المحلية — أن فلاناً من القراء حين يقرأ فى صحيفة ما أن شركة السيارات العامة على خلاف مع العمال ، ربما لا يأبه لشيء من ذلك ، ولكنه إذا قرأ أن العمال سيبدءون غداً حركة إضراب عام ، وأنه سيمشى على قدميه إلى مقر عمله ، فهنا يدخل الخبر دائرة اهتمامه الخاص ، ويقرأ الخبر بلهفة .

٣ — عنصر الايحاء .

قد تنشر الجريدة خبراً من الأخبار ، بل تتسابق الصحف كلها أحياناً فى نشر هذا الخبر بالذات ، لأنها تعلم جيداً أنه يوحى للقراء بشتى الأفكار والاحتمالات ، فمن قارىء يذهب إلى أن إسناد الوزارة العراقية - مثلا - إلى فلان سيضر بقضية الجامعة العربية ، ومن قارىء يذهب إلى أن فى ذلك نجاحاً للسياسة الاستعمارية فى الشرق الأوسط ، ومن قارىء يذهب إلى أن فيه نجاحاً لسياسة تركيا ، ومن قارىء يقول : بل إن فيه نجاحاً لسياسة الأحلاف ، ونحو ذلك إلخ .

وهكذا نجد أن الخبر الذى من هذا النوع يوحى إلى قراء الصحيفة باحتمالات شتى ، وقد يكون لهذه الاحتمالات آثار ملموسة فى سياسة الدول المرتبطة بالعراق بصلة من الصلات .

ومعنى ذلك أنه بمقدار مايكون للخبر الصحفى من قوة الإيحاء ، أو بمقدار مايثير فى نفس القارىء من شتى الافكار والاحتمالات تكون أهمية هذا الخبر فى نظر الصحيفة ، وذلك بغض النظر عن ضخامة الشخصية التى يدور حولها الخبر ، وبغض النظر أيضاً عن طرافة الموضوع الذى يتصل به هذا الخبر .

ولا يحتاج الباحث إلى ضرب الأمثلة الموضحة لهذا العنصر من عناصر الخبر الصحفى فى ذاته ، فالأمثلة عليه كثيرة تطالعنـــا بها الصحف يوماً بعد آخر .

٤ ـــ عنصر الضخامة

إن الضخامة هنـا ليست بمعنى التهويل أو المبالغة ونحو ذلك ، ولـكن بمعنى إثارة اهتمام أكبر عدد من الناس ، فمن الأخبار الصحفية ما يمس جماعة قليلة من الناس فى المجتمع فلا يؤبه له كثيراً فى الصحف ، وإن كان ولا بد من كتابته ففى ركن من أركان الصحيفة قد لا يلتفت إليه أحد .

ومن الأخبار الصحفية ما يمس أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع ، أو يمس مرفقاً من أهم المرافق الحيوية فى هذا المجتمع ، أو يمس مشكلة من أكبر المشكلات السياسية أو الخلقية أو الاقتصادية التى تهم المجتمع ، وإذ ذاك ترى الصحف تخصص لهـــذا الخبر الضخم مكاناً ظاهراً فيها ؛ وتدعه يشغل حيزاً كبيراً من مساحتها ، وقد يكون ذلك فى الصفحة الأولى من صفحات الجريدة .

وسكرتير التحرير هو الحكم عادة فى مثل هذه الأمور ، ولـكثرة ما يرد عليه من الأخبار يوماً بعد يوم نراه (ذواقة) لهذه المادة الصحفية (نقادة) لها بارعاً فى هذا التذوق والنقد ، كبراعة الصيرفى الماهر فى معرفة الزائف من الصحيح فى النقـــد ، أو الجوهرى الحاذق فى معرفة الجواهر الثمينة التى تعرض عليه فى كل وقت .

ومهما يكن من شىء فالأساس الذى نزن به حكمنا (بالضخامة) هو اهتمام الرأى العام بالخبر ، أو اهتمام أكبر عدد ممكن من الناس بمثل هذا الخبر ، وما أيسر ما يعرف القائمون على الصحيفة هذه الأوزان .

والخبر الضخم فى ذاته خبر متعدد الزوايا ، ولابد للصحيفة من تغطية هذه الزوايا جهد المستطاع .

والأمثلة على الأخبار الضخمة كثيرة فى صحف العالم ، ونريد أن نذكر القارىء ببعضها ، ومنها :

أولا .. مصرع الرئيس كنيدى فى الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر سنة ١٩٦٣ ، وقد شغل هذا الحادث بال الرأى العام العالمى فترة كبيرة منها : الجريمة وكيف حدثت ؟ والدوافع إلى حدوثها ، وصدى الجريمة فى الرأى العام العالمى ، ومنها كذلك الزاوية الإنسانية الخالصة ، وذلك فيما يختص بزوجة الرئيس الأمريكى الراحل وأولاده ، ومنها الزاوية السياسية الخالصة ، ونقصد بها النظر فى سياسة أمريكا بعد مقتل الرئيس كنيدى الذى كان معروفا بحبه للسلام العالمى وحبه لتحقيق هذا الأمل ، وبغضه للتميز العنصرى ، وهو العيب الذى وصمت به السياسة الأمريكية وما زالت موصومة به إلى اليوم .

ثانيا ــ تأميم قناة السويس فى ١٩٥٦/٧/٢٦ ، فقد كان مفاجأة ضخمة للعالم كله ، وأخذت الصحف العربية تتحدث عن هذا الموضوع الضخم ، وتناولته من زوايا كثيرة منها : وصف النبأ الخطير الذى أعلنه الرئيس جمال عبد الناصر والخطاب العام الذى تضمن هذا النبأ ، ومنها : الطرق التى استولى بها المصريون على املاك الشركة فى كل من السويس والاسماعيلية وبور سعيد ، وكيف احتلوا مكاتب الشركة فى هذه المدن الثلاث وفى مدينة القاهرة أيضا .

ومن هذه الزوايا كذلك الصدى العالمى لهذا النبأ الضخم ، وتتبع هذه الأصداء فى العواصم الأوروبية والأمريكية .

ثالثا ــ اجتماع الملوك والرؤساء العرب فى أوائل سنة ١٩٦٤ لبحث المشروع الخاص بتحويل مجرى نهر الأردن ، وهو المشروع الذى الذى أقدمت عليه إسرائيل ، وكان لابد للدولة العربية من أن ترد على هذا

المشروع ، وأن تضع مشروعا عربيا يقابله ، وقد عنيت الصحف المصرية بهذا النبأ الخطير، وتناولته من زوايا كثيرة ، منها : قدوم الملوك والرؤساء العرب إلى القاهرة على الرغم من وجود التوتر السياسى بينهم فى ذلك الوقت ، ومنها : وصف المؤتمر الذى عقد لهذه الغـــاية ، وهى البحث فى المشروع الإسرائيلى ، ومنها : وصف المشروع العربى المقـــابل لهذا المشروع ، ومنها : وصول مائة صحفى ومصور من شتى أنحاء العالم لتغطية هذا الخبر ومنها : وصف الفندق الذى نزل به الملوك والرؤساء ،وهو فندق هلتون ، وكيف انقلب فى لحظة من فندق عام إلى قصر جمهورى .

٥ — الدراما أو المسرحية

(أو مراكز الاهتمام فى الانسان)

إذا صح ما يقال من أن الحياة مسرح عام ، وأن الناس جميعا يمثلون على خشبة هذا المسرح ، فمعنى ذلك أن الصحف هى المسئولة عن تسجيل هذه المسرحية بأحداثها وأشخاصها ومناظرها وألوانها ، لا تدع شيئا من ذلك إلا تحدثت عنه ، وليس شك فى أن المشهورين من الناس غالبـــا ما يكونون أبطال هذا المسرح العـــام ، ولذلك تعنى الصحف بأخبارهم أكثر من غيرهم ، وكما تكون الشهرة للأشخاص تكون كذلك للأماكن وللأحداث وللأعمال ، فأسماء الزعماء والقادة من الناس ، وأسماء فلسطين ومراكش من البلاد ، وتحديد النسل ، ونظام المعاش والمرتبات ، كل ذلك من الأمور التى تثير اهتمام عدد كبير من قراء الصحيفة .

والسبب فى ذلك أن بالإنسان ميلا إلى الاهتمام بالبطولة وبالأبطال ، ولا بد للصحف من إشباع هذا الميل فى نفوس القراء ، والتحدث إليهم كثيراً فى هذا الباب ، وعلى هذا (فالشهرة) فى ذاتها موضوع هام من

موضوعات المسرحية التى تهتم بها الصحافة ، وهى مسرحية الحياة ، وهى فى الوقت ذاته مقوم من مقومات الخبر الصحفى .

ثم إن مسرحية الحياة كثيراً ما تلبس ثوب الغموض والإبهام ، وهذا العنصر يظهر ظهوراً قوياً فى (الجريمة) ، فكلما استعصى على رجال الأمن الوصول إلى أسباب الجريمة أو أشخاص الجريمة كانت أكثر إثارة لفضول القراء ، فإذا قبض رجال الأمن على المجرم انتهت القصة وأسدل عليها الستار .

ومسرحية الحيـــاة كثيراً ماتظهر أيضاً فى شكل رواية مضحكة (كوميدية) ، وإذ ذاك تكون الحوادث الطريفة التى تتألف منها القصة المضحكة بمثابة التوابل على مائدة الصحيفة ، ومن الأمثلة على ذلك : حكاية الغزال الهارب من حديقة الحيوان . . . وحكاية الجمل الذى فر من صاحبه حتى وصل إلى باب عابدين ، وكأنه لاذ بصاحب هذا القصر الكبير ، وحكاية الثور الذى وصل إلى المجمع اللغوى ، وأشباه ذلك .

ولعل أهم ما فى مسرحية الحياة أيضاً (عنصر الغرابة) ، التى تثير فى القراء أشد الرغبة فى القراءة ، وتشبع فضولهم دائماً عن هذا الطريق ، ومن الأمثلة على ذلك :

قصة الطفل الذى يولد فى طائرة .

وصياح الديك الذى تسبب فى موت أسرة كاملة .

وخبر الرجل الميت الذى نهض فى نعشه .

وحكاية الرجل الذى باع الأراضى فى القمر .

وحكاية الصعيدى الذى اشترى الترام فى مصر .

وقصة الشحاذ الذى عثر فجأة على عقد من الماس . . الخ .

والحق أن الفضول الإنسانى شىء لا يمكن إشـــباعه ، ولذا تتسابق

الصحف فى هذا الإشباع ، ولكنها لا تبلغ منه كل ماتريد .

وفى مسرحية الحياة لا يمكننا أن ننسى مطلقاً عنصر (الصراع) . فغريزة القتال من الغرائز التى لا يمكن أن تموت فى الإنسان ، ومن مظاهر هذه الغريزة صراع الرجل ضد الرجل ، وصراع الدولة ضد الدولة ، وصراع العلم ضد الجهل ، وصراع الصحة ضد المرض ، وصراع الإنسان ضد الطبيعة ، وصراع العقيدة ضد العقيدة .

والصحافة لا غنى لها مطلقاً عن استغلال هذه الغريزة ، ولذلك تهتم بتزويد القراء بأخبار من هذا النوع ، ومن الأمثلة عليها : المنافسة بين مرشحين على مقعد من مقاعد مجلس الأمة ، وهى مادة تستحق أن تملأ عموداً فى جريدة ، ومنها قصة الحرب بين معسكرين أو دولتين ، وهى مادة قد تتحدث عنها الصحف أياما وشهورا .

وفى مسرحية الحياة أيضاً لا ينبغى أن ننسى (الغريزة الجنسية) وكيف أنها تلعب دوراً هاماً فى جميع الصحف ، وقد رأينا منذ أعوام كيف أن زواج أميرة من أمراء البيت المالك فى مصر إذ ذاك — هى الأميرة (فتحية) أخت فاروق — من شاب مسيحى هو (رياض غالى) — أتاح للجرائد المصرية أثمن الفرص للكتابة الصحفية المتصلة ، ونخص من هذه الجرائد المصرية بالذكر جريدة « أخبار اليوم » ، فقد اتخذت من هذه القصة مسرحية من أعجب المسرحيات التى مثلت على مسرح الحياة المصرية فى عهد الملك السابق .

للصحافة إذن أن تستغل جميع الغرائز فى الإنسان ، حتى غريزة البحث عن الطعام ، ومن هنا كانت أسعار الخبز واللحم والفاكهة ، وأخبار التموين ، والضرائب التى تفرض على الدخان وغيره أموراً هامة لدى القراء ، ولا مفر للجريدة من العناية بها من أجلهم .

وكل هذه الأشياء مظاهر لمسرحية الحياة ، أو بعبارة أخرى مراكز

لاهتمام القراء ، فعلى الصحافة أن تعنى عناية تامة بهذه المراكز كلها ، وعليها أن تدبر الأخبار بمثل هذه الطرق .

٦ ـ سياسة الصحيفة

وأخيراً نصل إلى عنصر هام من عناصر تقويم الصحيفة للخبر ، وهذا العنصر هو سياسة الصحيفة ، والحق أن من أهم خصائص الخبر الصحفى أن يكون مطابقاً لهذه السياسة ، ومع هذا فمن الباحثين من يرى غير ذلك الرأى ، ويحاول أن ينشر الخبر طليقا من كل قيد ، على أن يكون التعليق الصحفى على الخبر مستقلا تمام الاستقلال عن الصورة التى نشر بها ، ومحققاً للاتجاه السياسى الذى تعرف به الجريدة .

والنزعة الأخيرة فى رأينا أدنى إلى الصواب ، فلا ينبغى للجريدة أن تتحكم فى قرائها مرتين : مرة عندما تنشر الخبر مصبوغاً بلونها السياسى الذى تعرف به ، ومرة عند ما تعلق على الخبر تعليقاً يتفق وهذا اللون ، والصحيفة باتباعها للنزعة الأخيرة تكتسب لنفسها احترام القراء ، وتحظى منهم بالثقة ، ذلك أن التزام الحيدة فى تحرير الأخبار أمانة صحفية ينبغى أن تتحلى بها الصحف ، وهى بعد حرة فى تكييف الأخبـــار وشرحها وتفسيرها وصبغها بالصبغة التى تريدها .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فى الرأى فإن « سياسة الصحيفة » هى التى تستطيع أن تتحكم فى خصائص الخبر ومقوماته ، فتقدم واحداً منها على غيره ، أو تهمله إهمالا تاماً ، ونحو ذلك ، فصحيفة من الصحف تنظر إلى الضخامة على أنها أهم مقومات الخبر ؛ وأخرى تنظر إلى الجدة على أنها الأهم ، وعلى هذا الأساس تقدم خبراً وتؤخر آخر .

وليت الصحف تقف عند حد التحرير المغرض للأخبار ؛ بل إنها تتعداه إلى كتابة العنوانات المثيرة لهذه الأخبار . خذ لذلك مثلا بجانبية

التعليم ، فإن الصحيفة التى ترضى عن هذا المشروع تتخذ له عنواناً كهذا العنوان :

« التعليم حق لكل فرد من أفراد الشعب » .

أو « الحكومة تفتح المدارس والجامعات لجميع أبناء الأمة » .

وأما الصحيفة التى لا ترضى عن المشروع فتنشر الخبر بعنوان كهذا العنوان :

« الحكومة تبذر فى أموال الخزانة العامة » .

أو « الحكومة تحابى الطلبة وترشوهم بالمجانية » .

ومثال آخر : « تجميل مدينة القاهرة وإعادة تخطيط الأحياء الشعبية أو بعض المدن الهامة فى الأقاليم » ، فنرى الصحف المحبذة للموضوع تنشره تحت عنوان : « تجميل مدينة القاهرة » و « انتعاش المدن الكبرى فى الجمهورية العربية » ، ونحو ذلك . أما الجرائد الأخرى — إن صح أنها توجد فى ذلك الوقت — فتنشر الخبر تحت عنوان :

الحكومة تبذر فى أموال الخزانة العامة ، وتتملق الجماهير على حساب المشروعات النافعة » .

وخير من هذه وتلك صحيفة تنشر الخبر كما هو ، وتأتى بنص القرار الذى اتخذته الوزارة فى هذا الصدد أو ذاك . ثم فى مكان آخر بالجريدة تستطيع التعليق عليه بما تشاء ، وبهذه الطريقة يتوفر للخبر عنصران : هما « الدقة » و « الموضوعية » .

على أن هذا وذاك يدعونا إلى التفكير فى الموضوع بطريقة أوسع من هذه الطريقة ، كما يضطرنا إلى الإفاضة فى المذاهب المختلفة لنشر الخبر ، وهو ما سنتحدث عنه فى الفصل التالى :

الفصل الخامس

مذاهب نشر الخبر

عرضنا لطائفة من التعريفات المختلفة للخبر ، وعرفنا شيئاً من خصائص الخبر أو الصفات الأساسية التي ينبغي أن تتصف بها هذه المادة من مواد الصحف ، وأهم هذه الصفات أن يكون الخبر مثيراً لأكبر عدد من القراء ، ولكن ما السبيل إلى هذه الغاية ؟ هناك اتجاهات ثلاثة في هذه المسألة :

الاتجاه الأول :

هو الاتجاه الذي يهدف أولا وأخيراً إلى إثارة القراء . وهو الاتجاه الذي تمتاز به الصحف الشعبية في كل بلد من بلاد العالم في عصرنا هذا ، وهذه الصحف الأخيرة لا تجاريها صحف أخرى في سعة الانتشار وضخامة التوزيع ، ومثلها : صحف (أخبار اليوم) في مصر ، وصحيفة (الديلي اكسبريس) في انجلترا .

ومادام القراء هم الهدف الأول والأخير في هذا المذهب من مذاهب نشر الخبر ، فمعنى ذلك أنهم — أي القراء — هم الذين يملون على الصحيفة نوع الأخبار ، وهم الذين يكون لهم دخل كبير في اختيارها عادة ، وفي ذلك يقول الإنجليز عن رائد الصحافة الشعبية في بلادهم ، وهو نورثكليف (١)

لم يعد هذا الرجل هو الذي يحرر الجريدة ، لأن محرريها الحقيقيين هم القراء .

(١) هو صاحب جريدة The Evening News

ولا شك أن من أهم الصفات التى تثير رغبة القراء فى الأخبار صفة الغرابة أولا، وصفة الدراما ثانياً، ومن الأخيرة صفات الجنس، والغموض والشهرة، والأمور الشخصية، ونحو ذلك (١).

من أجل هذا يقول أصحاب الصحف المتمرسون بها إلى اليوم: «إن الأخبار هى كل شىء خارج المألوف».

ويقول الصحفى المشهور «نور ثكليف» الذى تقدم ذكره:

«فى شارع تسكنه مائة أسرة وأسرة لا يلتفت الناس إلى مائة أسرة تعيش عيشة مألوفة هناك، بينما يلتفتون إلى أسرة واحدة تكون لها حالة شاذة كحالة طلاق أو جريمة، ونحو ذلك».

ومعنى هذا بعبارة وجيزة أن الصحيفة التى تؤثر هذا الاتجاه تقصد دائماً إلى إشباع رغبات الجمهور عن هذا الطريق، وتعترف بحق الجمهور المطلق فى السيطرة على الصحيفة على هذه الصورة؛ وتعتبر أن من أول ما يجب عليها البحث عما يعجب هذا الجمهور، ولا تعمد مطلقاً إلى مقاومته، أو إهمال رغباته وميوله من هذه الناحية.

ولهذا أيضاً نرى الصحف الشعبية التى من هذا النوع تتجنب صفة (الجفاف) فى الأخبار، ولا تبدى عناية تامة بالأخبار الجدية التى تتصل بموضوعات العلم أو السياسة وما إليها.

والملاحظ عادة أن الأخبار الجدية تخلو من عنصر التشويق، ولهذا تقدم الصحف الشعبية أخبار الجريمة والجمال والمسرح أولا، ثم تأتى أخبار المجتمعات الدولية والهيئات الرسمية والمؤتمرات والميزانية والقرارات الحكومية العامة فيها بعد ذلك.

---

(١) إن الصحفى الأمريكى جون بوجارت من كتاب القرن الـ ١٩ ينسب القول المشهور: إذا عض كلب إنساناً فليس هذا هو الخبر، أما إذا عض إنسان كلباً فهذا هو الخبر: كتاب الصحفى الأمريكى.

ويبدو كذلك للمتأمل فى الصحف الشعبية التى تؤثر هذا الاتجاه ، أنها تضطر فى بعض الأحيان إلى أن تتجاوز هذه الحدود إلى ما هو أخطر منها بكثير ، ويكون من نتيجة ذلك أن تولى هذه الصحف كثيراً من الأخبار التافهة عناية كبيرة ، وبدلا من أن تبذل جهدها فى الحصول على الخبر الهام، ثم التعليق عليه ، ثم تفسير كل مايتصل به — نراها تعمد — غير مشكورة — إلى تلك الأخبار ذات الطعوم الحريفة ، إثارة لشهوة القراء ، وانحرافاً بهم إلى العناية بهذه التوافه ، وما تزال الصحافة الشعبية بقرائها تجذبهم إلى هذه الطعوم ، وتعودهم الاكتفاء (بالتوابل) و (المشهيات) من ألوان الأخبار ، حتى يعتاد القراء منها ذلك ، وينصرفوا انصرافاً تاماً عن الألوان الصحفية الأخرى .

وقد حدث فى مصر أن صحيفة شعبية نشرت أخباراً عن الجن والشياطين الذين ظهروا بزعمها فى حى شبرا ، كما نشرت خبرا عن شيخ أو درويش مر على جسده القطار ولم يمت !! .

ومن الحق أن يقال إن التبعة فى هذه الحالة لا تقع فقط على الصحافة ، ولكنها تقع فى الغالب على حالة القلق التى يعانيها الناس فى العصر الحاضر ، أو إلى حالة التوتر النفسى والإرهاق العصبى الذى يصيبهم فى حياتهم العامة ، أو إلى حالة الجهل التى عليها أكثر طبقات الشعب فى وقتنا هذا ، أو إلى الفراغ الذى تشعر به الكثرة من الشباب والفتيات والنساء ، أو إلى جميع هذه الأسباب .

ومع هذا وذاك فإن الصحف الشعبية التى تسير فى هذا الاتجاه تختلف فيما بينها اختلافاً كبيرا من حيث تقديرها للأخبار ، أو من حيث حاسة الشم التى تميز بها بين مختلف هذه الأخبار ، فبعض الصحف الشعبية تميل إلى شىء من الحكمة والرزانة والشعور بتبعة الصحافة ، ومن ثم تحتاط بعض الشىء فى إيراد الأخبار التى تتصف بالدراما أو بالغرابة .

ولكن من الصحف الشعبية فى نفس الوقت ما لا تقيم وزناً ما لهذه

الأشياء ، فتراها تندفع اندفاع السيل فى إيراد الأخبار المثيرة ، ولو كانت جارحة للأخلاق أو منافية لبعض القيم الإنسانية والاجتماعية والدينية فى الأمة ، وهذه الصحافة الأخيرة هى الصحافة الصارخة أو صحافة الجاز Gazz Journalism كما يصفها بعضهم بهذا الوصف ! أو الصحافة الصفراء كما تسمى فى أمريكا .

وإلى أتباع هذا الاتجاه من الصحفيين نوجه الانتباه إلى هذا السؤال ؟ « هل الأخبار دائماً سيئة ؟ »

ويجيب « جون هوهنبرج » صاحب كتاب « الصحفى المحترف » فيقول :

« يقال إن الأزمات والكوارث والمصائب تستخدم دائما من أجل بيع الصحف ، ويقولون إن معظم الصحف تتألف بشكل واضح من مجموعة الفضائح التى تحدث للأفراد والمجتمعات على حد سواء » .

وفى هذه الأحوال تكون « طبيعة الحال شىء من الصدق » ولكن ليس كل الصدق ، فالصحفيون — بتقربهم من الناس — يفضلون الاخبار السارة على الاخبار السيئة .

وقد منحت جائزة بوليتزر إلى محرر صحفى كاد يفقد حياته أثناء محاولته إنقاذ حياة طفلة صغيرة ، كما منحت هذه الجائزة إلى محرر نجح فى إنهاء إضراب عن طريق التقريب بين وجهات نظر الفريقين المتعارضين ، كما منحت لمصور التقط صورة لأحد رجال الشرطة وهو يحادث طفلا فى استعراض عيد رأس السنة الصينية .

وليست هذه إلا أمثلة بسيطة (١) .

أما الاتجاه الثانى ، فهو الاتجاه المحافظ ، وفيه تنظر الصحيفة إلى اعتبارات أخرى إلى جانب الاعتبار الأول الذى هو اهتمام القراء ، ومن هذه الاعتبارات التى تنظر إليها الصحيفة :

---

(١) الترجمة العربية للكتاب للأستاذ فؤاد ص ٦٩

أولاً ـ توخى الصالح العام دائما ، فإذا تعارض هذا الصالح العام مع عنصر الغرابة أو عنصر الدراما أو عنصر الجنس أو عنصر الغموض آثرت الصحيفة الصالح العام على هذه العناصر ، وضحت فى هذه الحالة بجزء كبير من القراء ، أو بعبارة أخرى بجزء من الربح المادى للجريدة .

ثانيا ـ أن تكون المادة الصحفية نفسها ـ خبراً كانت أم مقالا ـ مما يرشد الأفراد ويعلمهم ويثقفهم ويهديهم فى علاقاتهم بالناس وبالحكومة وبالعالم .

ثالثاً ـ أن تكون هذه المادة الصحفية مما يتفق وقواعد العرف أو الذوق ، ولا يخالف قانون البلاد .

وعلى ذلك فأصحاب هذا المذهب الثانى من مذاهب نشر الخبر لا يعترفون بالمبدأ القائل : « قدم إلى قرائك ما يحبونه فقط » . ولكنهم يرون أن على عاتق الصحف واجبا كبيراً هو أن تخلق فى نفوس قرائها الاهتمام بالأخبار الهامة والمسائل العامة ، والأمور التى تتصل بسعادة الجماهير ورفاهية الشعوب ، وتقدم الجماعات الإنسانية ، ونحو ذلك ، وفى هذه الحالة — أى باتباع الاتجاه الثانى من اتجاهات نشر الأخبار — يصبح للخبر الصحفى عندهم تعريف آخر يخالف التعريفات المتقدمة من بعض النواحى ، وهذا التعريف الجديد هو قولهم :

« الخبر الصحفى هو كل شىء يهتم به القراء ، ويكون ذا صلة واضحة بشئونهم الشخصية وأحوالهم الاجتماعية وعلاقاتهم بالدولة وبالأشخاص » .

وهكذا تتسع هوة الخلاف بين الاتجاه الأول المسرف فى التحديد ، والاتجاه الثانى المائل إلى المحافظة والتقييد ، ويظهر هذا الخلاف بينهما — لا من حيث مادة الخبر ذاتها فقط — ولكن من حيث طريقة العرض أيضاً ، فبينما تهتم الصحف الأولى عند نشر الأخبار بإثارة الغرائز ، وتعتمد دائماً على رغبة القراء فى معرفة الأسرار والوقوف على الخبايا ، إذ بالصحف

المحافظة تؤثر العناية بالموضوع الهام من حيث هو دون نظر إلى القراء ، مراعية فى ذلك المطابقة التامة لقواعد الذوق والأخلاق ، وما يتطلبه منها الحرص على الصالح العام والتثقيف العام .

لقد اتسع ميدان الأخبار اتساعا لا يقاس بما كان عليه فى بداية هذا القرن ، وقديما كانت دوائر الشرطة والمحاكم ودوائر الحكومة تقدم معظم مصادر الأخبار للصحف ، أما اليوم فلا يمكن لأى محرر يحترم نفسه أن يتجاهل العلوم والصحة والتعليم وشئون المنزل ، وإعادة إصلاح الضواحى وأخبار الإذاعات ومحطات التليفزيون وعشرات من الميادين الأخرى التى قلما عولجت فى السنوات الماضية ، وقد انتقلت أخبار العمل والعمال من الصفحة المالية حتى استقرت فى الصفحة الأولى جنبا إلى جنب مع أخبار الثورات والانقلابات ، كما أصبحت أخبار العمال شاملة لأشياء أكثر من الاضرابات وما إليها ، أما أخبار الحريات المدنية فتأتى فى الدرجة الأولى من الأهمية :

« وقد كانت جمهرة القراء يوما تهتم بأخبار الأثرياء والمشاهير ، وأخبار الحسان والأشرار من بنى الإنسان فيما مضى ، غير أن هذه الأخبار لم تعد كافية فى وقتنا هذا (١) » .

خذ لذلك مثلا — خطبة لزعيم من الزعماء — فالصحيفة الأولى تاشرها مراعية فى ذلك النواحى التى تجتذب القراء ، معنية فى ذلك بالمظهر الخارجى للخطيب ، فتصف لنا ملابسه ووقفته وحركته ، وصوته ونبراته ، ومايتخلل خطبته أحياناً من النكات ، ومايقابل السامعون به ذلك من شتى الحركات أو التعبيرات ، على حين نجد الصحيفة المحافظة تعني عناية تامة بالخطبة ذاتها . تقسمها إلى موضوعاتها ، وتهتم بنص الخطبة نفسها ، فتأتى بها كاملة فى أغلب الأحيان ، وباختصار تعتمد الصحف المحافظة على عنصر الدقة والجدة

(٢) المصدر السابق ص ٧٠ — بتصرف .

فى إيراد الخبر ، على حين أن الصحيفة الشعبية لا تهتم بهذا الجوهر ، وإنما تكتفى بالطلاء الخارجى فقط ، وفى هذه الحالة تصل الصحف الشعبية أحياناً إلى اختراع التفاصيل . والاهتمام الزائد بشتى عوامل الإثارة والتشويق .

ومهما يكن من شيء فعلى هـــذا النوع المحافظ من الصحف تعتمد الحكومات دائماً فى توضيح سياستها وإقناع الجماهير بها ، فجريدة (التيمس) الإنجليزية تعتمد عليها الحكومة البريطانية فى وضع سياستها الداخلية وسياستها الخارجية ، وجريدة (الطان) الفرنسية تعتمد عليها الحكومة الفرنسية فى مثل ذلك .

وهذه الصحف المحافظة ، وإن كانت قليلة الانتشار ، محدودة التوزيع ، إلا أنها ضرورية للشعوب والحكومات معاً ، ولا تستطيع حكومة منها أن تجد فى نفسها غنى عن مثلها فى وقت من الأوقات (١) .

ولذلك تتمتع الصحف المحافظة بسعة النفوذ والسلطان ، حتى لقد يتجاوز نفوذها الإقليم الذى تطبع فيه إلى بلاد الدنيا كلها ، ويصبح لها صوت مسموع فى كل بلد منها ، ويهتم بها الرجال الرسميون وغير الرسميين فى أنحاء العالم المتمدين .

ولا شك أن هـذه الصحف المحافظة إنما تستمد سلطانها ونفوذها من دقتها أولا ، وتوخيها المصلحة العامة ثانياً ، وارتفاع مستوى مادتها ومستوى قرائها آخر الأمر ، وكثيراً ما يكون قراؤها من أفراد الطبقة الحاكمة ، أو من الذين يمثلون الرأى العام المستنير فى الشعب .

---

(١) يقال إن جريدة التيمس لا يكاد توزيعها يزيد على ٣٠٠ ألف نسخة فى انجلترا ، فى حين أن جريدة الديلى ميرور يرتفع توزيعها عادة إلى خمسة ملايين نسخة فى كل يوم ، ومع ذلك فإن التيمس تتمتع بميزات كثيرة منها جلال القدم ، والسيطرة التامة على سياسة الحكومة هناك .

والاتجاه الثالث والأخير من اتجاهات نشر الخبر ، هو الاتجاه الذى عليه الآن أحدث الصحف ، والصحافة الحديثة — كما يقول بعضهم — كائن حى يتطور بتطور المجتمع ، ولذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه الثالث والأخير أن السياسة الخبرية الصحيحة ليست فى الجمود على طريقة واحدة ، ولكن فى التطور والتجدد بتجديد المجتمعات الإنسانية ذاتها ، وتغير الظروف المحيطة بها ، ومعنى ذلك باختصار أن أصحاب هذا المذهب الأخير فى نشر الخبر يحاولون المزج بين المذهبين السابقين والتقريب بين الاتجاهين السالفين.

والسبب فى انتهاج هذا المذهب الثالث والأخير هو التقدم الذى أصاب المجتمعات الحديثة فى العلم والحضارة ، وثم سبب آخر لانتهاج هذا المذهب أيضاً ، هو أن الصحافة كانت من العوامل الكبيرة التى قربت بين طبقات المجتمع ، وانتهت إلى إيجاد نوع من التجانس العقلى بين أفراده كلهم ، بحيث لم يعد الفرق كبيراً فى الثقافة بين طبقة وأخرى ، كما كان الشأن فى الأجيال القديمة .

والذى لا ريب فيه أن هذه المشاكلة بين طبقات الأمة دليل على الصحة العقلية لهذه الأمة ، والذى لا ريب فيه أيضاً أن الصحافة صاحبة الفضل الأول فى استمتاع المجتمعات الحديثة بهذه الصفة .

فإذا صح ما نقول ـ وهو صحيح فى كثير من مجتمعات العالم الحديث ـ فقد وجب على الصحافة الحديثة أن تعنى بأمرين اثنين عناية متساوية فى كليهما :

الأمر الأول — هو تسلية الجمهور .

الأمر الثانى — هو تثقيف الجمهور .

والعناية المتساوية بهذين الأمرين معاً تحمل الجريدة على الجمع بين المذهبين السابقين من مذاهب نشر الخبر ، فإن المذهب الأول لا يصلح إلا لمخاطبة العوام من الناس ، والمذهب الثانى بمن فى سموه وترفعه على الناس.

والمزج هو الطريقة المثلى لمخاطبة العدد الأكبر من جمهور الشعب على اختلاف طبقاته .

كان الصحفيون قديماً يقولون :

« إن كلباً عض رجلا » ليس خبراً يستحق النشر ، ولكن « رجلا عض كلباً » هو الخبر الذى يستحق النشر »

فأصبح الصحفيون حديثاً يقولون :

« إن رجلا عض كلباً » ليس خبراً ينشر ، لخلوه من الدلالة والقيمة بالنسبة للقراء الذين لا يهتمون بهذا الخبر إلا إذا عرفوا : « أن هذا الكلب مسعور ، أو أنه أصبح خطراً يهدد سكان المدينة أجمعين » .

وهكذا أصبح جمهور القارئين لا يعبأ بالمبالغات الصحفية التى تظهره بمظهر الأطفال أو المغفلين ، بل أصبح هذا الجمهور يسعى وراء الدقة والعناية بالجوهر وبغير ذلك من الأمور التى تظهر قراء الجريدة بمظهر الكبار الراشدين ، ولعل هذا الشعور هو ما أفضى بجريدة فرنسية يقال لها la Press إلى التوقف تماماً عن الصدور ، وذلك فى سنة ١٩٢٧ بعد أن بالغت فى التغرير بالجمهور ، وأمعنت فى تزويده بالأخبار الشاذة الغريبة التى خلا أكثرها من الصحة ، فاضطر الجمهور إلى مهاجمة هذه الجريدة الكاذبة فى دارها ، وحكم عليها بالتوقف عن الصدور (١) .

وحدث مرة أن نشرت جريدة « كوكب الشرق » فى مصر خبراً عن زيارة الرئيس السابق مصطفى النحاس لبنى سويف ، وبالغت فى وصف الزيارة ، وجرت وراء الخيال فى هذه المبالغة ، ثم ظهر أن النحاس لم يغادر مدينة القاهرة ، فسقطت الجريدة من أعين القراء ، وعانت كثيراً من هذه الحالة .

(١) من الأخبار التى نشرتها هذه الجريدة خبر عن وصول طيارين مغامرين إلى نيويورك بعد أن عبرا المحيط الأطلنطى لأول مرة ، ثم تبين فيما بعد أن الطائرة سقطت فى المحيط !

الحق أن « موضوعية » الخبر — أو بعبارة أخرى — الاهتمام به من حيث الموضوع أهم فى نظر الصحافة الصحيحة من « ذاتية » الخبر؛ بمعنى ترك الخبر يحمل رأى ناشره ، والذى لاشك فيه أن الاتجاه الثالث والأخير أضمن « لموضوعية » الخبر من الاتجاهين السابقين .

والحق أن الدقة فى نشر الخبر من ألزم الصفات لنجاح الصحف ، وفى ذلك يقول الصحفى (جوزيف بولتيزر) صاحب جريدة العالم The world « الدقة للصحيفة كالعفة للمرأة » .

وإذن فلا عذر لصحيفة من الصحف فى تساهلها بعض الشىء فى صفة « الدقة » إلا فى حالة واحدة فقط ، هى توخى الصالح العام للمجتمع ، وفى هذه الحالة تستطيع الصحف أن تقصد إلى بعض التحريف فى الخبر ، وهذا ما يسمى عند الصحفيين (الأكاذيب البيضاء) ، فإذا فرض أن وباء عاماً انتشر فى البلد ، وخافت الحكومة من نشر الأخبار الصادقة الدقيقة عن هذا الوباء حتى لا يستولى على الناس الهلع ، فهنا توحى الحكومة إلى الصحف باستعمال الكذب ، وهو حلال فى هذه الحالة وأمثالها فقط .

وباختصار ينبغى للصحف الحديثة أن تؤثر الاتجاه الثالث والأخير من اتجاهات نشر الخبر ، ولا بد لهذا الاتجاه الأخير من أن يتصف بطائفة أخرى من الصفات، فضلاعن صفتى الموضوعية والدقة اللتين تحدثنا عنهما، ومن هذه الصفات الأخرى :

١ — صفة « التنوع » ، فلا يجمل بصحيفة ما أن تكتفى بطعام واحد من الطعوم التى تقدمها للقراء ، بل عليها أن تتخذ من نفسها مائدة حافلة بألوان مختلفة من الطعام ، حتى يقبل عليها القراء ويصيب كل منهم ما يرغب فيه من هذه الألوان .

٢ — صفة « الشمول » ، وهى تلك النزعة الحديثة فى الصحافة ، وباتباعها يصبح على الصحف أن تكون واسعة الأفق ، حاوية لكثير

من المعلومات التى تتصل بالمكان الذى تصدر فيه ، والأماكن الأخرى البعيدة عنها فى أطراف هذا العالم المتحضر . والقراء فى حاجة مستمرة إلى الإحاطة بكل ما يجد فى جميع أنحاء العالم . ويلاحظ الكثيرون أن الأخبار ذات الصبغة العالمية أصبحت تحتل مكاناً عظيماً فى أكثر الصحف ، وفى ذلك تقول مجموعة صحف هرست الأمريكية التى أربى توزيعها على ٢٠ مليوناً من النسخ : « إن أمريكا تلح فى أن تعلم كل ما يحدث ، وكل ما هو خطير وحيوى ، وكل ما هو أقل خطورة وحيوية . إنها يجب أن تعلم ما إذا كان ملك من ملوك البلقان قد أزيح عن عرشه أم لا ؟ كما يجب أن تعلم فى الوقت نفسه بما حدث أمس فى المدينة أو الدولة ، وبمن مات ، وبمن تزوج ونحو ذلك ، فإنه من تلك الاشياء الدقيقة والجليلة والتافهة ، والخطيرة ، تتألف مجموعة الاخبار اليومية التى لا بد أن تملأ بها الصحف .

على أن الخبر الصحفى مهما كانت الطريقة التى ينشر بها ، أو المذهب الذى يتبع فى ذلك لا بد له من صفتين هما : التشويق والإيجاز ، فقد مضى الوقت الذى كانت تسلك فيه الأخبار مسلك الإسهاب ، وأصبحنا فى زمن ينبغى ألا نقدم فيه هذا الطعام الصحفى فى أطباق يجلس لها الطاعمون إلى الموائد العظيمة ، بل يجب تقديم هذا الطعام الصحفى على شكل شطائر كلما أمكن ذلك .

وهذا وذاك يجرنا إلى الخوض فى موضوع جديد من الموضوعات التى تتصل بالخبر الصحفى ، وهو موضوع « صياغة الخبر » ، أو « القوالب الفنية لصياغته » :

الفصل السادس

قوالب صياغة الخبر

لصياغة الخبر الصحفي حتى الآن قوالب ثلاثة أو أربعة ، هي :

أولا — قالب السرد الصحفي.

ثانياً — قالب الحديث المنقول .

ثالثا — قالب القصة الإخبارية .

رابعا — القالب غير الفنى .

وسنفصل القول بعض الشيء فى القوالب الثلاثة الأولى لصلتها الوثيقة بالفن الصحفى من حيث هو ، أما القالب الاخير الذى لاصلة له بهذا الفن فقد دعا إلى ذكره هنا رأى لبعض العلماء ذهبوا فيه إلى أن من الجائز أن يصاغ الخبر صياغة غير فنية ، أى بدون عنوان ، وبدون خطة ، وبدون شرح ، فإن ذلك ربما يضطر القارىء إلى قراءة الخبر كله من أوله إلى آخره ، وبهذه الطريقة تكون معلومات القراء كافية لتكوين الرأى العام ، أما التأنق فى كتابة الخبر، والمبالغة فى اتباع الطرق الفنية فى صياغته فقد تصرفان بعض القراء عن مطالعته ، وتحملهم على الاكتفاء بالعنوان أو على الاكثر بجزء يسير من مقدمات الاخبار .

غير أن هذا الرأى لا يظفر إلا بعدد قليل جداً من الأنصار ، وإن كانت بعض الصحف تسلك هذه الطريقة فى طائفة قليلة من أخبارها التى قل أن تلتفت إليها أنظار القراء .

وقبل أن نخوض فى الكلام عن القوالب الثلاثة التى أشرنا اليها يجدر بنا أن نلفت النظر إلى ما يلى :

« إنه كثيراً ما يحدث أن يكلف الصحفي بتغطية موضوع شامل لكل هذه القوالب الثلاثة ، وفي هذه الحالة يتطور التكوين الفني لكتابة الخبر ويصبح أدنى إلى التعقيد، ولكنه لايخرج في مجموعه عن الشكل الفني لكتابة الخبر ، وهو الشكل الذي سنشرحه بعد الفراغ من الكلام عن الأشكال الفنية الثلاثة لكتابة الخبر .

وهذا بالقالب الأول من القوالب الفنية .

قالب السرد :

تعتبر طريقة السرد أيسر الطرق الفنية على الإطلاق ، ومع هذا وذاك فإن أنسب الصور الفنية لصياغة الخبر بهذه الطريقة هي صورة الهرم المقلوب ، بمعنى أن يكون للخبر صدر Lead ، وجسم أو صلب Body ، وسنشرح بعد قليل ما هو المقصود بهذين اللفظين ، ففي الصدر تكتب خلاصة الأخبار بعبارات قصيرة فيها عنصر الإثارة ، وفي الجسم أو الصلب تكتب الحقائق واحدة إثر الأخرى حتى نهايتها .

ولنضرب لذلك مثلا من حياة الطلبة في الجامعة ، وهو :

نتائج امتحانات الفترة الأولى بكلية الآداب .

ويمكن نشر هذا الخبر بطريقة السرد على هذا النحو :

نسبة النجاح في الفترة الأولى لامتحانات كاية الآداب لا تتجاوز ٢٠ ٪ ، وهذا هو مصدر الخبر ، أما الجسم فإنه يتألف من الحقائق الآتية :

الحقيقة الأولى ـ أعلنت كاية الآداب اليوم نتيجة امتحان الفترة الأولى في جميع الأقسام للعام الدراسي ١٩٥٥ — ١٩٥٦ » .

الحقيقة الثانية ـ « ظهر أن النتيجة غير مرضية ، لأن نسبة النجاح في جميع الأقسام بوجه عام لا تتجاوز ٢٠٪ فقد تقدم للامتحان عدد

كذا ... ونجح من هؤلاء عدد كذا .. ورسب الباقون وعددهم كذا .. ونجح من هؤلاء عدد كذا . . ورسب الباقون وعددهم كذا . . »

الحقيقة الثالثة ـ «غير أن نسبة النجاح فى أقسام اللغة العربية والصحافة والتاريخ كانت أعلى منها فى بقية الأقسام الأخرى ، فقد بلغت هذه النسبة فى قسم اللغة العربية ٤٠٪ ، وفى قسم الصحافة ٥٠٪ ، وفى قسم التاريخ ٦٠٪ » .

الحقيقة الرابعة ـ « وقد تبين من الإحصاء الأخير أن الراسبين بسبب المرض أو الأعذار القهرية التى حالت دون دخولهم الامتحان تبلغ نسبتهم ٧٪ من جميع المتقدمين لامتحان الفترة الأولى ، ولهؤلاء الحق فى امتحان الدور الثانى » .

على أن قالب السرد يأخذ أحياناً شكل الحكاية الصغيرة ، وهنا تحكى الجريدة الخبر لا على شكل هرم مقلوب ، ولكن على شكل هرم معتدل ، وذلك كما فى الخبر البسيط الذى نشرته جريدة « أخبار اليوم » القاهرية بتاريخ ٢١ /١٠ /١٩٦٧ على النحو التالى :

هس ، ولا كلمة

الزبون يجلس على كرسى الحلاقة ، ووجهه مغطى بالصابون وجاكتته معلقة على الحائط وراءه ، ورأسه محشوة بكلام الحلاق الذى لا يفرغ . شاب يتسلل إلى الصالون ، جسمه فى حركة غريبة ، أصبعه فوق أنفه ، وفمه فى حركة تحذير للحلاق بألا يتكلم . كعب رجله مرفوع ، وهو يمشى على أطراف أصابعه ، ابتسامة شفتيه تطل من عينيه ، وفى هدوء مد يده وأخذ جاكتة الزبون وخرج ، والحلاق يبتسم هزلا وهو يكتم السر ـ سر صديق يعابث صديقه ويعمل فيه مقلباً طريفا . الزبون ينتهى من الحلاقة ويقف على الأرض ملتفتاً إلى الوراء يسأل عن جاكتته ، الحـــلاق بضحك

ثم يضحك ، وهو يشير إلى الخارج وشفتاه تتمتم : ما خدها صاحبك :
واختفت الابتسامة وابتلع الحلاق ضحكته عندما انقلبت المسألة جداً .
كان الاثنان ضحية لص ظريف ، وانتقل الامر إلى قسم البوليس .

قالب الحديث المنقول :

فى هذه الطريقة من طرق نشر الخبر ، تظهر عناية الصحيفة بالخطب والبيانات والرسائل ، ونحوها من المواد التى يسجلهـا المخبر الصحفى ، ويسلك فى كتابتها طريقة المستطيلات الكبيرة والصغيرة ، حتى ينتهى من نقل هذه المادة .

وتمثل المستطيلات الصغيرة الكلام المنقول بنصه تماماً ، كما تمثل المستطيلات الكبيرة ملخص هذا الكلام وشرحه للقراء ، وذلك على النحو الآتى :

ملخص

كلام منقول

ملخص

كلام منقول

ملخص

كلام منقول

وهكذا . . .

ومن السهولة بمكان أن نتصور حديثاً منقولا عن رئيس الحكومة المصرية حول موضوع « تسليح الجيش » فإن هذا الحديث يمكن تقطيعه إلى أجزاء يستقل كل جزء منها بفكرة من الأفكار المتصلة بالموضوع ، ثم نرى المخبر الصحفى يتبع هـذا الجزء بشىء من التلخيص أو الشرح ،

ولا أقول التعليق، لأن التعليق وظيفة أخرى، وطريقته فى الكتابة مخالفة.

وغنى عن البيان أن الحديث المنقول شىء، والحديث الصحفى المعروف شىء آخر، كما سنعرف ذلك فى فصول أخرى من هذا الكتاب إن شاء الله.

مثال ذلك ما نشرته صحيفة الأهرام بتاريخ ١٩٥٩/١٢/٢

استئناف العلاقات الدبلوماسية

بين الجمهورية العربية وانجلترة

اتفقت حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة المملكة المتحدة على استئناف علاقاتهما الدبلوماسية بدرجة قائم بالأعمال، اتفقتا على أن يكون السيد كمال الدين خليل هو القائم العربى فى لندن، وأن يكون المستر كولن كرو هو القائم البريطانى فى القاهرة.

(وهذا هو صدر الخبر أو خلاصته)، ثم أخذت الأهرام بعد ذلك فى التفاصيل، متبعة فى ذلك طريقة الحديث المنقول على النحو التالى:

كرو يعلن اغتباطه بعودة العلاقات

قال مستر كرو: إنه يعتبر البيان المشترك خطوة مفيدة للغاية فى تنمية العلاقات بين البلدين.

وأضاف كرو: إنه ينتظر وصول خطاب تعيينه من مستر سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا ليقوم بتقديم ا الخطاب إلى وزارة الخارجية العربية.

ثم أتت الصحيفة بتفسير عارض لهذه العبارة السابقة فقالت مايلى: والمعروف أن أوراق اعتماد القائم بالأعمال إنما تقدم إلى وزير الخارجية

طبقاً للعرف الدبلوماسى ، بينما تقدم أوراق الوزير المفوض أو السفير إلى رئيس الدولة .

(ثم مضت الأهرام تقول) :

وقال كروـ الذى يعمل لأول مرة فى القاهرة ومنطقة الشرق الأوسط : إن عملية تسلم السفارة البريطانية من جديد سيستغرق ثلاثة أسابيع على الأقل إلى أن يصل باقى موظفى السفارة من لندن وخاصة القنصل الجديد ، وإلى أن يتم ذلك ستمضى السفارة السويسرية فى تصريف أمور البريطانيين ومنح تأشيرات السفر .

وعلمت الأهرام من تصريح لمستر آرثر جفرى المستشار الاقتصادى للسفارة البريطانية أن عملية استئناف العلاقات ستتم فى هدوء ، ولن يرفع العلم البريطانى فوق مبنى السفارة إلا بعد تسلمها نهائياً .

عنوان الخبر

للخبر فى أية صيغة من صيغه ، أو قالب من قوالبه، عنوان يعرف به ، ويدل عليه ، وكتابة العنوان بحاجة إلى مهارة فنية ، يمكن الحصول عليها بالممارسة وطول التجربة .

غير أنه يشترط فى كتابة العنوان ـ على أية حال ـ أن تتوافر فيها أمور منها :

أولا ـ المطابقة التامة بين عنوان الخبر وموضوع هذا الخبر ، فكثيراً ما نرى بعض الصحف الشعبية تضع للخبر عنواناً مثيراً جذاباً ، ولكنه ليس مطابقاً لواقع هذا الخبر بحال ما ، وليس من شك فى أن هذا نوع من الكذب على القراء يضر بالصحيفة ، ويدخل اليأس إلى قلوب قرائها

ثانياً ـ الإثارة ، ولكن بشرط ألا تعتمد هذه الإثارة على التهويل الكاذب والمخرفة المعيبة ، والتهويش الخداع ، وإلا فقدت الجريدة ثقة القراء بها ، وصعب عليها أن تسترد هذه الثقة .

والملاحظ أن بعض الأخبار ربما احتاج إلى عنوانات كثيرة يوضع بعضها تحت بعض ، وتخالف الجريدة فى نوع الحروف التى تكتب بها هذه العنوانات ، فهى تخالف الجريدة فى نوع الخطوط التى تستعمل فى كتابتها كأن تكتب السطر الأول بالخط الثلث ، والثانى بالخط الرقعة ، والثالث بالخط الفارسى ، وهكذا .

ثالثاً ـ القصر ، ولا بد للعنوان على أية حال من أن يكون قصيرا بقدر الإمكان ، وأن يكون فى الوقت نفسه قوى الدلالة على فحوى الخبر وكثيرا ما تجد الصحف تختار من موضوع السرد الصحفى أو الحديث المنقول أهم جملة فيه لتكون عنواناً للخبر نفسه ، وقد تكون هذه الجملة تصريحاً لوزير ، أو لرجل مسئول ، مثال ذلك قول بعض الصحف :

وزير التموين يقول : « إن الرغيف الأبيض سيظهر غدا » .

أو قول بعض الصحف :

« مجلس الأمن يقرر فرض العقوبة على إسرائيل » .

رابعاً ـ كثيراً ما يكون العنوان فى العادة جواباً لسؤال : « ماذا » ، وقلما يكون جواباً « لسؤال : أين : أو لسؤال : متى .

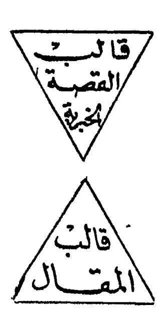
قالب القصة الإخبارية :

فى هذا القالب تتبارى الصحف ، ويظهر الصحفيون مقدرتهم الفنية ويتفاوتون تفاوتاً كبيرا فى صياغته .

وللقصة الإخبارية أصول عند أهل هـــذه الحرفة قلما يتعدونها إلى غيرها ، وقلما يتصرفون تصرفاً ظاهراً فى بعضها ، ومن هنا كان الفرق كبيرا بين الكتابة الأدبية الخالصة ، والكتابة الصحفية الخالصة .

فبينما نرى الصحفى مقيدا بهذه الأصول أو الصور الفنية للقصة الإخبارية ، إذ بنا نرى الأديب طليقا من جميع هذه القيود ، حراً فى الوقت

نفسه فى اختيار الوقت الذى يكتب فيه إنتاجه الأدبى ، حراً كذلك فى المادة التى يخلق منها هذا النتاج . فما هى القوالب الصحفية التى يجب على الصحفى أن يصب فيها قصته الإخبارية ؟



اتفق رجال الصحف على أن تكون هذه القوالب Paterns على شكل (هرم مقلوب) بمعنى أن الصحفى يأتى بالفكرة الرئيسة أو ما يسمى بالصدرThe lead أولا : ثم يأتى بالتفاصيل أو الجسم بعد ذلك .

وعكس هذا تماماً يحدث فى المقال ، فإن الفكرة النهائية أو الخلاصة تأتى فى النهاية ، وأما الشواهد والتفاصيل فتكون قبل ذلك أى أن القالب الفنى للمقال الصحفى يجب أن يكون على شكل هرم قائم أو معتدل .

* * *

ويشترك فى تحرير الخبر الصحفى عادة رجلان : هما المخبر أو المحرر الصحفى خارج الدار ، والمراجع أو المحرر الصحفى داخل الدار ، فالمخبر أو المحرر خارج الدار — واسمه Sub Editor — هو الذى يأتى بالأخبار مصوغة على عجل ، وبشكل من الأشكال حيثما اتفق

ولكن متى وصلت هذه الأخبار إلى المراجع فإنه يقوم بصياغتها من جديد ، ثم يبعث بها — كما سبق أن قلنا — إلى سكرتير التحرير ، وهذا الأخير هو المسئول الحقيق عن أخبار الصحيفة ، وعن الملاءمة التامة بين جميع المواد من حيث الموضوع ، والسياسة العامة ، والإخراج الفنى فى النهاية .

ونعود إلى القصة الخبرية فنرى أنها تتألف — كما قلنا — من جزءين هامين هما : الصدر The lead ، والجسم The Body .

أما صدر الخبر

فينبغي أن تتوافر فيه شروط منها :

أولا — أن يشتمل على أهم النقط الرئيسة للقصة الخبرية .

ثانياً — أن يكتب فى جملة واحدة ، أو جمل قصيرة ليست بالكثيرة ، ولكنها مثيرة بقدر المستطاع ، وليس من المفروض أن تكون بينها أدوات الربط .

ثالثاً — أن يكوّن إجابة واضحة عن ستة أسئلة معروفة ، وهى :

من ، ماذا ، متى ، أين ، كيف ، ولماذا .

فمن الذى اشترك فى الحادث ؟

وماذا حدث فيه ؟

ومتى كان ذلك ؟

وأين كان هذا الحادث ؟

وما الطريقة التى تم بها ؟

رابعاً — أن تكون ملامح القصة الخبرية واضحة فى صدرها بحيث تتميز عن غيرها كى يستطيع القارىء أن يكتفى بها — أى بملامح القصة الإخبارية فى صدرها — عن تكملة قراءة القصة كلها إن ضاق وقته عن هذه التكملة .

الأسئلة الستة وطريقة استخدامها :

قلنا إنه ينبغى للمحرر الصحفى قبل كتابة الخبر بأية طريقة من الطرق أن يلقى على نفسه الأسئلة الستة المعروفة التى هى :

من ، ومتى ، وأين ، وماذا ، وكيف ، ولماذا ؟

غير أن من الأخطاء التى يتورط فيها المبتدئون من غير المجربين أن يحاولوا الإجابة على هذه الأسئلة بطريقة آلية بحتة ، لا حظ لها من الذوق وحسن التناول ، على حين أنه ينبغى للمحرر الذكى دائماً قبل الإجابة على هذه الأسئلة أن يوازن بينها موازنة دقيقة وسريعة وجيدة فى وقت معاً ، فيبدأ بالأهم منها ، ثم المهم وهكذا .

ومقياس الأهمية هنا هو القارىء قبل كل شىء آخر ، فمن الجائز فى بعض الأحيان أن يكون اسم الشخص الذى وقع عليه الحادث من الأسماء اللامعة فى المجتمع ، وفى هذه الحالة تكون الإجابة عن السؤال (من ؟) هى المقدمة على بقية الأسئلة ، ومن الجائز أن تكون الطريقة التى حدث بها الحادث غريبة كل الغرابة ، فتصبح فى نظر القراء هى الأهم ، وفى هذه الحالة تكون الإجابة عن السؤال (كيف ؟) هى المقدمة وهكذا .

نعم ، يجب على المحرر أن يفاضل بذوقه الصحفى بين الأسئلة الستة المعروفة ، وعليه مع هذه المفاضلة أن يقوم بعمل آخر ، هو أن يرجىء الإجابات على بعض هذه الأسئلة إلى فقرة أخرى من الفقرات الاستهلالية التى يتألف منها (صدر الخبر) ، ففى ذلك توفير للحرية التى يجب أن يتمتع بها المحرر فى تحرير الخبر ، وفيه إطلاق له ولقلمه من القيود المصطنعة التى يضعها نقاد الصحف ، وبغير هذا كله تخرج المادة الصحفية بعيدة عن الذوق الصحفى الذى أشرنا إليه ، وتبـــدو وكأنها مفتقرة إلى المعنى الإنسانى ، أو اللون الاجتماعى ، أو الجذب النفسى الذى يحتاج إليه القارىء دائماً فى قراءة الخبر .

وفى هذا المعنى يقول الأستاذ نيل Neal (١) :

---

(١) فى كتابه : News Getting & news writing P. 314 .

« لكى ينجح المحرر الصحفى فى كتابة الخبر الداخلى يجب عليه أن يحسب حساب القارىء العادى أولا ، والذى لاشك فيه - مثلا - أن الإحصاءات قلما تهم هذا القارىء العادى ، ولكن الذى يعنيه حقيقة إنما هو انفعاله بالحادث الذى يقرؤه ، كما لو كان أحد شهوده ، أو كان أحد المشتركين فيه ، وإذ ذاك فقط يتخيل القارىء نفسه فى هذا الموقف ، فيقبل على قراءة الحادث ، ويتابع قراءته إلى نهايته » :

وعلى ذلك فالمحرر الصحفى بإزاء الأسئلة التقليدية المعروفة يؤدى بسرعة كبيرة ولباقة ظاهرة عملين فى وقت معاً :

أولهما - المفاضلة السريعة بين الإجابات الست السابقة .

ثانيهما - إعمال الذوق الصحفى فى هذه المفاضلة .

وإليك أيها القارىء بعض الأمثلة اليسيرة لتوضيح هذه القاعدة :

قرأت عن الحادثة المفزعة التى غرقت فيها السيدة أسماء فهمى عميدة معهد التربية العالى للمعلمات ، وعرفت أنها كانت تقود سيارتها وهى عالمة بفساد شكائمها (فراملها)، ومع ذلك فقد جازفت السيدة المذكورة ، وقادت سيارتها إلى ترعة عند أول شارع الهرم ، وكان من نتيجة هذا أنها غرقت دون أن ينقذها أحد .

فى هذا المثال وجدنا اسماً لامعاً فى المجتمع ، هو اسم السيدة أسماء فهمى ، ولذا رأينا جميع الصحف تبدأ قصة هذا الخبر بذكر الاسم أولا ، ولو ماتت هذه السيدة بطريقة طبيعية لما احتاج الأمر إلى أكثر من ذكر اسمها فى قائمة الوفيات بشكل من الأشكال ، ولكن لأنها ماتت بهذه الطريقة المروعة ، ولكونها علماً من الأعلام المشهورة فى مصر فى تلك الآونة ، فقد اقتضى ذلك ذكر اسمها أولا ، ثم كيفية الحادث نفسه ثانياً ، ثم تفصيل الحادث فى نهاية الأمر .

أما انفعال القراء بهذا الحادث فيأتى بطريقتين :

أولاهما ـ صلة السيدة أسماء فهى بكثيرين من المشتغلين بالتعليم الجامعى ، وغير التعليم الجامعى ، وبالطالبات اللائى يتعلمن بالمعهد العالى ، وبأسر الطالبات .. الخ .

والثانية ـ أن يتخيل القـــارىء نفسه فى موقف مشابه لهذه الحادثة المفزعة ، وهذا يضطره إلى متابعة القصة الخبرية ، وإلى أن يدخر فى أعماق نفسه هذه التجربة أو الموعظة .

وإليك مثلا آخر :

هب أنك أيها القارىء علمت نبأ صبية صغار كانوا يلعبون فى بيت أحدهم ، ودخلوا غرفة من غرف البيت هى غرفة « المكتب » ، وفتح الصبي مكتب والده ، وأخرج من أحد أدراجه « مسدساً » ، فدعت غريزة حب الاستطلاع فى هذا الصبي إلى معرفة كنه هذه الآلة الغريبة فى نظره ونظر زملائه من الصبية ، وبينما تداعب أنامله الصغيرة هذا المسدس — وكان محشواً بالرصاص — انطلق فى صدر المسكين ، فوقع قتيلا لساعته .

لا شك أنك تلاحظ أن الطريقة التى وقع بها هذا الحادث هى الأهم ، وهى التى تلفت نظر القارىء قبل غيرها ، وهنا وجب على الصحيفة التى تنشر هذا الخبر أن تعنى بكيفية الحادث أولا ، وتجعل من العنوانات الكبيرة والعنوانات الصغيرة ، ومن الجمل التى يتألف منها صدر الخبر أداة طيبة لبيان الصورة التى وقع بها هذا الحادث المؤلم . أما الزمان والمكان وأسماء الأشخاص فأمور تأتى بعد ذلك .

ومهما يكن من شىء فالذى نلاحظه غالباً فى القصص الخبرية بالصحف أن (سبب) وقوع الحادث من جهة ، و (كيفية) الوقوع من جهة ثانية هما العنصران اللذان . . . ن حادثة ما عن الحوادث الأخرى ، ثم يزداد

القارىء معرفة بهذا الحادث بعد ذلك عند ذكر المكان والزمان ، وذلك كله ما لم يكن الشخص المصاب فى الحادثة من الأسماء المشهورة، أو الشخصيات البارزة ، وذلك كله أيضاً مالم يكن فى الأسماء المتصلة بالحادث مايحرك اهتمام طائفة بعينها من سكان القطر أو المدينة التى تنشر فيها الصحيفة.

مثال ذلك :

غرق عشرون شابا كانوا فى زورق صغير لم يتسع لهم جميعاً إلا بصعوبة حين اصطدم هذا الزورق بصخرة فى النيل لم يتنبه لها الشبان الراكبون لتزاحمهم فى الزورق.

فى مثل هذا الحادث نجد أن سبب الوقوع وصورة هذا الوقوع هما اللذان استرعيا اهتمام القراء بالصحيفة . وفى مثل هذه الحالة تجد الصحيفة نفسها مضطرة إلى العناية التامة بهذين العنصرين من عناصر الخبر ، مضطرة إلى قلة العناية بالأشخاص الذين غرقوا ، أو الوقت الذى غرقوا فيه ، أو قل مرجئة ذلك كله إلى الفقرة أو الفقرات التى تأتى بعد الفقرات الأولى عادة .

وعلى هذا فإن المهم فى صدر الخبر دائماً أن يكون من المرونة الكافية بحيث يتشكل بأشكال الحوادث . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ينبغى أن يحذر المحرر التفاصيل الكثيرة التى يحشو بها صدر الخبر ، فإن فى ذلك مايعوق القارىء منذ اللحظة الأولى - عن متابعة القراءة .

وهذا وذاك يتطلبان من المحرر على الدوام أن يكون واسع الحيلة ، حسن التناول ، جميل الذوق ، دقيق التصرف فى كل حالة من حالات نشر الخبر ، وهو فى هذا كله أشبه بالمحامى الذى يعد لكل قضية من القضايا حلا مخالفاً كل المخالفة للحل الذى يعده للقضية الأخرى ، أو أشبه بالمدرس الذى يفهم الأطفال بطريقة تخالف طريقة المراهقين ، ويشرح لهؤلاء بطريقة غير طريقة الشبان الذين تجاوزوا العشرين وهكذا .

طرق التجديد فى صياغة صدر الخبر :

لاحظنا مما تقدم أن لصدر الخبر أهمية خاصة فى الصحف ، فعليها تعتمد هذه الصحف دائماً فى إثارة القراء ، وصحيح أن الإجابة عن الأسئلة الستة المعروفة تساعد فى الغالب على إشباع فضول القارئ ، وتدفعه إلى متابعة القراءة مادام لديه متسع من الوقت لذلك . ولكن المحرر الخبير بشئون الصحافة يستطيع الخروج أحياناً على القوالب المعروفة ، ويمكنه أن يستحدث بعض الطرق التى يصوغ فيها أخباره ، وكثيراً ما يكون ذلك منه استجابة لرغبات القراء ، أو مطابقة لمقتضى الحال ، أو استرعاء للأذهان ، ونحو ذلك .

ومن طرق التجديد فى صياغة الأخبار على سبيل المثال ما يلى :

أولا ـ حشد جميع عناصر الإثارة فى الجملة الأولى من الجمل التى يشتمل عليها « الصدر » ، وهى الجملة التى تقوم مقام العنوان فى معظم الأحيان ، كأن يقول :

* صياح ديك يسبب موت طبيب .
* فأر صغير يعطل حركة المرور .
* جمل المحمل يلوذ بعابدين .
* زوجة رئيس وزراء ترى فى نقطة البوليس .
* سفينتان من سفن الفضاء توشكان أن تصطدما .

ولكن على الصحف بعد ذلك أن تحافظ على حماسة القارئ الذى يقرأ صدراً من هذا النوع .

ثانياً ـ من طرق التجديد فى صدر الخبر أن تعمد الصحيفة إلى رسم صورة وصفية تلفت النظر إلى الشخص الأول والأهم فى القصة الإخبارية . كأن تبدأ عنه بمثل هذه العبارة :

« كان وجهه ممتقعاً ، وكانت شفتاه تتمتمان بحركات وألفـــاظ غير مفهومة . . الخ » .

ثالثاً — من طرق التجديد كذلك الاعتماد على المفارقات والمفاجآت ، كأن تقول : « فلان الكناس يكتشف أنه الوريث الوحيد لأكبر رجل إقطاعي في الصعيد . . . » .

مثال آخر :

« في صوت هادىء واضح النبرات ، وبألفاظ محددة لا غموض فيها ولا إبهام ، وفي ثقة كاملة بسلامة الموقف ، واقتناع تام واطمئنان كامل ببراءة الذمة ـ استطاع رئيس الوزراء أن يواجه سيل الأسئلة التي وجهت إليه أمس في مؤتمر صحفي عقده بمكتبه ليرد فيه على الحملات الصحفية الأخيرة بشأن التصرفات التي نسبتها إليه بعض الصحف في الأيام القليلة الماضية » .

رابعاً — الإتيان أحياناً بالمقدمة الاستفهامية ، كأن تقول :

« هل من حق الزوج أن يضرب زوجته إذا رفضت أن تعلق ثيابه ؟ تلك هي المشكلة التي واجهت قاضي محكمة الوايلي صباح أمس » .

وتستخدم المقدمات الوصفية كذلك عندما يكون المكان الذي حدث فيه الحادث أهم من الحادث نفسه ، ومن الأشخاص المشتركين فيه ، وأكثر ما يكون ذلك في الحفلات والمهرجانات والمعـارض العامة ، والحدائق ، والأماكن التي تبدو فيها الطبيعة في أحسن زينتها ، وفي الرحلات التي تحتاج لركوب البحر أو لصعود الجبل ، ونحو ذلك .

خامساً — المقدمة الاستفهامية ، مثال ذلك :

هل من حق الزوج أن يضرب زوجته إذا رفضت أن تعلق ثيابه ؟ تلك هي المشكلة التي واجهت قاضي محكمة الوايلي صباح أمس .

هل ظهر بالأسكندرية قاتل مجهول ارتكب نفس الجريمة الغامضة التي ارتكبت في الصعيد ؟

سادسا ـ من طرق التجديد فى صدر الخبر أيضاً الاعتماد على التصريحات المنقولة ، فكثيراً ما يأتى الكاتب فى أول الخبر الصحفى بتصريح هام لشخصية كبيرة مرموقة ، ويظل هذا التصريح — برغم ذلك — أهم نقطة من نقط القصة الخبرية كلها ، فإذا صادف الصحفى مثل هذه التصريحات بادر بأن يؤلف منها صدراً للقصة الإخبارية . مثال ذلك أن صحيفة من الصحف نقلت قول المستر تشمبرلين :

« أستطيع أن أجد حلا للقضية المصرية فى وقت أقل من الوقت الذى يكفى لشرب فنجان من القهوة » .

سابعا ـ ومن طرق التجديد فى صياغة صدر الخبر أيضاً الطريقة التى يسميها الأوربيون فى كتبهم « أنت وأنا » ، ويقصدون بها نقل القارىء إلى جو القصة منذ بداية الأمر ، كأن يبدأ المحرر قصته الإخبارية بقوله : « نحن الآن فى مكان كذا ، ثم يتم القصة ، غير أن هذه الطريقة أقرب للإذاعة وأشبه بها وأصلح لها .

ثامنا ـ المقدمة الإنسانية ، كالتى تحكى قصة رجل فقد بصره وفقد ولده الوحيد وصبر على ذلك سنوات عدة وبعدها رجع إليه بصره بعد أن اهتدى إلى ولده .

تلك وأمثالها طرق لتجديد صدر الخبر ، وهى لاتعدو كونها فى الواقع مجرد أمثلة من هذا التجديد ، وفى وسع الكاتب الصحفى اللبق أن يهتدى إلى أحسن منها ، وليس ما قدمناه من الحديث عن (صدر) الخبر إلا وصفاً موضوعيا لهذا الجزء من الخبر ، وهو وصف يستعين به المبتدئون فى الصحافة ، أما الذين مارسوها زمنا طويلا فإنهم يخترعون كل يوم جديداً فى كتابة هذا الجزء الهام من أجزاء الخبر ، وهو الصدر أو المقدمة .

على أن التجديد فى صياغة الخبر لا يقتصر فقط على الجزء الأول من أجزائه وهو (الصدر) ، بل يتعداه إلى الطريقة التى يختارها المحرر .

والطريقة هنا غير القوالب الفنية لصياغة الخبر ، وهى القوالب التى تحدثنا عنها فيما سبق .

فهناك — كما يقول الأستاذ جلال الحمامصى — (١) طريقتان لنشر الخبر:

أولاهما — الطريقة التقليدية المعتـــادة — أو الطريقة الإخبارية المباشرة — وهى التى تعتمد على تركيز المقدمة (بريد الصدر) حول أهم ما فى الخبر ، محاولين بذلك الإجابة على واحدة أو أكثر من الشقيقات الخمس (بريد الأسئلة الخمسة) .

والثانية — أن يحـــول التركيز إلى زاوية أخرى من زوايا الخبر على أساس أن هـذه الزاوية تضفى على النبأ ضوءاً يجذب القارىء إلى قراءته . وهى طريقة تستعمل كثيراً فى كتابة الأخبـار ذات الطابع الشخصى . . وهنا يسمى الشخص أو المكان الذى يدور حوله الخبر « المحور الأساسى » فى الخبر ، فهو الذى يجب أن تسلط عليه الأضواء فى المقـدمة (المصدر) وما يليها .

مثال للطريقتين معاً

يصح أن نضرب المثل هنا بالعامل الذى عثر على ثلاثة آلاف جنيه مصرى فى شرفة منزل لأحد التجار ، وهو يشتغل بدهان هذا المنزل فى غيبة صاحبه ، وقد كافأته الحكومة بتمليكه (شقة) جميلة فى أحد المنازل المبنية حديثا .

وتمكن كتابة هذا الخبر بإحدى الطريقتين الآتيتين :

الطريقة الأولى — وهى الطريقة المعتادة :

الصدر :

تسلم عامل نقاش من السيد رئيس الوزراء ووزير الداخلية عقدا

(١) انظر كتاب : من الخبر إلى الموضوع الصحفى ١١٧ و ١١٨ .

بتمليك شقة جميلة فى منزل من المنازل التى بنيت حديثا ، وهذا العقد مكافاة له على أمانته .

الصلب :

كان العامل النقاش حامد إبراهيم يجلس مع أسرته للغداء ظهر أمس حين وقفت ببابه دراجة (موتوسيكل) ففتح الباب وإذا بجندى من جنود الشرطة يسلمه خطابا يدعى فيه إلى المثول بين يدى رئيس الوزراء ليسلمه عقدا بتمليكه شقة جميلة فى البيت رقم ١٥ بمدينة النصر (قرب مصر الجديدة) .

وفى اليوم التالى ذهب حامد ابراهيم إلى وزارة الداخلية حيث سلمه السيد رئيس الوزراء هذا العقد بعد أن أثنى عليه لأمانته وشهامته .

الطريقة الثانية (محور الخبر) :

روى العامل حامد ابراهيم قصة عثوره على مبلغ ثلاثة آلاف جنيه مصرى فى شرفة المنزل الذى كان يشتغل بدهانه فى غيبة صاحبه ، قال حامد لبعض أصدقائه فى المقهى الذى تعود الجلوس فيه كل مساء :

فرغت من دهان الغرف التى يتألف منها المنزل ، ثم وصلت إلى الشرفة ، فوجدت بها على الأرض كومة من الجرائد القديمة ، وعندما أردت أن ألقى بها فى الطريق تبين لى أن بها حزمة كبيرة من الأوراق المالية ، وأخذت أعد هذه الأوراق فإذا بها ثلاثة آلاف جنيه فارتعشت أناملى واشتد خفقان قلبى ، وذهبت على الفور إلى مركز البوليس وسلمتها له .

ودعانى بعد ذلك السيد رئيس الحكومة وأثنى على أمانتى وسلمنى عقدا أصبحت به مالكا للشقة الجميلة التى أسكنها .

والعامل حامد إبراهيم يعيش الآن فى هذه الشقة مع زوجته وأولاده وأمه العجوز .

ويعشر المبلغ الذى عثر عليه ـ وهو ما يستحقه بنص الشرع ـ حصل حامد على أثاث جديد ، وزود بيته بجهاز تليفزيون .

بالطريقة الأولى : صيغ الخبر صياغة تقليدية حكت تسلم العـــامل للجائزة من السيد رئيس الوزراء ، وتمليكه الشقة الجديدة مكافأة له على أمانته . .

وبالطريقة الثانية : دارت القصة الإخبارية كلها حول محور واحد فقط هو (العامل حامد ابراهيم) وكيف عثر على هذا المبلغ وسلمه إلى مركز البوليس ، وكيف يعيش فى منزله الجديد ، وبهذه الطريقة الأخيرة ظهرت العناية (بروح الخبر) دون مايشتمل عليه من المعلومات الشكلية . ومنها مقابلة العامل للسيد رئيس الوزراء .

ولاشك فى أن الطريقة الأخيرة أدنى إلى نفوس القراء من الأولى ، وأكثر حيوية ، وأكثر إشباعا لهؤلاء القراء واجتذابا لاهتمامهم .

وهكذا يكون التجديد فى صياغة الخبر إما فى صياغة الصدر ، وإما فى الطريقة التى يكتب بها الخبر نفسه على النحو الذى شرحناه .

صلب الخبر

يفرغ المحرر من كتابة الصدر على الوجه المتقدم ، وبعد ذلك يأخذ فى كتابة التفاصيل شيئاً فشيئاً . والمتبع فى كتابة التفاصيل عادة أن تكون على شكل فقرات متكاملة Block Paragraphs، كل فقرة منها تؤلف وحدة مستقلة بذاتها ، بحيث يمكن حذف أية فقرة عندما تحتاج الصحيفة إلى ذلك ، بشرط عدم الإخلال بالمعنى العام ، أو بالقيمة العامة للخبر نفسه إذ ذاك .

وهذا فرق آخر بين الأدب والصحافة ، فنحن فى الأول نرى أن جميع الفقرات التى يتألف منها المقال الأدبى آخذ بعضها بحجز بعض ، بحيث

إذا حذفنا فقرة منها أضر ذلك بالمعنى ، لكننا فى الخبر الصحفى نستطيع أن نستغنى عن بعض الفقرات التى يتألف منها عند الحاجة .

والخبر الصحفى فى هذه الحالة يكون أشبه بالقصيدة العربية ، كل بيت فيها وحدة قائمة بذاتها ، ويستطيع الشاعر أو القارىء أن يحذف من هذه الوحدات ما يشاء ، أو يقدم بعضها ويؤخر بعضها متى شاء ، فلا يضر ذلك بالقصيدة .

وكما سبق أن ذكرنا ، تستطيع الصحيفة أن تفرق من حيث القصة الخبرية بين الطبعة التى تصدر فى العاصمة ، والطبعة التى تصدر فى الأقاليم ، فهناك قصة خبرية تهم العواصم الكبرى فى الجمهورية العربية ، وهناك قصة خبرية تهم الأقاليم ، وعلى الجريدة أن تراعى هذا الفرق بينهما مراعاة دقيقة ، وتستطيع أن تملأ الفراغ الناتج عن هذا الإجراء بشتى الأخبار التى تهم القراء .

ولا شك أن ذلك مزية من مزايا الشكل الهرمى فى كتابة الخبر الصحفى ، فلو لم يكن الخبر مصوغاً على شكل هرم مقلوب لما استطاعت الصحف أن تحدث هذه التغييرات المطلوبة عند الحاجة ، ولعجزت الصحيفة عن أن تمد كل بيئة محلية بالأخبار التى تناسبها .

والآن نعود إلى الكلام عن الخبر الذى يكتبه المحرر الصحفى مستخدما فيه جميع القوالب الفنية المعروفة إلى الآن ، وهى : قالب السرد ، وقالب الحديث المنقول ، وقالب القصة الإخبارية .

وسنضرب المثل هنا بخبر من الأخبار علينا أولا أن نحكى خلاصته كما يلى[١] :

فى إحدى نقابات العمال جاء المرشح الجديد لمركز النقيب واتهم النقيب السابق بأنه أساء استعمال أموال النقابة وتصرف فيها لمصلحة مؤيديه .

(١) أورد هذا الخبر الأستاذ الحمامصى فى كتابه «المندوب الصحفى» ص ١٦١ .

وفى اليوم السابق للانتخابات تجمهر أفراد هـذا الفريق أمام دار النقابة يريدون اقتحامها بالقوة ، وإذ ذاك تحصن النقيب السابق ومؤيدوه بمبنى النقابة .

وتصل الشرطة إلى مكان الحادث وتحاول التدخل .

ولـكن المرشح الجـــديد لمنصب النقيب يخطب فى العمال ويدلى بتصريحات هامة .

وتخشى الشرطة أن يفلت الأمر من يدها فتستعمل الغازات المسيلة للدموع ، ثم تضطر بعد ذلك إلى إطلاق بعض الأعيرة النارية فيصاب عدد من العمال وينقلون إلى المستشفى .

كيف نـكتب صدر هذا الخبر

إن خبراً كهذا لا بد أن يكون صدره طويلا ، لأنه يشتمل على وقائع كثيرة ، ولا بد فى خبر مثله أن تتركز نقطة البداية فى تجمع العمال حول دار النقابة ، لأن هذا التجمع هو الذى أدى إلى إلقاء الخطب والتصريحات المثيرة ، وإلى الصدام بين الشرطة والعمال ، وإلى وجود ضحايا .

بعد ذلك يمكن للمحرر الصحفى أن ينتقل إلى الإجابة عن سؤال ماذا ؟ أى ما الذى حدث حتى أدى إلى هذه النتائج ؟

وفى فقرات قصيرة ومركزة بعد ذلك يذكر المحرر وقائع الحادث واحدة بعد أخرى ، ويقدم للقارىء (هيكلا هرميا) لهذه الوقائع ، وكل ذلك دون أن يغرق القارىء فى مزيد من التفصيلات التى لا مكان لها إلا « صلب الخبر » .

وعلى هذا تمـكن كتابة (صدر الخبر) على النحو التالى :

صدر الخبر

حاول ألف عامل من عمال نقابة (كذا) اقتحام دور نقابتهم بعد

ظهر أمس ، متأثرين بأن أحد زعمائهم (فلان) متهم باسم النقيب السابق ، وتصرف فى مبالغ كبيرة من أموال النقابة لمصلحة مؤيديه .

وقع تصادم بين الشرطة وبعض النقابيين أدى إلى حدوث إصابات من الفريقين ، والسبب فى ذلك أن الاتهام جاء فى الليلة السابقة لموعد اجتماع الجمعية العمومية لإجراء انتخاب النقيب وأعضاء مجلس النقابة .

بادرت الشرطة إلى محاصرة مبنى النقابة، وفى داخل المبنى تحصن النقيب السابق ومعه مؤيدوه .

حاولت الشرطة إبعاد العمال قليلا عن مبنى النقابة ، ولكن العمال رفضوا ذلك .

اضطرت الشرطة إلى استخدام الغازات المسيلة للدموع ، ثم إلى إطلاق بعض أعيرة نارية أصابت عشرة من العمال بجروح بالغة ونقلوا إلى المستشفى .

بنى زعيم العمال الثائرين (فلان) اتهامه للنقيب السابق على تقرير وضعته لجنة خاصة كلفتها الجمعية العمومية غير العادية وبحثت فى الإعانات العمالية التى صرفت فى العام الماضى .

وقد جاء فى هذا التقرير أن اللجنة تشك فى أن هذه الإعانات اتبعت فى صرفها الإجراءات التى نص عليها قانون النقابة :

وأخيراً نأتى إلى :

صلب الخبر

وفيه يأتى الصحفى بالتفصيلات الكثيرة لما تضمنه الصدر من الوقائع الكثيرة ، فيبدأ مثلا فى شرح المزيد من البيانات المتصلة بالحادث ، ويتكلم عن الطريقة التى حدث بها التجمع أمام دار النقابة ، فهل كانت هناك دعوة سابقة ، أم أن التجمع جاء بمحض المصادفة ؟

ثم يأتى بتفاصيل أخرى عن الصدام الذى وقع بين المتظاهرين ورجال الشرطة ، ويشرح للقارىء كيف نصح رجال الشرطة بالامتناع عن التظاهر ، ثم يصف حالة المصابين الذين نقلوا إلى المستشفى ويذكر أسماءهم واحداً واحداً كلما استطاع ذلك، ثم ينتقل بعد ذلك إلى وصف زعيم العمال الساخطين وهو يقف بينهم وبيده نسخة من تقرير اللجنة يلوح بها لمؤيديه وينذرهم بأن النقابة على وشك الإفلاس بسبب تصرفات المجلس السابق والنقيب السابق .

وهنا يجب على المحرر أن يقتبس من كلام زعيم العمال الساخطين بعض أقواله ، ومنها على سبيل المثال :

إن ما وصلت إليه حالة النقابة المالية يهددنا جميعا بخطر كبير ، ويحتم علينا جميعا أن نتخذ الإجراء الحازم لحفظ حقوقنا .

ومثل قوله :

« لقد سرقوا أموالنا وأنتم الضحايا ، بل إن أولادكم أيها العمال هم الذين سيدفعون الثمن » ، وهكذا .

ويعود المحرر الصحفى بعد كل ذلك إلى سرد الوقائع الباقية واحدة بعد أخرى ، ثم يعود إلى المزيد من الأقوال المقتبسة من تقرير اللجنة، وهى الأقوال التى استشهد بها زعيم العمال الثائرين فى تحريضهم ضد الثورة .

وأخيراً يصل المحرر الصحفى إلى :

الفقرة النهائية أو الختامية للخبر

وهذه ليست لها قواعد مضبوطة فى الحقيقة على الرغم من أن لها أهمية كبيرة ، لأنها آخر ما يقرع سمع القارىء من القصة الإخبارية ، ويتوقف اختيار الفقرات الختامية على طبيعة الموضوع الصحفى ذاته ، والمهم ألا يترك الصحفى قراءه معلقين أو حائرين ، فإن كلمة واحدة فى هذه الحالة

تزيل الشك والتردد ، وعلى ذلك يمكن أن تكون الفقرة الختامية لهذه القصة الإخبارية بصورة من هذه الصور فمثلا :

الصورة الأولى

وما زال الخلاف بين الفريقين المتنازعين على أشده ، وستحسم هذا النزاع نتـــائج الانتخابات التى ينتظرون إعلانها فى ساعة متأخرة من مساء اليوم .

الصورة الثانية

وتواصل النيابة التحقيق ، وستستمع إلى أقوال رئيس النيابة السابق فى الساعة العاشرة من صباح اليوم .

الصورة الثالثة

وإذا ظلت الاضطرابات مستمرة اليوم كذلك فقد يصدر وزير الشئون الاجتماعية قراراً بتأجيل الانتخابات إلى وقت آخر .

وفى هذا المثال المتقدم من أمثلة الخبر الصحفى وجدنا المحرر يصطنع الطرق الفنية الثلاث المتبعة إلى الآن فى تحرير الأخبار ، وهى طريقة السرد ، وطريقة الحديث المنقول ، وطريقة القصة الإخبارية .

فاستخدم طريقة السرد ، لأنه سرد وقائع الحادث واحدة بعد أخرى وبالترتيب الذى وقعت به تماما ، واستخدم طريقة الحديث المنقول ، لأنه أورد كثيراً من كلام زعيم العمال الساخطين ومن كلام التقرير الذى كتبته اللجنة ، واستخدم طريقة القصة الإخبارية ، لأن الخبر كان له صدر أجاب عن الأسئلة التقليدية ، ومن سؤال (لمـاذا) وأن السبب فى هذا الحادث كان هو الأهم فى الواقع ، كما كان للخبر صلب اشتمل على التفاصيل كما رأينا .

الفصل السابع

الحوادث الداخلية أو المحلية

كيف تصاغ فى قصة إخبارية

تشغل الحوادث الداخلية أو الأخبار المحلية حيزاً هاماً فى الصحافة اليومية منذ نشأتها ، غير أن طريقة صياغتها فى الوقت الحاضر تختلف اختلافاً كبيراً عنها فى الماضى ، ولذا يحرص الكثيرون من المشتغلين بالصحافة فى وقتنا هذا على معرفة الأصول والقواعد التى يحسن اتباعها فى كتابة هذا النوع من الأخبار بنوع خاص .

وقد يكون الحادث الداخلى من الأهمية والخطورة فى بعض الأحيان بحيث يلفت أنظار القراء على اختلاف درجاتهم ، وإذ ذاك تعنى الصحيفة اليومية بهذا الحادث الداخلى عناية خاصة ، وتكتبه فى الصفحة الأولى ، وهى الصفحة المخصصة فى الغالب للأخبار الخارجية ، وتكتب له العنوانات الضخمة ، وفى نفس المكان ـ أعنى بالصفحة الأولى ـ تنشر الصحيفة صورة قوية الدلالة على هذا الحادث ، وتكتفى بكتابة صدر الخبر فى هذا المكان الممتاز من الصفحة الأولى ، ثم فى الصفحات التالية يأتى الجسم ، أو الصلب مشتملا على التفاصيل .

* * *

وسنحاول فى هذا الفصل أن نشير إلى بعض الأصول والقواعد التى تتبع فى صياغة مثل هذا الخبر ، وسنشفع ذلك ببعض الأمثلة من بيئتنا المصرية الحاضرة ، ليقيس عليها الصحفى كلما تعرض للحالات المشابهة .

ومن القواعد الصحفية التى يرددها الصحفيون دائماً قولهم :

« إن الأسماء هى التى تصنع الخبر » .

وهى قاعدة صحيحة لا اعتراض عليها ، ولكن الخطأ يأتيها من جانب المبتدئين فى التحرير غالباً ، إذ نرى هؤلاء يعمدون إلى المبالغة فى تكديس الأسماء وازدحامها فى صدر الخبر ، فيشوشون بذلك على القارىء منذ اللحظة الأولى ، فينصرف عن قراءة الخبر .

والحقيقة أنه كما تكون المبالغة فى التفاصيل مسيئة إلى الخبر متى احتلت مكان الصدارة منه على خلاف المتبع ، فكذلك ازدحام الأسماء يسىء إلى الخبر إذا صدم به القارىء منذ بداية هذا الخبر ، فالأحرى بالمحررين فى هذه الحالة أن يقدموا الأسماء المهمة أو المألوفة للقارىء العادى ، ثم فى أجزاء أخرى من صلب الخبر الداخلى يصح لهم أن يذكروا الأسماء غير المألوفة له ، وهكذا .

وليس معنى ذلك مطلقاً أن على الصحيفة اليومية أن تقلل من عنايتها بالأسماء ، أو أن تغفل عن ذكرهم عمداً فى بعض الأحيان ؟ كلا ، فإن القاعدة التى أشرنا إليها صحيحة من جميع الوجوه ، واتباعها واجب فى جميع الظروف .

وإليك مثلا يوضح هذا العنصر الهام من عناصر الخبر الداخلى ، ونعنى به عنصر الأسماء — أو بعبارة أخرى — عنصر الإجابة عن سؤال (من ؟) من الأسئلة الستة المعروفة .

وازن معى أيها القارىء بين صيغ أربع للإخبار عن حادثة بسيطة على النحو الآتى :

الصيغة الأولى

غرق صبيان ونجا ثالث مساء أمس عندما انقلب بهم زورق فى النيل قرب الزمالك .

الصيغة الثانية

غرق صبيان من سكان شارع عباس بالجيزة ، ونجا ثالث لهم عندما انقلب بهم زورق فى النيل قرب الزمالك .

الصيغة الثالثة

غرق صبيان من سكان شارع عباس بالجيزة ، ومن تلاميذ المدرسة الإعدادية الأميرية ونجا الثالث ، وهو من سكان هذا الشارع ومن تلاميذ المدرسة نفسها عندما انقلب بهم زورق فى النيل قرب الزمالك .

الصيغة الرابعة

غرق صبيان هما فلان وفلان ، ونجا الثالث وهو فلان ، وثلاثتهم من شارع عباس بالجيزة ، ومن تلاميذ المدرسة الإعدادية الأميرية ، وكانوا مساء أمس يستقلون زورقاً فى النيل انقلب بهم قرب الزمالك .

هذه صور أربع (لصدر) هذا الخبر المفزع ، ولكن ليس شك هناك فى أن الصيغة الأخيرة هى الأقرب إلى الفن الصحفى بالمعنى الصحيح ، إذ هى الصورة التى عنى فيها المحرر بذكر أسماء الصبية واحداً واحداً ، وذكر عنوان كل منهم ومدرسته وهكذا ، وهذه الأسماء — وإن كانت فى ذاتها مجهولة لأغلبية القراء — باستثناء سكان شارع عباس ، وتلاميذ المدرسة الاميرية الإعدادية — إلا أنها تعطى الخبر أهمية خاصة ، وتكمله من الناحية الفنية الصحفية الخالصة ، وبدونها يعتبر الخبر ناقصاً ، ولا يجذب انتباه العدد الكافى من قراء الصحيفة .

* * *

وكالحوادث الخاصة بالغرق ، أو التصادم ، أو التشاجر ، أو السرقة ، أو القتل والانتحار — تكون الحوادث الداخلية الخاصة (بالحريق) .

غير أن حوادث الحريق بالذات يجب أن يعنى بها المحرر الصحفى عناية من نوع آخر ، ذلك أن عنصر (المكان) أو الإجابة عن السؤال (أين؟) هو الذى ينبغى أن يقدم فى هذه الحالة ، وهنا يجب على المحرر الصحفى أن يكون واضحا كل الوضوح فى تحديد هذا الموقع .

فإذا قال مثلا إن ناراً شبت فى العمارة رقم ٥٠ بشارع ٢٣ يوليو وجب عليه فى هذه الحالة أن يتبع ذلك بكلمة (فؤاد سابقاً) ، فليس كل الناس يعرفون أن اسم هذا الشارع الرئيسى من شوارع القاهرة حدث فيه مثل هذا التغيير فى التسمية . وأكثر من هذا وجوباً على المحرر فى تحديد موقع الحريق أن يعنى بتعريف هذا الموقع أو المكان للقراء باسم موقع أو مكان آخر يجاوره ، ويكون أعظم منه شهرة لدى الخاص والعام ، كأن يقول المحرر فى هذه الحالة « شبت النار بالعمارة رقم كذا شارع ٢٣ يوليو (فؤاد سابقاً) وهى العمارة المجاورة لسينما ريفولى » أو الأمريكين ، أو محلات شملا ، وهكذا .

* * *

وثم قاعدة صحفية ثالثة لابد من الاهتمام بها فيما يتصل بالحوادث اليومية ، وهذه القاعدة هى :

« أن الإنسان أغلى ما فى الوجود ، وفيه ينبغى أن يتركز اهتمام الجريدة » .

واتباعاً لهذه القاعدة يجب على الصحيفة أن تعنى دائماً بذكر الضحايا من الناس قبل الضحايا من الأموال والمتاع .

بل إن الضحايا البشرية ذاتها تتفاوت فى نظر القراء ، فيكون موت طالب من طلاب المدارس الثانوية أو الجامعات فى مظاهرة سياسية ، أهم فى نظر القراء ، من موت رجل من رجال الأمن الذين عهد إليهم إخماد هذه المظاهرات .

فالمعروف أن عمل الشرطى فى مثل هذه الظروف عمل محفوف بالخطر دائما ، وموت الشرطى فى هذه الحالة ، قد يكون نتيجة من نتائج هذا العمل المحفوف بالخطر ، ثم إن موته فى مثل هذه الحالة يعتبر فى نظر الحكومة والجمهور موتا فى سبيل الواجب الذى قام به .

أما موت طالب أو طالبين ، أو عامل أو عاملين فى مظاهرة سياسية فإنه ليس متوقعاً دائماً ، فوق أنه يتصل اتصالا قوياً بالمعنى أو الغرض الذى قامت من أجله المظاهرة ، وهو غرض يلفت نظر القراء قبل أى غرض سواه . ومعنى ذلك باختصار أنه ينبغى للصحيفة اليومية أن تعنى بذكر (الضحايا المدنيين) قبل (الضحايا الرسميين) وذلك فى الجمل الافتتاحية ، أو الفقرات الاستهلالية التى يتألف منها صدر الخبر . وللصحيفة بعد هذا وذاك أن تذكر الضحايا الرسميين فى الفقرة التالية للفقرة الأولى مباشرة ، وقد لا يجوز إرجاء ذلك إلى الفقرة الثالثة أو الرابعة .

هذه طائفة من القواعد المتبعة فى تحرير الخبر الداخلى عادة . أما الطرق المتبعة فى صياغته على شكل قصة فكثيرة ، سنشرح بعضها فيما يلى :

طرق صياغة القصة الخبرية لحادث داخلى :

من الأصول التى يجب اتباعها فى كتابة القصة الخبرية — على وجه العموم — تقسيم الخبر نفسه إلى أجزاء يستقل كل منها بجانب من جوانبه أو بحقيقة من حقائقه ، وإذا كانت هذه القاعدة ضرورية فى كتابة الأخبار بوجه عام ، فإنها أكثر ضرورة فى الواقع للخبر المحلى بوجه خاص ، ذلك أن الأخبار المحلية عرضة للتغيير المستمر من لحظة إلى أخرى ، والمطبعة لا تمهل المحرر حتى يعيد صياغة الخبر المحلى من أوله إلى آخره ، فهى لا تدع له أكثر من الوقت الذى يسمح له بحذف فقرة وإثبات أخرى مكانها ، أو إضافة فى فقرة جديدة لم تكن موجودة فى الأصل إذا لزم هذا الإجراء .

وندع هذه القاعدة جانباً لننظر فى الطرق التى يمكن أن نتبعها فى كتابة الخبر الداخلى ، أو صياغة القصة الإخبارية التى تمد القراء بحقائق هذا الخبر .

وهنا نستطيع أن نضع أيدينا على طرق ثلاث ، هى :

١ — طريقة الترتيب الزمنى المعدول .

٢ — « « « المعكوس :

٣ — « التشويق المسرحى (أو التغلب على فتور القارىء) .

وإليك الأمثلة :

١ — بطريقة الترتيب الزمنى المعدول

يمكننا أن ننشر الخبر الآتى بالصيغة التالية :

(ا) حدث أمس ـ فى طريق مصر الجديدة ـ أن أخرج سائق (المترو) رأسه من العربة ، وكان المترو سائراً بسرعة كبيرة ، فاصطدم رأس السائق بعمود من أعمدة الكهرباء ، فقتله فى الحال ، وقذف به فى الطريق وبقى المترو سائراً إلى الأمام بنفس السرعة .

(ب) وشد ما انزعجت سيدة فى غرفة (السيدات) حين رأت المترو يسير وحده بدون سائق فى الطريق ، فصرخت صرخات عالية لفتت إليها أنظار الركاب الذين ارتبكوا ارتباكا شديداً ، وصرخ النساء بعدها صرخات مدوية كذلك .

(ج) وتقدم الكمسارى ـ وهو لا يعرف شيئاً عن القيادة ـ وطفق يحاول وقف المترو حتى وقف لحسن الحظ فى تلك اللحظة الدقيقة .

(د) وكان وقوف المترو ـ لحسن الحظ أيضاً ـ قبيل المنحنى السابق لمحطة روكسى مباشرة بما لا يزيد عن ثلاثين بوصة .

(ه) ولو وصل المترو بسرعته إلى هذا المنحنى الحاد قبيل محطة روكسى لانقلب بركابه ، ولأصبح ضحايا الحادث يعدون بالعشرات .

٢ — بطريق الترتيب الزمنى المعكوس

يمكننا أن ننشر الخبر بالصيغة التالية :

(ا) نجا ركاب المترو فى طريق مصر الجديدة من الموت بأعجوبة حين وقف المترو فجأة عن السير قبيل المنحنى السابق لمحطة روكسى بما لا يزيد عن ثلاثين بوصة .

(ب) ولو وصل المترو بسرعته السابقة إلى هذا المنحنى الحاد قبيل محطة روكسى لانقلب بركابه ، ولأصبح ضحايا الحادث يعدون بالعشرات .

(ج) أما الذى تنبه إلى ذلك فسيدة فى (الحريم) صرخت صراخاً عالياً حين لاحظت أن المترو يسير وحده بدون سائق وبسرعة عظيمة ، فلفتت إليها أنظار الركاب الذين اضطربوا اضطراباً شديداً ، وصرخ النساء منهم صرخات مدوية كذلك .

(د) وإذ ذاك تقدم الكمسارى — وهو لا يعرف شيئاً عن القيادة — وطفق يحاول وقف المترو حتى وقف لحسن الحظ فى تلك اللحظة الدقيقة .

(ه) أما السبب فى سير المترو بهذه الصورة فهو أن السائق كان قد أخرج رأسه من العربة ، فاصطدم بعمود من أعمدة الكهرباء ، فقتله فى الحال وقذف به بعيداً عن مكانه .

٣ — بطريقة التشويق المسرحى

تستطيع الصحيفة أن تنشر الخبر بالصيغة الآتية :

(ا) صرخت سيدة فى غرفة (السيدات) بالمترو فى طريق مصر الجديدة حين رأت أن هذا المترو يسير وحده بدون ، سائق وبسرعة عظيمة .

(ب) واضطرب الركاب ، وعلا صراخ النساء والأطفال ، وشعر الجميع بالخطر الداهم ، خصوصا أن المترو يقترب سريعا من المنحنى السابق لمحطة روكسى ، التى هى أولى محطات مصر الجديدة .

(ح) ولو وصل المترو إلى هذا المنحنى الحاد لانقلب بركابه جميعا ولعظمت فداحة الحادث ، وأصبح الضحايا يعدون بالعشرات .

(د) وشاءت الأقدار أن يجرى الكمسارى إلى مكان السائق ، وعلى الرغم من أنه يجهل كل شىء عن القيادة ، فإنه أخذ يحاول وقف المترو عن السير . والعجيب أن المترو وقف فى تلك اللحظة الدقيقة ، وكان وقوفه قبل المنحنى الحاد بما لا يزيد عن ثلاثين بوصة .

(ه) واتضح فيما بعد أن السبب فى سير المترو على هذه الصورة هو أن السائق كان قد أخرج رأسه من العربة ، فاصطدم بعمود من أعمدة الكهرباء ، فقتل فى الحال ، وقذف به بعيداً عن القضبان .

تعليق على الطرق الثلاث

إذا نظرت معى أيها القارىء إلى الطريقة الأولى ـ وهى طريقة الترتيب الزمنى المعدول — لاحظت أنها أسهل الطرق جميعا بالنسبة للمحرر وللقارىء فى وقت معا ، أما المحرر فإنه لم يعمل فكره كثيراً فى تقسيم الخبر إلى وقائع ، وترتيبها بحسب وقوعها ترتيبا زمنيا لا تصرف فيه ، وأما القارىء فإنه لم يجد عسرا فى تتبع القصة الخبرية على هذا الوجه .

غير أن الطريقة الأولى تفتقر إلى العنصر الدرامى ، والعناية فيها بجميع أجزاء الخبر متساوية تقريبا ، مع أن المتبع عادة هو المخالفة فى هذه العناية ، وذلك بتقديم بعض الأجزاء وتأخير الأخرى ، والاهتمام ببعض الأجزاء أكثر من الاهتمام بالأخرى ، وهكذا .

على أن أهم ما يوجه إلى هذه الطريقة الأولى من نقد هو أنها مبنية فى الواقع على نظام الهرم المعتدل . وقد سبق أن قلنا عن هذا النظام إنه يصلح لنشر المقال، ولكنه لا يصلح دائماً لكتابة الأخبار . ومعنى ذلك أن اتباع هذه الطريقة الأولى فى صياغة الأخبار من شأنه ألا يجعل الفرق واضحاً أو مفهوماً بين صياغة الخبر وصياغة المقال ، وفى ذلك ما فيه من الخلط بين الفنون الصحفية من حيث الصياغة .

والقائل بهذه الطريقة الأولى من أساتذة الصحافة هو الأستاذ نيل Nela ، ولكنا لا نوافقه على ما ذهب إليه من الإشارة إليها على أنها من بين الطرق الثلاث المتبعة فى صياغة القصة الخبرية ، بل نميل إلى القول بالطريقتين الأخيرتين إلى أن يأتى الوقت الذى يبتدع فيه المحررون النابهون طائفة من الطرق الأخرى .

وإذا نظرت معى أيها القارىء فى الطريقة الثانية ـ وهى طريقة الترتيب الزمنى المعكوس — وجدتها تعنى بنتيجة الحادثة أولا — فتأتى بها فى أول القصة ، ثم تتدرج منها إلى الوقائع التى أدت إليها .

وهذه الطريقة الثانية أكثر اتباعاً فى الصحف السيارة ، وإن احتاجت من المحرر إلى جهد أكبر ، ووقت أطول .

أما الطريقة الثالثة والأخيرة — وهى طريقة التشويق — فإنها أفضل الطرق جميعاً ، وفيها يستطيع المحرر أن يتغلب على فتور القارىء ، وذلك بأن يوفر له العنصر الدرامى ، وفيها كذلك إهمال تام للعنصر الزمنى، إذ المهم فى هذه الحالة هو الحادث نفسه وصورة وقوعه ، وحتى النتيجة نفسها تأتى فى الأهميــــة بعد الصورة أو الكيفية أو العنصر الدرامى فى مثل هذه القصة .

غير أن هــذه الطريقة الأخيرة تتطلب من التحرير تفكيراً أطول ؛

ومهارة أكبر ، ولذا لايحسنها فى الواقع إلا كاتب بارع ، أو محرر متمرن، وهو بهذه البراعة ، وهذه المرانة قادر على التصرف فى القصة الخبرية تصرفاً صحفياً سليما جارياً فى الوقت نفسه مع الأصول والقواعد التى أشرنا إليها .

وقبل الفراغ من هـذا الفصل يجدر بنا أن ننبّه القارىء هنـا إلى أننا فى تطبيق الطرق الثلاث على صياغة الخبر إنما عنينـا بشىء واحد فقط ، وهو كتابة صـــدر الخبر والطرق المتبعة غالباً فى كتابة هذا الصدر ، وأهملنا العناية (بالعنوان) من جهة و (صلب الخبر) من جهة ثانية .

والحقيقة التى لا نزاع فيها أن صدر الخبر أهم فى نظر الصحيفة ونظر القارىء من صلب الخبر ، لأن هذا الأخير — وهو الصلب — هو مكان التفاصيل التى تملأ بها الصحيفة فراغها غالباً ، وهى لذلك إنما تـكتب دائماً (بالبنط) الدقيق أو الخفيف ، ويقع جزء منها فى الصحيفة التى كتب فيها صدر الخبر ، وتقع الأجزاء الباقية من هذه التفاصيل فى الصفحات الأخرى من الصحيفة . أما القراء فلا يمضى منهم فى قراءة هـذه التفاصيل عادة إلا من يسمح له وقته بهذه القراءة ، ومن هنا جاء اهتمام الصحيفة دائماً بصدور الأخبار دون جسومها أو أصلابها ، وكان الجهد الفنى الذى يُبذل فى كتابة هذه الأصلاب أقل بكثير جداً من الجهد الفنى الذى يبذل فى كتابة الصدور.

وذلك ما أردنا أن نلفت إليه نظر القارىء حتى يفهم أن القصة الإخبارية على الصورة التى قدمناها له يجب أن تكون لها بقية تقصر وتطول حسب التفاصيل التى استطاع مخبر الصحيفة جمعها وتزويد صحيفته بها حتى تستطيع كتابة القصة كاملة .

والصحيفة ذاتها بعد ذلك أن تتصرف فى هذه التفاصيل فتكتب منها ما تريد فى الطبعة الخاصة بالعاصمة ، وتـكتب منها ما تريد أيضاً فى الطبعة

الخاصة بالأقاليم ، وإن كان المتبع فى الغالب أن طبعة الأقاليم — حيث يتسع الوقت أمام الجمهور القارىء — تكون مزودة بقدر أكبر من التفاصيل التى لا تتسع لها طبعة العاصمة ، وحيث لا يتسع الوقت فيها للقارىء لكى يأتى على هذه التفاصيل من أولها إلى آخرها .

الأخبار الكبيرة أو الأخبار ذات الزوايا المتعددة

من الأخبار الداخلية أو الخارجية ما يمس عددا محدوداً من القراء ، ومنها ما يمس عدداً كبيراً منهم ، وقد ألمعنا إلى ذلك عند الكلام عن (تقويم الخبر) ، وسمينا النوع الأخير بالأخبار الضخمة ، أى التى يهتم بها أكبر عدد ممكن من القراء ، أو التى تمس مشكلة من أهم المشكلات السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية .

وهذا النوع الأخير من الأخبار فوق أنه يوصف بالفخامة فإنه يوصف كذلك بأنه متعدد الزوايا . والمقصود بالزوايا هنا (الوحدات) أو النواحى الكثيرة التى يتألف منها الخبر الصحفى أو الجهات العديدة التى يهمها الخبر . وهنا تحتاج كل وحدة من هذه الوحدات أو ناحية من النواحى إلى مندوب صحفى خاص يأتى بمعلومات عنها ، وعلى الصحيفة فى النهاية أن تؤلف من جميع هذه الزوايا أو النواحى خبرا كبيراً يهم القراء أن يقفوا عليه . وكثيراً مايقوم رئيس التحرير بدراسة الموضوع الخبرى فى ذاته ، ثم يتولى تقسيم المحررين أو المندوبين الإخباريين على نواحى هذا الخبر وزواياه بعد ذلك .

ولنبدأ أولا بضرب الأمثلة على هذه الأخبار الضخمة أو الأخبار المتعددة الزوايا ، فمنها على سبيل المثال :

- خبر ثورة داخلية كبرى كثورة مصر فى ٢٣ (تموز) يوليه ١٩٥٢ وثورة العراق فى ١٤ تموز (يوليه) سنة ١٩٥٨
- خبر عدوان خارجى على البلاد كالعدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦

• خبر حادث كبير كحادث تأميم قناة السويس الذى كان سبباً فى العدوان الثلاثى على مصر كما هو معروف .

• حادث انتشار وباء خطير كالطاعون أو الكوليرا .

• حادث زلزال أو انفجار بركان .

• حادث عصابة كبيرة تتجر فى المخدرات .

• حادث سقوط جسر من الجسور فى جهة كالقناطر الخيرية بالقاهرة ، وهو المعروف هناك (بالكبرى المزاز) .

وسنضرب المثل هنا أولا ، بحادث تأميم قناة السويس :

عندما أعلن الرئيس عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس ، وكان ذلك فى مساء اليوم السادس والعشرين من يوليو (تموز) سنة ١٩٥٦ شعرت الصحافة العالمية عامة والصحافة المصرية بوجه خاص أنها أمام خبر فى غاية الضخامة ، واهتمت الصحف المصرية يومئذ بالنواحى الآتية وهى :

الناحية الأولى : الخطبة التى ألقاها الرئيس عبد الناصر واستمعت إليها الجماهير بأعصاب متوترة وأنفاس مبهورة ، بينما كان الملايين من الناس فى الأسكندرية وغيرها من المدن المصرية يحدقون بأجهزة الراديو .. أما المعلقون السياسيون من الأوربيين فوصفوا هذه الخطبة بأنها كانت أقوى من قنبلة مدوية أصمت آذان الاستعمار وأذهلته عن نفسه .

الناحية الثانية : كيف تم الاستيلاء على مركز الشركة فى السويس ، وذلك فى أثناء الخطاب الذى ألقاه الرئيس ، أوكيف طرد الضباط المصريون جميع الأجانب التابعين لهذه الشركة من مكاتبهم واحتلوا هذه المكاتب .

الناحية الثالثة : كيف تم الاستيلاء كذلك على مكاتب المركز العام للشركة فى القاهرة نفسها .

الناحية الرابعة : من هم أعضاء مجلس الإدارة الجديد بعد أن ألغى القرار الذى أصدره جمال عبد الناصر بحل مجلس الإدارة القديم .

الناحية الخامسة : ماذا تقول وكالات الأنبـــاء الخارجية عن هذا الحادث ، وماذا تقول الصحف والإذاعات الأجنبية كذلك ؟

كل هذه الأمور تشعبت عن حادث واحد ، هو حادث تأميم قناة السويس ، وثم أمور أخرى تشعبت عنه كذلك لا نريد الإطالة فيها ، وكل واحد من هذه الأمور ، أو كل زاوية من هذه الزوايا تحتاج إلى محرر مسئول لتغطية الأخبار والمعلومات التى تتصل بهذه الناحية أو الزاوية .

ومن مجموعة هذه الأخبار والمعلومات تتألف القصة الإخبارية الضخمة ذات الزوايا المتعددة ، وتبذل هيئة التحرير مجهوداً فنياً كبيراً فى صياغتها حتى يفهمها القارىء فهما مستقيما من جهة ، وكاملا من جهة ثانية ، وحتى لا تحمل القارىء مهمة ترتيب الوقائع ، أو استخلاص النتائج وتفسير البيانات والتصريحات ونحو ذلك .

كيف تصاغ القصة المتعددة الزوايا :

قلنا إن على رئيس التحرير أن يوزع محرريه فى الصحيفة على جوانب الموضوع الإخبارى الكبير بحيث يستقل كل واحد منهم بجانب واحد فقط من جوانبه ويستطيع كل واحد من أولئك المحررين بعد ذلك أن يكتب الموضوع كما لو كان هذا الموضوع سينشر فى الجريدة مستقلا عن سائر الموضوعات أو الأجزاء التى يتألف منها الخبر . . . وبهذه الطريقة يستطيع المحرر المختص بزاوية من الزوايا أن يضع خلاصة لأهم ماحصل عليه من المعلومات خاصا بزاوية ، ثم يقدم كل هذه الجوانب أو الزوايا إلى رئيس التحرير ، وفى استطاعة هذا الأخير بعد ذلك أن ينظر فى (صدور) هذه الموضوعات الخبرية ليعرف من أين يبدأ كتابة الخبر الكبير فى الصحيفة ، كما يستطيع رئيس التحرير بعد ذلك أن ينظر

فى (جسوم) هذه الموضوعات الإخبارية ليعرف أى التفاصيل أهم من الأخرى ، ويرتبها ترتيباً خاصاً بحيث يقدم الأهم على المهم منها وهكذا .

ومرة أخرى نعود إلى شرح الطريقة التى تكتب بها القصة الكبيرة أو الضخمة أو ذات الزوايا المتعددة .

فكيف يكتب الصدر أولا ؟ :

يمكن لرئيس التحرير أن يكشف بذوقه الصحفى عن المحور الذى تدور عليه القصة ويبدأ به كتابتها .

كما يمكن لرئيس التحرير بعد ذلك أن يعرف أبرز ما فى القصة كلها من موضوعات لكى يقدمها للقارىء ثم يأتى بما هو أقل أهمية. ومن الجائز أن يتسع صدر الخبر الكبير لأكثر من موضوع واحد ، بل إنه ليتسع أحياناً إلى موضوعات كثيرة فى وقت واحد متى رأى رئيس التحرير أنها متساوية فى الأهمية .

مثل للخبر المتعدد الزوايا :

يضرب أحد الصحفيين مثلا لذلك خبراً عن إضراب سائقى السيارات المسماة (باللورى) احتجاجا على إجراء معين اتخذه أصحاب هذه السيارات ضد سائقيها ، ولذلك اتفق السائقون على الالتجاء إلى العنف فى حركة الإضراب التى سيقومون بها .

وبدأ الاضراب فعلا ، وجاءت الأنباء إلى المحرر المسئول من مختلف المندوبين الموزعين فى أماكن مختلفة .

وينظر المحرر المسئول فى كافة العناصر التى وصلت إليه ، ثم يختار منها واحداً يدل على العنف الذى اتفق العمال عليه فيجعل منه أول جملة أو فقرة من فقرات الصدر أو الجمل التى يتألف منها ، كأن يكتب الفقرة الأولى بهذه الصورة :

« خمسمائة جالون من اللبن سكبت فى الطريق الزراعى العام بين القاهرة وقليوب عندما هاجم عدد كبير من العمال ست سيارات لورى محملة باللبن وهى فى طريقها إلى مصنع الألبان .

أو أن يقول :

وقف العمال القافلة وأرغموا السائقين على النزول من السيارات ، وبدءوا فى سكب اللبن قبل أن يتدخل رجال الشرطة الذين أسرعوا إلى مكان الحادث ، وفى الفقرة التالية من فقرات الصدر يقول :

« كان هذا الحادث أبرز ما وقع أمس بعد أن أعلن سائقو سيارات اللورى إضرابهم » (١) .

وإلى الآن عنيت القصة الاخبارية بجانب واحد فقط هو حركة الإضراب فى ذاتها ، غير أن على رئيس التحرير ومعاونيه أن يعنوا فوق ذلك بالجوانب أو الزوايا الأخرى من زوايا هذه القصة الإخبارية الكبيرة ومنها الزاوية الإخبارية التى تهم أصحاب المصنع .
والزاوية الإخبارية التى تهم الجمهور المنتفع .
والزاوية الإخبارية التى تهم الحكومة .

وينبغى أن يشتمل صدر الخبر على جمل أو فقرات توضح هذه الزوايا الأخيرة ، ثم يأتى جسم القصة الإخبارية بعد كل ذلك وبه جميع التفاصيل التى وردت إلى الصحيفة عن كل زاوية من زوايا القصة الإخبارية كلها .
وبذلك تنتهى هذه القصة .

---

(١) جلال الدين الحمامصى « المندوب الصحفى » ص ١٢٥ و ١٢٦ .

الفصل الثامن

الأخبار الخارجية

أصاب الأستاذ (أدمون برك) Edmond Burke حين قال « إن الصحافة هى تاريخ العالم كله فى يوم » .

ذلك أنه كان على الصحيفة منذ نشأتها أن تطلع القراء على ما يحدث فى الداخل وما يحدث فى الخارج ، والصحيفة بدون هذا العمل بشقيه الداخلى والخارجى لاقيمة لها فى الواقع .

أهمية الخبر الخارجى

تحتاج الشعوب الآن أكثر من أى وقت مضى إلى أن يفهم بعضها بعضاً ، وأن يتعاون بعضها مع بعض ، وأن تؤمن كلها بهذا المبدأ الذى يسود غيره من المبادىء الأخرى فى عصرنا هذا ، وهو (مبدأ التعايش السلمى) ، ولكى تفهم الشعوب بعضها بعضاً على الوجه الصحيح يجب أن يعرف بعضها بعضاً على الوجه الصحيح ، وطريقها إلى ذلك واحد دائما ، هو العناية التامة بوسائل الإعلام المختلفة ، ومن أهمها الصحافة ، فعلى هذه الصحافة إذن أن تعبر الحدود السياسية بين الدول ، ليس فقط فى أوقات الحروب والتوتر الدولى ، والأزمات السياسية ، بل فى أوقات السلم أيضاً ، وعلى الصحافة دائماً أن تقوم بدور الوسيط بين هذه الدول والشعوب ، وأن تكون طريق التعارف السليم بينها دائما ، وفى ذلك وحده ما يضمن السلام العالمى والاستقرار الدولى ، والتعايش السلمى ، وبدونه يصبح السلام أمراً صعبا فى عالم تتهدده عوامل الانحلال ، وتسرى فى جسده حمى الانقسام ، ويذود النوم عن أجفانه شبح الحرب !

إننا بدون الأخبار الخارجية نعيش فى ظلام تام ، ونشعر أننا غرباء فى هذا العالم الذى ربطت بين أجزائه مصالح مشتركة ، ووصلت بين أطرافه شتى طرق المواصلات ، وأصبح كالأسرة الواحدة فى البيت الواحد ، لاغنى لأى فرد منها عن الوقوف على أخبار الآخرين .

والباحث فى تاريخ الصحافة المصرية منذ نشأتها إلى يومنا هذا لايسعه إلا الاعتراف بهذه الحقيقة ، وهى أن الصحف المصرية ربما كانت من أكثر صحف العالم اهتماماً بالأخبار الخارجية ، فهى تقدمها دائما على الأخبار المحلية ، وهى تفسح لها حيزاً كبيراً من صفحاتها اليومية والدورية ، وإلى عهد قريب كانت الصحف المصرية تفرد الصفحة الأولى لهذا النوع من الأخبار ، وبقى الحال على ذلك حتى ظهرت أهمية الأخبار الداخلية فاحتلت جزءاً كبيراً من حيز الصفحة الأولى ، وإذا قيست المساحة التى تشغلها الأخبار الخارجية من الصحف المصرية بالمساحة التى تشغلها هذه الأخبار من الصحف الأمريكية وجد أن هذه الأخيرة لا تنشر من تلك الأخبار إلا مايغطى ثلاثة أعمدة فقط من مائة عمود تشتمل عليها الصحيفة الأمريكية غالباً . وأكثر ما تصل إليه الصحف الكبرى هناك أنها تشغل مابين الثمن والخمس من مساحتها لهذا الغرض . . وقبل نصف قرن من الزمان لم تكن الصحف الأمريكية تنشر من الأخبار الخارجية إلا ماله أهمية قصوى .

وإذا كانت مصر — أو الجمهورية العربية المتحدة — فى الوقت الحاضر قد اتسعت علاقاتها أكثر من ذى قبل فى المجال الدولى ، وإذا كان ظهور الكتلة الآسيوية الأفريقية قد أحدث نوعاً من التوازن بين المعسكرين الشرقى والغربى ، فمعنى ذلك أنه أصبح للأخبـــار الخارجية مكان مرموق فى الصحف العربية فى وقتنا هذا ربما كان أعظم بكثير من مكانها فى أى وقت مضى .

طبيعة الخبر الخارجى :

سبق لنا أن تعرضنا لتعريف الخبر من حيث هو ، سواء أكان هذا الخبر محلياً أم خارجياً ، وسواء أكان هذا الخبر سياسياً أم غير سياسى ، وقلنا عن الخبر إنه الشىء الجديد الذى يهتم به القراء فور صدور الصحيفة .

والحق أننا لا نجد صعوبة ما فى تعريف الخبر الداخلى ، فكل ما يقع فى مصر أو فى الجمهورية العربية المتحدة هو خبر داخلى أو محلى ، وكل ما يتعلق بمصر أو بالجمهورية العربية المتحدة من الحوادث أو الأخبار التى تقع فى الخارج هو أيضاً خبر داخلى أو محلى .

فإذا صح ذلك — وهو صحيح بأغلبية الآراء — فإن الأخبار الخارجية هى أخبار ما يقع فى خارج مصر أو خارج الجمهورية العربية ، وهى الأخبار التى يكون مصدرها الخارج فى جميع الأحوال ، وهى الأخبار التى تحتل الصفحة الثانية من أكثر الصحف المصرية فى الوقت الحاضر . ومن الأمثلة عليها :

- بريطانيا تتجاهل قرار الأمم المتحدة لحل مشكلة قبرص .
- اليونان تبلغ الأمم المتحدة استياءها من خطة بريطانيا .
- خمس هزات أرضية فى ثمانى ساعات تحدث خسائر فادحة .
- بطلة عالمية فى الرقص يحكم عليها القدر بألا ترقص أبداً .
- مليون عامل يبدءون الإضراب فى بريطانيا .
- أمريكا تزود بريطانيا بصواريخ ذرية .
- زعيمة شيوعية تفر من فينا .
- رئيس وزراء روسيا يجتمع بالسفير البريطانى .

تلك إذن أخبار خارجية : منها ما وقع فى لندن ، ومنها ما وقع فى أثينا ، ومنها ما وقع فى فينا ، ومنها ما وقع فى موسكو ، وهى أخبار تشترك جميعها فى صفتين أساسيتين :

أولاهما — أنها أخبار تصف أحداثا وقعت فى بلاد أجنبية تقع خارج حدود الجمهورية العربية المتحدة .

والثانية — أنها جاءت إلينا من مصادر خارجية .

وهنا يصح لنا أن نسأل :

هل يفهم من هذا أن كل ما يقع خارج حدود الجمهورية العربية المتحدة يعتبر أخباراً خارجية ، ومكانه من الجريدة هو صفحة الأخبار الخارجية ؟ أو بعبارة أخرى :

ما القول فى أخبار السودان ، وأخبار الدول العربية الشقيقة ؟ أتعتبر أخباراً خارجية ؟ .

لقد أجمع المسئولون عن الصحف المصرية على إجابة واحدة عن مثل هذه الأسئلة ، وهذه الإجابة التى أجمعوا عليها هى النظر إلى أخبار السودان والأقطار الشقيقة ، بل الشرق الأوسط كله على أنها أخبار داخلية وليست خارجية بحال من الأحوال .

ونحن نعلم أن الأستاذ مصطفى أمين رئيس تحرير أخبار اليوم — على وجه التمثيل — يقسم الأخبار إلى قسمين :

الأول — هو الأخبار الداخلية، وهى أخبار مصر والجمهورية العربية المتحدة ، والسودان والعالم العربى والشرق الأوسط .

والثانى — هو الأخبار الخارجية ، وهى أخبار بقية العالم :

وصحيفة (أخبار اليوم) تعتبر نفسها صحيفة الشرق الأوسط ، وليست صحيفة محلية بالمعنى الضيق ، فتنظر مثلا إلى سياسة أمريكا تجاه أندونيسيا على أنها مسألة داخلية ، فى حين أنها تنظر إلى النزاع بين أمريكا والصين الشعبية على أنه مسألة خارجية .

ولهذا رأينا فى الصفة الأساسية الأولى من صفات الخبر الخارجى ، أنه خبر يصف أحداثاً وقعت فى بلاد أجنبية خارج حدود الجمهورية العربية المتحدة .

أما الصفة الأساسية الثانية من صفات الخبر الخارجى ، وهى أن هذا الخبر آت إلينا من مصادر أجنبية ، فاعتراضنا عليها : أنه ليس كل ما يأتى من مصادر خارجية يكون خبراً خارجياً؛إذ المعلوم أنهناك أخباراً خارجية تتصل بمصر أو بالجمهورية العربية المتحدة ونشاطها فى المجال الدولى ، ومثل هذه الأخبار لا بد أن ننظر اليها على أنها داخلية محلية ، ولا يجوز لنا أن ننظر اليها نظرة أخرى .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية ، فإننا نرى أن بعض الأخبار الخارجية تأتى من مصادر مصرية : فقد يحدث مثلا أن تستقى صحيفة مصرية بعض أخبارها الخارجية من بعض الدبلوماسيين الأجانب الموجودين فى البلاد المصرية ، وقد يحدث مثلا أن تكون مصر مسرحا لنشاط دبلوماسى أجنبى من نوع خاص، وعلى هذا فان أخبارهذا النشاط الدبلوماسى، أو الأخبار المستقاة من دبلوماسيين غير مصريين يقيمون فى البلاد المصرية . لا يمكن بحال من الاحوال أن ينظر إليها على أنها أخبار محلية داخلية ، ولكنها من غير شك أخبار خارجية ، (وإن أبدت الصحف المحلية اهتماماً خاصاً بمثل هذه الاخبار) ، لا لشىء إلا لأنها تقع على مرأى ومسمع من القارىء المصرى أو القارىء العربى .

والذى نخرج به من مناقشة هذه المسائل ، أنه ليس كل ما يقع فى خارج حدودنا خبراً خارجياً ، وليس كل ما يأتى من خارج حدودنا خبراً من هذا النوع أيضاً ، إنما الاخبار الخارجية هى الأخبار التى تصف أحداثاً تقع فى الخارج ، ويكون مصدرها الخارج ، ولا تكون مصر أو الجمهورية العربية طرفاً فيها بحال ما ، ولا تكون لها صلة بالعالم العربى ، بل بالشرق الأوسط كله — فى نظر بعضهم — كما رأينا .

وبعبارة أخرى : يمكن تحديد الأخبار الخارجية بأنها الأخبار التى تصف النشاط السياسى وغير السياسى مما يقع فى الدول الأجنبية خارج

حدود الجمهورية العربية المتحدة أو النشاط الأجنبي الذى يقع فى داخل حدود هذه الجمهورية ، ولا تكون مصر أو سوريا أو أى جزء من أجزاء هذا العالم العربي طرفاً فيه بحال ما ، ويكون مصدر هذه الأخبار خارجياً فى الأعم الأغلب ، ومحلياً فى حالات قليلة الوقوع .

أنواع الأخبار الخارجية :

الأخبار الخارجية هى كل ما ينشر فى الصحيفة بالمعنى المتقدم ، ويهم القراء أن يطلعوا عليه ، وهى أنواع ، منها :

أولا — الأخبار السياسية : وهى تؤلف الغالبية العظمى من صفحة الأخبار الخارجية ، وكثيراً ما تكون لها الصدارة فى الصحف العربية . فتحتل مكانا مرموقاً بالصفحات الأولى .

ومن الأخبار السياسية ما يصف تطور العلاقات بين الدول ، كأخبار المحادثات ، والمفاوضات ، والمؤتمرات ، والاتفاقات ، والمعاهدات ، والانقسامات ، ونحو ذلك .

ومنها ما يصف النشاط السياسى لدولة من الدول ، كخبر استقالة وزارة ، وتأليف أخرى ، وخبر معركة انتخابية ، أو ثورة محلية ، أو حرب أهلية ، أو فتنة سياسية .

ومنها ما يصف سير الحرب بين دولتين مما يهتم له السواد الأعظم من القراء ، وتعنى به الصحف عناية خاصة .

ثانياً — الأخبار ذات الطابع الإنسانى ، كأخبار الأطفال ، والحيوان ، والكوارث الطبيعية ، والحوادث التى تسبب خسارة فى الأرواح والممتلكات ، وكأخبار العلاقات الاجتماعية : من زواج ، وطلاق ، وخاصة منها ما اتصل بالمشهورين والمشهورات .

ثالثاً — الكشوف العلمية ، وفى مقدمة هذه الكشوف أخبار الذرة ،

والقنابل الذرية ، والقنابل الهيدروجينية ، ثم الأخبار الطبية العلاجية ، وأخبار القضاء ، والأقمار الصناعية ، وما إلى ذلك .

وقريب من هذه الأخبار كذلك أخبار الأدب ، والجوائز الأدبية ، وخاصة جائزة نوبل ، وأخبار الفلاسفة ، ودعاة السلام ، وحماة الأخلاق ورجال الإصلاح ونحوهم .

رابعاً — الجرائم ، وقد أصبح لأخبار الجريمة مكان عظيم ، وأهمية كبيرة فى الصحافة الحديثة ، باستثناء الصحافة الروسية السوفيتية .

خامساً — الطرائف ، وهى ضروب شتى ، وألوان متباينة ، ومصدر للخبر الخارجى لاينضب له معين ، ولا تجف له مياه ، ولا يسكت له صوت .

فهذا ثور مات وثمنه خمسون ألف دولار ، وهذا طائر فرعونى عثر عليه فى انجلترا ، وتلك علبة للتدخين كان يملكها نابليون بونابرت ، وهذه ساعة ثمينة كان يملكها قيصر ، وهكذا .

مصادر الأخبار الخارجية :

تستمد الصحيفة هذه الأخبار عادة من المصادر الآتية :

المصدر الأول — وكالات الأنباء . ولعل هذا المصدر هو أهم المصادر على الإطلاق ، وقد تبين من الإحصاءات أن أكثر من ٩٥٪ من الأخبار الخارجية تأتى عن هذا الطريق ، وأن من تتاح له زيارة هذه الصحف يرى كيف تعمل أجهزة استقبال هذه الأخبار Tickers ليل نهار ، وتمد الصحف بأنبائها أولا بأول ، ولا تتوقف عن العمل لحظة واحدة فى اليوم ، ولا تستريح فترة معينة فى الأسبوع ، ولا تتمتع بإجازة معلومة فى السنة ، ومع هذا وذاك فإن الصحف لا تنشر من برقياتها — التى تتدفق عليها كالسيل — إلا جزءاً يسيراً للغاية .

وتزداد الحاجة إلى هذه الوكالات ، لأن تكاليف المراسلين والمندوبين

الخصوصيين من قبل الصحيفة إلى مختلف أنحاء العالم ، وتكاليف البرقيات التى يبعث بها أولئك المراسلون أو المندوبون إلى صحفهم ، هى فى الواقع ، فوق طاقة الصحف فى الوقت الحاضر ، ومن يدرى لعلها تصبح مما يمكن تحمله فى المستقبل .

وقد درجت الصحف اليومية فى الجمهورية العربية على أن تستقى البرقيات الخارجية من الوكالات الآتية :

- وكالة رويتر الإنجليزية .
- وكالة اليونيتدبرس الأمريكية .
- وكالة الأسوشيتدبرس الأمريكية أيضاً .
- وكالة أنا الإيطالية .
- الوكالة الفرنسية (وقد تعطلت الآن) .
- وكالة تاس السوفيتية .

وعلى الرغم من أن هذه الوكالات تحاول أن تكون أمينة دقيقة فى برقياتها إلا أن أنباءها لا تسلم من التحيز . والذى لا مراء فيه أنه مادام الاستعمار قائماً ، ومادامت الدول الكبرى لا تنزع هذا المنزع إلى يومنا هذا ، فإنه لا معدى لهذه الوكالات عن مثل هذا التحيز الذى يصدر عنها ، ومن هنا تظهر أهمية الاقتراح الذى تقدمنا به فى كتابنا (مستقبل الصحافة فى مصر) ، وهو أن تكون هناك وكالة أنباء تابعة للأمم المتحدة بحيث يتسنى لهذه الوكالة أن تنشر الأخبار الصحيحة التى لا تخدم دولة بعينها ، ولا مذهباً بعينه ، وإذا انحرف عضو من أعضاء هذه الوكالة عن الصواب تعرض للعقاب من جانب هذه المنظمة العالمية وحدها ، لا من جانب حكومة من الحكومات ، وبذلك يتمتع أعضاء هذه الوكالة

بحصانة دولية تمكنهم من القيام بعملهم على أحسن وجه مستطاع (١) .

والمهم أن هذه الوكالات السابقة ترسل برقياتها إلى الصحف إما باللغة الإنجليزية أو بالفرنسية ،ومن هنا كان العمل الرئيسى لمحررى القسم الخارجى فى الصحيفة هو ترجمة هذه البرقيات إلى اللغة العربية . وإن من الحق أن يقال أيضاً إن عمل محررى القسم الخارجى لايقتصر فى الواقع على الترجمة ، وإنما يتعداه إلى شيء آخر سنشرحه فيما بعد .

أما وكالة « آنا » الإيطالية فانها تقوم بترجمة برقياتها إلى اللغة العربية ، وذلك عن طريق الفرع التابع لها بمدينة القاهرة ، وقد بدأت وكالة « رويتر » تحذو حذو الوكالة الإيطالية فى ذلك ، وترسل برقياتها المترجمة إلى العربية عن طريق وكالة أنباء الشرق الأوسط .

المصدر الثانى : المراسل الخارجى أو الأجنبى ، وهو مصدر هام من مصادر الأخبار الخارجية فى الواقع . وما من صحيفة كبرى تستطيع أن تستغنى عن هذا المراسل إلى جانب اعتمادها اعتماداً ظاهراً — كما قدمنا — على وكالات الأنباء . ولكل صحيفة مصرية مراسلوها فى كل من لندن ، وباريس ، ونيويورك ، وروما ، وأثينا ، ودلهى ، وأنقرة ، وغيرها من العواصم الكبرى .

ومع ذلك يمكن القول هنا بأن وكالات الأنباء حصرت عمل المراسل الأجنبى فى أضيق نطاق ، فلم يعد هذا المراسل مطالباً أمام صحيفته بأن يرسل إليها كل أخبار البلد الذى يعمل فيه ، وإلا جاءت برقياته التى تكاف الصحيفة أثماناً باهظة — تكراراً لما تأتى به وكالات الأنباء على اختلافها ، ولذلك نجد أن أهم مايعنى به المراسل المصرى ، أو العربى فى الخارج ، إنما هو موافاة الصحيفة بالأخبار الخاصة بمصر والجمهورية العربية المتحدة ، والعالم العربى ، والشرق الأوسط عامة .

---

(١) انظر الكتاب المذكور ص ٢٢٠ و ٢٢١ .

على أن هذا المراسل الأجنبي الذى تبعث به صحيفة مصرية إلى عاصمة من تلك العواصم الكبرى إنما يكتب برقياته إلى الصحيفة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية ، وأحياناً باللغة الإيطالية .

ويمكن القول باختصار : إن الصحيفة تعتمد على هذا المراسل الأجنبي غالباً فى تكوين شخصيتها الإخبارية التى تتميز بها عن شخصيات الصحف الأخرى ،مادامت جميع هذه الصحف تشترك فى الاعتماد على وكالات الأنباء ، ثم تنفرد كل واحدة منها بمراسلين تبعث بهم من قبلها إلى البلاد الخارجية .

المصدر الثالث — الإذاعات الأجنبية .

الحق أن نشرة الأخبار التى تذيعها الإذاعات الأجنبية على اختلافها تعتبر مصدراً هاماً من مصادر الأخبار الخارجية ، وقد توسعت الإذاعات فى مثل هذه النشرات حتى أصبح تقديم الأخبار من أهم الأغراض التى تنشأ من أجلها محطات الاذاعة فى العالم .

وفى وسع الصحف دائماً أن تحصل بسهولة على طائفة من الأخبار « الجاهزة » بسرعة عظيمة عن طريق هذه النشرات التى نشير إليها مع الالتفات التام إلى هذه الحقيقة ، وهى أن النشرة الاخبارية الصادرة عن الاذاعة إنما تخضع خضوعا تاما فى أكثر الدول لإشراف الحكومة . وهنا يجدر بنا أن ندعو كذلك إلى إنشاء محطة للإذاعة تكون تابعة تبعية مباشرة للأمم المتحدة أسوة بوكالة الأنباء التى اقترحنا تبعيتها كذلك لهذه المنظمة الدولية .

المصدر الرابع — الصحف الأجنبية :

لا ينكر أحد أن الصحف العالمية الكبرى تعتبر مصدراً هاماً من مصادر الأخبار ، وخاصة إذا علمنا أن هذه الصحف الكبرى تعتمد على مجموعة ممتازة من مراسليها فى الخارج ، وفى مقدمة هذه الصحف فى الواقع :

• جريدة التايمز اللندنية .
• جريدة النيويورك تايمز .
• المانشستر جارديان .
• الديلى ميل .
• الايكونومست .
• الديلى هرالد .
• سى سوار .

ومن ثم أوجبت الصحف العربية على نفسها الاشتراك فى تلك الصحف الأجنبية والاعتماد عليها أحياناً فى كتابة المهم من الأخبار الخارجية .

* * *

تلك هى أهم المصادر التى تستقى منها الصحافة العربية أنباءها عادة ، وأنت ترى أن هذه المصادر تبعث ببرقياتها باللغة الأوربية لا العربية إلا نادراً ، ومن ثم كانت الصحف العربية تعانى من الصعوبات المضنية فى تحرير الأخبار الخارجية مالا تحتاج الصحف الأجنبية إلى معاناته ، ولاشك أن هذا عبء من الأعباء الثقيلة التى تواجهها الصحافة العربية ، ولا تواجهها الصحافات التى بإحدى اللغات الأوربية .

وهذا يجرنا إلى النقطة الهامة والأخيرة من نقط هذا الفصل ، وهى :.

تحرير الخبر الخارجى .

عرفنا فيما سبق أن أهم ما يميز الخبر الخارجى :

أولا — أنه يأتى من الخارج غالباً .

ثانياً — أنه يأتى مكتوباً بلغة أجنبية غير اللغة التى تصدر بها الصحيفة العربية .

ثالثاً — ان موضوعات الخبر الخارجى بعيدة عن القارىء العادى ، بعيدة كذلك عن محرر الخبر الخارجى نفسه ، إلى أن يكتب عنها بقلمه .

رابعاً — ان الخبر الواحد تتعدد مصادره ، وتختلف وجهات النظر فيه اختلافاً بيناً ، فأزمة وزارية فى فرنسا تعتبر خبرا يحمله البرق ويطير به من وكالة أنباء إلى وكالة أخرى ، وينقله المراسلون الأجانب من بلد لآخر ، وتنشره الصحف الأجنبية ، كل بطريقتها الخاصة ، وبما يتفق وسياستها التى تسير عليها فى إصدار هذه الصحف .

خامساً — هكذا يجد محرر الخبر الخارجى نفسه أمام سيل من البرقيات الخارجية ، كلها تتحدث عن موضوع واحد ، وكلها تحاول أن تفسر هذا الموضوع الواحد ، ويكون على المحرر وقتئذ أن يفاضل بين هذه الطرق والتفسيرات والاتجاهات المختلفة ، ويستخلص منها الخبر الذى يريد أن ينشره فى الصفحة الخارجية نشراً يتفق والصحيفة التى يعمل فيها .

الترجمـــة

على محرر القسم الخارجى بعد ماتقدم أن يقوم بدور « الترجمة » ، ولعله منذ تعطيل وكالة الأنباء الفرنسية أصبحت اللغة الإنجليزية هى اللغة الوحيدة التى ترد بها البرقيات من وكالات الأنباء . والمحرر الخارجى يرى نفسه ملزماً بقراءة هذه المواد التى تمده بها وكالات الأنباء ، وترجمتها على النحو المتقدم ، ومن هنا لم يزل القسم الخارجى فى الصحف المصرية يسمى « قسم الترجمة » ، ومن هنا أيضا جاءت أهمية هذه المادة بين مواد الدراسة فى أقسام الصحافة بالجمهورية العربية إلى اليوم .

فالترجمة إذن عنصر من عناصر تحرير الخبر الخارجى ، وربما اقتصر عمل المحرر الخارجى أحياناً على مجرد الترجمة . على أن النجاح فى هذا الفن من فنون الصحافة العربية — وهو الترجمة — يقتضى فى الواقع مهارة

وتفوقاً فى اللغة المترجم منها ، واللغة المترجم إليها فى وقت معاً ، والمحرر الضعيف فى إحدى اللغتين لا ينتظر له نجاح فى هذا العمل .

وهذان المطلبان يستوى فيهما المترجم الصحفى والمترجم غير الصحفى ، ولكن الترجمة الصحفية فى الأقسام الخارجية تتطلب من المحرر أموراً أخرى أهمها ما يلى :

أولا — أن يكون دقيقاً فى ترجمته أبعد ما تكون الدقة ، وخاصة حين يتعرض لترجمة التصريحات الهامة ، والبيانات الرسمية ، والمعاهدات أو الاتفاقات [illegible] فى ترجمة هذه الموضوعات، قد تترتب عليه أمور جسام ، وحوادث كبيرة ، ونتائج على جانب من الخطورة فى العلاقات بين الدول ، فقد يؤدى الخطأ فى الترجمة إلى سوء فهم بين دولتين من هذه الدول ، ويؤدى سوء الفهم إلى قيام حرب،أوعلى الأقل يفضى بأحد الطرفين إلى سلوك معين ، ويرد عليه الطرف الآخر بسلوك مماثل ، وبذلك تسوء العلاقات ، وتسوء العواقب .

وقد تتطلب البرقية من المحرر أن يقوم بترجمة النص الذى أمامه ترجمة حرفية ، وهذا الأسلوب من أساليب الترجمة لاغنى عنه فى ترجمة المعاهدات والمواثيق الدولية ، وقرارات الهيئات ، والمؤتمرات ، والتصريحات الرسمية التى تصدرعن المسئولين ، وبخاصة فى الأوقات التى تشتد فيها الأزمات السياسية.

ولكن ليس معنى ذلك أن تجور الدقة فى الترجمة على سلامة الأسلوب العربى ، وتفقده رونقه وصحته وروعته ، فلابد إذن من المحافظة على خصائص الأسلوب العربى نحواً وتركيباً وصياغة وترتيباً ، وإلا أضحت الترجمة نفسها غير مفهومة ولا مستساغة .

ثانياً — أن يكون المحرر عارفاً بالمصطلحات السياسية ، أو التعبيرات الدبلوماسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ، والأدبية ، والفنية ، والعلمية ونحوها مما يرد فى البرقيات على اختلافها ، وعلى المحرر ألا يخلط بين هذه

المصطلحات بشكل أو بآخر ، فاللفظ الواحد قد يكون له قصدٌ ما فى موضوع من الموضوعات العسكرية ، ويكون له قصد ثان فى موضوع آخر ، ولاسبيل إلى ... ذلك إلا بالمرانة ، وليس على المحرر ضرر ما فى هذه الحالة فى أن يستعين بالمعاجم الخاصة التى ربما أفادته فى فهم المصطلح الذى يرد ذكره فى برقية من البرقيات ، وخاصة إذا كانت البرقية ، مما يعالج موضوعاً فنياً خالصاً ، أو علمياً خالصاً ، أو نحو ذلك ، ولا بأس على المحرر أيضاً من الاتصال فى هذه الحالات بالمختصين فى كل مادة من المواد ، يستوضحهم بعض هذه المصطلحات ، ويعرف منهم ما يقابلها فى اللغة العربية ، فلابد أن هؤلاء المختصين قد اهتدوا قبله إلى مثل ذلك لحاجتهم الماسة إليه ، وذلك بطبيعة الحال أسلم للمترجم فى قسم الأخبار الخارجية من التخبط فى ترجمة ربما لا تكون دقيقة ولا أمينة ، على حين أنه قد تكون لهذا المصطلح أو ذاك ترجمة دقيقة عند المتخصصين قد جرت بها ألسنتهم ، وكتبوها واستخدموها فى كتبهم ومؤلفاتهم .

ثالثاً — ينبغى للمحرر أن يتعرف قدر المستطاع على أساليب وكالات الأنباء ، وأن يميز بين أسلوب كل وكالة منها وبين بقية الوكالات الأخرى . وقد دلت التجربة على أن لكل واحدة من هذه الوكالات طريقتها الخاصة فى عرض الأنباء ، وأن لكل منها طريقتها الخاصة كذلك فى الحكم على هذه الأنباء ، ولا شك أن معرفة المحرر لهذه الأساليب تعينه فى الحكم على مدى الدقة التى تتوخاها كل وكالة منها فى نقل الخبر ، كما تعينه على كشف التحريف أو التهويش الذى تعمد إليه الوكالة فى بعض الأحيان لغرض من الأغراض .

ويتصل بهذه الناحية كذلك أن يجتهد المحرر فى معرفة الأساليب التى يمتاز بها كبار المسئولين العالميين ممن ترد أسماؤهم بكثرة فى ثنايا الأخبار ، وبذلك يستطيع المحرر أن ينقل هذه التصريحات نقـــلا صحيحاً إلى القارىء العربى .

والمعلوم أن لكبار الساسة لغة ليست كاللغة المعتادة ، وكثيراً ماتصدر عنهم تصريحات لها ظاهر ولها باطن ، وأحاديث وبيانات تحتمل عدة معان في وقت واحد ، وإذن فمعرفة اللغة التي يتكلم بها هؤلاء الساسة تعين المحرر على فهم تصريحاتهم وبياناتهم وخطبهم وأحاديثهم ، وتكشف عما وراءها من الحقائق والأغراض .

هذا كله من ناحية الترجمة ، أما من ناحية التصفية أو الغربلة فنقول : ليس عمل المحرر الخارجي كله ترجمة ، ونحن نعرف كذلك أن المحرر الخارجي قلما يترجم البرقية بحذافيرها ، اللهم إلا إذا كانت هـذه البرقية تشتمل على تصريح أو بيان رسمي ، أو تحتوى على نصوص اتفاق أو معاهدة ، أو نحو ذلك .

إن الذي يحدث عادة هو أن المحرر يجد أمامه كومة من البرقيات عن حادث معين ، ويأتي رئيس القسم الخارجي فيطلب إليه أن يخرج من هذه الكومة أو تلك خبراً معيناً على عمود ، بمعنى أنه لا يكاد يزيد عن عشرة أسطر ، وأمام المحرر أكوام كثيرة من هذا النوع تنبىء عن أحداث هي أكثر أهمية من الحدث الأول ، ورئيس القسم الخارجي يلح كذلك على المحرر في أن يستخلص من هذه الأكوام موضوعاً خبرياً على عمودين أو ثلاثة أو أربعة على الأكثر ، وإذا عمد المحرر إلى ترجمة جميع البرقيات التي أمامه ضاق وقته ووقت صحيفته عن ذلك ، فماذا يصنع المحرر الخارجي في هذه الحالة ؟

الواقع أن تحرير الأخبار الخارجية عمل شاق في طبيعته ، ونحن إذا حللنا هذا العمل وجدناه يتألف من الخطوات التالية :

أولا — تصفية البرقيات الواردة إلى الصحيفة ، واختيار أكثرها أهمية ، والمفاضلة بين برقيات الوكالة المختلفة في الحادث الواحد ، وهذه التصفية والاختيار والمفاضلة إنما تقوم على أساس من أهمية الموضوع من جهة

ومن تجربة المحرر نفسه مع هذه الوكالة أو تلك من جهة ثانية .

ثانياً — تصفية البرقية الواحدة ، فإنها غالباً ما تتألف من أجزاء متفرقة ، منها المهم ، ومنها غير المهم ، وفيها الحشو ، وفيها غير ذلك . وعمل المحرر الخارجي هنا هو استبعاد ما لا حاجة له به . والإبقاء على ما يحتاج إليه .

ثالثاً — عدم التقيد بترتيب عناصر الخبر، كما أوردته الوكالة تماماً ؛ فقد تبدأ الوكالة بناحية لا تعد مهمة فى نظر الصحيفة ، ولا فى نظر القارىء العربى ، وقد تعمد هذه الوكالة إلى وضع جزء من الخبر فى نهاية البرقية يوحى بعدم أهميته . وعمل المحرر فى هذه الحالة هو أن يقرأ برقيات الوكالة قراءة فاحصة ، ويلم بكل العناصر والنواحى الهامة فى الخبر على عجل ، ثم يتصرف فى هذه العناصر بما يتفق وسياسة الصحيفة من جانب ، واهتمام القراء من جانب آخر .

رابعاً — على المحرر الخارجى دائماً ألا يعتمد على وكالة واحدة بعينها حتى يطلع على غيرها من الوكالات الأخرى فى نفس الموضوع الذى يقدمه لقراء صحيفته .

خامساً — بعد الفراغ من تجميع العناصر المختلفة ، والموازنة كذلك بين الوكالات المختلفة تبدأ صياغة الخبر الخارجى ، أو تبدأ المهمة الحقيقية للمحرر ؛ إذ أن جميع الخطوات السابقة ليست إلا ممهدة لهذه الخطوة الهامة .

على أن هذه الصياغة تختلف باختلاف حجم الخبر عادة ، فإذا كان الخبر قصيرا وعلى عمود واحد فالمحرر يرى نفسه مضطراً إلى الاكتفاء بنقطة واحدة ، أو ناحية واحدة ، لأن الخبر القصير لا يحتمل أكثر من ذلك . وهنا تظهر مقدرة المحرر الخارجى فى اختيار أهم النقط التى يشتمل عليها الخبر ، أو الزوايا التى يتألف منها . وكثيراً ما يحدث أن المحررين يكتفون بأن يترجموا مقدمة البرقية أو صدرها لاشتمال هذا الصدر عادة على خلاصة الخبر .

أما إذا كان الخبر الخارجي كبيرا ، كأن يكون موضوعاً من الموضوعات — كما هو مصطلح على تسميته بهذا الاسم فى الأقسام الخارجية للصحف — فإن الصياغة تتطلب من المحرر فى هـذه الحالة أن يصيغ مقدمة أو صدراً للموضوع الإخبارى ، ولابد أن يخضع هذا الصدر فى صياغته لجميع الشروط التى يخضع لها الصدر عند كتابة الأخبار المحلية ، وقد سبق أن ذكرنا طرفاً من ذلك فى فصول أخرى ، وبعد كتابة المقدمة أو الصدر تأتى الأجزاء الأخرى أو الصلب ، فيكتبه المحرر فى فقرات أو جمل تقصر وتطول حسب الجزء الذى تعبر عنه هذه الجمل من أجزاء الخبر . ومن المحررين من يفضل الفصل بين هذه الفقرات بعنوان صغير ، ومنهم من لا يفعل ذلك ، وإذا كان الموضوع كبيراً ، أو كان يتألف من فقرات كثيرة وجب أن يراعى المحرر التوازن بين أجـــزائه ، بحيث لا يطغى جزء على آخر ، ولا يتوسع المحرر فى جزء على حساب آخر ، ولكن يجب أن يراعى المحرر التناسب بين هذه الأجزاء قدر المستطاع .

وبعد الانتهاء من صياغة الموضوع الإخبارى تأتى مهمة « وضع العنوان المناسب » ، وفى بعض الصحف يتولى رئيس القسم الخارجى وضع العنوان ، وفى بعضها الآخر يترك للمحرر الذى تولى تحرير هذا الخبر مهمة وضع العنوان . والاتجاه السائد بين الصحف الآن هو ترك هذا الأمر للمحرر ، وإن كان من حق رئيس القسم دائما أن يحدث ما يشاء من التغيير فى صيغة العنوان بعد ذلك .

وكتابة العنوان ليست بالعمل السهل ، وبعض المحررين يظهرون نبوغا فى ذلك ، وبعضهم يتعثرون كثيرا ، ويجدون عسراً شديدا فى كتابة العنوان الناجح لموضوع الخبر ، وإن كان للمارسة والتجربة دخل كبير فى هذه الناحية .

وثم ملاحظة هامة ، وهى أننا كثيرا مانرى أن عنوان الخبر الخارجى

فى صحيفة من الصحف يحمل فى طياته رأى محرره فى مضمونه عادة ، بل يعد تعليقا عليه ، وتوجيها منه للقراء فى فهم هذا المضمون على نحو خاص، من أجل ذلك وجب على المحرر الخارجى أن يجىء بعنوان معبر عن فحوى الخبر تعبيرا دقيقا بقدر المستطاع من غير زيادة ولا نقصان ، وأن يكون هذا العنوان متفقا تمام الاتفاق مع سياسة الصحيفة التى تنشر هذه الأخبار.

تلك هى طريقة تحرير الخبر الخارجى فى صحفنا المصرية أو العربية ، وهى طريقة تتطلب من المحرر — إلى جانب القدرة على الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية — محافظة تامة على فحوى الخبر ، وبراعة فائقة فى جمع أجزائه ، وسرعة وصبراً على فحص هذه الأجزاء ، والموازنة بينها فى جميع الوكالات التى تعرضت لها ، وموازنة سريعة وسليمة بين هذه الأجزاء لتقديم الأهم منها على المهم دائما ، وأمانة تامة فى القيام بكل هذه المهام على أحسن وجه مستطاع .

الفصل التاسع

طبيعة اللغة التي يكتب بها الخبر

في اللغة التي يكتب بها الخبر ، يقول بعض أساتذة الصحافة (وهو هنا الأستاذ ر . فليش R Flesh) :

ما دامت الصحافة تتجه بالخبر إلى الطبقات الديمقراطية في الشعب ، وما دامت هذه الطبقات تتزايد في كل بلد من بلاد العالم يوما بعد يوم ، فلا مفر من مسايرة اللغة الصحفية مسايرة تامة لهذه الطبقات » (١).

ومعنى ذلك أننا نكتب ليفهمنا الناس .

ومعنى ذلك أيضا أن اللغة التي تكتب بها المادة الصحفية لا بد أن تتوافر فيها جملة أشياء منها :

أولا — إيثار الجمل القصيرة على الطويلة ، بحيث لا تزيد الجملة عن قدر معين من الألفاظ .

وقد أجمع المشتغلون بالصحافة على وجوب تحذير محرر الأخبار من استخدام الكتابة الأدبية أو الكتابة المنمقة في التحرير . . .

واتفقوا جميعا على العمل بهذه النصيحة التي تقول :

استعمل الجمل القصيرة واكتب بلغة سلسة ومفهومة .

استعمل الكلمة التي تصيب الهدف ، بدلا من استعمال الكلمات العامة التي قد تعني أشياء كثيرة منها مضافة إلى الهدف ، فالألفاظ في أيامنا هذه يجب أن نعتمد على الدقة في استعمالها .

ثانيا — إيثار الفقرات القصيرة على الفقرات الطويلة ، حتى تضمن الصحيفة انتباه القراء دائما ، وتحتاج هذه المسألة إلى ما تحتاج اليه سابقتها

(١) راجع الملحق بالصفحة ٢٦ من كتابي « الإعلام »

من التجارب الإحصائية . ولغة الأرقام فى مثل هذه الأبحاث لا تحتمل الشك ، ولا تضلل الصحف بحال ما .

ثالثاً — الحرص على استعمال الألفاظ المألوفة للقراء ، وتجنب الألفاظ غير المألوفة . وليس القصد من ذلك هو الحرص على سلامة اللغة من أن تكثر بها الألفاظ الأجنبية عنها ، فللصحف أن تقول « ماركة رالى » فى الدراجات ولا تقول « علامة رالى » ، ولها أن تقول « محطة الأوتوبيس » ولا يصح أن تقول « محطة السيارات العـــامة » وتقول « ضاحية مصر الجـديدة » ولا يصح أن تقول « ضاحية هليوبوليس » . وتقول « راديو وتليفون » ولا يصح أن تقول « مذياع ومسرة » .

وحتى فى مجال العلم الخالص أو الفن الخالص ينبغى للصحيفة عندما تنشر خبراً من هذا النوع أن تقتصر ما أمكنها على استخدام المصطلحات المعروفة لأهل هذا الفن أو العلم ، إذ من الجائز أن يطلع على هذا الخبر بعض الجمهور غير المثقف بهذه الثقافة ، ولـكنه يرغب فى الاستفادة . وليس من شك فى أن نشر الثقافة هدف من أجل أهداف الصحافة ، فعليها أن تجعل الطريق سهلا إلى هذا الهدف ، كما أوضحنا ذلك فى كتاب « فن المقال » .

رابعاً — الحرص على استعمال الأفعال المجردة وتفضيلها على الأفعال المزيدة أو المبالغ فى اشتقاقها على صورة من الصور ، ولا بأس هنا من استخدام الألفاظ المنحوتة حديثاً لتدل على معنى من المعانى الحديثة أيضاً ، كما فى قولهم : تأقلم وتمذهب ، وتبلشف ، وكما فى قولهم التعايش السلمى ، واللامركزية ، والروتين الحكومى ، ونحو ذلك .

خامساً — اصطناع الألفاظ والتراكيب التى يألفها القراء ، أو التى تشعرهم بشىء من الإيناس . وهنا يحسن بالمحرر الصحفى أن يكثر من استعمال ضمائر الخطاب ، وأن يتجنب ضمائر الغيبة بقدر المستطاع ، وأن يشعر

القارىء باستمرار أنه يتحدث إليه كصديق، بل أخ شقيق يلذ له أن يستمع إليه ، ويصغى بكل جوارحه لكل كلمة من كلماته فى الصحيفة ، غير أن هذه النصيحة الخامسة ألزم فى كتابة المقال منها فى كتابة الخبر فتلبغى مراعاة ذلك .

سادساً — استعمال الفعل المبنى للمعلوم ، وتجنب استعمال الفعل المبنى للمجهول إلا عند الضرورة القصوى ، أو عندما يستخدم المحرر فى كتابته بعض الألفاظ التى اشتهرت بالبناء للمجهول كلفظ (عنى بأمره) ، (وأسقط فى يده) ونحو ذلك .

سابعاً — لا يجوز للخبر الصحفى أن يستعان فيه بالأشعار والحكم والأمثال وكلام الفحول من الكتاب والخطباء ، فهذه الأشياء أدخل فى باب الأدب الخالص ، فضلا عن أنها من أمارات الكتابة الأرستقراطية التى لا تفهمها إلا طبقة خاصة من القراء . والجريدة إنما تخاطب الطبقات الدنيا أو الوسطى ، أو التى سماها العلماء بالطبقات الديمقراطية كما قدمنا ، ومعنى ذلك باختصار أن المحرر ينبغى له دائماً أن يضع نصب عينيه مستوى القارىء ، فإذا كان قراء الصحيفة على جانب كبير من العلم وجب عليه أن يكتب لهم بأسلوب يتناسب وهذا القدر من العلم ، وإذا كانوا متوسطى الثقافة وجب عليه أن يراعى هذا المستوى فى تحريره مراعاة دقيقة . وفى هذه الأحوال جميعها لا تكون وظيفة المحرر الصحفى إثارة إعجاب القارىء بروعة الأسلوب وجمال التراكيب ، وبلاغة الجمل ونحو ذلك ، فهذا كله لا يتلاءم وصياغة الأخبار ، ولكنه يتفق مع المقال فى حالات خاصة من حالاته ، أو صورة معينة من صوره ، كما ستعرف ذلك فيما بعد .

ثامناً — فى كتابة الخبر الصحفى المتصل بحادث من الحوادث الداخلية ، كحادث حريق أو حادث تصادم أو نحو ذلك من الأحداث التى تتعرض للتغيير بين لحظة وأخرى ، ينبغى للمحرر الصحفى أن يخفف من عنايته بإيجاد الروابط الأسلوبية القوية بين أجزاء الخبر الواحد ، من أمثال : (وفى أثناء ذلك) ، أو : (ولما كان الأمر كذلك) الخ .

ومن حقك أيها الصحفي أن تعرف لماذا نسوق إليك هذه النصيحة الأخيرة :

فاعلم أن السبب في ذلك هو أن الخبر الصحفي لحادث من الحوادث الداخلية بنوع خاص عرضة — كما قلنا — للتغيير والتبديل بين لحظة وأخرى .

فإذا كانت الروابط بين أجزاء الخبر من هذا القبيل صعب عليك إجراء هذا التغيير المطلوب ، على حين أنه إذا كانت أجزاء الخبر الصحفي مستقلة بعضها عن بعض ، وغير مرتبط بعضها ببعض إلى هذا الحد ، أمكنك أن تحذف جزءاً ، وتضع مكانه آخر إذا اقتضى الحال ذلك ، دون أن يؤثر هذا في الخبر الصحفي نفسه من حيث الصياغة ، ودون أن يكون لذلك تأثير ما في سير الطبع ، وترتيب مواد الصفحة الخاصة بمثل هذه الأخبار الداخلية .

الفرق بين القصة الإخبارية والقصة الأدبية

مهما يكن من شيء فإن الفرق عظيم جداً بين القصة الأدبية والقصة الخبرية ، وهو فرق يتضح من جانبين :

جانب (العقدة) أولا ، وجانب (الأسلوب) بعد ذلك .

فالمعروف أن القصة الأدبية لابد لها من (عقدة) ، وأن مهارة الأديب تظهر في إخفاء هذه العقدة أولا ، والسير بالقصة رويداً رويداً نحو حلها آخر الأمر . أما القصة الخبرية فإن عقدتها تظهر أولا ، ولا يجوز للمحرر أن يؤجل ظهورها إلى ما بعد ذلك ، فأهم حادث في القصة الإخبارية ينبغي أن يحتل مكان الصدارة ، ثم تأتي الأحداث التي تقل عنه في الأهمية .

والقاعدة عند محرر الخبر في الصحيفة أن يسأل نفسه أولا جميع الأسئلة التقليدية المعروفة في صياغة الخبر ، : وهي (من ومتى وأين وكيف وماذا ولماذا) ، ثم يختار لصدر الخبر أهم هذه الإجابات الست كلها ، وليس عليه

في هـذه الحالة أن يضمّـن الصدر جميع الإجابات الست دفعة واحـدة متى رأى ضرورة لذلك .

أما من حيث الأسلوب : فطبيعى أن الأديب أوسع مجالا من الصحفى فى التعبير عن الحوادث التى تتألف منها القصة ، وطبيعى كذلك أن الأديب أغنى فى الأدوات والأساليب والوسائل التى يعبر بها عن حوادث القصة الأدبية ، فى حين أن الصحفى مقيد أبداً باللغة التى يفهمها قراؤه ، والطرق التى عودهم عليها فى كتابة القصة الخبرية .

ولكن : هل معنى ذلك أن القصة الخبرية ليست ذات حظ وافر من الجمال ، أو مقضى عليها بأن تكون كذلك على الدوام ؟ كلا ، فإن الكاتب اللبق يستطيع أن يخلق منها شيئاً جميـــلا حقاً ومثيراً حقاً ، ولذلك لا يعهد فى الصحف بتحرير القصة الإخبارية إلا للمحررين الذين قضوا وقتاً كافياً فى التدريب عليها .

الفصل العاشر

تحرير العنوان [1]

لم يكن للصحف العربية إلى وقت قريب كبير عناية بالعنوان من حيث العرض أو التحرير ، وليست الصحف العربية وحدها هي التي أهملت العنوان ، بل إن الصحف الأوربية والصحف الأمريكية شاركتها أيضاً في هذه الظاهرة .

لكنك حين تتصفح نسخة من صحيفة يومية تصدر في أي بلد من بلاد العالم المتحضر في أيامنا هذه تجد الأمر على عكس ذلك ، بل تجد أنواعا شتى من هذه العنوانات ، وكل نوع منها يؤدي وظيفة خاصة ، ويستطيع القارىء الحديث بنظرة واحدة سريعة يلقيها على الصحيفة أن يلم بجميع الأنباء ، وأن يعرف في الوقت نفسه أهم هذه الأنباء ، فإن كان لديه متسع من الوقت انتقل من العنوانات إلى صدور الأخبار ليزداد بقراءتها علماً بالحوادث ، وإن كان لديه وقت أكثر من هذا فرغ لقراءة التفاصيل ، ولا يحدث ذلك في الواقع إلا نادراً .

نخلص من كل هذا إلى أن الصحيفة الحديثة مضطرة إلى أن تبذل أكبر جهد مستطاع في كتابة العنوان ما دامت ظروف القراء — وخاصة في المدن الكبيرة — لا تسمح لهم بأكثر من قراءة السطور القليلة التي يتألف منها العنوان ثم السطور القليلة التي تتألف منها صدور الأنباء .

---

(1) رجعنا في هذا الفصل إلى كتب من أهمها كتاب بعنوان : News Editing . by Westey فانظر الفصلين التاسع والعاشر من هذا الكتاب .

أن صنيع الصحف الحديثة فى ذلك كصنيع المحال التجارية فى الوقت الحاضر حين تعنى هذه المجلات (بالفترينات) .

والحقيقة — كما يقول الأستاذ «وستلى» فى كتابه (تحرير الأخبار) أن العنوانات لا ينبغى أن ننظر اليها فقط على أنها النوافذ التى نطل منها على الصحف ، بل يجب أن ننظر اليها كذلك على أنها من المصادر الرئيسة للإعلام ، وخاصة بالنسبة للقراء الذين تضطرهم ظروفهم دائماً إلى القراءة العجلى على نحو ما أشرنا اليه فيما سبق .

ومع هذا وذاك فهناك الحقيقة التى تقول : ثلاثة أشياء تجذب القارىء إلى قراءة المقال :

أولها العنوان ، وثانيها طريقة العرض ، وثالثها اسم الصاحب والمحرر الذى كتب المقال ، ومعنى ذلك أن الطريق إلى شهرة الكاتب الناشىء إنما هو فى حسن اختيار العنوان وفى حسن كتابة المقال بعد ذلك ، فالشهرة آتية بعدهما لا محالة .

من الذى يقوم بصياغة العنوان ؟

يقوم بصياغة العنوان فى الغالب قسم بالصحيفة يقال له « قسم المراجعة » ، ويتألف هذا القسم عادة من رؤساء الأقسام المختلفة ومعهم نائب رئيس التحرير ، وهذا الأخير يشترط فيه أن يكون ذا حس دقيق بالأخبار على اختلافها ، وقدرة تامة على التمييز بين هذه الأخبار من حيث القيمة الخبرية ذاتها ، وبذلك يستطيع فى سهولة ويسر أن يختار لصحيفته العنوانات الدائرية العريضة ، أو ما يسمى فى اللغة الأوربية « المانشتات » (١) وقد اعتادت الصحف المصرية الحالية أن تبذل قصارى

---

(١) فكرنا كثيراً فى ترجمة صحيحة لكلمة «مانشيت» فآثرنا أن نترجمها بكلمة « العنوان الدائرى » لتكون الترجمة دقيقة وسليمة ومطابقة للفظ الأصلى فى وقت معاً ، فالمانشيت =

جهدها فى العناية بهذه العنوانات الدائرية ، وهى عناية لم تشهد لها مثيلا فى الصحافة الماضية التى كانت تصدر فى البلاد العربية ، كما أنها لا تشهد لها مثيلا فى الصحف الأوربية .

ومهما يكن من شىء فعلى نائب رئيس التحرير ومعاونيه أن يسألوا أنفسهم دائماً :

لماذا نكتب العنوان ؟ وهل للعنوان وظيفة فى الحقيقة ؟

وهل تكتب الصحيفة العنوان لمجرد العادة والجرى وراء التقاليد ؟ أم أنها تعنى بكتابة العنوان لأنه يخدم غرضاً بالذات من أغراض الصحيفة ؟

إن عليهم أن يناقشوا كل هذه الأسئلة ، أو يجعلوها على الأقل فى أذهانهم دائماً عند كتابة العنوانات التى تحتاج إليها الصحيفة ، ثم عليهم بعد هذا كله ، أومع هذا كله ، أن يجيبوا عن هذه الأسئلة من وجهة نظر الصحيفة أولا ، ومن وجهة نظر القراء بعد ذلك .

ومع هذا وذاك فهناك حقيقة لا ينبغى أن نغفل عنها أو نتجاهلها ، وهى أن نائب رئيس التحرير — سواء رضى هو أو رضى رؤساؤه ، أم لم يرض هو ولم يرض رؤساؤه — هو المسئول الحقيقى عن الخبر .

ومعنى ذلك أنه مضطر أن يعكس شخصيته إلى حد ما على صياغة الخبر بعنوانه وصدره وبقية أجزائه ، ذلك أن الأخبار لا تحدث فى الفراغ ولا يمكن أن تصاغ بشكل آلى .

وهذا وذاك لا يطعن فى قدسية الخبر التى سبق أن أشرنا إليها وألزمنا جميع الصحف بالمحافظة عليها ، وذلك أن انعكاس شخصية المحرر على

= فى اللغات الأجنبية لفظ يطلق على ردن القميص الذى يدور حول معصم اليد ، وأنت حين تمسك بنسخة من صحيفة لتطويها وتجعل منها دائرة تجد (العنوان الدائرى) يلتف حول عنق الصحيفة تماماً كما يلتف الردن حول معصم اليد .

صياغة الخبر ليس معناه مطلقا العبث بجزئية واحدة من جزئيات الخبر ، ولكن معناه صياغة الخبر بالطريقة التي تنم عن شخصية محرره أو شخصية الصحيفة التي تنشره .

وعلى نائب رئيس التحرير ومعاونيه أن يبرزوا جدية الخبر ، معتمدين في ذلك على إجادة التحرير من جانب ، وعلى طريقة العرض أو نوع الحروف التي تستخدم في عرض العنوان من جانب آخر ، فلعلهم يشيرون بكتابة العنوان بالخط الثلث ، ولعلهم يشيرون بكتابته بالخط النسخ ، ولعلهم كذلك يشيرون بكتابته بالخط الرقعة . وهم لسبب أو لآخر يتحكمون في أحجام الحروف واختيارها من أي نوع من هذه الأنواع الثلاثة ، وهكذا .

وهنا ينبغي أن نلفت أنظار الطلبة الذين يدرسون الصحافة بالجامعة إلى الفرق بين الصحف العربية والصحف الأجنبية من هذه الناحية .

فالصحف العربية تعتمد على الخطوط ، كما أوضحنا ذلك ، والصحف الأجنبية لا تعتمد على الخطوط وإنما تعتمد على الحروف ، ولهذا تملك المطابع والصحف الأجنبية مجموعة كبيرة من طرز الحروف (جمع طراز) ، كالطراز القوطي ، والطراز الروماني ، والطراز الحديث ، ونحو ذلك ، ولكل واحد من هذه الطرز علامة خاصة ، أو رقم معين يعرف به في المطبعة ، وما على المحرر إلا أن يشير إلى علامة هذا الطراز أو ذاك ليعرف عامل المطبعة نوع الطراز الذي اختاره المحرر ليحقق به غرضاً معيناً في ذهنه .

ونعود إلى عمل نائب رئيس التحرير ومعاونيه ، فنراهم يجتهدون في تحرير العنوان بحيث يجذب نظر القارىء بسرعة كبيرة ، ونراهم يحاولون أن يكون العنوان متفقاً كل الاتفاق مع شخصية الصحيفة ، إذ المعروف لدى الجميع أن لكل صحيفة من الصحف أسلوبها الخاص في عرض الخبر ، ونائب رئيس التحرير هو المسئول الأول عن مطابقة العنوان لشخصية الصحيفة التي ينتمي إليها ، ففي ذلك ما يعين على شهرتها من جانب ، وعلى

انتشار التوزيع عن طريق البيع فى « الأكشاك » والأماكن العامة من جانب آخر .

ومعنى ذلك باختصار أن فن كتابة العنوان من الفنون الدقيقة التى تتطلب مهارة خاصة وذوقاً خاصاً ، ولا يستطيع أى شخص فى أسرة التحرير أن يدعى لنفسه الكمال فى الوصول إلى هذه الغاية ، ما دام متفقاً معنا فى أن العنوان يجب أن يحتل المكانة الأولى من وظائف الإعلام ، ويجب أن يعتمد عليه أولا فى القيام بهذه الوظائف .

وقبل أن ندع الكلام عن نائب رئيس التحرير ومعاونيه ، وعن الواجب عليهم نحو كتابه العنوان المعبر عن شخصية الصحيفة يجب أن ننبه الأذهان هنا إلى شىء هام ، وهو أن يكون العنوان مفهوماً فهماً تاماً للقراء ، فلا يصح للمحرر بحال من الأحوال أن يلجأ إلى ألفاظ تكون غامضة لدى القراء ، واختصارات ومصطلحات يعجزون عن فهمها ، وإن كان من الحق أن يقال عن ظاهرة استخدام الاختصارات وأوائل حروف الكلمات إنها أوضح فى الصحف الأجنبية منها فى الصحف العربية : فالصحيفة الأجنبية — على سبيل المثال — تستخدم الحرفين A.P. لتدل بهما على وكالة الأنباء المعروفة باسم « الأسوشييتدبرس » ، وتستخدم الحروف U. S. A. للدلالة على الدولة التى تحمل اسم الولايات المتحده الأمريكية . . وهكذا .

أما نحن فى الصحف العربية فلا نلجأ إلى شىء من ذلك ، لأن ذلك ليس من طبيعة اللغة العربية التى تكتب بها هذه الصحف .

ما هو العنوان ؟ وما أهم أشكاله فى الصحف ؟

يمكن تعريف العنوان فى الصحيفة بأنه السطر أو مجموعة الأسطر التى جمعت بحروف كبيرة لتسبق موضوعاً أو قصة خبرية ، وتلخص هذا

الموضوع أو القصة الخبرية . غير أنه من الخطأ أن نعتقد أن كلمة «عنوان» تنصب فقط على العناوين الدائرية «المانشتات» وغيرها من عناوين الصفحة الأولى وحدها ، كما أنه من الخطأ أيضاً أن ننظر إلى كلمة «عنوان» على أنها تعنى الجزء العلوى وحده من عناوين الصحف دون سائر الأجزاء الأخرى . من الخطأ أن نعتقد ذلك ، إذ أن العنوان فى الواقع يشمل كل الوحدات التى تسبق صدور الأخبار والموضوعات التى تنشر عنها الصحيفة . وهذا كله من حيث تعريف العنوان .

أما أشكال العنوان أو أنواعه فأمرها بسيط فى الصحف العربية ، على حين أن هذه الأشكال والأنواع تتعدد فى الصحف الأجنبية :

فهناك فى تلك الصحف الأجنبية العنوان المكتوب على شكل هرم مقلوب ، وفيها العنوان المكتوب على شكل سلم متدرج ، وهناك العنوان المكتوب على شكل أسطر متساوية فى بداياتها ، متساوية فى نهاياتها .

ولكل شكل من هذه الأشكال ، أو نموذج من هذه النماذج عدد خاص من الكلمات ، وحجم خاص للحروف التى تجمع منها الكلمات ، ورقم خاص يدل عليه ، ويهدى المطابع إليه ، وما على كاتب العنوان فى الصحيفة الأجنبية إلا أن يشير إلى رقم النموذج الذى يختاره لكتابة العنوان ، ومن السهل بعد ذلك على عامل الجمع فى المطبعة أن يقوم بتنفيذ ذلك على الوجه الذى أراده المحرر .

والأمر على خلاف ذلك فى الصحف العربية ، فليس لها مثل هذا النظام إلى الآن ، وربما يكون لها مثله فى المستقبل القريب ، وليس أمام الصحف العربية فى الحالة الراهنة إلا أن تقيد نفسها بحدود الأعمدة التى تنشر عليها هذا العنوان أو ذاك ، فيبعث المحرر إلى الخطاط فى الصحيفة بتعليمات خاصة يشير فيها إلى عدد الأعمدة التى يمتد عليها العنوان ، وإلى السعة

أو العمق الذى يشير به ، وما على الخطاط إلا أن يقوم بتنفيذ ذلك .

وإذا كان ولا بد من أن يتألف العنوان من أسطر يكمل بعضها بعضا فيلبغى أن تراعى فى ذلك بعض القواعد العامة ومنها :

أولا — أن يشتمل السطر الأول على كلمات قليلة توضح المعنى العام للمقــــال .

ثانياً — أن يشتمل السطر الثانى على ألفــاظ تزيد رغبة القارىء فى القراءة وتفتح شهيته لها .

ثالثاً — أن يشتمل السطر الثــالث — إن وجـد — على معلومات تساعد فى الربط بين العنوان ومقدم المقال .

رابعاً — أن تكون ألفاظ العنوان بأسطره الثلاثة أو الأربعة مطابقة لمضمون المقال ، وبدون ذلك يشعر القارىء بنوع من الغرابة ، ويرى أن الفجوة واسعة بين العنوان والمقال ، وقد يجعله ذلك زاهداً فى قراءته ، كما سنشير إلى ذلك بعد .

خصائص كتابة العنوان :

للصحف أن تختلف فى الطريقة التى يكتب بها العنوان ، وللصحف أن تعبر كل منها عن شخصيتها المميزة لها فى كتابة العنوان ، ولكن ثم أصول عامة لا مفر لجميع الصحف من اتباعها فى كتابة عنواناتها بحيث تتوافر لها خصائص منها :

أولا — تركيز عبارات العنوان بحيث يجب تجريده من جميع الألفاظ التى يمكن الاستغناء عنها .

ثانياً — تفضيل الفعل المضارع فى صياغة العنوان ، والحكمة فى ذلك هى أن يشعر القارىء بأنه يعيش فى جو الموضوع أو الحادث الذى تنشر

عنه الصحيفة ، وإن كانت هذه الطريقة مألوفة فى الصحف الأجنبية أكثر منها فى الصحف العربية ، على أن هذه الطريقة معروفة لدى البلغاء ورجال الأدب وكتاب القصة بنوع خاص .

ثالثاً — أن تكون ألفاظ العنوان ملائمة بقدر المستطاع لطريقة عرضه ، وللطراز أو النموذج الذى جمع به ، أو الخط الذى اختاره المحرر لكتابته .

فالعنوان الكبير الحجم ، أى المكتوب بالخط العريض ، تلائمه الألفاظ المختصرة ، أو القليلة العدد ، والعنوان الأصغر ، أو العنوان غير الرئيس ، وهو المجموع فى حروف متوسطة الحجم ، يمكن أن يحتاج لألفاظ أكثر ، وهكذا .

والغاية من هذه التوصيات هى تركيز عبارات العنوان وتوفير الحيز الذى يمكن استغلاله فى إضافة حقائق هامة من حقائق الخبر .

وأنت ترى من ذلك أنه لكى يحقق المحرر كل هذه الأغراض لا بد له من أمور كثيرة :

أولا — استيعاب دقيق لكُنْه الخبر أو الموضوع الذى يكتب له العنوان ، فيحاول المحرر أن يعرف جيداً أى أجزاء الخبر أو الموضوع أولى بالتقديم ، وأيها أشد لفتاً لأنظار الجمهور ، وأيها كذلك أهم من سواه فى نظر الصحيفة .

ثانياً — حصيلة لغوية كبيرة تعين المحرر على حسن اختيار الألفاظ بحيث تقوى على تأدية الوظائف التى للعنوان ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك .

ثالثاً — حاسة دقيقة وقدرة ظاهرة على بناء الجملة أو الجمل التى يشتمل عليها العنوان ، بحيث لا تحتمل غموضاً أو إبهاماً ، ولا تتسع لتأويلات مختلفة ، ولعل خير ما يعين المحرر على بناء هذه الجمل ، وعلى نجاحها فى تأدية الغرض المطلوب منها المفاضلة بين الأسئلة التقليدية الستة عند

الإجابة عنها ، والأسئلة هى : (من ، متى ، أين ، ماذا ، كيف ، لماذا ؟) . ويستطيع المحرر عن طريق هذه المفاضلة أن يخلص إلى الإجابة التى تهم القراء والصحيفة أكثر من الإجابات الأخرى ، فيقدمها على سواها ، ويجعلها مادة العنوان .

نعم ، إن كل جزء من العنوان يعتبر وحدة لغوية ، أو جملة مفيدة قائمة بذاتها ، ولكن لا ينبغى أن يتعارض ذلك مع مبدأ تجريد العبارة أو الجملة أو الوحدات اللغوية التى يتألف منها العنوان من جميع الألفاظ التى يمكن الاستغناء عنها .

وغنى عن البيان بعد هذا وذاك أنه يجب على المحرر أن يتجنب تكرار الألفاظ التى ترد فى العنوان الواحد ، كما أن عليه أن يختار الألفاظ والمصطلحات الصحيحة الدلالة بقدر الإمكان ، وأن يبذل جهداً واضحاً فى اختيار الفعل المضارع الذى لا يصح أن يحل محله فعل آخر بحال ما .

كتابة العنوانات الفرعية :

تعمد الصحف كثيراً إلى تقسيم الموضوع أو القصة الخبرية إلى أجزاء ، وتجعل لكل جزء منها عنواناً فرعياً ، وتنظر إلى هذه العنوانات الفرعية على أنها فواصل بين أجزاء الموضوع الواحد أريد بها التغلب على ملل القارىء ، كما تنظر الصحف إليها كذلك على أنها معالم فى طريق القراءة تجذب إليها نظر القارىء ، وتهديه فى أثناء القراءة ، وتلقى فى روعه أن الموضوع الذى يقرؤه لم يطل عرضه بالصحيفة إلا لفائدة جديرة بالحصول عليها ، وقد تستخدم الصحف بدلا من العنوانات الفرعية فواصل طباعية كالنجوم ، أو الرسوم الصغيرة ، أو الفراغات البيضاء ونحو ذلك .

وعلى هذا فالعنوانات الفرعية فى الصحيفة تعتبر فى نظر الكثيرين فواصل أكثر منها عنوانات بالمعنى المفهوم لهذه الكلمة ، ومع هذا فإن

كثيراً من الصحف تبذل فى تحرير هذه العنوانات الفرعية مثل العناية التى تبذلها فى العنوانات الكبرى أو الأصلية . والمتبع فى أكثر الصحف هو أن يتضمن العنوان الفرعى إحدى الحقائق الهامة التى تشتمل عليها الفقرة التالية لهذا العنوان الفرعى .

ومهما يكن من شىء فلا ينصح الخبراء كثيراً بالإسراف فى استخدام العنوانات الفرعية حتى لا تتجاوز الغرض المقصود منها .

على أننا نلفت النظر هنا كذلك إلى العنوانات الخاصة ببقايا الموضوعات أو القصص الخبرية التى سبق نشرها فى صفحات متقدمة ، فقد يحدث أن ينشر موضوع كبير فى الصفحة الأولى ، وتنشر بقيته فى صفحات أخرى ، وهنا تشير الصحيفة إلى مكان هذه البقية ، وعند كتابة البقية إما أن يكرر المحرر نفس العنوان الأساسى للموضوع أو للقصة ، وإما أن يكتفى بالجزء الأول منه ، مثال ذلك : إذا كان العنوان الأساسى « زيارة الدكتور نيكروما للرئيس جمال عبد الناصر » فللمحرر — عند كتابة البقية — أن ينشر العنوان كاملا ، وله أن يكتفى بقوله : (زيارة الدكتور نيكروما) .

* * *

لك أيها القارىء أن تطبق هذه الأصول على تحرير العنوان فى الصحافة التى تقرؤها ، وفى وسعك أن تنقد الطرق المختلفة فى تحرير العنوان بهذه الصحف ، وأن تتعرف على شخصية الصحيفة من خلال عنوانها على النحو الذى أشرنا إليه .

الفصل الحادى عشر

التعليق على الخبر

ليس هناك شك فى أن الأخبار فى ذاتها لا تؤثر فى حياة الناس مالم تكن لها صلات وثيقة بمصالحهم الخاصة والعامة ، ولذا يحتاج القراء إلى فهم هذه الأخبار وإدراكها إدراكا صحيحاً على ضوء هذه المصالح ، وهذا ما يسمى عند علماء الصحافة « الوعى الصحافى » ، وعلى الصحافة واجب عظيم هو الوصول بقرائها إلى هذا الوعى ، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الشرح لمدلول الأخبار ، وتكييفها بحيث تمس وجدان الناس ، وتخاطب شعورهم ومصالحهم فى وقت معا ، ولا يكون ذلك فى أكثر الأحيان إلا عن طريق « التعليق الصحفى » .

والتعليق الصحفى على هذا النحو يجعل للأحداث التى تنشرها الجريدة معنى ومغزى ، ويكسبها رائحة وطعما ، وهو فوق هذا وذاك يتحكم فى نظرة القراء إلى هذه الأحداث : فمرة يحكم التعليق الصحفى على بعض الأخبار بأنه تافه ، وأخرى يحكم على بعضها بأنه خطير ، وتارة يصفها بأنها حوادث عابرة ، وأخرى يصفها بأنها مقدمات لأزمة حادة تؤدى لنتيجة ما ، وهكذا ..

ومن هنا كان سلطان الصحافة عظيما على نفوس الجماهير ، ومن هنا كانت الصحافة مسئولة إلى حد كبير عن الثورات ، والانقلابات ، والتغييرات التى تخضع لها الشعوب ، وفى هذه المسئولية الأخيرة يشترك الأدب مع الصحافة ، فليس يكفى أن يقع الظلم على الشعوب حتى تثور ، وإنما يشترط للثورة التى يقوم بها الشعب أن يحس هذا الشعب إحساسا قويا بظلم الظالمين ، ولن يكون هذا الإحساس الخطير إلا عن طريق الأدب من

جانب ، والصحافة من جانب آخر ، والأمثلة على هذا موفورة فى التاريخ ، فالثورة الفرنسية ، والثورة المصرية ، والثورة الإيطالية ، والثورة الروسية كلها مدينة لأقلام الكتاب فى ميدان الأدب ، والمحررين فى ميدان الصحافة ، ولولاهم لظل الناس يحتملون آلامهم ، ويصبرون على بؤسهم وشقائهم ، ولا يشعرون بهما يوما ما .

وفى ذلك يقول علماء النفس :

« إن الحكم على الشىء جزء من تصوره ، فلا تستطيع أن تحكم على شىء ما بأنه نافع أو ضار إلا إذا تم تصورك له ، وإدراكك لمعناه » .

ثم إن القراء ليس لديهم الوقت الكافى دائما لإدراك الأخبار ، وبعضهم عاجز تماماً عن مثل هذا الإدراك ، ومن ثم كان على كتاب الصحف أن يقوموا لقرائهم بهذه المهمة العقلية والنفسية ، وبها يستطيع القراء أن يضموا إلى معرفتهم « الخبر » معرفتهم كذلك بـ « ما وراء الخبر » .

على أن التعليق الصحفى فى ذاته له أنواع كثيرة ، والمعلقون الصحفيون فئات كثيرة أيضاً : فهناك المعلقون السياسيون ، والمعلقون الاجتماعيون ، والمعلقون فى مجال العلم ، والمعلقون فى مجال الأدب ، ولن يستطيع المعلق الصحفى أن يتذوق خبراً من الأخبار كائناً ما كان ما لم يكن له رصيد كاف من العلم الذى يعينه على إدراك هذا الخبر إدراكا صحيحاً .

والصحفى الذى حرم قدراً من المعرفة يكفى لفهم نوع من الأخبار المتقدمة لا يستطيع بحال ما أن يتصدى للتعليق على هذا النوع بالذات ، وإن تصدى لذلك على غير علم منه أضل القراء ، وجنى على صحيفته جناية تفضى بها إلى السقوط والاختفاء .

* * *

وثم سبب آخر من أسباب أهميـــة التعليق على الخبر ، ولعله من أخطرها فى الحقيقة ، وهو سبب يتصل بوكالات الأنبـاء ، وتفسير

ذلك أن بعض هذه الوكالات تهدف فى كثير من الأحيان إلى خدمة المصالح الاستعمارية ، ويدأب على نشر الأخبار بطريقة ملتوية تساعد على تحقيق هذه الغاية السياسية ، وبذلك تلحق الضرر بمصالح البلاد الشرقية أو العربية ، وفى هذه الحالة يصبح للصحيفة أن تعلق على الأخبار الصادرة عن هذه الوكالات تعليقاً تميز به الجانب الصحيح من الجانب المغرض .

ولعله من أجل هذا السبب الخطير فكرت الحكومة المصرية فى إنشاء وكالة أنباء جديدة ، وكانت شركة أنباء الشرق الأوسط أثراً من آثار هذا التفكير ، بل إن الجمهورية العربية المتحدة فى هذا الوقت تمكنت من إنشاء وكالة أنباء عربية عالمية سيكون مقرها جريدة الأهرام الحالية .

وهناك واجب آخر على الصحافة — من حيث التعليق — ونعنى به واجبها نحو المجتمع فى مجال الجريمة .

نعم ، على الصحف فى كل وقت أن تعنى عناية تامة بالتعليق على أخبار الجريمة ، وعليها أيضاً أن تهدف من وراء هذا التعليق دائماً إلى بيان الدوافع الحقيقية لارتكاب الجريمة ، وطرق الوقاية منها ، ودفع أولى الرأى فى الأمة لكى يعاونوها معاونة صادقة على أداء هذه المهمة الوقائية البحتة .

هذا هو التعليق الصحفى ، وتلك هى أهميته للصحيفة وللقراء ، وهو بهذا الوصف يعتبر نوعاً من أنواع المقال ، ولا يصح — فى نظرنا — أن يعتبر جزءاً من أجزاء الخبر بحال من الأحوال ، وسنرى أن التعليق على الأخبار كثيراً ما يكون موضوع المقال الافتتاحى ذاته فى الصحيفة .

أما الذى يعتبر جزءاً من أجزاء الخبر نفسه فهو الجانب التفسيرى الذى يتخلل الصلب عادة ، ويكون من جملة التفاصيل التى يتألف منها هذا القسم الهام من أقسام الخبر .

مثال ذلك أن صحيفة من الصحف قد تنشر خبراً عن رئيس وزراء

فى السويد أو النرويج ، أو الصين الشعبية ، أو الصين الوطنية ، وتفترض الصحيفة إذ ذاك أن القارىء العادى لا يعرف شيئاً ما عن هذا الرجل أو ذاك ، وأنه لا يستطيع لذلك أن يفيد فائدة ما من الخبر ما لم تعمد الصحيفة فى جزء من أجزاء هذا الخبر — وهو الصلب عادة — إلى ذكر شيء عن هذا الرئيس ، وكثيراً مايبدأ هذا الجزء التفسيرى بقولها : « ومن المعروف عن هذا الرجل أن ميوله السياسية كذا وكذا » أو « والقراء يعلمون عن اتجاهاته السياسية كذا وكذا » ، وبهذه الطريقة تضمن الصحيفة أن الخبر سيقرأ أولا ، وسينتفع به فى هداية القارىء بعد ذلك .

وقد اصطلح العلماء على تسمية هذا اللون الصحفى باسم « تفسير الأخبار » ، وذلك فى مقابل اللون المعروف فى الصحافة باسم « التعليق على الأخبار » ، كما اصطلحوا على تسمية هذا الهدف فى ذاته « الوظيفة التفسيرية فى الصحافة » ، وهى شيء مخالف لوظيفة المقال ، أو التعليق ، أو العمود ، ونحو ذلك ، ولكنه يتصل اتصالا تاماً بالخبر ، ويعتبر جزءاً هاماً من أجزائه ، أو تفصيلا مهماً من تفصيلاته ، بحيث إذا خلت منه بعض الأخبار أصبحت ناقصة من الناحية الفنية الخالصة .

وهذه الوظيفة التفسيرية للصحافة هى التى دعت العلماء إلى مراجعة أنفسهم فى البحث عن وظائف الصحافة ، فقد اتفقوا قبل الآن على أن للصحافة وظائف أربعاً هى :

١ - وظيفة الإعلام .
٢ - وظيفة التوجيه والإرشاد .
٣ - وظيفة التسلية والإمتاع .
٤ - وظيفة التسويق أو الإعلان .

أما الآن ، فقد اتفقوا على أن للصحافة الحديثة خمس وظائف ، هى

تلك التى ذكرناها مضافة إليها « وظيفة تفسير الأخبار » التى فرغنا من شرحها بطريقة موجزة .

والخلاصة أن الفرق كبير بين الخبر ، وتفسير الخبر ، والرأى المبنى على الخبر .

فالخبر هو الوقائع التى حدثت بالفعل ، وتفسير الخبر جزء هام من أجزاء الخبر يراد به شرح نقطة المفاهيم ، أو بعض المسميات الواردة فى صلب هذا الخبر .

وأما الرأى المبنى على الخبر ، فهو المراد بكلمة « التعليق الصحفى » .

يقول المستر ماركل رئيس المعهد الدولى للصحافة ومعهد الصحافة الأمريكى فى شرح الفروق المتقدمة(١) :

« إن ذكر أن الكرملين يشن حملة من أجل السلام يعتبر خبرا » .

« وإن شرح أسباب شن الكرملين لهذه الحملة فى هذا الوقت بالذات ، هو التفسير .

« والقول بأن كل حملة للسلام تصدر عن الكرملين يجب أن ترفض ، هو الرأى .

« أما الشرح فهو جزء هام من أجزاء الخبر ، أما الرأى فلا مكان له غير أعمدة التعليقات .

وليس من شك فى أنه كما يحتاج التعليق الصحفى إلى ثقافة واسعة ومنوعة من جانب المحرر ، كذلك يحتاج التفسير الخبرى إلى هذا القدر من الثقافة ، وذلك من حيث السعة والتنوع ، حتى يتمكن المخبر الصحفى من القيام بهذه الوظيفة الجديدة من وظائف الصحافة خير قيام .

على أن هذا الأمر الهام — وهو تفسير الأخبار — كثيراً ما يقتضى

(١) الصحفى المحترف : الترجمة العربية لكتاب جون هوهبرج ص ٣٥ و ٣٦ .

من لمحرر الصحفى أن يكون له « أرشيف » خاص عدا « الأرشيف العام » الذى للصحيفة ، وفى هذا الأرشيف الخاص يستطيع المحرر الصحفى أن يجمع المعلومات الجديدة أولا بأول عن الشخصيات الجديدة عليه وعلى القراء ، وهو يعلم علم اليقين أنه محتاج إليها يوماً ما عند تفسير خبر من الأخبار التى تتصل بإحدى هذه الشخصيات .

ومن هنا تبدو أهمية هذه الأداة من أدوات المحرر الصحفى ، التى هى ألزم له من « كراسة التحضير للمدرس » ، ونعنى بها المجمعات الإخبارية ، الخاصة والعامة ، أو ما اصطلح الصحفيون أنفسهم على تسميته باسم « الأرشيف » . .

وتستطيع الجريدة أن تجمع فى التعليق على الأخبار — وخاصة السياسية منها — بين طريقتين :

الأولى — الطريقة المباشرة ، وبها يتولى أحد المحررين كتابة التعليق الذى يتفق وسياسة الجريدة .

الثانية — الطريقة غير المباشرة — وهى التى تعمد فيها الجريدة إلى استعارة تعليق من التعليقات الهامة من أية جهة من جهات الإعلام المعروفة ، كالصحف والمجلات ، والإذاعة ، ووكالات الأنباء العالمية ونحو ذلك .

ولقد كانت جريدة الأهرام المصرية — إلى وقت قريب — تتبع الطريقتين معاً ، فتكتب تعليقاً خاصاً على شكل مقال افتتاحى ، أو عمود صحفى عادى ، وتستعير فى الوقت نفسه تعليقاً آخر من وكالة أنباء أجنبية ، وكانت تكتب هذا النوع الآخر من التعليق تحت عنوان « العالم يفكر » وفيها ، أى فى هذه المادة ، تأتى بتعليق لجريدة أمريكية أو إنجليزية ، وكثيراً ما يكون هذا التعليق بقلم صحفى كبير متخصص فى التعليقات السياسية

كالأستاذ ليبمان Lippmann وسنخصه بكلمة قصيرة فى نهاية هذا الفصل .

وفى الجرائد العراقية تنشر أحياناً تعليقات محمد حسنين هيكل مأخوذة من الأهرام .

والحق أن شهرة رجل كالأستاذ ليبمان فى كتابة التعليق السياسى آتية من ثقافته الواسعة من جهة ، ومن علمه الدقيق بالاتجاهات السياسية فى العالم كله من جهة ثانية ، ومن معرفته الدقيقة كذلك بأخلاق الشعوب التى يكتب عنها ، وأخلاق الزعماء والقادة الذين يشير إليهم ، ونيات الحكومات التى يتعرض لنقد سياستها آخر الأمر .

ومن هنـا تعدت شهرة هذه التعليقات جريدة الهرالدتريبيون التى يكتب فيها ليبمان إلى جرائد كبرى فى شتى أنحاء العالم المتمدن ، فضلا عن وكالات الأنباء فى جميع هذه الأنحاء .

وكالأستاذ ليبمان فى فن التعليق الصحفى كل من :

جون دينى فى جريدة الأوبزرفر

ووليم كلارك بنفس الجريدة .

وديفيد بورانس فى جريدة الهرالد تريبيون

ومارجريت هيجنز بنفس الجريدة .

ومحمد حسنين هيكل فى جريدة الأهرام ، وذلك بالنسبة للقضايا العربية بنوع خاص ، وهكذا .

وبعد أن اختفت صحيفة ورق عام ١٩٣١ تحول ولترليبمان إلى كاتب رواية ، وكاتب عمود صحفى ، وغزت كتاباته فى عموده المعروف « اليوم وغدا » قطاعا واسعا من جمهور القراء ، فهو كثيراً ما يوفق فى القاء الضوء أمام القارىء العادى ، وكثيراً مايمهد له الأرض الصلبة التى أمامه حيث تلتقى السياسة بالاقتصاد ، فإذا القارىء العادى قادر على أن

يفهم هذه المسائل الصعبة فهما مستقيما فى أكثر الأحيان .

تتبع الخبر Following up. :

على الصحيفة — فضلا عن واجب التعليق — واجبات أخرى كثيرة منها المهمة الخاصة « بتتبع الأخبار » ، ولها فى ذلك طرق كثيرة فهى تستطيع أن تتبع الخبر الصحفى :

أولا — بنشر تفاصيل جديدة لم يسبق نشرها فى المرة الأولى .

ثانياً — بنشر أحاديث صحفية يدلى بها المسئولون أو الأشخاص المشتركون فى الحادث بأحاديثهم .

ثالثاً — بكتابة التحقيقات الصحفية إن احتاج الأمر إلى ذلك .

رابعاً — بكتابة الطرائف الصحفية Peatures .

وهذه الأخيرة هى التى سنتحدث عنها أولا فى الفصل التالى :

إن أول من اشتهر بذلك هو والتر ليبمان الذى يملك صحيفة علمية وخبرة صحفية تمكنانه دائماً من أن يكتب بثقة ، وهو يملك فوق ذلك براعة غير عادية فى التعبير عن رأيه بوضوح وبساطة ، ذلك أن والتر ليبمان — وهو ثمرة دراسات ورحلات كثيرة فى ربوع أوربا — استطاع وهو صغير السن ، أن يغدو طالباً عملياً ، ثم طفر فكان باحثاً اختصاصياً فى الإدارة العامة والاقتصاد وفاز بتدريبات صحفية مبكرة ونافعة فى جريدة نيوزبابليك ، ورأس تحرير جريدة نيويورك ورلد القديمة عندما كانت هى الصحيفة الأولى الحرة فى البلاد (١).

(١) نقلا عن فريزر بوند : مدخل إلى الصحافة ، الترجمة العربية للكتاب ص ٢٣٧ و ٢٢٨

الفصل الثاني عشر

الطرائف المتصلة بالخبر

يميل الكثيرون من الباحثين إلى تشبيه مواد الصحيفة أيضاً بهرم ، قاعدته الأخبار ، وكل ما فوق هذه القاعدة من مواد تنشر فى الصحيفة لا بد أن تعتمد على هذه الأخبار،فالمقال ، والعمود ، والحديث،والتحقيق والماجريات ، والطرائف ، كلها مواد ترتكز ارتكازاً قوياً جداً على هذه القاعدة ، وبدونها لا يكون هناك مبرر ما لإحدى هذه المواد لكى تملأ بها الصحيفة جزءاً من فراغها بشكل أو بآخر .

فالخبر إذن هو الأساس الذى تبنى عليه الصحيفة من أساسها ، ثم تأتى بعد ذلك بقية المواد التى يرتفع بها بناء الصحيفة ، فمن هذه المواد بطبيعة الحال التعليق على الأنباء ، ومنها كذلك المقال الافتتاحى الذى يعبر عن رأى الصحيفة فى الأهم من هذه الأنباء .

ولكن :هل بهذا التعليق الصحفى ذى المقال الافتتاحى تنتهى الصحيفة من واجبها نحو القراء ؟

كلا ، فإن أمام الصحيفة واجباً من نوع آخر ، هو النظر فى هذه الأنباء من زاوية أو زوايا جديدة .

هذه الزوايا الجديدة هى التى تعطى للخبر قيمة ، وهى التى توضح للقراء كيف أن مندوب الأخبار لديه حاسة سادسة ، هى هذه الحاسة التى يشم بها الأخبار ، ويقدّر بها كل خبر منها تقديراً خاصاً .

فإذا كان من هذه الأخبار — فى نظر الصحيفة — ما يستحق أن تبحث فيه عن طائفة من التفاصيل الهامة ، أتت بهذه التفاصيل وهى واثقة من أنها ستجذب اهتمام القارىء ، وستجعله يفهم ا[illegible] ـهماً جديداً قد يخالف

فهمه الأول عند قراءته الخبر مجردا من التعليق ، وقد يخالف فهمه الثانى عند قراءته الخبر بهذا التعليق ، وقد يتفق معهما ، ولكن بزيادة هامة لها خطرها فى نظر الصحيفة من جانب ، ونظرَ القارىء من جانب آخر .

وكثيراً ما تكون هذه التفاصيل التى تأتى بها الصحيفة ذات طابع إنسانى بحت ، ومثل هذا الطابع من التفاصيل قل أن يتسع له مجال القصة الإخبارية ، وقل أن يكون واضحاً فيها وضوحاً تاماً ، وقلما يعنى به كاتب الخبر على أية صورة من صور هذه الكتابة .

هذه التفاصيل التى تنشرها الصحيفة استجابة منها لرغبة كامنة فى نفس القارىء ، يطلق عليها الصحفيون الأوروبيون اسم Features ، أى « طرائف » وهذه « الطرائف » تعتبر جزءاً من الأخبار لا ينفصل عنها كما قلنا ، والغاية منها فى الأعم الأغلب إنما هى تسلية القارىء ، وإذا ذهبت تسأل : ما هى أكثر المواد قراءة فى الصحيفة الحديثة فى الوقت الحاضر ؟ أهى مادة المقال الافتتاحى ؟ أم صفحة الأدب ، أم العلم ، أم الفن ؟ فالجواب : كلا ، لا هذه ولا تلك ، وإنما هى مادة « الطرائف » .

خذ لك مثلا : خلع الملك فاروق عن العرش ، إنه يعتبر خبراً من الأخبار الهامة ، والطريقة التى تم بها هذا الخلع ، والزمان والمكان ونحو ذلك يعتبر قصة من القصص الخبرية الخطيرة . أما الحديث عن طباع الملك فاروق ، أو عاداته فى النزهة والرياضة والصيد والحفلات ونحو ذلك فتعتبر من « الطرائف » . والقارىء بحاجة ماسة إلى عشرات من هذه الأخيرة ليشبع بها نفسه من جهة ، وليزداد بها إحساساً بالخبر فى ذاته من جهة ثانية .

مثال آخر : اغتيال رئيس حكومة من الحكومات ، إنه خبر من الأخبار ، أما إذا أتى من يقص علينا قصة هذا الخبر ويبحث لنا عن أسبابه ونتائجه ، ويحكى لنا كثيراً عن الظروف التى أحاطت بهذا الحادث ، ويتنبأ

. ..ش تزوره فى المستقبل ، ويذكر لنـــا علاقات القتيل ببعض النساء أو الرجال ونحو ذلك ، فهذه هى « الطرائف » .

مثال ثالث — يأتى مندوب الصحيفة أحياناً بنبأ حريق لم يسبب إلا خسائر بسيطة ، وترى الصحيفة أن مثل هذا الخبر قد لا يحظى بقدر ما من الإثارة ثم سرعان ما تزداد قيمة هذا الخـبر فى نظر الصحيفة وفى نظر القارىء إذا تضمن أنه كانت فى البيت الذى احترق عجوز شمطاء استطاع الجيران أن ينقذوها أو أن الحريق إنما تسبب عن عبث أطفال كانوا يعدّون بأنفسهم حفلة عيد الميلاد فى منزل أحدهم ؛ فالحريق فى ذاته خبر من الأخبار المحلية ، وطريقة الحدوث وزمانه ومـكانه والأشخاص الذين أصيبوا به هو القصة الخبرية ، أما التفاصيل الأخرى فإنها من « الطرائف » .

مثال رابع — عندما يأتى المندوب للصحيفة بنبأ تصادم يشعر إذ ذاك بأن القراء قد سئموا مثل هذه الأخبار ، واعتادوها ، وأنهم قد لا يضيعون وقتاً ما فى قراءتها بالصحيفة ، ولـكن إذا قيل لهم بعد ذلك : إن هـذا التصادم جاء بسبب أن السائق أفلتت من يده عجلة القيادة ، لأن نحلة قرصته وطارت فإن الخبر يصبح له وجه آخر ، وإذ ذاك تعنى الصحيفة بمثل هذه التفاصيل وتـكتبها فى شكل « طرائف » .

وهنا يقفز سؤال إلى ذهن الباحث : ما الفرق فى هذه الحالة بين القصة الخبرية « والطرائف » ؟ .

والجواب عن ذلك : أن القصة الخبرية إذا اشتملت على العنصر الإنسانى ، وغلب عليها عنصر التسلية فإنها تصبح شيئاً قريباً جداً من الطرائف ، وقد قلنا مراراً : إنه ليس هناك خط يفصل تماماً بين كل فن من فنون الصحافة الحديثة والفن الآخر. فالأصح دائماً أن يقال : إن هذه

الفنون يتداخل بعضها فى بعض كتداخل الألوان فى قوس قزح ، ولكن لا يمنع ذلك مطلقاً من تمييز كل لون من هذه الألوان عن الآخر .

ومن هنا كانت « الطرائف » Features من الأمور التى يختلف العاملون فى حقل الصحافة اختلافاً كبيراً فى تحديد معناها ، فمنهم من يشترط فى هذه المادة اعتمادها فقط على الجانب الانسانى ، ومنهم من يشترط فيها أن تهدف فقط إلى مجرد التسلية ، ومنهم من يقول إنها أى نوع أو قدر من المعلومات تملأ به الصحيفة ما تخلف عندها من الفراغ بعد كتابة الأخبار بأنواعها ، والأعمدة على اختلافها ، وما إلى ذلك ، وعند هؤلاء أنه ما دامت هذه التفاصيل أو المعلومات ليست معلقة فى الهواء أو بمعنى آخر : ليست مقطوعة الصلة بالأخبار فإنها تصلح لأن يطلق عليها اسم « الطرائف » .

أما نحن فلا نتصور الأمر فوضى على هذا النحو ، وإلا لكانت مادة « الطرائف » من المواد التافهة فى الجريدة . على حين أن الإحصاءات دلت على أنها هى التى تستحوذ على اهتمام القراء أكثر مما عداها من مواد الجريدة .

أجل ، ليست الطرائف فى نظرنا هى المواد التافهة فى الصحافة الحديثة ، لأنها فى الحقيقة هى التى تعطى للخبر قيمة ، فضلا عن أنها تزود القارىء بمعلومات شائقة لا يتسع لها الخبر فى ذاته من جهة ، ولا يمكن إيرادها بطريقة التعليق عليه من جهة ثانية .

بل إن الطرائف الخبرية ترفع من قدر الصحيفة فى نظر القارىء وتدفعه إلى قراءتها ، ولو كانت سياستها مما يخالف رأى هذا القارىء وطريقتها مما تتنافى مع ذوقه تماماً ، ومن هنا رأينا أن الصحافة الأمريكية قالت ـ وهى على الحق فيما قالت ـ إنها لا تحتاج لكى تكون صحافة للانتماء إلى حزب سياسى لكى تعيش ، وذلك أنها تستمد بقاءها وتعتمد فى قوتها على عناصر ذاتية ، ومقومات فنية تستميل بها قراءها ، ومن هذه الفنون ـ بل من أولها فى الواقع ـ فن « الطرائف » .

وهذا الذى يقال فى الصحافة المقروءة يقال مثله كذلك فى الصحافة المسموعة ونعنى بها « الإذاعة » والصحافة المرئية « التليفزيون » .

فهل يستمع الجمهور للبرنامج الثقافى ؟ وهل يستمع لنقد الكتب ؟ وهل يستمع للتعليق على الأنباء ؟ الواقع أنه قل أن يستمع إلى شىء مما سبق بقدر ما يستمع « للطرائف » ، ولما يشبه الطرائف من شتى أنواع التسليـــة .

وليس معنى ذلك أننا ندعو القارىء بطريقة غير مباشرة إلى إهمال المواد الصحفية والإذاعية كلها فيما عدا مادة الطرائف ؟ لا ، بل نحن ندعوه إلى الأخذ من كل مادة من هذه المواد بقدر معين ، وإلا لكان كمن يجلس إلى مائدة حافلة بألوان الطعام ، ولكنه لا يصيب إلا واحداً فقط من هذه الألوان ، ومثل هذا الرجل لا بد أن يكون مريضا بمرض يمنعه من أن يكون حرا فى أن يمد يده لشتى الطعام التى تملأ المائدة .

وصدق من قال (١) :

لقد أصبحت النظرية القائلة بأن الناس يقرءون الأخبار لأنها تهزهم أو تثيرهم نظرية أثرية فقدت تأثيرها لكثرة ما كررها الناس . . والواقع أن الناس يقرءون الصحف للاطلاع على ما فيها من معلومات ، وبدافع من حب الاستطلاع ، وبقصد المتعة والتسلية .

وقد جاء فى نتيجة إحصاء لبعض المجـــلات الامريكية فى ٢٣ من آب « أغسطس » سنة ١٩٥٨ ما يلى :

١ ـ أن قراء الأخبار المحلية يشكلون نسبة ٤٨ ٪

٢ ـ أن قراء الأخبار العامة يشكلون نسبة ٤٠ ٪

٣ ـ أن المهتمين بالطب والصحة العامة يشكلون نسبة ٢٧ ٪

٤ ـ المتتبعين لأخبار الجرائم يشكلون نسبة ٢٨ ٪

---

(١) عن الصحفى المحترف ، الترجمة العربية ، لفؤاد مرياساتى ص ٧١ .

٥ — المتتبعين لأخبار العلوم يشكلون نسبة ٢٨٪ .

٦ — المتتبعين للأخبار الفكاهية يشكلون نسبة ٣٠٪ .

٧ — المتتبعين للأخبار السياسية الوطنية يشكلون نسبة ٢٣٪ .

٨ — المتتبعين للأخبار الخارجية يشكلون نسبة ٢١٪ .

ومن ثم أصبح على مؤسسات الإعلام، على اختلاف أشكالها ودرجاتها كالصحيفة ، والمجلة ، والكتاب ، ومحطة الإذاعة ، والتليفزيون ، ونحو ذلك أن تستجيب لرغبات الجمهور ، وأن تدرس هذه الرغبات بين حين وآخر ، وأن تتعرف ذوق الجمهور ، وأن تقدم له ما يتفق معه تماماً ، وألا تتعالى عليه بوجه من الوجوه ، وإلا جاء يوم اضطرت فيه كل وسيلة من وسائل الإعلام التى تقدم ذكرها أن تعلن إفلاسها ، وتشهر عجزها عن مجاراة القراء والمستمعين على السواء .

كيف تجمع الطرائف ؟ :

الطرائف المتصلة بالأخبار هى — كما قلنا — التفاصيل التى تكمل هذه الأخبار ، وتلقى عليها ضوءاً خاصاً ، وتزيد من قدرتها على جذب القارىء ، وتضفى عليها من الرواء والصفاء ما يضمن بقاءها عنصراً هاماً من عناصر الصحيفة الناجحة فى الوقت الحاضر .

من أجل هذا كثيراً ما نرى سكرتير التحرير يطلب إلى معاونيه أن يقوموا بتحويل مادة من المواد الخبرية فى الصحيفة من صورة أخبار إلى صورة طرائف ، فإذا أتى إلى الصحيفة خبر عن شخصية بارزة فى العالم بادر سكرتير التحرير إلى إحداث نوع من المنافسة بين المحررين فى أنه يستطيع أن يزود الصحيفة بأكبر قدر ممكن من المعلومات حول هذه الشخصية البارزة ، ويراجع سكرتير التحرير كل ذلك ، ويختار أكثره

إمتاعاً للقارىء أو يجمع من المحررين كل ما جمعوه من المعلومات التى يضمن أنها تجذب القارىء .

ويكون عمل سكرتير التحرير فى هـذه الحالة تأليف نسيج إنسانى من طراز معين يعتبر فى الواقع من أوضح الأمثلة للطرائف ، ويوضح الجوانب الغامضة فى تلك الشخصية ، بشرط أن تكون موضع اهتمام القارىء فى ناحية من النواحى .

وإذا حدث مثلا أن زار رئيس إحدى الجمهوريات مسجداً من مساجد القاهرة فإن الصحيفة فى هذه الحالة تبادر إلى الحصول على معلومات تاريخية وإنسانية . . مسلية عن هـذا المسجد ، وتتحف بها القارىء ، وهنا تقدم الصحيفة لوناً جديداً من ألوان الطرائف يكون مخالفاً للون الأول .

وإذا فرضنا أن هدهدا طار من قفصه فى حديقة الحيوان ، وأن الصحيفة أرادت أن تقدم بعض الطرائف إلى القراء بمناسبة هـذا الحادث ، فإنها فى هذه الحالة قد تتحدث عن صيد أول هدهد فى العالم ، وقد تحتال على القارىء حتى تسوق له شيئاً من قصص القرآن مثل قصة الهدهد وسليمان ، ونحو ذلك .

وفى صحيفة الأخبار التى كان يحررها الصحفى المعروف « أمين الرافعى » نشر خبر (١) عن فأرة تسببت فى إطفاء نور القاهرة ، هذا نصه :

فأرة أطفأت نور القاهرة

« حدث مساء السبت الماضى حادث غريب فى بابه ، ويكاد يكون فريدا فيه ، ذلك أن فأرة كانت تسير تحت الآلات البحارية الكهربائية بمعمل شركة النور ، وكانت تتنقل من مكان إلى آخر وهى مطمئنة ، فحدث

---

(١) رجع صحيفة الأخبار بتاريخ ١٩٢٢/٢٢/٢٨

أنها وقفت على سلك من أسلاك الآلة المولدة للكهرباء قوتها أربعة آلاف كيلو واط ، وتعطى الكهرباء تحت ضغط عشرة آلاف فولت ، ولو أن الفأرة مشت على سلك واحد لما حدث حادث ، ولكنها قفزت من سلك إلى آخر ، ولطول ذيلها لمست السلكين معا فى آن واحد ، فأحدث ذلك اتصالا بين السلكين ، وعليه مر تيار قوى جداً أحدث قوسا كبيرا من النار ، فصعقها وأذاب بعض الأسلاك النحاسية ، فوقفت الآلة وانطفأ نور العاصمة ، وبعد الحادثة وجدت الفأرة يابسة فوضعت فى كية من الكحول لحفظها » .

لا شك أن هذه قصة إخبارية صغيرة تصلح فى الوقت نفسه لأن تكون طرفة من الطرائف التى تسوقها الصحافة الحديثة ، وفيها عنصر « الغرابة » ، وهو العنصر الذى جعل لهذا الخبر قيمة ، كما أن فيها كذلك عنصر « الطرافة » لأن القراء لم يعتادوا على مثل هذه الحوادث العجيبة ، ولأن الفأرة الضئيلة استطاعت أن تحرم سكان القاهرة من نعمة الضوء مدة ليست بالهينة .

ولو أن حادثاً كهذا حدث فى أيامنا هذه لتسابقت الصحف إلى شركة النور تسأل المدير والعمال ، ثم يخرج المندوبون إلى الجماهير فى الطرقات والدور فيسألونهم : كيف فوجئوا بهذا الحادث ، وكيف كان تصرفهم وقت وقوعه ؟ وما الذى صنعه الطبيب وهو يجرى فى تلك الأثناء عملية جراحية دقيقة ؟ وما الذى صنعه سائق السيارة وهو ينهب الأرض نهباً ليسعف راكباً فى مهمة خطرة ؟ ومن مجموع هذه الإجابات يستطيع الصحفى أن يستكمل هذه الطريفة .

إن « الطرائف » إذن بمثابة التوابل أو المشهيات فى مائدة الصحافة . وهى من أجل ذلك محبوبة من جانب القراء جميعاً ، وتكون مقبولا فى نظرهم أكثر من ذلك إذا كانت ذات أنواع شتى ، وصور متعددة ، وفى هذا المجال تتنافس الصحف وتتبارى أذهان المحررين ، فقد تكون

الطرائف الإخبارية ذات طابع تاريخى ، أو ذات طابع جغرافى ، أو ذات طابع إخبارى يشبه القصة الإخبارية ، وهنا ينبغى للكاتب أن يؤخر نهاية القصة أو يبطىء فى الكشف عن عقدتها الفنية بقدر المستطاع ، ذلك لأن الطرائف الخبرية لا تشتمل فى الغالب على أخبار هامة ، ولا تهدف إلى تزويد القارىء بهذه الأخبار الهامة ، وإنما هى أشبه شىء بالمشهيات فوق المائدة لا تحتوى على العناصر الرئيسية للغذاء ، وإنما تشتمل على عناصر تثير شهوة الآكلين باستمرار .

أنواع الطرائف :

تستطيع بسهولة أن تدرك أن الطرائف على أنواع شتى ، وألوان متعددة ، ولكن أشهرها فى الغالب هذا الذى نعرضه فيما يلى :

أولا — الطرائف الإنسانية .

ثانيا — « التاريخية .

ثالثا — « الخاصة بتراجم الرجال .

رابعا — « الجغرافية .

خامسا — « الخاصة بالأدب .

سادسا — « « بالعلم (١) .

سابعا — « « بالفن .

ثامنا — « المنزلية .

وذلك فضلا عن أنواع أخرى — ربما كانت أقل أهمية — مثل الطرائف الموسمية ، وطرائف أيام الإجازات ، والطرائف الخاصة بأصحاب المهن ونحو ذلك .

---

(1) L, Compbell, Exploring journalism; ch; Entertainment P, 484.

والملاحظ دائما أن الصحيفة اليومية أكثر عناية بالطرائف التى تتوافر فيها صفة « الحالية » ، على حين أن المجلات الدورية هى التى تهتم بالطرائف الفنية والأدبية والعلمية .

والملاحظ أيضا أن مادة الطرائف بوجه عام أقرب إلى المجلة الدورية منها إلى الصحيفة اليومية . ومع ذلك فعلى الطرائف تعتمد الصحيفة دائما فى ملء الفراغ المتخلف عن المواد الصحفية المعتادة ، ولهذا يجب أن يكون لها رصيد كاف من هذه الطرائف كلما أمكنها ذلك .

وكما أن للأخبار الخارجية وكالات تحصل منها الصحف على هذه الأخبار فكذلك « للطرائف » المتصلة بالأخبار وكالات تقـــدم هذه الطرائف للصحف التى تطلبها بين حين وآخر ، وفى مثل هذه الحالة تستطيع الوكالة أن توفر على الصحف مهمة البحث عن معلومات من هنا وهناك ، وتعفيها من مئونة الاتصال المبـــاشر بالأشخاص الذين ذكرت أسماؤهم فى الخبر ، أو الأماكن التى وقع فيها الحادث .

أسلوب كتابة الطرائف :

الحق أن قوة هذه المادة من المواد الصحفية — وهى مادة الطرائف — إنما تأتى دائماً من الطريقة التى تتبع فى كتابتها ، من أجل ذلك ينصح علماء الصحافة كل من يمارسون كتابة هذا النوع أن يتوخوا دائماً أن تكون كل كلمة من الكلمات أو عبارة من العبارات قادرة على المشاركة فى هذا الموضوع ، مضيفة إليه أثراً من الآثار لا يكون إلا بها ، ولا معنى له بدونها .

كما ينصح العلماء أيضاً بألا يحرص الكاتب على أن يقدم كل ما يعرفه من التفاصيل عن الموضوع ، بل يكتفى بالإشارة ، عن العبارة ، ويكون بمثابة المضيف اللبق ، لا تقدم إلى ضيوفه كل ما يملك فى بيته من شتى ألوان الطعام ، ولكن يقدم إليهم ما يشتهونه منها فقط .

كما ينصحونه كذلك بأن يصطنع فى كتابة الطرائف أسلوبا قريبا من أسلوب القصة أو الرواية ، ومعنى ذلك أن يتوخى الطرق التى من شأنها أن تخلق التأثير فى نفس القارىء ، كما يؤثر استخدام الأساليب الخفيفة الروح بما فيها من تشبيهات لطيفة ، وعبارات جذابة ، وألوان ساخرة ، وأساليب تتدفق بالحياة والحركة .

وأخيراً يوصى النقاد بأن يقسم كاتب الطرائف موضوعه إلى فقرات ، كما تقسم القصة أو المسرحية إلى فصول ومشاهد بحيث لا تظهر للقارىء كأنها كتلة مصبوبة ، أو شىء ملقى فى الطريق ، أو مادة تملأ فراغا فى الصحيفة لا أكثر ولا أقل .

وما أشبه هذه المادة من مواد الصحافة الحديثة ـ وهى مادة الطرائف ـ بمادة نجدها دائما فى كتب الأدب العربى ، ولا يخلو منها كتاب من كتب الجاحظ على الأخص ، وهى مادة النوادر والملح (١) .

والقارىء لكتب الأدب العربى من جهة ، والمتتبع لسير الأدباء ـ ونخص بالذكر منهم الكتاب ـ من جهة ثانية ، يرى كيف كان لهذه النوادر والملح تأثير كبير فى ذوق الأديب العربى ، وكيف كانت مادة من أهم المواد فى تثقيفه وتأهيله لأن يصبح كاتبا له شأنه ، وله قلمه ، وله ظرفه ، وله أدبه .

ولا يتسع المجال هنا لضرب الأمثلة على هذه النوادر والملح من الأدب العربى ، فهى أكثر من أن تحصى من ناحية ، وأشهر من أن ندل عليها من ناحية ثانية ، ومن هنا نجمع كل من الجاحظ فى كتبه الكثيرة ، والأبشيهى فى كتابه « المستطرف فى كل فن مستظرف » ، وابن حجة الحموى فى كتابه

---

(١) ومما لا [illegible] ما يؤديه العلم كل يوم من خدمات جليلة للصحافة وغيرها من المؤسسات الكبيرة ، ومن ذلك اختراع العقل الحاسب الالكترونى ، وهو جهاز يستقبل المعلومات الهامة ويحفظها ويزود بها الراغب فيها فور الطلب .

« ثمرات الأوراق » ، وأبو الفرج الأصفهانى فى كتـابه « الأغانى » ،
والمبرد فى كتابه « الكامل » ، وابن عبد ربه فى كتابه « العقد الفريد »
فى أن يكونوا « صحفيين » ناجحين بالقياس إلى العصور التى عاشوا فيها ،
فقداستطاعوا أن يمدوا قراءهم بطائفة صالحة من « طرائفهم » حول
الموضوعات ، والأشخاص ، والحوادث ، والتجارب ، والأماكن ،
والكائنات التى تعرضوا لها فى كتبهم ، ومن ثم أقبل قراؤهم على هذه
الكتب يقضون فى قراءتها والاستمتاع بها أكبر وقت مستطاع :

ومعنى ذلك أن لهذا الفن من فنون الصحافة الحديثة ـ وهو فن الطرائف ـ
أصلا فى الآداب القديمة ، ومنها الأدب العربى .

وكما أن النوادر والملح تعتبر على الدوام من الأدب الواقعى ، فكذلك
الطرائف تعتمد الاعتماد كله على الواقع الملموس ، ولا صلة لها مطلقاً بالخيال
أو الصور الوهمية بحال ما ، ولا شك فى أن من أغراض فن الطرائف مد
القارىء بما يسمى « الصورة الخلقية » (١) للحوادث ، وهى صورة تساعد
على شرح الأسباب والنتائج والحقائق ، ونحو ذلك .

من هم كتاب الطرائف :

تعتمد المجـــلة أو الصحيفة فى كتابة « الطرائف » على نوعين
من الكتاب فى الغالب :

أولها ــ أعضاء فى هيئة التحرير روضوا أقلامهم على كتابة هذه
الطرائف ، ومالوا إليها كثيراً ، ووقفوا دائما وراء الأخبار يعملون على
استكمالها ، ويستعينون على ذلك إما بالكتب والمراجع الأدبية والعلمية
على اختلافها ، وإما بالاتصال بالأشخاص الذين تدور حولهم الأخبار
الهامة فى الصحف ، ومن هؤلاء المراسلون الخارجيون للصحيفة .

---

(1) Booky round

وثانيهما — كتاب يتصلون بالمجلة أو بالصحيفة عن طريق «المصاحفة». ولا يكونون فى هذه الحالة أعضاء فى هيئة التحرير، ولكن تنظر إليهم المجلة أو الجريدة على أنهم من أصدقائها .

والمشاهد أن النوع الثانى من كتاب الطرائف أكثر نجاحا فى الغالب من النوع الأول، ذلك لأن الكتاب الذين من هذا النوع الثانى يكتبون بوحى من أنفسهم، كما يفعل الشعراء أو الكتاب الأحرار سواء بسواء .

ثم إن هذا النوع الأخير من كتاب الطرائف يدرك تماماً أن من أهم مصادر هذا الفن من فنون الصحافة الحديثة الأفراد الذين يتصل بهم، والقصص التى يسمعها من أفواههم، والمناظر الطبيعية التى يراها فى المحيط الذى يعيش فيه، والتجارب التى مرت به، ونحو ذلك .

على أن أهم مصدر لكتابة الطرائف فى الواقع هو نفس المصدر الذى تستقى منه الأخبار والحوادث الداخلية، ونعنى به أماكن الشرطة، أو البوليس فى المدن والقرى، وكثيراً ما يختلف المخبر أو كاتب الطرائف إلى هذه الأماكن ويعود وحقيبته مملوءة بشتى القصاصات، والبيانات، والمذكرات، والصور، وغير ذلك من المواد التى تساعد على كتابة الطرائف .

ما الفائدة التى تعود على القراء من الطرائف ؟ :

لا شك أن الإقبال الذى نراه من القراء على هذا الفن [illegible] من فنون الصحافة يبين — كما قلنا — إلى أى [illegible] بالفائدة [illegible] فى وقت معاً من هذه القراءة .

فالكاتب الذى يكتب «الطرائف» الكثيرة عن الشخصيات البارزة، أو الشخصيات المعقدة، أو الشخصيات المكافحة فى الحياة : يقدم [illegible] الخدمات للشباب الذين يجدون صورهم منعكسة فى [illegible]

فيشعرون من مطالعة هذه الطرائف بالراحة النفسية التى لا حدّ لها .

والكاتبة المحترفة أو المصاحفة التى تجــد من وقتها ما يكفى لكتابة الطرائف التى تمس الشئون المنزلية للمرأة ، أو تشير من قريب أو من بعيد إلى مشكلاتها الزوجية ، أو المادية ، أو النفسية ، تساعد الكثيرات من الزوجات على التخلص من متاعبهن ، أو تحسين حالاتهن ، مسترشدات فى ذلك بالتأثير النفسى الذى ربحنه من مطالعة هــذا اللون من ألوان الصحف .

وبهذه الطرق وأمثالها يصبح الجيل الجديد من الشبان والفتيات أكثر ثقافة من الأجيال السابقة ، ويخوض غمار الحياة بنفوس أكثر صفاء وتحرراً من تلك الأجيال ، بل بهــذه الطريقة تؤدى الصحافة وظيفة « الأدب الواقعى » ، وتحل محله فى أوقات كثيرة ، وتكفى — إلى حد ما — فى تغذية الجيل الحاضر من هذه الناحية .

على أن الأمر عسير على المحرر المحترف أو المصاحف بقدر ما هو يسير على القارىء أو المستمع ، فالمحرر عليه دائماً أن يبحث عن احتياجات القراء ، وعن مطالب المجلة أو الصحيفة ، أو الإذاعة ، وعليه أيضاً أن يحسن استخدام النقد عند الضرورة ، وعليه أن ينمى اتصالاته بالناس على اختلاف طبقاتهم ، وعليه أن يضيف كل يوم جديداً إلى معلوماته وتجاربه الخاصة ، كما أن عليه أن يأخذ نفسه بالصبر والمثابرة فى الوصول إلى المعانى الجديدة والألفاظ التى تناسب هذه المعانى الجديدة .

ثم هو بعد هذا كله لا يبدأ الكتابة إلا حين يشعر بالرغبة الشديدة فيه ، فقد بينا أن هذه المادة أقرب إلى المجلات الدورية منها إلى الصحف اليومية ، أو بعبارة أخرى : أقرب إلى طبيعة الأدب منها إلى طبيعة الصحافة .

ويستطيع القارىء أن يطلـــع فى كل يوم على الصحف المحلية أو الصحف الأجنبية فيجد العدد الوفير من الطرائف على اختلاف أنواعها ، وخاصة منها الطرائف ذات الطابع الإنسانى ، ومنها ـ على سبيل المثال ـ مقال قرأته فى جريدة الجمهورية الصـادرة ببغداد ، وإليك خلاصة له :

قطع الراديو برامجه وأعلن النبأ

عادت « تينا » .. وعطست . . فى وجه الملك

قبل حـلول عيد الميلاد بأسبوعين خرجت هانا « ٢٣ سنة » متوجهة إلى أسواق « ديبل » التى تقع فى وسط مدينة « كوبنها ـكره » لتختار هدية لزوجها السيد بيتر فيكيل « ٢٦ سنة » الطالب فى كلية الهندسة ، وقد صحبت معها طفلتها « تينـا » التى كانت قد أكملت الشهرين من عمرها ، و تركت الأم الطفلة فى عربتها الصغيرة أمام أحد مداخل السوق المزدحم ودخلت لشراء الهدية .

وبعد برهة خرجت الأم إلى حيث تركت ابنتها ، ولـكن العربة والطفلة التى فى داخلها لم يكن لهما أثر . وقد أجرى البوليس تحقيقا روتينياً ووعد الأم برجوع طفلتها خلال ساعات من نفس اليوم ، كما حدث فى حالات مماثلة ، ومرت أيام على الاختفاء وبعد أن وجه البوليس نداء إلى كل من لديه معلومات يدلى بها عن الموضوع ، وبعد أن وقف البوليس مكافأة قدرها « ١٧٠٠ » دينار على من يساعد فى العثور على الطفلة ، أجمعت أكثر من ثلثمائة شهادة على أن امرأة متوسطة الطول داكنة الشعر مستديرة الوجه ، لها شفاه ممتلئة فى حوالى الثلاثين من عمرها شوهدت فى فترة الظهر وقت اختطاف الطفلة ، وهى تحمل طفلة صغيرة وتسير متجهة ناحية الميناء البحرى .

وقامت الصحف الدانماركية الكبرى بتحقيقاتها للعثور على الطفلة ،

. ١٠ . . بعضهم ، وأعلنت جمعية سائقى التاكسيات الدانمـاركية المساهمة بألفين وستمائة سائق للعمل على إيجاد « تينا » .

وعقدت الآمال على ليلة عيد الميلاد ، وموسم عيد الميلاد فى الدانمارك كله فرح واحتفالات عائلية ، ولكن اكتنف الاحتفالات هذا العام وجوم لم يرثه إلا الدانماركيون منذ أيام الاحتلال النازى ، وذلك بسبب غياب الطفلة « تينا » عن والديها . وحين حل عيد رأس السنة ظهر رئيس وزراء الدانمارك كعادته على شاشة التليفزيون ووجه كلمة للشعب الدانماركى ونداء خاصاً للخاطفة ، ووعدها بمعالجة خاصة للحادث .

وعاد مدير البوليس الذى قطع إجازته مع مئات من مساعديه الذين قطعوا عطلتهم اختيارياً من أجل مواصلة التحقيق ، وأعاد قراءة أكثر من خمسة آلاف رسالة كانت قد وردت من المواطنين ، وفى إحدى الرسائل قال كاتبها : إن إحدى قريباته فى مدينة تبعد ٥٠ كم عن كوبنهاجن قد ولدت فى نفس التاريخ الذى اختفت فيه « تينا » ، وقد لفت نظره كبر حجم الطفلة الوليدة .

وتوجه البوليس إلى العنوان المذكور ، وفتح باب الشقة وظهرت امرأة تنطبق عليها الأوصاف التى ذكرها أكثر من ثلثمائة شاهد ، وطلب البوليس النظر إلى الطفلة ، كما طلب رؤية أوراق المستشفى . . فانهارت أعصاب المرأة واعترفت بأن الطفلة هى « تينا » .

وعلى أثر هذا الاعتراف حملت سيارة البوليس الأم حيث تعرفت على ابنتها واحتضنتها وهى تبكى بعد أن غابت « ٢٩ » يوما عنها . . وقطع الراديو برامجه وأعلن الخبر ، وقد شهدت الدانمارك يوما مماثلا لذلك اليوم قبل إحدى وعشرين سنة ، يوم أعلن تحرير الدانمارك من قوات الاحتلال النازى ،

وقد ظهر من استجوابات البوليس أن الجانية تعانى حالة نفسية معقدة ، وخوفا من أن تفقد زوجها اضطرت للكذب وادعاء الحمل ، وقد توجه رئيس البوليس لدار « فيكيل » وقبّل الطفلة ، محاولا أن يريح نفسه من عناء الليالى والأيام التى قضاها وهو يقتفى أثرها .

وبعد ساعات أرسل الملك فردريك ملك الدانمارك برقية إلى الأم يهنئها باجتماع الشمل ، وقد رغبت الأم الشابة فى أن تعرب له عن امتنانها فاتصلت بالقصر الملكى ونظمت للملك زيارة خاصة لتمثل أصغر زائرة رسمية بين يدى جلالة الملك .

وفى إحدى الصالات الملكية توجه الملك فردريك إلى زائرته الصغيرة وحملها بين يديه مبتسما .

أما الطفلة الصغيرة فرفعت رأسها ونظرت إليه بعينين بريئتين ثم فتحت فمها وعطست فى وجه الملك (١) .

---

(١) صحيفة الجمهورية الصادرة فى بغداد بتاريخ ٢٠/٢/١٩٦٦

الفصل الثالث عشر

الخبر والمجتمع

الخبر مادة صحفية ذات أثر كبير فى المجتمع ، كما رأينا ، غير أن هناك طائفة من الأخبار تدور حول الجريمة ، أو الأشياء المثيرة للضمير الإنسانى ذاته ، بغض النظر عن الضمير الذى يخلقه الدين والأخلاق ، فما موقف الصحافة من هذه الأخبار؟ أتنشرها وتتحمل وزرها كاملا ؟ أم تخفيها وهى قطعة من الحياة التى تحياها المجتمعات ؟

لقد اختلف العلماء اختلافاً كبيراً فى ذلك ، فهم بين مؤيد لنشر الجرائم الخلقية والاجتماعية كما هى ، ومعارض للنشر على هذا النحو . والذى نشاهده عادة أن فى نشر الجريمة تعظيما لها ، وأن هذا النشر فى ذاته يجعل من مرتكبيها أبطالا فى نظر المجتمع — فى بعض الأحيان — ونخص بالذكر منهم الصبية ، والصغار ، والمراهقين ، ومن إليهم .

والذى نعلمه مع ذلك أننا فى عصر ينبغى أن يعرف فيه الصبية والصغار ، والمراهقون ، كل ما فى الحياة من خير وشر ، وأن نعرض على أبصارهم وأذهانهم صورا من المآسى التى ربما تعرضوا لمثلها فى مستقبل الأيام .

ولا يستطيع أحد منا أن ينكر — مع هذا كله — أن الصحافة كثيراً ما تعين رجال الأمن على القيام بأعمالهم فى تعقب المجرمين ، وفى الكشف عن النواحى الناقصة فى قصة الجريمة .

على أننا نلاحظ مع ذلك أن كثيراً من الصحف تخوض فى بعض القضايا المنظورة أمام المحاكم ، وتحاول التأثير فى القضاء ، وفى الشهود ،وفى

المحامين ، والمحلفين ، ومن ثم يقول الكاتب الأمريكى « ولتر ليبمان Walter Lippman :

« الجريمة قطعة من الحياة التى نحياها ، وليس الخطر آتياً من نشر أخبار الجريمة فى ذاتها بقدر ما هو آت من تحوّل الصحيفة إلى مخبر سرى ، وقاض ، ونائب عام ، ونحو ذلك » .

ومهما يكن من شىء فليس أمامنا الآن إلا أن نستعرض آراء المؤيدين لنشر الجريمة ، وآراء المعارضين لهذا النشر .

* * *

فأما المؤيدون فانهم يرون :

أولا — أن الصحيفة تمد الجمهور بحقيقة الجريمة . فيصبح الناس مستعدين لعمل شىء حيالها ، مهيئين كذلك للسعى فى علاجها ، أو بعبارة أخرى يضطر المجتمع إلى تجنب أسباب الجريمة ، واتخاذ الإجراءات التى تحول دون تكرار حدوثها .

ثانيا — أن نشر الجريمة يحول أيضاً دون فعل الشر فى ذاته ، لأن المجرم يتوارى عن الناس ، ولا يخاف شيئاً مثل ما يخاف من عدسة المصوّر الصحفى أو قلم المخبر الذى يتعقبه .

ثالثاً — أن أخبار الجريمة تكشف عن أساليب المجرمين فى اقتراف جرائمهم الفظيعة ، وتساعد رجال الأمن فى القبض عليهم .

رابعاً — يضاف إلى ذلك ماقلناه من أن الأطفال لابد أن يكون لهم علم بالخير والشر معاً ، وذلك قبل النزول إلى معترك الحياة ، والشر ناحية من نواحيها ينبغى أن يدرس على الأقل بهذه الطريقة .

خامساً — فى النفس البشرية ميل إلى التشفى من مرتكبى الجرائم ،

وميل إلى الاطمئنان على سير العدالة التى من شأنها أن تعاقب المجرمين الذين يرتكبون هذه الجرائم ، وبها ميل كذلك إلى الوقوف على مدى العقوبة التى حلت بالمجرم ، حتى يطمئن الناس إلى ما فى الحياة نفسها من قيم إنسانية خالدة ، وإلى أن الخير والشر فى هذه الدنيا يتصارعان ، ولا بد أن تكون الغلبة أخيراً للأول على الثانى .

سادساً — أما جرائم الأحداث والمتشردين فتكاد تجمع الصحف على أن الخير كل الخير فى عدم نشرها ، وفى العدول — على الأقل — عن ذكر أسماء أصحابها ، وصورهم ، والمعلومات التى تدل عليهم ، أو تشير إليهم دون غيرهم ، ذلك لأن الحدث لا يزال فى مطلع حياته ، والأمل كبير دائماً فى إصلاحه ، فإذا صلح بالفعل لا يكون من الخير أن يحتفظ الناس له فى أذهانهم بتلك الصورة القبيحة ، وهذا هو ما يحدث فعلا فى كل من فرنسا وانجلترا .

وأما المعارضون فيقولون :

أولا — إن الصحف كثيراً ما تكتفى بمجرد عرض أخبار الجريمة بدون التعرض لأسبابها ، والتحليل الدقيق لهذه الأسباب .

ثانياً — إن الصحف كثيراً ما تسلك طريق المبالغة فى تأكيد الجريمة ، فتعطى بذلك صورة خاطئة للقارىء .

ثالثاً — إن نشر أخبار الجريمة ، كما يفيد رجال الأمن فى تعقب المجرمين ، فهو كذلك يفيد المجرمين أنفسهم فى الإمعان فى التخفى .

رابعاً — فى نشر الجريمة — كما قلنا — تعظيم لشأن المجرم ، وتصويره بصورة البطل الذى حير رجال الأمن ، واسترعى انتباه العامة والخاصة .

ومن هنا يأتى تأثيرها السىء على الأطفال والشبان ، وكثيراً ما رأينا

عدداً من هؤلاء وهؤلاء يرتكبون نفس الجرائم التى يقرءون عنها فى الصحف ، أو يرونها مصورة على الشاشة البيضاء فى دور السينما .

خامساً — كثيراً ما يحول نشر الجريمة دون الوصول إلى العدل فى الحكم فى قضايا الإجرام ، لأنها تؤثر فى إدراك القضاة ، والمحامين ، والشعب نفسه ، وتقديرهم لهذه الجرائم .

* * *

تلك هى آراء المؤيدين والمعارضين على السواء ، ومنها نخرج بنتيجة واحدة ، وهى أنه لا بأس على الصحف من نشر الجرائم ، على أن تراعى فى ذلك الدقة ، وتتجنب التهويل والمبالغة ، وتشفع الخبر بتحليل أسبابه وبيان علاجه كلما أمكن ذلك ، وعليها كذلك أن تحذر التدخل فى عمل القضاء ، إلا إذا وثقت من أنها تكشف عن جوانب ربما خفيت على القضاء ذاته . ويجب أن تقلل ما أمكن من المساحة التى تعطيها لأخبار الجريمة ، وتحتاط فى الطريقـــة التى تنشر بها قصة الجريمة ، والصور الشمسية التى تصحبها فى العادة .

ومما هو جدير بالذكر أن الصحف السوفيتية درجت على أنها لا تنشر أنباء الجرائم ، أو حوادث الاعتداء ، إلا فى حالات استثنائية خاصة ، ويكون النشر فى هذه الحالة لغرض معين ، وبصورة موجزة يكتفى فيها بأن يقال مثلا :

« إن أحد المواطنين أدين بسبب اعتدائه على النظام الاشتراكى الذى تسير عليه الحكومة » .

أو « إنه أدين لإخلال خطير بنظام العمل » وهكذا ، ومثل هذا يلاحظ أيضاً فى البلاد الشيوعية الأوربية التى تدور فى فلك الاتحاد السوفييتى .

ومع هذا وذاك فقد ذهب كثيرون من الصحفيين المشهورين فى مصر

إلى أن نشر الجرائم بهذه الطريقة الأخيرة لا يؤدى مطلقاً إلى النتيجة المطلوبة ، بل إنه كثيراً ما يبعث الناس على الجريمة وما زال الباحثون والصحفيون مختلفين فى هذا الرأى إلى اليوم .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فهناك أمور يمكن أن يتفق عليها ، وأكبر الظن أنها لا تجد اعتراضاً من الفريقين على السواء ، ومنها :

أولا — أنه لاينبغى للصحف أن تحرص دائما على ذكر الأسماء فى الجريمة فإذا نشرت صحيفة ما أن سيدة تقدمت إلى مأمور أحد الأقسام تتهم طالباً جامعياً ، أو موظفاً حكومياً ، أو رجلا ذا مكانة فى المجتمع بأنه اعتدى عليها ، وأنه لجأ إلى القهر والإكراه فى ذلك ، بحيث لم تستطع أن تنقذ نفسها منه ، فإن على الصحيفة فى مثل هذه الحالة ألا تذكر الأسماء عند نشر الجريمة ، لأنه لا فائدة للمجتمع من وراء ذلك ، بل إن الضرر أكثر من النفع للمجتمع فى مثل هذه الحالة .

ثانياً — لا ينبغى للصحف أن تجارى السينما ، أو الأدب المكشوف ونحوهما فى إثارة الغرائز الجنسية جريا وراء الربح المادى ، فإنه لايصح مطلقاً أن تثرى طائفة من الناس على حساب الأخلاق ، أو بطريق نشر الفضائح .

صحيح ان فى مواد القانون ما يضمن حماية المجتمع والأخلاق من كل ذلك ، ولكن العيب ليس فى القانون ، وإنما هو فى تطبيق هذا القانون على القائمين على دور السينما والراديو والتليفزيون ، وناشرى الكتب والصحف .

ثالثاً — ينبغى للصحافة دائماً أن تقف إلى جانب القانون ، والمجتمع ، ورجال الأمن ، والقضاء ، وأن تكون على الدوام ضد الإجرام .

ذلك أن الإجرام فى ذاته عمل عدوانى على المجتمع ، وكثيراً مايكون نتيجة لفشل الفرد فى الاندماج فى هذا المجتمع ، وربما كان من أسبابه سوء استعمال أوقات الفراغ ، والإدمان على قراءة الأدب المكشوف ،

ومشاهدة الأفلام السينمائية الموصوفة بالانحراف ، ونحو ذلك .

وإذا كان الأمر كذلك فقد وجب على الصحافة الرشيدة — وهى أكثر وسائل الإعلام إلحاحاً على القارىء — أن تعين على تكوين رأى عام ضد الجريمة فى أى شكل من أشكالها المعروفة ، وغير المعروفة .

رابعاً — خير للصحافة دائماً أن تحتاط فى نشر الأخبار التى تمس النوابغ فى الأمة ، وأصحاب المواهب فيها ، فهؤلاء الناس من البشر ، ولهم ما للبشر من نقائص عادة ، ولكنهم فى الوقت نفسه ممتازون عن سواهم من أفراد المجتمع ، وهم من هذه الناحية ، يجب النظر إليهم بعين الاحترام والتقدير على اعتبار أنهم «كنوز» حقيقية للمجتمع ، ومصدر من مصادر قوته وتفوقه على غيره من المجتمعات الأخرى ، وعلى ذلك فمن الخطر أن تعبث الصحف بهم ، أو تشوه من أسمائهم ، أو تنال منهم بطريقة أو بأخرى لمجرد أنهم سقطوا فيما يسقط فيه البشر .

إن الصحافة التى تحافظ على كنوز الأمة ، وتحوط برعايتها عظماء هذه الامة هى «الصحافة الرشيدة» التى تعرف ، لـ بها نحو أمتها ، وتخشى عليها من العواصف والزلازل التى تقوض ركنها ، وتذهب بثروتها المعنوية التى لا يمكنها أن تعيش إلا بها .

وسنعود إلى التحدث عن هذا الموضوع فى الفصل الآتى بعنوان: «الذوق الصحفى والخبر» .

وهنا يحلو لنا أن نقدم للقارىء طرفا من الإرشادات التى أصدرتها إحدى الصحف الإنجليزية لمحرريها ، وقد جاء فى بعضها مايلى :

« ليكن مفهوما لدى المحررين أننا لا نريد تمجيداً للمجرمين ، فلا يصح مطلقاً أن نظهرهم بشكل أبطال ، أو شهداء ونحو ذلك. إن المجرمين هم الأعداء الحقيقيون للمجتمع ، ومن ثم لا يصح لنا أن نستخدم فى الإخبار عنهم مثل هذه العبارات : « ملك اللصوص » ، « أسد العصابة » ،

« أستاذ الإجرام » و « روبين هود البلد الفلانى » وهكذا ، فإن مثل هذه العبارات تثير خيال الشباب ، والأطفال ، وتدفعهم دائماً إلى السير فى نفس الطريق » .

ويجب علينا نحن المحررين من ناحية أخرى أن نسهب فى الكلام — كلما أمكن ذلك — عندما نصف شجاعة رجل الأمن ، ومهارته فى ضبط اللصوص ، وتعقب المجرمين ، كما يجب علينا أن نقف دائماً إلى جانب القانون والنظام ، بل يجب علينا دائماً أن نبحث عن مبررات لقسوة الأحكام التى يصدرها القضاء ضد هؤلاء المجرمين ، حتى يشعروا شعوراً حقيقياً باحتقار المجتمع لهم ، ورغبة الحكومة فى إبادتهم ، والتخلص منهم إلى الأبد .

كما يحلو لنا كذلك أن نسأل أنفسنا مع الأستاذ أوكس ريتشلر رئيس تحرير صحيفة نيويورك هيرالد ستيتمان هذا السؤال :

« هل نكون مخطئين إذا امتنعنا عن نشر كيفية وقوع سرقة بالتفصيل ، أو كيف ارتكب شخص مختل الشعور حادث انتحار ؟

إننى أعرف أن شركات التلفزيون تتبع ما يمكن أن يسمى دروساً تدريبية فى القتل والسلب والاغتصاب ، غير أننا لا نتبع هذه الطريق ، بل نلغيها من أساسها .

ونحن نوافق هذا الأستاذ على إجابته ، ونرجو أن يوافقنا عليها جميع رؤساء التحرير فى الصحف .

ومعنى ذلك أن الصحفى الجدير بهذا الاسم يجب أن يشعر دائماً بشعورين فى وقت واحد :

الأول — شعور بتجربة الصحافة .

الثانى — شعور بمسئولية الصحافة .

والواجب يحتم عليه دائما أن يجعل الشعور الثانى مقدما على الشعور الأول .

الأمثلة

إن الشعور بالمسئولية الإعلامية فى الوقت الحاضر أصبح لازما لرجل الإعلام بعد أن كثرت أجهزة الإعلام وأصبحت فى متناول أكثر الناس ، فإذا خفى الشعور بهذه المسئولية الضخمة كانت لذلك آثاره السيئة وعواقبه الوخيمة على شباب الأمة بنوع خاص .

شهد بعض الشبان فى مصر فيلما سينمائيا صور لهم الطريقة التى استطاع بها بعض اللصوص فى أمريكا أن يسرقوا مصرفا ماليا من المصارف الكبيرة ، وما كاد الشبان يغادرون دار السينما حتى اتفقوا فيما بينهم على ممارسة التجربة وحاولوا بالفعل أن يسرقوا مصرفا ماليا فى ضاحية مصر الجديدة ، فقبضت عليهم الشرطة وساقتهم إلى المحكمة ، فاعترفوا بأنهم فعلوا فعلتهم هذه بعد أن شهدوا بأنفسهم عرضا سينمائيا شرح لهم هذه الجريمة .

ومثل آخر هو الخبر الخاص بالشقى « محمود سليمان » المعروف « بالسفاح » وهو شقى ظهر فجأة فى القاهرة ، وارتكب عدداً كبيرا من السرقات ، واقتحم كثيراً من المنازل ، وأحدث إزعاجا كبيرا فى العاصمة وضواحيها ، فاستفحل شره وانتهزت الصحف المصرية هذه الفرصة وأخذت تبالغ فى أخباره ، وحاولت الشرطة أن تقبض عليه فلم تفلح فى ذلك أول الأمر ووصفه بعض الصحف بالبطولة ، وأنه يأخذ من مال الأغنياء ليعطى الفقراء . وكادت هيئة الشرطة تيأس من ضبطه واضطرب الأمن بسبب تشجيع الصحف لهذا الشقى على أعماله وتصرفاته ، ثم صدر أمر من الحكومة القائمة للصحف بالكف عن هذه الطريقة غير الفنية فى نشر

الأخبار، فرضخت الصحف للأمر ، وأصبح الشعب يبذل جهده فى معاونة رجال الشرطة للقبض على المجرم ، وقبض عليه فى النهـــاية ، وكان ذلك فى جبل بحلوان ، وكان أن قتل المجرم نفسه رميا بالرصاص قبل القبض عليه بدقائق ، وهكذا انتهت هذه المأساة التى عرفت بها الصحافة أنها إنما كانت تسىء إلى الحكومة وإلى الشعب وإلى الأمن بمبالغتها فى نشر أخبار هذا المجرم ، ومبالغتها فى وصف تحركاته وخططه وأفكاره (١) .

---

(١) انظر : أزمة الضمير الصحفى ، وراجع : الصحافة والمجتمع .

الفصل الرابع عشر

الأخبار من الزاوية الأخلاقية وزاوية المسئولية الإعلامية

« إن رجال الإعلام في كل أمة من الأمم هم وكلاء هذه الأمة في ميدان من أخطر ميادين الحياة ، وهو ميدان الأخبار وميدان الثقافة والإرشاد » . إنهم المسئولون في الواقع عن رفاهية الشعوب ، ومسئولون كذلك عما تقع فيه هذه الشعوب من البؤس . وهم المسئولون كذلك عن الحرب وعن السلام بين شعوب الأرض (١) » .

وإن نظرة واحدة إلى تاريخ الصحافة في العالم — بما فيها الصحافة العربية — ترينا أن الصحافة قسمان : صحافة الخبر ، وصحافة الرأى أو المقال . وصحافة المقال — في تاريخنا العربي — سابقة لصحافة الأخبار ، ولم تبدأ صحافة الخبر بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة في تاريخ الصحافة المصرية بنوع خاص قبل سنة ١٩٣٦ ، وهى السنة التى ظهرت فيها جريدة المصرى ، وفى عددها الأول كتب محمد التابعى يقول :

« وعد واحد فقط هو الذى نتقدم به إلى القراء ، وهو أن نحاول — ما استطعنا — أن ندخل على « المصرى » لوناً من روح العصر الذى نعيش فيه ، عصر السرعة والاختزال ، عصر الأنباء والأخبار ، ودائماً الأخبار » .

والصحافة العربية فيما اتصفت به من الابتـــداء بصحافة المقال مخالفة للصحافة الأوربية التى اتصفت منذ بدايتها بالميل إلى الأخبار ، وبقى الحال على ذلك حتى ظهور الديموقراطيات ونموها فى أوائل القرن التاسع عشر .

---

(١) عبد اللطيف حمزه : أزمة الضمير الصحفى ص ٦ بتصرف .

وإذ ذاك ظهرت فى كل من أوربا وأمريكا « صحافة الرأى » وحلت محل صحافة الخبر، وبلغت أوجها بقيام الثورة الفرنسية ، ثم تغيرت الظروف تغيراً كاملا فى القرن العشرين ، وعادت الصحافة الأمريكية ـ بنوع خاص ـ إلى صحافة الخبر . وأصبح التنافس قوياً فى سبيل الحصول على الأخبار حتى لجأت الصحف أخيرا إلى طريق الإعارة ، ومنذ ذلك الوقت أصبح الهدف الأول للصحافة الأمريكية هو الحصول على أكبر قدر من المال ، ولم يصبح الهدف الأول للصحافة هو التوجيه والإرشاد، كما كانت عليه الحال من قبل، ولعل السبب الأول والأخير فى وصول الصحافة الأمريكية إلى هذه الحالة الأخيرة هو الخضوع لرأس المـــال ، وخضوع الديمقراطية الأمريكية للنظام الحر Liberalism وهو النظام الذى تدل عليه الجملة المعروفة :

« اتركه يفعل ، اتركه يمر Laissez fuire - laissez passr »

سمات صحافة الخبر :

إن لصحافة الخبر سمات تعرف بها وتميزها عن صحافة المقال ، ومن هذه السمات ما يلى :

١ ـ قلة عنايتها بالمقال أو اقتصادها فى المساحة المخصصة له ، فإن حيز الصحيفة فى مثل هذه الحالة يترك كثرة منه للخبر ، ولا تبقى للمقال إلا مساحة أقل من مساحة الخبر .

٢ ـ عناية صحافة الخبر عناية بالغة بحوادث الدجل والدجالين وتسلية القارىء بالخرافات وأخبار الشعوذة والمشعوذين ، على حين أن صحافة الرأى إذا عرضت لمثل هذه الأخبار فلكى تنقدها وتسفه أصحابها ، وتقدم العلاج الناجح لهذه الأدواء الضارة بالمجتمع .

٣ ـ زيادة اهتمام صحافة الخبر بأنبـاء الممثلين والممثلات والمغنين

والمغنيات ،والراقصين والراقصات ، وبأخبار الطبقة البورجوازية فى المجتمع ، وبإيراد الأخبار الشخصية الخالصة لبعض البارزين فى المجتمعات .

٤ ـ اختراع الأخبار بقصد إثارة القراء . . . فهذا خبر عن لص هارب من وجه العدالة ، وهذا خبر عن مشعوذ ظهر فى الحى الفلانى ، وهذا خبر عن تحضير الأرواح وهكذا ، وغالباً ما تكون هذه الأخبار من صنع الجريدة نفسها ، كما لجأت جريدة « أخبار اليوم » المصرية مرة إلى الإعلان عن دواء اسمه « ه ٣ » ، وزعمت أنه يعيد الشباب للطاعنين فى السن ، وكان هذا الخبر مجرد اختراع من الصحيفة تسبب فى ارتفاع كبير فى نسبة التوزيع .

صحيح ان لهذا الخبر الصحفى نصيباً ضعيفاً من الصحة ؛ فقد قيل إن طبيبة تركية وصلت إلى اختراع هذا الدواء وعرضته على مجلس أطباء عقد لهذا الغرض برومانيا ، غير أن هذا المجلس لم يقر الدواء الذى قدمته الطبيبة فانتقلت به إلى مجالس طبية أخرى ولكنها إلى الآن لم تظفر بإقراره بحال من الأحوال .

فإذا جاءت صحيفة كأخبار اليوم المصرية واستغلت هذا الخبر استغلالا صحفياً ، وأخذت تنشر عنه كل يوم شيئا فإن الهدف الرئيسى للصحيفة من وراء ذلك يصبح معروفا ، وهو الحصول على أكبر نسبة فى التوزيع بالقياس إلى الصحف الأخرى ، وهذا بالفعل ما حدث .

إن الفرق بين صحافة الخبر وصحافة المقال إذن يتلخص فى كلمة واحدة ، وهى أن صحافة الخبر سلبية وصحافة المقال إيجابية ، لأن صحافة المقال تشارك فى بناء المجتمع وبناء الإنسانية ، وتضحى من أجل ذلك بالربح المادى ، بينما تبذل صحافة الخبر قصارى جهدها فى التسلية والترفيه عن القارىء وفى اجتذابه إلى الجريدة بالطرق المشروعة وغير المشروعة . وهذا ما يدعونا إلى الكلام عن الصحافة الصفراء فيما يلى :

الصحافة الصفراء

إن صحافة الخبر التى مر ذكرها قد أنتجت صحافة يقال لها « الصحافة الصفراء » وهى الشكل المبالغ فيه من أشكال صحافة الخبر ، وقد سبق أن قلنا إن السبب فى هذه التسمية أن صحفيا أمريكيا ابتدع شخصية « الطفل الأصفر » ، وهى شخصية كاريكاتورية اتسمت بالإنحراف الخلقى ، وكان هذا الصحفى يطبع هذا الكاريكاتور فى صحيفته دائما باللون الأصفر .

ولهذا اللون من ألوان الصحافة الأمريكية تاريخ بدأ بصاحب صورة الطفل الأصفر التى مر ذكرها ، ثم جاء بعد ذلك « بولتزر » و « هيرست » الإبن ليتنافسا تنافسا حادا فى مجال الإثارة الصحفية فى نيويورك ، وكان ذلك بين عامى ١٨٩٣ و ١٨٩٥ وكان كل ذلك طمعا فى زيادة التوزيع ، حتى تجاوز هذا التوزيع ستمائة ألف نسخة فى الطبعة الواحدة ، وتراوح عدد صفحات الجريدة بين ٤٨ و ٥٠ صفحة للعدد الواحد ، وكانت النسخة الواحدة تباع بما لا يزيد عن خمسة بنسات وإذ ذاك اتسمت الصحافة الصفراء بسمات منها :

أولا – فن تصميم العنوان وكتابة الألوان الكثيرة كالأحمر والأزرق والأصفر ، لكى يلفت ذلك نظر القارىء .

ثانياً – الإسراف فى استخدام الصور ولو لم تكن لها صلة بحقيقة الخبر ، والصور فى ذلك مثل الرسوم الكاريكاتورية والكرتون السياسى والاجتماعى كثيراً ما تكون وسيلة من وسائل تضليل القراء بدلا من هدايتهم إلى الحقيقة .

ثالثاً – تزييف الأخبار ، وانتحال الأحاديث ، واختراع التحقيقات التى لا ظل لها من الحقيقة ، وذلك بقصد تشويش الأذهان ، وبلبلة الأفكار ، وقد فعلت ذلك الصحف الصهيونية فى أمريكا حين زيفت عدداً من صحيفة

روز اليوسف المصرية ونشرت فى هـذا العدد حديثاً مزيفاً للرئيس جمال عبد الناصر ليس له ظل من الحقيقة .

رابعاً — الإكثار من الفكاهات والدعابات والنكات ، والإتيان بكل ذلك عن حسن قصد من الصحيفة .

خامساً — اختراع الشخصيات التى تلعب بها الصحيفة دورا خطيرا فى توجيه المجتمع أو الحكومة وجهة معينة قد لا تتفق والصالح العام ، كما لا تتفق فى كثير من الأحيان مع مصلحة السلام .

سادساً — اختراع المواقف المسرحية التى تتظاهر فيها الصحيفة بالوقوف مع الجانب الضعيف ، وذلك بقصد واحد فقط ، هو ضياع الحقائق فى زحام هذا المسرح الذى خلقته الصحيفة على نحو يتفق ومصلحتها الذاتية لا مصلحة المجتمع ..

سابعاً — العناية التامة بتوافق الأخبار والسعى وراء الأسرار الشخصية لهدف واحد كذلك هو نشر الفضائح والقصص عن بعض الشخصيات المرموقة فى المجتمع ، وإنزال العظماء عن عروشهم ، وقطع العلاقة بينهم وبين أفراد الشعب المملوء إعجابا بهم وبأفكارهم . ومن حيث توافق الأخبـــار يقال إن صحيفة العرب العراقية أيام الاحتلال كانت تقول للمحررين دائماً : عليكم بتوافق الأخبار ولا شىء غيرها .

ثامنا — الصحافة الصفراء تدعو إلى تشجيع الحرب وتقدمها وتفضل فكرة الحرب على فكرة السلام ، وذلك أن قيام الحرب على أية صورة من الصور يعود على الصحف بالأرباح الوفيرة ، ولهذا نرى صحافة الخبر تقيم العداوة والبغضاء بين شعوب الأرض ونرى الصحفى أيضا يحظى بالأموال السرية الضخمة التى تحمل إليه من المصـــانع الحربية الكبرى فى أوربا وأمريكا ولا حيـاة لهذه المصانع بدون حرب . وهذا ما أشار به الزعيم نهرو فى كتبه الكثيرة التى حذر فيها الصحافة من الرضوخ لأوامر هـذه المصانع الحربية أو تجار الموت على حد تعبيره .

وباختصار شديد نجد أن صحافة الخبر تثير دائما فى الأفراد غرائزهم الوضيعة ، وتخاطب فيهم هذه الغرائز دائما ، فتنشر بينهم أخبار الجنس والجريمة ، كما تنشر فيهم كذلك الأخبار التى تشجع على فكرة الحرب ، وتخفى فكرة السلام ، وفى ذلك يقول الرئيس روزفلت :

« إن الصحافة التى تثير الكراهية فى النفوس هى السبب الأول فى انتشار جرائم القتل فى المجتمع » .

* * *

وقد أصاب الصحافة المصرية انحراف من هذا القبيل وإن لم تبلغ مبلغ الصحافة الأمريكية فى ذلك ، وقد أشار الرئيس جمال عبد الناصر إلى شىء من هذا الانحراف فى الحديث الذى ألقاه على الصحفيين فى اليوم الذى صدر فيه قانون تنظيم الصحافة فى الرابع والعشرين من شهر أيار « مايو » سنة ١٩٦٠ ، وضرب الرئيس بعض الأمثلة على انحراف الصحف المصرية يومئذ .

ومن ذلك اهتمام الصحف الكبرى فى القاهرة بأخبار الزوجة التى خانت زوجها وخبأت فى دولاب بيتها ثلاثة رجال فى وقت واحد ، واستطرد الرئيس فى التعليق على هذا الخبر وفى السخرية منه قائلا : لا بد أن يكون هذا الدولاب مزوداً بجهاز تكييف هواء .

* * *

كيف تعالج صحافة الخبر :

فكرت كثير من الحكومات والشعوب ، كما فكرت منظمة الأمم المتحدة ، فيما سمى « بآداب مهنة الصحافة » ، وانعقدت لذلك المؤتمرات ، وبذلت المحاولات للوصول إلى ما للصحفى من حقوق وما عليه من واجبات ، وقد استعرضنا هذه الجهود فى كتابنا « أزمة الضمير الصحفى » واسترعت أنظارنا عبارة وردت فى الميثاق الهندى للصحافة ، جاء فيها :

« إن الصحفى الجديد بهذا الاسم هو وحده الرجل الذى يستطيع التفرقة دائما بين الصالح العام والفضول العام ، وهو الذى يدرك جيداً أن الصحافة النزيهة تسعى دائماً لخدمة الهدف الأول وهو الصالح العام ، وقلما تسعى لخدمة الثانى ، وهو الفضول العام ، ولذلك تمتنع عن نشر الأخبار الشخصية مالم تتأكد من صحتها ، ومالم تقدر كل التقدير أن فى نشرها نفعا يعود على المجتمع » .

وما زالت الجهود تبذل إلى يومنا هذا فى ترقية صحافة الخبر ، والسير بها فى طريق الصالح العام للشعوب والحكومات .

وقد شاركت حكومة الجمهورية العربية المتحدة فى هذا السبيل بمحاولتين إلى الآن وهما :

١ — إصدار قانون تنظيم الصحافة فى عام ١٩٦٠

٢ — صدور الميثاق فى الحادى والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٦٢ .

وقد وردت فى الميثاق إشارات كثيرة إلى الصحافة ، ووضعت هذه الإشارات دستورا جديداً للصحافة المصرية فى عهد حكومة الثورة ، ومن هذه العبارات التى وردت فى الميثاق :

« إن حرية الصحافة لم تعد محصورة فى المعنى السياسى ، كما كانت قبل ذلك ، ولكنها تجاوزته إلى المعنى الاقتصادى ، فأصبحت حرية الصحافة تهدف إلى التحرر من الخضوع لرأس المال » ، وقال الميثاق قبل ذلك :

« كذلك تزايد الخطر على ما تبقى من حرية الصحافة — ثانيا — بتزايد احتياجات المهنة نفسها لمعدات التقدم الآلى ولم يعد فى قدرتها إلا أن تخضع

لإرادة رأس المال المستغل ، وأن تتلقى منه - وليس من جماهير الشعب - وحيها واتجاهاتها السياسية والاجتماعية » (١) .

الصحافة والجريمة

ما هو تعريف الجريمة عند علماء الاجتماع ؟

وما هي مسئولية الصحافة عن الجرائم من الناحية القانونية الخالصة ؟

أما السؤال الأول فيجيب عنه الأستاذ « سذر لاند » في تعريف الجريمة بأنها السلوك الذي تحرمه الدولة لضرورة ما ، أو السلوك الذي تتدخل الدولة في منعه بعقاب مرتكبيه .

غير أن هذا التعريف لم يشأ أن يبتعد عن التعريف القانوني البحت للجريمة ، فقد اتجه بعض العلماء إلى تعريف المجرم بدلا من تعريف الجريمة ومن هؤلاء «برجسن» الذي قال في تعريف المجرم :

« إنه الشخص الذي يعتبر نفسه مجرما ويعتبره المجتمع كذلك » .

ولهذا التعريف ميزة وضحها « برجسن » حين لفت الأنظار إلى رأى المجرم في نفسه ، وهي فكرة هامة تقدم على أساسها علم الإجرام .

وأما السؤال الثاني — وهو مسئولية الصحف من الناحية القانونية — فإن الجرائم في ذاتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ — جرائم ضد الأفراد العاديين .

٢ — جرائم ضد الدولة .

٣ — جرائم ضد المجتمع .

وعلى الدولة يقع عبء حماية الأفراد والمجتمعات وحماية نفسها من

---

(١) عبد اللطيف حمزة : الإعلام له تاريخه ومذاهبه ، الفصل ١٦ .

الجريمة بأنواعها الثلاثة . . . وعلى الصحافة أن تساعد الدولة على القيام بهذه المهمة الخطيرة ، وهذا هو ما يحدد مسئولية الصحافة ، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى ما يسمى « التشريعات الصحفية » والخلاصة أن الجريمة قطعة من الحياة التى نحياها ، وليس الخطر آتيا من نشر أخبار الجريمة فى ذاتها بقدر ما هو آت من تحول الصحيفة إلى مخبر سرى أو قاض يحكم فى القضية .

عودة إلى مذاهب نشر الخبر

سبق أن عرفنا شيئا عن مذاهب نشر الخبر من حيث هو ، واستطعنا أن نميز بين ثلاثة مذاهب :

١ ــ المذهب المعتمد على الإثارة أو إيثار الفضول العام على الصالح العام ، وهو ما نتج عن ظهور الصحافة الصفراء .

٢ ــ المذهب الجاد أو المذهب الذى يؤثر الصالح العام على الفضول العام ، وهو ما تبحث عنه صحافة الرأى .

٣ــ المذهب المعتدل أو الجامع بين المذهبين السابقين ، وهو ما تسير عليه أكثر الصحف المتزنة فى العالم فى الوقت الحاضر .

كما سبق لنا كذلك أن أشرنا إلى سمات الصحافة المثيرة بوجه عام ، والصحافة الصفراء بوجه خاص ، والمهم أن نقول بعد ذلك إن الدول الحديثة انقسمت بشأن هذه المذاهب الثلاثة : فالصحافة الأمريكية تميل إلى الإثارة ، والشعب الأمريكى يقف وراء المجرم ، والصحافة السوفيتية تأتمر بأوامر الحزب الواحد ، ولا تبدى أى اهتمام بالجريمة وأخبارها ، والصحافة المصرية تقف بين بين ، وتؤثر الاتجاه الثالث من اتجاهات نشر الخبر ، وإن كان ذلك لم يمنع من وجود صحف مثيرة إلى الوقت الذى صدر فيه قانون تنظيم الصحافة فى ٢٤ مايو ١٩٦٠

ولنضرب لذلك مثلا بأخبار الجريمة فى الصحافة المصرية :

الصحافة المصرية وخبر السفاح :

كان من أوضح الأمثلة على اتجاه الصحافة المصرية إلى إثارة ذلك الخبر المشهور بخبر السفاح الشقى « محمود سليمان » .

وهو شقى من أشقياء مصر ظهر فجأة وهدد الناس فى أموالهم وحياتهم، وتعبت الشرطة فى مطاردة هذا الشقى زمنا طويلا لا يقل عن شهر تقريباً ، وأتاح ذلك أثمن الفرص للصحافة لكى تخلق من هذا الشقى فى أول الأمر بطلا يلعب بخيال الشعب ، ولعبت الصحافة المصرية فى هذه الحادثة دورا يتلخص فى المراحل الآتية :

الأولى — اتسمت الصحافة المصرية فيها بالمبالغة فى وصف الحادث واستغلال الموضوع لإثارة القارىء .

الثانية — تسابقت الصحف فى نشر صورة المجرم فى مكان ظاهر بالجريدة ، ونوهت الصحف كذلك بالمكافأة التى رصدتها وزارة الداخلية لمن يقبض عليه، ثم اختفت من الصحف بعض العنوانات المثيرة والقصص المخترعة ؛ وحل محل ذلك اتجاه جديد للكشف عن حقيقة المجرم ومساعدة الشرطة فى القبض عليه بأقرب وقت ممكن ، وكل ذلك كان بوحى من وزارة الداخلية وتوجيه منها .

الثالثة — قضى على المجرم فى التاسع من شهر إبريل سنة ١٩٦٠ . وإذ ذاك عنيت الصحف بنشر صورة المجرم ، وقد مزقت جسده رصاصات الشرطة وبدا رجالها يسحبون هذه الجثة ، أو يسحلونها على الأرض كما تسحل جثث الكلاب حتى أثار ذلك غضب الرأى العام المصرى على هذه الوحشية :

وبالموازنة بين مختلف الصحف المصرية فى طرق نشرها لهذا الخبر اتضح ما يلى :

١ — أن الأخبار كانت أكثر الصحف إثارة وإن لم تكن أكثر من بقية الصحف اهتماما بمتابعة الخبر من حيث هو .

٢ — أن الصحف الثلاث : وهى الأخبار ، والأهرام ، والجمهورية ، شغلت الناس بهذه القصة الإخبارية عن مشكلات كانت تستحق الاهتمام ولكنها ضاعت فى زحام أخبار السفاح .

٣ — كان نشر « جريدة الأخبار » عن هذه القصة الإخبارية فى صالح السفاح فى البداية ، فقد خلق هذا النشر جوا من العطف عليه بين الناس ، حين صورته الصحافة على أنه إنسان يحاول أن يثأر لشرفه ، وأنه لا يسرق إلا منازل الأثرياء انتقاما منهم للفقراء ، وأنه مواطن رياضى وذكى للغاية .

٤ — كفت الصحف عن نشر أخبار المطاردة بناء على طلب وزارة الداخلية ، وكانت الأهرام أكثر الصحف التزاما بهذه التوجيهات .

٥ — وأخيراً تحولت الصحف عن طريقتها إلى تصوير السفاح على أنه مجرم خطير لا ينبغى التستر عليه ، ولكن ذلك جاء متأخراً ، خصوصا وأن الناس يعبدون البطولة فى صورتها الشعبية ويحملون كراهية دفينة لرجال الأمن .

الفصل الخامس عشر

الذوق الصحفي والخبر

تعتبر الصحافة — من حيث المظهر الخارجي ، ومن حيث الهدف الإنساني والهدف الاجتماعي — مرادفة في رأينا لكلمة « الذوق الحسن » أو « التناول الحسن » أو « التصرف الحسن » ونحو ذلك من الصفات الدالة على التهذيب .

فحسن الذوق ضروري للصحفي عندما ينظر في الحروف ، والطباعة ، والمداد والألوان المختلفة المستخدمة في الكتابة ، والذوق ضروري للصحفي كذلك عندما يشتغل بترتيب مواد الصحيفة ، وتنسيق هذه المواد ، وتنظيم الأعمدة ، والعنوانات الكبيرة ، والعنوانات الصغيرة ، ثم الصور ، وكيف تؤدي الغرض منها في نهاية الأمر . والذوق أشد لزوماً للصحفي أيضاً عندما يقوم بتحرير المواد المختلفة : من خبر ، إلى حديث ، إلى تحقيق ، إلى تقرير مصوّر ، إلى عمود ، إلى مقال ، إلى إعلان ، ونحو ذلك .

والذي نجزم به منذ الآن هو أن جميع هذه الأمور متروكة دائماً لحسن تقدير الكاتب ، أو المحرر ، أو سكرتير التحرير ، أو غيره ممن يناط بهم تنظيم الشكل النهائي للصحيفة ، وهو الشكل الذي يعتمد عليه في رواجها ، وإقبال الجمهور عليها .

وعلى الصحفي اللبق ألا تغيب عن ذهنه هذه الحقيقة ، وهي أن الذوق ضروري لكل عمل يتصل بصحيفته ، وعليه أن يصدر عن هذه الحقيقة دائماً في كل عمل من الأعمال التي تتصل بالتحرير في الصحيفة ، أو الإخراج ، أو الإعلان ، أو غير ذلك .

فأما من حيث التحرير — وهو الجانب الذى يعنينا من البحث الذى بين أيدينا الآن — فقد رأيت أيها القارىء كيف أن لكل خبر من الأخبار ، أو حادثة من الحوادث طبيعة تخالف طبيعة الحادثة الأخرى ، فمن الخطأ إذن أن تكتب جميع هذه الحودات أو الأخبار بطريقة واحدة ، أو تطبق عليها قاعدة واحدة ، فإن فى ذلك بعداً عن الذوق ، وتجافياً عن المنطق ، وإهداراً لحقوق القراء الذين ينصرفون عن الصحيفة — ومن حقهم أن يفعلوا ذلك — إذا وجدوها لا تحسن عرض هذه المادة الهامة من مواد الصحف ، وهى مادة الخبر .

وفى الجريمة يظن كثير من الناس ـ كما قلنا ـ أن مهمة الصحافة هى التشنيع ، أو نشر عيوب المجتمع بشكل فاضح كلما أمكن ذلك ، ويقولون : إن فى نشرها على هذا الوجه عظة للقراء ، وحفزاً للمفكرين فى الإصلاح ، كما يقولون أيضاً : إن وظيفة الصحيفة فى هذه الحالة أشبه ما تكون بوظيفة « الكاريكاتور » ، ومن عمل هذا الفن الأخير تجسيم العيوب حتى تسترعى أنظار الخاصة والعامة ، وهل يفعل الناقد الأدبى فى قصة من القصص الاجتماعية أكثر من ذلك ؟

وهذا كله صحيح إلى حدما ، ولكن أصبح منه ـ كما ذكرنا ـ أن تراعى الصحف المحلية جانب الذوق فى نشر الجريمة ، وأهم من ذلك كله أن تصدر فى نشرها عن رغبة صحيحة فى الإصلاح ، إلا أن النية الحسنة من الأمور التى يصعب ضبطها فى الحياة ، والقصد الحسن من الميادين التى يكثر فيها الخداع والمغالطة فى أكثر الأحيان ، وعلى هذا ليس أمامنا إلا أن نأخذ بظواهر الأشياء ، فنحكم على صحيفة تنشر الجريمة بقصد الإثارة ، أو الفضيحة ، بأنها صحيفة آثمة فى نظر الرأى العام ، ومحكمة الرأى العام دقيقة دائماً فى أحكامها ، قادرة على تنفيذها ، على الصحف مهما عظم سلطانها !

والحق أن من أصعب الأشياء أن نضع « لحسن الذوق » أصولا وقواعد، نرسم له خططاً ومناهج ، غير أننا مع هذا وذاك نلح على الصحف بوجه عام أن تتقيد بهذه القاعدة التى لا ضابط لها ، وتأخذ نفسها أخذاً حكيما بهذا المبدأ الإنسانى العام الذى يقره المجتمع ، وهذا المبدأ هو مراعاة شعور الناس فى جميع الظروف والأحوال .

دعوى القذف فى الصحف :

من أجل ذلك نريد أن نقف وقفة قصيرة عند دعوى القذف فى الصحف ، وأن نشير إلى رأى الكثرة الساحقة من الباحثين فى هذا الموضوع :

القذف إساءة مقصودة تراد بها السخرية من فكرة ، أو واقعة صدرت من شخص ، أو طائفة من الطوائف ، أو هيئة من الهيئات ، أو مؤسسة ، أو شركة ، أو نحو ذلك .

ولا غرض لهذا النوع من الإساءة إلا تشويه هؤلاء ، والنيل من كرامتهم وتعريضهم لخسارة مادية ، وأخرى معنوية .

والقانون من جانبه يحرم هذه الجريمة ويعاقب عليها ، ولا يسمح لصحيفة من الصحف أن توجه تهمة ما إلى شخص لم يرتكبها فعلا ، ولكنه يجيز للصحف أن ترمى موظفى الحكومة ، أو الشركات ، بجريمة الإهمال فى العمل ، والعبث بمصالح الأفراد والجماعات .

وفى المجتمع أشخاص لهم بروز من نوع خاص ، إما فى عالم الأدب ، أو الصحافة ، أو العلم ، أو الفنون على اختلافها . صحيح إن من حق الصحف أن تتعرض لنقد الحياة الخاصة لهؤلاء الممتازين فى المجتمع ، مادامت لهم صلة كبيرة بالصالح العام لهذا المجتمع ، أو بعبارة أخرى : مادامت الأضواء مسلطة عليهم وحدهم دون غيرهم من أفراد المجتمع .

ولكن حرية الصحافة فى التعرض لهؤلاء الممتازين من الناس ليست مطلقة كل الإطلاق ، بل مقيدة بالتقاليد الاجتماعية من جهة ؛ وبالرغبة التامة فى المحافظة على العرف ، وعلى الذوق العام ، من جهة ثانية .

من أجل ذلك ، وجب أن يقدم النقد الصحفى الموجه إلى هؤلاء الممتازين من الناس على أسس ثلاثة فقط ، هى :

أولا — أن هذا النقد الذى تقوم به الصحيفة نقد صحيح ، وأن له نصيباً من الواقع ، وأن فى استطاعة الصحيفة أن تقدم الوثائق الدالة على صحته متى طلب إليها ذلك .

ثانياً — أن هذا النقد الذى تقوم به الصحيفة قائم على حقائق لم تتناولها الصحيفة بالتغيير والتحوير ، أو العبث بالحقائق فى ذاتها عبثاً يقصد به إلى التجريح فى ذاته .

ثالثاً — أن القصد من نشر هذا النقد أو التجريح قصد شريف لا يهدف إلا للدفاع عن الصالح العام وحماية أفراد المجتمع .

وعلى هذه الأسس الثلاثة المتقدمة يحق لكل صحيفة من الصحف أن توجه النقد إلى الممتازين فى الأمة . والقاعدة التى ترتكز عليها الصحف فى ذلك تتلخص فى أن من حق القراء أن يعرفوا الكثير عن زعمائهم وكبرائهم ، وعن الطريقة التى يعاملهم القانون بها إذا ارتكبوا الخطأ .

ومن ثم وجب على الصحف أن تحتاط احتياطاً كبيراً فى نشر الأخبار التى تتصل بالأشخاص ، أو الهيئات التى تؤثر تأثيراً قوياً فى حياة المجتمعات .

ألا ترى أن الفرق كبير بين أن نقول :

« يظهر أن المركز المالى لشركات عبود قد بدأ يتزعزع ، وأن هذه الشركات أوشكت أن تعلن الإفلاس، فقد نزلت أسهمها نزولا فاحشاً بلغ عشرين بنطا فى بورصة أمس » ؛

وبين أن نقول :

« بيعت أسهم إحدى شركات عبود أمس بسعر ١٨٥ أى بنزول عشرين بنطا عن أول أمس ، وقد كان السعر منذ أسبوعين يبلغ ٢٢٥ » .

فالخبر الأول مبالغ فيه كل المبالغة ، وضار بسمعة الشركة كل الضرر ، وقد يفضى إلى افلاسها فعلا .

والخبر الثانى يقرر الواقع ، ويحتاج القراء بالفعل إلى معرفته ، والوقوف عليه ، ولكنه لا يبالغ فى إزعاج المساهمين ، ولا يملأ نفوسهم ذعراً وشعوراً بالخسارة .

وكائناً ما كان الأمر فلا مناص للصحيفة التى تحترم نفسها دائماً من أن تصون أعراض الناس ، وتصون أموالهم ، وأرواحهم ، وتزداد عنايتها بالممتازين منهم ؛ وخاصة إذا كانوا من رجال القضاء ، والأمن ، وأساتذة الجامعات ، والأطباء ، والوزراء ، ورؤساء الوزارات ، ومن فى هذه الدرجة الاجتماعية الممتازة .

أما المرأة والفتاة فعلى الصحف أن تحذر الكتابة عنهما ، أو التعرض لهما كلما أمكن ذلك . وكلنا يذكر ما كان يفعله صحفى مصرى أثيم ، هو أبو الخير نجيب ـ فى صحيفة « الجمهور المصرى » ، وكلنا يعرف الطريقة الدنيئة التى كان يحصل بها هذا المجرم على أموال الأسر المصرية التى كان يهددها بين حين وآخر بنشر التهم أو الجرائم على صفحات جريدته هذه ، وكلنا يعرف كذلك المصير الذى آل إليه هذا الشرير بعد إذ كشف القضاء المصرى عن طريقته فى التشنيع على الأسر الكبيرة فى مصر .

إن صحافة تهبط بنفسها وبقرائها إلى مثل هذا الدرك لخليقة بأن تودى بحياة أمة بأسرها فى أقرب وقت !

قد يرى الكثيرون من أصحاب الصحف فى بعض هذه الآراء بعداً عن الواقع والحقيقة ، وسيتهمنا الكثيرون منهم بأننا نظريون - لا عمليون - وستظل المعركة قائمة بين « الباحثين » و « المحترفين » ، أو بين الدارسين للصحافة فى داخل الجامعات ، والممارسين لها فى دور الصحف ، ولكن ربما كان ذلك الخلاف لفائدة العلم نفسه من جهة ، ولفائدة الصحافة ذاتها من جهة ثانية .

فلنكن نحن « نظريين » فى رأى الكثيرين ، وليكن أصحاب الصحف على اختلافها عمليين فى رأى أنفسهم ، فأيسر ما يترتب على هذه الظاهرة أن الحق يقع فى وسط الطريق بينهم وبيننا ، وأقل ما يترتب عليها كذلك أن الجيل الناشىء من الصحفيين سوف يستعرض فى ذهنه كل هذه الآراء المختلفة فى نشر الخبر ، وأكبر الظن أنه سوف يؤمن إيماناً عميقاً بأن الصحافة الحاضرة مسرفة فى إثارة الغرائز ، جرياً وراء الربح المادى .

وأقل ما يترتب على هذا الخلاف كذلك أن أهل هذا الجيل الناشىء من الصحفيين سيعد نفسه لتحقيق مادعونا إليه فى « المقدمة » من وجود صحافة نظيفة ، يقص فيها المحرر الصحفى ما يشاء من أخبار الجريمة ، ولكن كما يقصها على والدته ، أو أخته ، أو والده ، أو أستاذه فى المنزل أو فى المدرسة ، أو فى الجامعة .

مصادر الكتاب الثانى

1 — News Agencies, & Their Structure, & Operation

من مطبوعات هيئة اليونسكو ١٩٠٣

2 — Late City Edition.
by : Joseph Herzberg end Memders of the New Herald Tribune Staff (New York 1947.)

3 — News — men at Work .
by : Lauence Camphell and Poland Walselepy 1949 .

4 — One Hundred Years of Famous Pages from the New — york Times 1951.

5 — Jurnale and Journey men.
by : Brigham, Clarence Saunders 1954.

6 — The Art of News Commications
by : Buch, Chilton Rowlette, 1954.

7 — Newspaper Reporting to — day
by : Clayton Gharles, C. 1947,

8 — News — men cpeak,
by : Coblentz Edmond D. 1954,

9 — News Workers ,
by; Keliker, Alice Verginia, 1939

10 — The News in América ,
by ; Mott, Frank Suther, 1952,

11 — News Getting and News Writing ,
by : R, Miller Neal, 1949

12 — How to Read a Newspaper.
by ; Edgar Dale,

13 — Exploring Journalism
by . L. Compbell. & Wyseleal

14 — News Editing ·
By : Westley .

١٥ — كيف تصبح صحفيا : لكارل وارل ، ترجمة عبد الحميد سرايا.

١٦ — الصحف المصرية على اختلافها .

مراجع لدراسة الخبر

١ — مدخل إلى الصحافة   تأليف فرونزر بوند
ترجمة   راجى صهيون
٢ — الصحفى المحترف   تأليف جون هو هنبرج
ترجمة   فؤاد مويسانى
٣ — الصحافة : رسالة واستعداد — فن وعلم :
د . خليل صابات
٤ — أخبار الشرق الأوسط   دراسة بمعهد الصحافة الدولى بمدينة زيورخ
ترجمة   عبداللطيف حمزة، ووليم المسيرى..
٥ — مخبرو الصحف   تأليف دافيد بوتر
ترجمة   محمد مصطفى غنيم
٦ — الأخبار ليلا ونهارا   تأليف فيل أولت
ترجمة   أحمد قاسم جودة
٧ — الصحفى الأمريكى   تأليف برنارد وايزين جر
ترجمة   وديع سعيد
٨ — برامج التليفزيون   تأليف أدوار ستاسيف، ورودى.. برينتز
ترجمة   أحمد طاهر
٩ — المندوب الصحفى ...   تأليف جلال الدين الحامصى
١٠ — من الخبر إلى الموضوع الصحفى ..   تأليف جلال الدين الحامصى
١١ — الصحافة والسلام العالمى   تأليف مختار التهامى
١٢ — الصحافة : حرفة ورسالة   تأليف سلامه موسى

الكتاب الثالث

فَنّ المَقَالْ

الفصل الأول

فنون المقال

سبق لنا القول فى كتاب « الصحافة والأدب فى مصر » (١) : بأن للغة التى تستخدم فى الكتابة مستويات ثلاثة ، وهى :

المستوى الأدبى — وهو المستوى الذى يقف فيه الأدباء للتعبير عن عواطفهم ومشاعرهم وتجاربهم الإنسانية بوجه عام ، ولهم فى هذا التعبير طرائق شتى تختلف باختلاف الأشخاص ، واختلاف العصور ، واختلاف البيئات ، والمستوى العلمى : وهو المستوى الذى يقف فيه العلماء ليعبروا عن الحقائق العلمية ، سواء أكان ذلك فى العلوم الكونية ، أم التاريخية ، أم الأدبية ، وهم فى هذا التعبير يلتزمون لغة تمتاز بالوضوح ، واستخدام الألفاظ التى تكون على قدر المعانى ، واصطناع المصطلحات التى اتفق عليها أهل كل علم من هذه العلوم على حدة . ومعنى ذلك أن العلم مادته الحقائق وحدها ، فى حين أن الأدب مادته العواطف والصور والأخيلة ؛

والمستوى العلمى : وهو المستوى الذى يقف فيه الصحافى لينقل للناس أخبار البيئة التى يعيشون فيها ، والبيئات التى يتصلون بها ، وليقوم للناس بتفسير هذه الأخبار فى أثناء نقلها ، وبعد نقلها ، وذلك عن طريق التعليق عليها ، والاستنارة بآراء الممتازين من القراء فى بعضها . والصحافى فى سبيل هذه الغاية — وهى كتابة الأخبار والتعليق عليها — يستخدم لغة عملية يفهمها القراء ، ولا يشترط فيها ما يشترط فى لغة الأدب من خيال أو جمال ، أو ما يشترط فى لغة العلم من دقة بالغة فى تحديد معانى الألفاظ .

---

(١) راجع الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٥٥ ص ١٢

ولعلنا حين نمعن النظر فى تاريخ الكتابة الفنية ، فى أية أمة من الأمم ، نجد أنها تمر بالمستوى الأدبى أولا ، فالمستوى العلمى ثانياً ، فالمستوى الصحفى فى نهاية الأمر :

فنى الأول تكون الكتابة ذاتية لأنها أدبية ، وفى الثانى تكون الكتابة موضوعية لأنها علمية ، وفى الثالث تكون الكتابة عملية لأنها صحفية .

حدث هذا فى أوربا ، فظهرت الكتابة الذاتية أو الشخصية عند الكاتب الفرنسى مونتانى « ١٥٣٣ — ١٥٩٢ » ، ثم ظهرت المقالة الموضوعية عند الكاتب الإنجليزى بيكون « ١٥٦١ — ١٦٣٦ » ، وأخـــيراً ظهرت المقالة الصحفية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة على أيدى كتاب كثيرين ، مثل الكاتب الإنجليزى « ديفو » و « ستيل » وغيره من كتاب القرن الثامن عشر الذين أدركوا الفروق بين هذه المستويات الثلاثة التى تحدثنا عنها ، وقدروا إذ ذاك أن الصحافة جعلت لمخاطبة « رجل الشارع » ولتوجيهه ، ولتثقيفه ولتسليته ، وإمتاعه ، ومن أجل هذا أثر عن « ديفو » أنه قال كلمته المشهورة :

« إذا سألنى سائل عن الأسلوب قلت إنه الذى إذا تحدثت به إلى خمسة آلاف شخص ممن يختلفون اختلافا عظيما فى قدراتهم العقلية — باستثناء البله والمجانين — فإنهم جميعاً يفهمون ما أقول » .

* *

وإذا صح هذا الذى نقوله الآن فإننا نستطيع أن نقسم المقال فى جملته إلى ثلاثة أقسام هى : المقال الأدبى ، والمقال العلمى ، والمقال الصحفى .

وننظر فى كل قسم من هذه الأقسام الرئيسية فنرى أنه ينقسم كذلك إلى أنواع وأشكال :

فمن أنواع المقال الأدبى — على سبيل المثال — المقال الوصفى أو العرضى ، والمقال الغزلى ، والمقال النقدى ، والمقال الكاريكاتورى ، والمقال القصصى ، والمقالات التى على شكل رسائل بين المحرر وقرائه ، والمقالات التى على شكل

مذكرات أو اعترافات ، والمقالات التي على شكل خواطر و تأملات ، وهكذا

والمقال العلمي كذلك أنواع تختلف باختلاف المادة العلمية التي يخوض فيها الكاتب : فمقال في مادة التاريخ ، وآخر في مادة الطب ، وثالث في مادة الفلسفة ورابع في مادة الأدب ، من الناحية الوصفية لا الإنشائية ، وهكذا. غير أنه يشترط في المقال العلمي — إذا أريد نشره في صحيفة من الصحف — أن يبذل المحرر جهداً كبيراً في تبسيطه للقارىء ، وبغير هذا لا تكون للصحيفة حاجة إلى نشره ، أو العناية به .

والمقال الصحفي ينقسم هو الآخر إلى أنواع منها : المقال الافتتاحي أو العمود الرئيس ، والعمود العادي ، والتقرير بأشكاله المختلفة التي هي : الحديث ، والتحقيق ، والماجريات بأنواعها المعروفة .

إلا أننا — مع هذا وذاك — لا نستطيع — ولو حرصنا — أن نفصل فصلا تاماً بين هذه الأقسام الرئيسة الثلاثة التي هي : المقال الأدبي ، والمقال العلمي ، والمقال الصحفي ، والسبب في ذلك أنها تتلاقى في كثير من الأحيان ، وتدع الباحث المدقق في حيرة من الأمر . خذ لذلك مثلا : مقال النقد ، فإنك ترى هذا الفن من فنون القول ذاتياً وموضوعياً في وقت معاً ، أو بعبارة أخرى : نراه فنا وعلما في آن واحد ، له من الفن ذاتيته ، وله من العلم موضوعيته .

فالنقد علم بمعنى أن له أصولا وقواعد تنبغي مراعاتها ، ولا يستطيع الناقد أن يتجاهلها بحال من الأحوال . والنقد فن بمعنى أن صاحبه في استطاعته أن يبني نقده على ذوقه الخاص ، وشعوره الخاص نحو القطعة الأدبية أو الفنية التي يتعرض لها النقد ، ويزنها بميزانه ، ويطبق عليها أصوله :

فماذا نسمي المقال النقدي إذن ؟ أنسميه مقالا أدبياً صرفاً ؟ أم نسميه مقالا علمياً صرفاً ، أم ننظر إليه على أنه مزاج من المقالين ؟

وبمثل هذه الطريقة في الواقع تتلاقى فنون المقال على اختلافها ، ويتداخل

بعضها فى بعض إلى الحد الذى تصعب معه التفرقة بينها تفرقة لا تقبل الشك ، وقد أشرنا إلى هذه الظاهرة فى مقدمة البحث .

تقسيم آخر للمقال :

أشرنا إلى أن المقالة فى الأدب الأوربى بدأت برجلين من أبناء القرن السادس عشر هما : ميشيل دى مونتاين الفرنسى ، وفرانسيس باكون الإنجليزى ، اشتهر أولهما بالمقال الذاتى ، واشتهر الثانى منهما بالمقال الموضوعى ، ومنذ ذلك الوقت ورجال الأدب والنقد يقسمون المقال من حيث هو إلى هذين النوعين فقط ، أما المقال الذاتى فيبنى على التأمل العميق ، والتجربة الذاتية ، والتأنق فى الأسلوب قدر المستطاع بحيث يتوافر له كثير من نعم الجمالية ، وأما المقال الموضوعى ، فيبنى على العناية بالمضمون والمحتوى ، ويعنى فيه الكاتب بالموضوعات العلمية ، لتقديم النصح والإرشاد إلى طبقة خاصة من الناس ، كما فعل ذلك عبد الحميد بن يحيى الكاتب حين كتب رسالته المشهورة إلى الكتاب ، وكما فعل صديقه ابن المقفع حين كتب رسالته المشهورة كذلك باسم « رسالة الصحابة » موجهة إلى الخلفاء وذوى السلطان .

ومن اليسير علينا أن نفهم بعد ذلك : لم كانت المقالات الذاتية أدنى إلى الطول والانطلاق فى العبارة ، والتعبير عن شخصية الكاتب ، على حين أن المقالة الموضوعية تبدو أقل طولا ، وأقصر انطلاقا ، وأدنى إلى التقيد بألفاظ خاصة ، وتعبيرات خاصة .

والخلاصة حتى الآن أن المحور الذى تدور عليه المقالة الذاتية هو الكاتب نفسه ، أما المحور الذى تدور عليه المقالة الموضوعية فهو الموضوع الذى يتعرض له الكاتب .

وغنىّ عن البيان أن المقالة الذاتية سبقت فى وجودها المقالة الموضوعية بل إن « باكون » ـ وهو رائد المقالة الموضوعية ـ كان متأثراً بالكاتب

الفرنسى ، مونتين ، رائد المقالة الذاتية ، جمع الأول — وهو مونتين — مقالاته بعنوان « محاولات » ، وجمع الثانى — وهو باكون — مقالاته باسم « موضوعات » ، والفرق بينهما واضح للقارىء . هكذا ذهب القدماء ، وتبعهم المحدثون — إلى تقسيم المقال إلى ذاتى وموضوعى ، ولكننا نرى أن تقسيم المقال إلى ذاتى وموضوعى لا ينطبق فى تقديرات الصحفى إلا على المقال الأدبى والعلمى ، ولكنه قلما ينطبق على النوع الثالث من أنواع المقال ، وهو المقال الصحفى .

وهذا هو السبب الحقيقى الذى من أجله عدلنا عن الأخذ بتقسيم المقال إلى ذاتى وموضوعى ، وأخذنا بالتقسيم الذى ذكرناه ، وهو تقسيم المقال إلى أدبى ، وعلمى ، وصحفى ، لأنه التقسيم الذى وافق خطة الكتاب الذى بين يديك .

تعريف المقال :

لقد سبق لنا كذلك فى كتاب « الصحافة والأدب فى مصر » أن تعرضنا لتعريف المقال (١) .

ويطلق الإنجليز على المقال اسم « محاولة Essay » ، أى أنها شىء غير مكتمل ، شىء يشبه المذكرات الخاصة والخواطر المتناثرة ، وعلى القارىء تكميل ما بالمقال من نقص ، كما يكون على سامع القصيدة الغنائية أن يفعل مثل ذلك عند سماعه كل بيت من الأبيات التى تتألف منها ، وفى معجم لاروس تعريف للمقال كما يلى :

« المقال اسم يطلق على الكتابات التى لا يدعى أصحابها التعمق فى بحثها

---

(١) كتاب « الصحافة والأدب فى مصر » للمؤلف ص ١٦ ، وكتاب « مستقبل الصحافة فى مصر » للمؤلف ، ص ٤٩ .

أو الإحاطة التامة فى معالجتها ، ذلك أن كلمة « مقال » تعنى محاولة أو خبرة أو تطبيقاً مبدئياً أو تجربة أولية »

وعرفه قاموس أكسفورد فقال :

« المقال هو إنشاء كتابىّ معتدل الطول فى موضوع ما ، وهو دائماً يعوزه الصقل ، ومن هنا يبدو أحياناً أنه غير مفهوم ولا منظم » .

ومرة ثالثة أقول إنى عرضت فى بعض كتبى السابقة للفرق بين المقال الأدبى والمقال الصحفى ، وأشرت فى أثناء ذلك إلى كتاب سبقنا فى معالجة هذا الموضوع ، هو كتاب الأستاذ « موريس هيوليت » ، وقد وضع لكتابه عنوان : « العمود وسارية الربيع » (١)

وبهذا العنوان فرق الكاتب تفرقة واضحة بين المقالة الصحفية التى رمز لها « بالعمود » ، والمقالة الأدبية التى رمز لها « بسارية الربيع » ، وسارية الربيع هى ذلك العمود الكبير الذى يتخذه الإنجليز رمزاً فى « عيد الربيع » يزينونه بالزهور البديعة من كل صبغ ، والورود الجميلة من كل لون ، فتبدو السارية كأنها العروس فى جلوتها . أما العمود العارى ، وهو الذى رمز به الكاتب إلى المقالة الصحفية ، فهو عار من جميع هذه الزينة .

* * *

ومرة أخرى نقول :

إن هذا هو رأينا فى تقسيم المقال باعتباره مادة من المواد التى يمكن أن تنشرها الصحف ، وهو تقسيم يقوم على أساس من المستويات الثلاثة للغة من جهة ، وأساس من واقع الصحافة المصرية ذاتها من جهة ثانية .

فنحن حين ننظر فى صحافتنا المصرية من عهد قريب نرى أن النوعين الأول والثانى من أنواع المقال ، وهما الأدبى والعلمى ـ قد ازدهرا ازدهاراً

(١) راجع « مستقبل الصحافة فى مصر » للمؤلف ص ٢٠

عظيما فى وقت النهضة الفكرية التى سادت مصر فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٤٢ ، أعنى فى فترة ما بين الحربين العالميتين : الأولى والثانية على وجه التقريب .

ففى تلك الفترة التى نشير إليها نعمت مصر بشىء من الاستقرار المادى والاستقرار الاجتماعى أتاحا للشعب المصرى ـ أو للطبقة المستنيرة منه ـ أن تقرأ وتتذوق وتستمتع ، وإذ ذاك سعدت مصر بألوان فكرية وأدبية شتى سنعرض فى بعض الفصول القادمة لأمثلة منها ، وفى تلك الفترة التى نشير إليها أنجبت مصر خير أدبائها فى الواقع ، ومنهم على سبيل المثال : أمين الرافعى ، ومصطفى صادق الرافعى ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وعبد القادر حمزة ، وتوفيق دياب ، وعباس محمود العقاد ، وطه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وإبراهيم المازنى ، وسلامة موسى ، وزكى مبارك ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد أمين ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، وعبدالعزيز البشرى ، وفكرى أباظة ، وأحمد زكى ، ومحمد فريد أبوحديد .

ولقد كتب هؤلاء الفصول الممتعة فى الصحف ، وتوزعوا إذ ذاك على المقال بنوعيه : العلمى والأدبى ، وقدموا للقراء خلاصة طيبة للفكر المصرى .

— ففى المقال الأدبى النقدى ظهرت فصول كثيرة فى الصحف ، جمعت بعد فى كتب ، ومنها على سبيل المثال :

حصاد الهشيم للمازنى ، وساعات بين الكتب للعقاد ، ومطالعات فى الكتب والحياة له أيضا ، وشعراء مصر فى الجيل الماضى له كذلك ، وحديث الأربعاء لطه حسين ، وحافظ وشوقى له كذلك ، وثورة الأدب لهيكل .

وإذا تأملنا فى هذه الفصول التى اشتملت عليها الكتب المتقدمة

اعتبرناها من المقال الأدبى ، واعتبرناها كذلك من المقال النقدى ، ونحن على صواب فى كلتا الحالتين .

وفى المقال الذى على شكل مذكرات أو اعترافات نجد على سبيل المثال :

كتاب « الأيام » لطه حسين، و«عالم القيود و السدود» للعقاد ، وكتاب «حياتى» لأحمد أمين .

ولا ننسى أن نذكر أن هذه الفصول أو المقالات التى على شكل مذكرات أو اعترافات تعتبر من الأسباب التى مهدت لظهور الأدب الواقعى من جانب ، وهى فى الوقت نفسه أثر من آثار الصحافة من جانب آخر .

أما المقالات التى على شكل خواطر وتأملات فمن الأمثلة عليها :

كتاب « فيض الخاطر » لأحمد أمين ، وسيل من الكتب الأخرى لا سبيل إلى حصرها ، أو الإلمام بها .

أما المقال العلمى البحت فمنه أكثر ما نشرته مجلة المقتطف ، ومجلة الهلال، وإن كانت الأولى منها ـ بنوع خاص ـ إلى العلم أسبق ، وبه أحفل .

وأما المقالات النزالية فلها فى مصر طريقان هما : طريق الأدب من ناحية ، وطريق السياسة من ناحية ثانية .

ففى الأدب ظهرت معركة حامية الوطيس بين القديم والجديد ، وهى المعركة التى بدأت على صفحات « الجريدة » لمحررها أحمد لطفى السيد ، وتناظر فيها رجلان هما : مصطفى صادق الرافعى عن القديم : وطه حسين عن الجديد ، ثم ما لبثت هذه المعركة أن انتقلت إلى صحيفة « السياسة الأسبوعية » لمحررها محمد حسين هيكل ، وما زال لهذه المعركة ذيول فى صحفنا المصرية إلى اليوم .

ومن النزال الأدبي كذلك تلك المعركة التي دارت رحاها مرة أخرى بين طه حسين ، وعباس العقاد حول موضوع الأدب اللاتيني ، والأدب السكسوني ، تشيع فيها الأول للثقافة اللاتينية ، وتشيع فيها الأخير للثقافة السكسونية ، وبقي الأمر سجالا بينهما مدة ليست بالقصيرة

وفي الطريق الثاني من طرق النزال السياسي كثرت معارك شتى بين الأحزاب المصرية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى ، وأخذت تتزايد شيئاً فشيئاً فيما بعد ، وقد انزلقت بعض هذه المعارك السياسية أو الحزبية إلى مستوى الخوض في الأشخاص والأعراض ، وكان من هذه الأخيرة تلك الحملات الصحفية العنيفة التي حمل فيها العقاد على الرئيس السابق مصطفى النحاس ، وذلك منذ خرج العقاد من حزب الوفد ، وانضم إلى حزب آخر من الأحزاب السياسية ، هو حزب السعديين في مصر .

وإذا ذكرنا المقال النزالي في الصحافة المصرية فإنه لا يصح لنا أن ننسى أولى الحملات الصحفية في تاريخ هذه الصحافة ، ونعني بها الحملة التي اقترنت باسم « السيد علي يوسف » صاحب المؤيد ، وفيها شهر الرجل قلما على اللورد كرومر ، جبار الاحتلال الإنجليزي في مصر ، وكان ذلك في الفترة البسيطة التي سبقت سقوطه عن عرش الوكالة البريطانية ، والفترة البسيطة التي أعقبت هذا السقوط ، أعني في النصف الأخير من سنة ١٩٠٧ ، وقد عرفت المقالات النزالية التي تألفت منها حملة « السيد علي يوسف » وعددها أربع عشرة مقالة ، باسم مقالات « قصر الدوبارة بعد يوم الأربعاء » (١)

هذا كله من حيث الصحافة المصرية أو الأدب المصري المعاصر .

المقالة العربية في العصور القديمة

« أما في الأدب العربي القديم فقد وجدنا أن إقناع الرأي العام كان

(١) عن أدب المقالة الصحفية في مصر ، للمؤلف ، الجزء الرابع ص ٤٦ و ٧٦

يسلك فى البيئات السياسية وغيرها من البيئات المتحضرة طريقة واحدة فقط ، هى طريقة الرسائل الحرة ، يكتبها أدباء وعلماء لهم فى تاريخ الأدب العربى شهرة واسعة ، وكانوا لشهرتهم هذه مصدر خطر على الدولة حينا ، ومصدر أمن وصيانة لها حينا آخر ، وهذه الرسائل التى كتبها أولئك الكتاب فى موضوعات الدين والسياسة والاجتماع والأدب ، تعتبر مع التحوير القليل صحافة كاملة بالنسبة للعصور التى ظهرت فيها » (١) .

وقد ذهب الدكتور « محمد عوض محمد » فى كتابه « فن المقالة الأدبية » إلى أن الخطبة بما لها من الاتقان اللفظى تعتبر أول خطوة من خطوات المقالة الأدبية ، أو أقوم صورة لها ، ثم تأتى بعد ذلك « المقامة » التى تعتبر الخطوة الثانية أو الصورة الثانية للمقالة ، وقريب من المقامة فى الشبه الأحاديث والفصول التى يكتبها أدباء مشهورون مثل كتاب « الإمتاع والمؤانسة » لأبى حيان التوحيدى ، و « الفصول والغايات » لأبى العلاء المعرى ، وأخيراً تأتى « الرسالة » فتمثل الخطوة الثالثة والأخيرة من الخطوات الموصلة إلى المقال ، أو ينظر إليها على أنها صورة ثالثة من هذا المقال كما عرفه الأدب العربى القديم . والرسالة فى ذاتها أنواع :

فنها الرسالة الديوانية التى تصدر عن الخليفة أو الأمير أو السلطان ، ومنها الرسالة الحرة التى أشرنا إليها ، وهى التى تكتب فى شتى الموضوعات التى لا صلة لها بالدولة .

ومنها الرسالة الإخوانية التى يبعث بها الكاتب إلى بعض أصدقائه ، وفى هذه الأخيرة يتناول الكاتب فى بعض الأحيان شأنا من شئون الحياة العامة أو الخاصة بفرق واحد، هو أن هذه الأخيرة تصطبغ بلون فلسفى بحت ، ونجد ذلك فى رسالة « ابن القارح » إلى أبى العلاء المعرى ، وقد رد المعرى على « ابن القارح » فى « رسالة الغفران » .

---

(١) عبد اللطيف حمزة « أدب المقالة الصحفية » الجزء الأول ، ط ١٩٦٤ ص ٥ و ٦

وهناك نوع رابع من الرسائل هو النوع الذى يكتبه الكاتب ليقرأه الناس جميعا ، وهذا لا يرسل إلى شخص بعينه ، ومن هذا الطراز أكثر رسائل الجاحظ .

وعلى ضوء ماتقدم فى شرح الرسائل يصح لنا أن ننظر إلى كل من : رسالة الحسن البصرى فى وصف الإمام العادل ، ورسالة عبد الحميد بن يحي الكاتب إلى الكتاب ، وإلى الرسالة السياسية الإصلاحية المسماة بالهاشميين، أو رسالة الصحابة لابن المقفع ، وإلى رسالة إبراهيم بن المدبر المسماة بالرسالة العذراء ، وإلى رسائل الجاحظ كلها بدون استثناء ، وإلى رسالة مالك بن أنس إلى الرشيد ، وإلى بعض رسائل بديع الزمان ، والخوارزمى ، وإلى بعض رسائل الأبشيهى فى كتابه « المستطرف فى كل فن مستظرف » ، وإلى رسالة أبى العلاء المعروفة برسالة الغفران، وإلى رسائل إخوان الصفا ، وإلى رسالة سهل بن هرون إلى بنى عمه من آل راهبون ، كما يصح لنا أن ننظر إلى جميع هذه الرسائل وأشباهها فى تاريخ الأدب العربى على أنها مقالات أدبية ، أو صور حية من صور المقال الأدبى ، كما عرفته العصور القديمة فى تاريخ الأدب العربى .

وفى ختام هذا الفصل تأتى بعض فقرات من رسالة الحسن البصرى فى وصف الإمام العادل على سبيل المثال :

« اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله ، الذى يرتاد لها أطيب المراعى ، ويذودها عن مواقع التهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكفها عن أذى الحر والقر .

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح وتفسد بفساده ، وهو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم

وينظر إلى الله ويراهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم ، فلا تكن ياأمير المؤمنين كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال وشرد العيال (١) .

وبعد ، فإننا — كما قلنا ، لا نستطيع الإلمام بهذا السيل المتدفق ، أو الشتات المتفرق من المقال المصري بفنونه الثلاثة : الأدبي ، والعلمي ، والصحفي ، ولكننا مكتفون هنا بالوقوف قليلا عند المقال الأدبي ، محاولين أن نضرب المثل عليه بأنواع ثلاثة فقط من أنواعه الكثيرة ، وهذه الأنواع هي : المقال القصصي ، والمقال الذي على شكل اعترافات أو مذكرات ، والمقال الكاريكاتوري .

فإذا فرغنا من ذلك انتقلنا إلى المقال العلمي ، فتحدثنا عن خصائصه ، وطريقة كتابته .

أما المقال الصحفي فنحن مضطرون إلى التحدث عن جميع فنونه المعروفة في الصحافة الحديثة ، كالمقال الافتتاحي ، والعمود ، والحديث ، والتحقيق ، والماجريات الصحفية ، كما ستأتي فيما بعد :

---

(١) محمد يوسف نجم : فن المقالة ، ص ٢٨ ط بيروت ١٩٥٧ .

الفصل الثانى

المقال القصصى

لا نعلم كاتباً مصرياً بلغ فى هذا اللون من ألوان المقال الأدبى ما بلغ الأديب الصحفى المعروف بالمازنى « ١٨٨٩ — ١٩٤٩ » .

ولا تكاد العربية تعلم كاتباً جم التواضع، خفيف الروح فى الكتابة، لاصقاً بالأرض فى التفكير، كما كان هذا الكاتب القدير .

ظهر تواضعه الجم فى اللغة التى كان يكتب بها المقال، وفى طريقة عرضه على القراء، ولقد جمعت مقالاته فى كتب، منها على سبيل المثال :

حصاد الهشيم ، وخيوط العنكبوت ، وصندوق الدنيا ، وفى الطريق ، وقبض الريح ، ومن النافذة ، وع الماشى . . الخ .

وانظر إليه يقول فى كلمة الإهداء التى جاءت فى صدر كتابه « صندوق الدنيا » :

« إلى التى منها معدنى ، وإليها المآل .. إلى أمنا الأرض » ! !

وقد اشتهر المازنى بكتابة الأقصوصة ، وإن سبقه إليها ، وجرى معه فى ميدانها كثيرون من أمثال : محمود تيمور ، وجبران خليل جبران ، وإسماعيل أدهم ، وغيرهم .

إلا أن أحداً من هؤلاء لم يرزق موهبة المازنى فى عذوبة الكلام ، وحلاوة الفكاهة ، وشعبية العبارة ؛ مع المحافظة التامة فى الوقت نفسه على عربيتها .

والمازنى أكثر الكتاب المحدثين حديثاً عن نفسه ، وعن بيئته ، وعن صلته بأهله ، وبالناس ، ومع هذا يقول عنه توفيق الحكيم :

« الويل كل الويل لمن يؤرخ للمازنى ، فإن الكذب هبة من هباته . ذلك أن قدرة المازنى فى الخيال ، والاختراع ، واختلاط حقه بباطله قد أسدلت حجاباً كثيفاً على وجهه الحقيقى » (١) .

ورد المازنى على مقال توفيق الحكيم ، مفسرا هذا الكذب بأنه « الصدق الفنى » حيث قال :

« وليس الصدق عندى — وأحسب الأستاذ توفيق الحكيم مثلى — أن يروى الكاتب قصة وقعت كلها بجملتها وتفصيلها بلا نقص ولا زيادة ، فما لهذا قيمة ، ولا هو الأدب الجدير بهذا الاسم ، وإنما المعول فى الصدق والكذب على طريقة العرض ، وأسلوب التناول ، والإخلاص فى التعبير والتصوير . ولا وزن لكون القصة مما وقع للكاتب ، أو لسواه ، أو مما تخيل ، وقد يأخذ الكاتب بعض الوقائع فيضيف إليه ، أو ينقص منه ، ويبنى قصته مما جرب وعرف وتخيل أيضا ، ولا مفر من هذا المزج بين الحقيقة والخيال ، وكما أن لكل مخلوق أنجالا وأجدادا ، كذلك كل فكرة أو خالجة ، أو خيال ، وسنة الحياة واحدة فى خلق الحيوان ، وخلق الفكرة أو الإحساس ، أو الخيال ، وهذه السنة هى التوليد(٢) » .

* * *

ومعنى ذلك باختصار أن الواقعية عند الفنان هى الحياة التى حوله مضافة إليها شخصية هذا الفنان نفسه ، أو هى الحياة كما تعكسها مرآة هذا الفنان بالشكل الذى يراه ، فلا ينبغى أن ننتظر من الكاتب الواقعى أن يجعل نفسه آلة لا تحس ، ولا تشعر ، أو أن يصور لنا الحياة تصويراً فوتوغرافياً ، كما لا ينبغى لنا أن ننتظر منه ألا يقص علينا غير ما وقع بالفعل ، فليس هذا هو المقصود بالواقعية فى الأدب ، وحسبنا منه إذن أن

(١) أدب المازنى ، للسيدة نعمات فؤاد ص ٤٤ نقلا عن مجلة الثقافة ١١|٤|١٩٣٩

(٢) مجلة الثقافة بتاريخ ٦ ١|٥|١٩٢٩

يقنعنا بأن هذه الحوادث التي قصها علينا ممكنة الوقوع ، وأن هذه الشخصيات التي تحدث عنها من الجائز أن توجد في الحياة .

ومهما يكن من شيء فقد اتفق النقاد على أن المازني في « الأقصوصة » أعظم أصالة منه في « القصة » ، والأولى هي التي تعنينا في هذا المجال ، وهي التي امتلأت بها الصحف المصرية في فترة من الزمان ، وهي ما أطلقنا عليه اسم « المقال القصصي » .

وقد أشرنا إلى أهم الكتب التي جمعت فيها مقالات المازني القصصية ، وبحسبنا هنا أن نضرب المثل عليها بأقصوصته التي نشرت بكتاب « صندوق الدنيا »(١) ، وعنوانها :

حلاق القرية

وفيها يقول :

وقعت لي هذه الحادثة في الريف منذ سنوات عديدة قبل أن تتغلغل المدنية إلى أقصى قراه ، وكنت أنا الجاني على نفسي فيها ، فقد عرض عليّ مضيفي أن أستعمل موساه فأبيت ، وقلت مادام أن للقرية حلاقاً فعليّ به ، فحذرني مضيفي ، وأنذرني ووعظني . . ولكني ركبت رأسي ، وأصررت أن يجيء الحلاق ، فجاء بعد بضع ساعات يحمل ما ظننته في أول الأمر « مخلاة شعير » وسلم وقعد ، وشرع يحييني ويحادثني حتى شككت في أمره ، واعتقدت أن الحلاق شخص آخر ، وأن هذا الجالس أمامي ليس سوى « طلائعه » ، ولما عيل صبري سألته عن حلاق القرية فابتسم ومشط لحيته بكفه ، وأنبأني أن الحلاق « محسوبي » — يعني نفسه ، فلعنته في سري ، وسألته : متى ينوي أن يحلق لي لحيتي ، أم لابد أن يضرب الرمل والحصى أولا ؟ ويحسب الطالع قبل أن يباشر العمل ؟ فلم يفهم ما أقول ،

---

(١) صندوق الدنيا ، للمازني ، ص١٧ ، ط : دار الترقي للطبع والنشر بالقاهرة سنة ١٩٢٩ .

وأولانى صدغا كث الشعر ، وقال « هيه » ، فظننته أصم ، وصحت به . « أ . ر . يد . أن . أ . حـ . لـ . ق » . فسره صياحى جداً ، وضحك كثيراً ، وأقبل على « مخلاته » فأخرج منها مقصاً كبيراً ، فدنوت من أذنه وسألته:

هل فى القرية فيل ؟ فقال :

فيل — لماذا ؟

فأشرت إلى المقص ، فضحك وقال :

هذا مقص حمير ولا مؤاخذة .

فقلت : ولماذا تجيئنى بمقص حمير ؟ أحماراً ترانى ؟

ويظهر أن معاشرة الحمير بلدت إحساسه ، فإنه لم يعتذر لى ، ولا عبأ بسؤالى شيئاً ، ثم أخرج « موسى » من طراز المقص ، و « مكنة » من هذا القبيل أيضاً ، فعجبت له : لماذا يجىء إلىّ بكل أدوات الحمير؟ وسألته عن ذلك فقال : إن الله مع الصابرين ، وبعد أن أفرغ مخلاته كلها انتقى أصغر الأدوات حجماً ، وأصغرها هو أكبر ما رأيت فى حياتى ، ثم أقبل علىّ وقال : تفضّل .

قلت : ماذا تعنى ؟ قال اجلس على الأرض .

قلت : ولماذا بالله ؟ قال ألا تريد أن تحلق ؟

قلت : ألا يمكن أن أحلق وأنا قاعد على الكرسى ؟

قال : وأنا ؟ قلت فى سرى : وأنت تذهب إلى جهنم وبئس المصير ! وهبطت إلى الأرض كما أمر ، ففتح موسى كالمبرد ، فقلت : إن وجهى ليس حديداً ياهذا . قال : لا تخف إن شاء الله ، ولكنى خفت بإذن الله !

ولا سيما حين شرع يقول : بسم الله ، الله أكبر : كأنما كنت خروفاً ، وبصق فى كفه ، ثم شحذ الموسى على بطن راحته ، ثم جذب رأسى ، فذعرت ونفرت ووليت هارباً إلى أقصى الغرفة ، فقال لى : ماذا ؟ قلت : ماذا ؟ أتريد أن تحلق لى بمبرد ، ومن غير صابون ؟ قال : ماذا يخيفك ؟ قلت :

يخيفنى ؟ ، لقد دعوتك لتحلق لى لحيتى ، لا لترد لى شعرها ، قال : يا افندى لا تخف ، ثم قرأ من الكتاب الكريم : « فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى » إلى آخر الآية الشريفة ، وأظنـــه أراد أن يرقينى بها . فيالها من حلاقة لا تكون إلا برقية !

وأسلمت أمرى لله ، وعدت فقعدت أمامه ، فنهض على ركبتيه ، وتناول رأسى بين كفيه ، وأمال صدغى إليه ، ثم وضع ركبته على فخذى ، ولف ذراعه حول عنقى ، فصار فى مدفوناً فى صدره ، فصحت — أو على الأصح — جاهدت أريد الصياح لعل أحداً يسمعنى فينجدنى ، غير أن طيات ثوبه كانت فى فمى ، أما رائحة الثوب فبحسب القارىء أن يعلم أنها أفقدتنى الوعى .

ولا أطيل على القارىء ، فقد أهوى الرجل بموساه على وجهى ، فسلخ قطعة من جلدى ، فردنى الألم إلى الحياة ؛ وآتانى القوة الكافية للصراخ على الرغم من الكمامة ، ووثبت أريد الباب ، ولكنه كان على كبر سنه أسرع منى ، وما يدرينى لعله كان يتوقع ذلك ، وعسى أن تكون المرانة قد علمته أن يكون يقظاً لأمثال هذه المحاورات ، فردنى بقوة ساعده ، فتشهدت ، وتذكرت قول المتنبى :

وإذا لم يكن من الموت بد   فمن العجز أن تموت جباناً

كلا ! سأسدل الستار على هذا المنظر الذى يقف له جلدى على الرغم من كر السنين الطويلة ، ثم جاء هذا السفاح بطشت يغرق فيه كبش ، ووضعه تحت ذقنى ، وصب ماءه على وجهى ، وفى صدرى ، وعلى ظهرى ، ليغسل الدم الذكى الذى أراقه ، وأخرج من « مخلاته » مذشفة هى « بممسحة » الأرض أشبه ، فاعتذرت وأخرجت منديلى ، وسبقته إلى وجهى ، فهى معركة لا يزال بجلدى منها ندوب وآثار .

« انتهى المقال »

فهذا نموذج كامل من المقال القصصي الذي قلنا إنه لون من ألوان المقال الأدبي في الفترة ما بين عام ١٩٢٢ ، وعام ١٩٤٢ ، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على سيطرة الأدب على الصحافة ، أو المقال على الخبر في تلك الفترة التي نشير إليها .

وفي هذا النموذج وأمثاله من مئات المقالات التي كتبها المازني ترى كيف أن أتفه الحوادث في نظر الناس يصلح أن يكون مادة أدبية رائعة تروق جميع الناس متى تناولها كاتب قدير يحيلها إلى مادة جديرة بالنشر في صحيفة !

واسمع إلى المازني نفسه حيث يقول :

« كذلك أنا ، أنا زوج الحياة الذي لا يستريح من تكاليفها ، أقوم من النوم لأكتب ، وآكل وأنا أفكر فيما أكتب ؛ فالتهم لقمة ، وأخط سطراً أو بعض سطر ، وأنام ، وأحلم أني اهتديت إلى موضوع ، وأفتح عيني فإذا بي قد نسيته ، فأبتسم ، وأذكر ذاك الذي رأى في منامه أن رجلا جاءه ، فنقده تسعة وتسعين جنيهاً ، فأبى إلا أن تكون مائة ، فلما انتسخ الحلم ، ورأى كفه فارغة عاد فأطبق جفونه ، وبسط راحته ، وقال : « رضينا فهات ما معك » .

* * *

ونظرة عاجلة إلى فن المقال القصصي عند المازني ترينا أنه يعتمد على أشياء منها :

أولا — الاتساع في الخيال ، وهو ما أسماه توفيق الحكيم « الكذب الحقيقي » ، وما سماه المازني « الصدق الفني » ، فليس من الضروري أن تكون الصورة كاملة الأجزاء في الواقع الملموس من الحياة ، لأن الكاتب المبدع يستطيع بفنه وإبداعه ، وتصوره وخياله ، أن يكمل ما بهذه الصورة من نقص ، أو أن يحذف ما بها من زيادة ، على حد قول المازني .

ثانياً — انتزاع الفكاهة من الوقائع التى يرويها الكاتب ، ولو كانت من الوقائع التافهة فى ذاتها ، وهكذا يستطيع المازنى أن يستهوينا دائما ، لا بأفكاره وآرائه ، ولكن بقدرته على التصوير، وبراعته فى انتزاع الفكاهة من الحياة بجميع صورها وأشكالها ، وبما فى هذه الحياة من جد وهزل وما فيها من أشياء قيمة وأخرى مهمة .

ثالثاً — استعمال اللغة التى تصور الواقع ، أو التى تشتق منه فى أغلب الأحيان ، ما دامت هذه الأقاصيص ، أو المقالات القصصية قطعة من الحياة الواقعية ، كما أراد لها الكاتب أن تكون كذلك .

من أجل هذا حرص المازنى على أن يختزن فى ذهنه مئات الذكريات ، وألا يترك واحدة منها فى الماضى أو فى الحاضر تفلت من ذاكرته بحال ما ، ذلك أنه مطالب على الدوام بأن يمد هذه الصحيفة — أو تلك — بالمقال القصصى الذى تعوده منه القراء .

وفى ذلك يقول المازنى أيضاً :

وإن كتبت فى الأسبوع مقالين ، فجملة ذلك فى العام يبلغ المائة ، وكل مائة مقال تملأ ثلاثة كتب ، فسيكون لى إذن بعد عشرة أعوام — إذا ظللت هكذا — ثلاثون كتاباً ، خلاف ما أخرجت قبل ذلك .

والبلاء والداء العياء أن تكتب مرة مقالة فكاهية ، والطامة الكبرى أن تكون المقالة جيدة ، وأن تكون الفكاهة فيها بارعة ، فلا راحة لك بعد هذا أبداً ، لأن الناس يظلون ينتظرون منك بعد ذلك أن تطرفهم بالفكاهات فى كل مقال آخر ، فإن أخطئوا عندك ما يطلبون من الفكاهة فالويل لك ، وأنت عندهم ضعيف لا تحسن أن تكذب ، أو غير موفق فيما تحاول حتى ولو كنت تكتب ، والناس معذورون ، فإن وطأة الحياة ثقيلة ، وما دمت قد عودتهم أن تسليهم ، وتضحكهم ، أو أطمعتهم ، وأنشأت فى نفوسهم الأمل فى هذا ، فماذا تريد أن تتوقع ؟ .

رابعاً — التهويل فى وصف الأشياء ، وهو نوع من الكذب الذى ذكره توفيق الحكيم ، ومعناه عند البلاغيين كمعنى الذى يقول : أعذب الشعر أكذبه ، أى أمعنه فى التخيل .

فحقيبة الحلاق مخلاة شعير ، ومقصه مقص حمير ، وموساه مبرد ، وحلاقته نفسها لا تكون إلا برقية من الرُّقى ، وهكذا .

وبوابة أبيه - فى أقصوصة أخرى — كبوابة المتولى ، والمسامير التى تغطيها كبيرة ، يعدل الواحد منها رأس طفل ، ورتاج الباب غليظ يدخل فى جدار عظيم السمك ، وهكذا .

فالمبالغة إذن أساس من الأسس التى يبنى عليها أقصوصته دائما ، والمبالغة صفة من الصفات الغالبة على قصص الأطفال ، فكأن المازنى كان يقدر دائما أن قراءه من هذا النوع ، ومع ما فى هذه العبارة الأخيرة من الهجوم على قراء المازنى ، فإن الذى لا ريب فيه أنه كان محبوباً منهم جميعاً ، بما كتب لهم من مقالات وأقاصيص كانت فى حقيقة أمرها خير ما يصور البيئة المصرية ، والدعابة المصرية ، والشخصية المصرية التى بنيت على الإيمان بالقدر ، والإيمان بالغيب ، كما بنيت على الشكوى ، وعلى الشك فى الحياة ، وعلى عدم الثقة فيها ، والاستخفاف بها ، وغير ذلك من السمات العامة .

الفصل الثالث

مقال الاعترافات

لسنا نعرف كذلك أن كاتباً بلغ فى هذا الفن من فنون المقال الأدبى بعض ما بلغه الدكتور طه حسين فى كتابه المعروف « بالأيام » .

وهو صورة نابضة بالحياة ، زاخرة بالمعانى ، رسمها كاتب قدير عرف بغزارة العاطفة ، وجمال التصوير ، وعذوبة العبارة .

وقد زعم الكثيرون أن كتاب « الأيام » محدود الجوانب ، قصره كاتبه على وصف حياته فى القرية ، ولكن هذا الزعم بعيد عن الصواب ؛ لأن الكتاب صورة رائعة للقرية المصرية بما فيها ، ومن عليها ، فضلا عن كونه فى نفس الوقت صورة رائعة أيضاً لكفاح شاب فقد البصر منذ الصغر ، ولكنه ناضل فى حياته حتى أصبح ملء السمع وملء البصر !

والكتاب من هذه الناحية الأخيرة أشبه بكتاب أمريكى كان له تأثير كبير فى الأوساط الأدبية ، وعنوانه « العالم عند أطراف أصابعى » .

والحقيقة التى لا مراء فيها أن القرية المصرية لم تظفر بقصة وافية تصورها هذا التصوير الجديد ، كما ظفرت بذلك كله فى كتاب « الأيام » .

من أجل هذا أقبل المصريون وقراء العربية إقبالا منقطع النظير على قراءة هذه المقالات منذ نشرت تباعاً فى مجلة الهلال عام ١٩٣٦ ، ثم جمعت فيما بعد فى كتاب ، ثم ترجم هذا الكتاب إلى عدد غير قليل من اللغات الأجنبية فوجد أصحاب هذه اللغات فى قراءته أضعاف اللذة التى وجدها أصحاب العربية .

ومهما يكن من شىء فإن كتاب « الأيام » يمتاز بأمور شتى يمكن

تلخيصها فى كلمة واحدة ، وهى أنه واقعى فى تصويره ، وإن لم يكن واقعياً فى طريقة تعبيره ، فهو واقعى فى تصويره بمعنى أن « طه حسين » وصف به حياته فى الريف المصرى أصدق ما يكون الوصف ، وصور الحياة كلها فى هذا الريف المصرى أدق ما يكون التصوير ، فلا تكلف فى تزويق الحديث ولا جنوح إلى اختراع الحوادث ، ولا رغبة فى إخفاء الحقائق عن عين القارىء ، ومعنى ذلك أن أهم ما فى كتاب « الأيام » هو عنصر الصدق والأمانة ، وهو من هذه الناحية مخالف لكاتب آخر ، سبقت الإشارة إليه ، وهو « المازنى » الذى قلنا إنه يميل إلى اختراع الحوادث بما يتفق وما سماه « الصدق الفنى » .

غير أن كتاب « الأيام » ليس واقعياً من حيث الأسلوب الكتابى ، أو طريقة التعبير ، بل هو فى هذه الصفة الأخيرة مخالف كل المخالفة للمازنى .

ذلك أن « طه حسين » يأبى على شخصياته القصصية فى « الأيام » إلا أن تنطق اللغة العربية الفصيحة ، على حين أن المازنى ، وتوفيق الحكيم ، وأضرابهما من الكتاب يجرون الحوار بين شخصيات القصة الواقعية باللغة العامية ، ما دامت هذه اللغة هى التى يتكلمها أشخاص القصة بحكم مركزهم الاجتماعى من جانب ، أو بحكم حرمانهم من الثقافة ، وجهلهم باللغة الفصيحة من جانب آخر .

ومع هذا وذاك لا يحس قارىء « الايام » بأن فى اللغة الفصيحة التى يجريها الكاتب على ألسنة أشخاصه شيئاً من الغضاضة ، أو التكلف الذى يقلل تقليلا واضحاً من صفة الواقعية ، وليس كل جانب من الكتاب قادراً على ذلك فى الواقع ، إذ أن طواعية اللغة لا تتيسر عادة إلا للعارفين بها ، والقادرين عليها .

وثم صفة من الصفات التى يمكن أن يستشفها القارىء لكتاب « الأيام » ، وهى أن « طه حسين » يهتم اهتماماً بالغاً بتصوير النفس الإنسانية

فى كل موقف من المواقف التى تعرض لأشخاص القصة ، ثم هو أبرع كاتب يهيء لك الجو من الناحية النفسية لكى تستطيع متابعة القراءة ، وهو يعتمد فى كل ذلك على ما وهبته الطبيعة من عمق المشاعر ، واتساع العواطف ، ورحابة النفس ، والقدرة على سبر أغوار الأشخاص الذين يتحدث عنهم فى مقـــالاته ، كما يعتمد أخيراً على قدرته على ما يسمى « التأمل الباطنى » حتى لكأن نفسه الباطنة دنيا كبيرة ، أو مسرح ضخم يستطيع أن يكون فيه مُخرجاً لشتى الروايات التمثيلية الإنسانية الخالدة .

والخلاصة أن صفة الخلود فى كتاب « الأيام » آتية له من ناحيتين : هما الصدق الحقيقى الذى تحدثنا عنه أولا ، والقدرة على وصف النفس البشرية بمشاعرها المختلفة فى حالاتها المختلفة بعد ذلك .

* * *

أما أسلوب هـذه الفصول أو المقالات التى على شكل اعتراف فمتأثرة بالمدرسة الجاحظية فى الكتابة ، وهى مدرسة ذات خصائص فنية معروفة من أهمها : الإسهاب ، والاستطراد ، واتساع العبارة ، وجذب القارىء ، وسحبه بلطف ومهارة ، ثم هى مدرسة تعنى كذلك بالمقابلات بين الألفاظ بعضها وبعض من جهة ، وبين المعانى بعضها وبعض كذلك من جهة ثانية ، ولعل أهم ما تمتاز به المدرسة الجاحظية فوق هذا كله أمران :

أما أولهما — فقدرة هذه المدرسة على أن تؤدى لك أفخم المعانى بأيسر الألفاظ .

أما الثانى — فعنايتها عناية ظاهرة بجرس اللفظ ، وموسيقى العبارة ، وتقطيع الكلام قطعاً متوازنة ، تستطيع أن تقف عند كل واحدة منها ، وتستشعر الراحة فى هذا الوقوف .

ويظهر أن السبب فى شيوع هذه الصفة الأخيرة فى أسلوب « طه حسين »

— بوجه خاص — هو تعلمه منذ نعومة أظفاره تجويد القرآن الكريم ، ثم اعتماده فى ريعان شبابه ، وإلى الآن فى تحرير مقالاته ، على الإملاء .

* * *

ولسنا نقصد فى هذا الفصل من الكتاب إلى التعريف بطه حسين ، ولا بأدب « طه حسين » ، كما لم نقصد فى الفصل السابق إلى التعريف بالمازنى ولا بأدب « المازنى » ، وإنما قصدنا الكلام عن هذا الضرب من ضروب المقال الأدبى ، وهو مقال الاعتراف ، وقد شئنا أن نضرب له المثل بكتاب « الأيام » ، وكان يصح أن نضرب المثل بكتب أخرى لولا ضيق المقام .

نموذج من كتاب « الأيام »

... على أن صبينا لم يلبث أن أضاف إلى هذه الألوان من العلم لوناً آخر جديداً هو « علم السحر والطلاسم » ، فقد كان باعة الكتب يتنقلون فى القرى والمدن بخليط من الأسفار ، لعله أصدق مثل لعقيدة الريف فى ذلك العهد ، كانوا يحملون فى حقائبهم مناقب الصالحين ، وأخبار الفتوح والغزوات ، وقصة القط والفأر ، وحوار السلك والوابور ، وشمس المعارف الكبرى فى السحر ، وكتاباً آخر لست أدرى كيف يسمى ، ولكنه كان يعرف بكتاب « الديربى » ثم أوراداً مختلفة ، ثم قصص المولد النبوى ، ثم مجموعات من الشعر الصوفى ، ثم كتباً فى الوعظ والإرشاد ، وأخرى فى المحاضرات وعجائب الأخبار ، ثم قصص الأبطال من الهلاليين والزناتيين وعنترة والظاهر بيبرس ، وسيف بن ذى يزن ، ثم القرآن الكريم مع هذا كله .

وكان الناس يشترون هذه الكتب كلها ، ويلتهمون ما فيها التهاماً ، وكانت عقليتهم تتكون من خلاصتها ، كما تتكون أجسامهم من خلاصة ما يأكلون ويشربون .

وكان من القصص التى تكثر فى أيدى الصبيان ، يحملها إليهم باعة الكتب ، قصة اقتطعت من ألف ليلة وليلة وتعرف بقصة «حسن البصرى» وفى هذه القصة أخبار ذلك المجوسى الذى كان يحول النحاس ذهباً ، وأخبار ذلك القصر الذى كان يقوم من وراء الجبل على أعمدة شاهقة فى الهواء ، وتقيم فيه بنات سبع من بنات الجن ، والذى آوى إليه حسن البصرى ، ثم أخبار « حسن » هذا ، وما كان من رحلته الطويلة الشاقة إلى دور الجن .

وبين هذه الأخبار خبر ملأ الصبى إعجاباً ، وهو أن قضيباً أهدى إلى حسن البصرى فى بعض رحلته ، وكان من خواص هذا القضيب أن تضرب به الأرض فتنشق ويخرج منها تسعة نفر يأتمرون بأمر صاحب القضيب — وهم بالطبع من الجن — أقوياء ، خفاف ، يطيرون ، ويعدون ، ويحملون الأثقال ، ويأتون من عجيب الأمر مالا حد له .

فتن الصبى بهذه العصا ، ورغب فى أن يظفر بها ، رغبة شديدة قوية ، أرقت ليله ، ونغصت يومه ، فأخذ يقرأ كتب السحر والتصوف ، يتلمس عند السحرة والمتصوفين وسيلة تمكنه من هذه العصا .

وكان له قريب صبى مثله يرافقه إلى الكتاب ، فكان أشد منه كلفاً بهذه العصا ، وما هى إلا أن جد الصبيان فى البحث حتى انتهيا إلى وسيلة يسيرة تمكنهما مما يريدان ، وجداها فى كتاب « الديربى » ؛ وهى أن يخلو الفتى إلى نفسه — وقد تطهر — ويضع بين يديه ناراً ومقداراً من الطيب ثم يأخذ فى ترديد هذا الاسم من أسماء الله « يالطيف ، يالطيف » ، ملقياً فى النار شيئاً من الطيب من حين إلى حين ؛ ويمضى فى ترديد هذه الكلمة ، وتحريق الطيب حتى تدور به الأرض ، وينشق أمامه خادم من الجن موكل

بهذا الاسم من أسماء الله فيطلب إليه ما يريد ، والحاجة مقضية من غير شك.

ظفر الصبيان بهذه الوسيلة ، فاعتزما أن يستخدماها ، وما هى إلا أن اشتريا ضروباً من الطيب ، وخلا صبينا إلى نفسه فى « المنظرة » ، فأغلق بابها من دونه ، ووضع بين يديه قطعاً من النار ، وأخذ يلقى فيها الطيب ، ويردد : « يالطيف ، يالطيف » ، وطال به هذا ، وهو ينتظر أن تميد به الأرض ، وتنشق له الحائط ، ويمثل الخادم بين يديه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن .

وهنا تحول صبينا الساحر المتصوف إلى نصاب !

خرج من « المنظرة » مضطربا يمسك رأسه بيديه ، ولا يكاد لسانه ينطق بحرف واحد ؛ فتلقاه صاحبه الصبي يسأله : هل لقى الخادم ؟ وهل طلب إليه العصا ؟

وصاحبنا لا يجيب إلا مضطرباً مرتجفاً ، تصطك أسنانه اصطكاكاً حتى روع رفيقه الصبي ، وبعد لأى أخذ صاحبنا يهدأ ، ويجيب فى ألفاظ متقطعة ، وبصوت متهدج :

« لقد دارت بى الأرض ، وكدت أسقط ، وانشقت الحائط ، وسمعت صوتاً ملأ الحجرة من جميع نواحيها ثم أغمى علىّ ، ثم أفقت وخرجت مسرعاً » .

سمع الصبي هذا فامتلأ فرحاً وإعجاباً بصاحبه وقال له : هون عليك ، فقد أصابك الرعب ، وملك عليك الخوف أدرك ، فلنبحثن فى الكتاب عن شىء يؤمنك ويشجعك على أن تثبت للخادم ، وتطلب منه ما تشاء !

واستأنفا البحث فى الكتاب ، وانتهى بهما البحث إلى أن صاحب الخلوة يجب أن يصلى ركعتين قبل أن يجلس إلى النار ويأخذ فى ترديد هذا الاسم ، وكذلك فعل الصبي من غده ، وأخذ يلقى الطيب فى النار ويردد

دعاء « اللطيف » ينتظر أن تدور به الأرض ، وينشق له الحائط ، ويمثل الخادم بين يديه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن ، وخرج الصبي إلى صاحبه هادئاً مطمئناً ، فأخبره أن قد دارت الأرض وانشق الحائط ، ومثل الخادم بين يديه ، وسمع منه حاجته ، ولكنه لم يشأ أن يجيبه إليها حتى يمرن على هذه الخلوة ، ويكثر من الصلاة وإطلاق البخور ، وذكر الله ، وضرب له موعداً لقضاء هذه الحاجة شهراً كاملا يأتى فيه هذا الأمر فى نظام ، فإن فسد هذا النظام فلابد من استئناف الأمر شهراً كاملا آخر .

وصدق الصبي صاحبه ، وأخذ يلح عليه فى كل يوم أن يخلو إلى النار ويردد الدعاء ، وأخذ الصبي يستغل من صاحبه هذا الضعف ، ويكلفه ما شاء من مشقة وعناء ؛ فإن أبى أو أظهر الإباء أعلن إليه صاحبه أنه لن يخلو إلى النار ، ولن يدعو « اللطيف » ولن يلتمس العصا ، فيذعن إذعانا سريعا .

* * *

على هذا النحو أخذ « طه حسين » يقص تاريخ حياته ، ويكتبه فصولا على شكل مقالات يبعث بها إلى مجلة الهلال ، فيقبل القراء على قراءتها بشغف شديد ، وحين انتهى من وصف طفولته ، وصدر من شبابه أشير عليه بأن يجمع هذه الفصول فى كتاب ، فجمعها باسم « الأيام » .

ونعود إلى الحديث عن أسلوب « طه حسين » فنراه يتميز بصفات جعلت منه صحفياً ناجحاً إلى جانب أنه عالم وأديب ، على أن الجانب الصحفى فى شخصية « طه حسين » هو الذى يعنينا فى هذا الفصل .

فمن الصفات التى أعانته على النجاح فى ميدان الصحافة صفة السهولة فى التعبير ، والأسلوب الموسيقى العذب المتموج ، والواقعية فى التصوير ، والإيناس فى إجراء الحديث ؛ حتى ليشعر القارىء لمقال من مقالات هذا

الأديب أنه إنما يجلس إلى صديق من أصدقائه ، ويستمع إلى بعض إخوانه يدور معه حيث يدور ، ويدخل معه فى شجون من الحديث لا يحب أن يصل إلى نهايتها .

على أن « طه حسين » يعتبر مدرسة صحفية لها تلاميذها فى الوقت الحاضر ، وهذه المدرسة تميل — كما قلنا — إلى عربية الأسلوب ، ولا يسهل على تلميذ من تلاميذها ان ينزل بأسلوبه إلى مستوى العامية مهما كانت الظروف الداعية إلى هذا النزول ، وعلى الرغم من ذلك فإن عربية هذه المدرسة من النوع الذى يخف على الأسماع بأكثر مما تخف عليها اللغة الشعبية التى يتكلمها الناس فى النوادى والطرقات العامة ، وعند هذه المدرسة إيمان عميق بقدرة اللغة العربية الفصيحة على سد حاجات الصحافة التى هى فى الحقيقة نوع من الأدب الإقليمى ؛ أو الواقعى ، وهو أدب تلزم — له فى الواقع — لغة أخرى إلى جانب اللغة الفصيحة .

ومثل كتاب « الأيام » فى مجال المقال الذى على شكل اعتراف كل من كتاب « حياتى » للأستاذ أحمد أمين ، و « مذكرات مدمن على الحشيش » لطبيب اسمه « الجريدنى » نشر هذه المقالات فى مجلة الهلال بدون توقيع ، وكتاب « عالم السدود والقيود » للأستاذ عباس العقاد عن حياته فى السجن .

وتعتبر هذه الكتب وأمثالها بحق من الكتب التى نقلت الأدب العربى من طور إلى طور ، ومن حالة إلى أخرى .

فقد كان هذا الأدب العربى أرستقراطياً فى العصور الوسطى ، فأصبح عن طريق هذه الكتب ، وبتأثير الصحافة بنوع خاص ، ديموقراطياً بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة .

والحق أن أدب المذكرات يعتبر من أروع الآداب الحديثة ، كما يعتبر أثراً من آثار الصحافة ، ومن حق هذا النوع من الآداب أن يكون خالداً

على الزمان ، فقد اكتسب هذه الصفة من وجهين هما : الصـــدق أولا ، والتصوير النفسى أو السيكولوجى بعد ذلك .

وربما كان هذا هو السبب فى تهافت الصحف فى جميع أنحاء العالم على هذا النوع من الأدب ، حتى أن بعض الصحف تشترى مذكرات فلان أو فلان من القادة والعظماء بأثمان لا يرقى إليها الخيال ، وتبذل فى سبيل الوصول إليها طرقاً ممتعة فى الخفاء ، ثقة منها بأن هذه المذكرات إنما تزيد فى عدد القراء ، وعلماً منها كذلك بأن هـذه المذكرات تحرك فى نفوسهم غريزة من أقوى الغرائز ، هى غريزة حب الاستطلاع .

وفى النفس الإنسانية ميل قوى إلى معرفة الحقيقة حيث كانت ، وقل أن نرى كتب التاريخ العام تكشف عن هذه الحقيقة ، ولـكن « شاهد العيان » أو الرجل الذى اشترك بنفسه فى الحادث ، ووقف بنفسه على « خشبة المسرح » هو وحـده القادر على أن يمد القراء بهذه الحقيقة ، ومن هنا جاءت أهمية « المذكرات » فى الأدب ، كما جاءت خطورتها فى الصحافة .

ولكن ليس معنى ذلك أن « أدب المذكرات » ، أو « أدب الاعترافات » خاص بالعظماء أو المشهورين فقط من الرجال والنساء ، فالحقيقة غير ذلك إذ المعروف أن فى حيـــاة كل إنسان فى الوجود لوناً من الطرافة ربما لا يكون فى حياة الآخر ، وقد تبدو الحياة مملة أو عادية فى نظرنا ، ولـكن فيها — مع كل ذلك — شيئاً يثير اهتمام الناس ، ويودون لو عرفوه .

وان كتابة المذكرات أو الاعترافات لا تتطلب من صاحبهـــا — فى الواقع — أكثر من الهدوء النفسى فترة ما ، واستيحاء الماضى البعيد أو القريب ، وتصوير مايوحى به هذا الماضى تصويراً يعين على تفهم النفس البشرية من حيث هى ، ويعكس فى الوقت ذاته صورة للمجتمع الذى أحاط بالصحفى أو بالأديب فى فترة من فترات الحياة البعيدة أو القريبة .

تقول الأستاذة «باترسون» فى مقدمة كتابها "Writing & Selling Features" ما خلاصته :

يرجع إقبال الجماهير على قراءة مقال « الاعترافات » إلى عدة أسباب منها ما يلى :

أولا — أن هذا النوع من المقال يدور حول قصص وحوادث تعتبر أقرب إلى الواقع منها إلى أى شىء آخر ، كما أنه يكتب بأسلوب موثوق به فى الغالب ، لأنه أسلوب يعترف فيه الكاتب بأخطائه ، وبإخفاقه فى بعض مراحل حياته ، وقد يعلل لهذا الإخفاق .

ثانيا — ان هـذا النوع من المقال يتعرض أحيانا لبعض طبقات من المجتمع ، والحالات غريبة من حالاته ، وأوضاع شاذة من أوضاعه ، وقد يعود ذلك بالفائدة على القارىء ، ويساعده فى حياته الخاصة ، وسلوكه مع الأفراد والجماعات ، لأنه يقتدى غالبا بكاتب هذا النوع من المقال فى طريقة تغلبه على هذه الصعاب .

ومن ثم كان مقـال الاعترافات من أكثر المقـالات الذاتية ملاءمة للصحافة .

ثالثا — ان كاتب هذا النوع من المقال كثيراً مايكون شخصاً غير عادى فى نظر القارىء ، وإنما يحقق هذا المقال وظائف كثيرة من وظائف الصحافة منها : الإعلام ، والتسلية ، والإمتاع ، والإرشاد بطريقة غير مباشرة .

وفى هـــذه الأسباب الثلاثة ما يجعل مقال الاعترافات من أهم مواد الصحافة الحديثة ، وما يجذب إليها نظر القارىء فى الوقت الحاضر .

وهكذا أصبح للمقال الأدبى الذى على شكل اعترافات مكان مرموق فى الصحافة الحديثة ، كما أصبح مادة لا تستغنى عنها هذه الصحافة .

الفصل الرابع

المقال الكاريكاتورى

ربما كان «الجاحظ» أول كاتب إسلامى عالج فن «الكاريكاتور» فى تاريخ النثر العربى، ولقد ترك لنا الجاحظ أعظم رسالة أدبية كتبت فى هذا الفن، ولعلها أعظم رسالة إلى اليوم، فنحن لا نعلم لها نظيراً فيما كتبه أهل هذا الفن — سواء فى الأدب أو فى الصحافة — حتى اليوم.

وموضوع رسالة الجاحظ هو السخرية من كاتب من كتاب الديوان اسمه «أحمد بن عبد الوهاب». كتب فيه الجاحظ رسالة أربت على خمسين صفحة من القطع الكبير، وتفنن فيها الكاتب ألواناً كثيرة جداً من التفنن فى السخرية والنقد.

ولا يتسع المقام لذكر شىء عن هذه الرسالة التى كتبها الجاحظ (١) وإن كنا نعتقد أن هذا الكاتب العباسى الكبير - يعتبر بحق - واضعاً لأساس الكاريكاتور فى الأدب العربى.

ومنذ ظهرت الصحافة الشعبية فى مصر، فى النصف الثانى من القرن الماضى - وكانت الصحافة فى ذلك الوقت مماثلة للأدب فى جمال الأسلوب - نبغ من رجال الأدب والصحافة كثيرون، من أشهرهم فى فن الكاريكاتور إبراهيم المويلحى صاحب «مصباح الشرق».

وفى ذلك يقول الأستاذ عبد العزيز البشرى (٢):

«.. ولقد كان هذا من مصباح الشرق الأصل الثابت لهذا اللون من النقد

---

(١) راجع كتاب «حكم قراقوش» للمؤلف طه الحلبى من ص ٩٨ — ١٠٢

(٢) راجع كتاب «المختار» الجزء الأول للمؤلف ص٢٢١، و«أدب المقالة الصحفية فى مصر» للمؤلف جـ ٣ ص ٦٨ و ٩٥

ـ أعنى النقد الكاريكاتورى فى مصر ، كما كانت صحيفة المويلحيين : يريد المويلحى الكبير والمويلحى الصغير ، واسمها « أبو زيد » أول ماعرف ـ فيما أعرف أنا ـ من التصوير الكاريكاتورى فى هذه البلاد ... »

* * *

وفى القرن العشرين ، وفى المرحلة الرابعة من مراحل الصحافة على سبيل التحديد — وهى المرحلة التى تقع بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٤٢ ظهر المقال الكاريكاتورى على صفحات الصحف المصرية ، ونبغ فيه أدباء وصحفيون أهمهم ثلاثة رجال هم : الشيخ عبد العزيز البشرى ، والأستاذ فكرى أباظة ، والأستاذ أحمد حافظ عوض ، الأول نشر فى مجلة السياسة الأسبوعية ، والثانى نشر فى مجلة الهلال ، والثالث نشر فى مجلة تدعى « خيال الظل » كان يسخر فيها من أعداء حزب الوفد .

ونريد أن نكتفى هنا بنموذج واحد فقط للبشرى بعنوان :

زيور باشا (١)

أما شكله الخارجى وأوصافه الهندسية ورسم قطاعاته ومساقطه الأفقية ، فذلك كله محتاج فى وصفه وضبط مساحاته إلى فن دقيق وهندسة بارعة .

الواقع أن زيور باشا رجل ـ إن صح هذا التعبير ـ يمتاز عن سائر الناس فى كل شىء ، ولست أعنى بامتيازه فى شكله المهول طوله ، ولا عرضه ، ولا بعد مداه ، فإن فى الناس من هم أبدن منه ، وأبعد طولا ، وأوفر لحماً ، إلا أن لكل منهم هيكلا واحداً ، أما صاحبنا ، فإذا اطلعت عليه أدركت ـ لأول وهلة ـ أنه مؤلف من عدة مخلوقات ، لا تدرى كيف اتصلت ، ولا كيف تعلق بعضها ببعض ومنها ما يدور حول نفسه ، ومنها ما يدور

---

(١) كتاب « المرآة » للبشرى ص ٧ ، طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٧ ، وزيور باشا هو أحد رؤساء الوزارات المصرية فى عام ١٩٢٧ .

حول غيره ، ومنها المتيبس المتحجر ، ومنها المسترخي المترهل ، وعلى كل حال فقد خرجت هضبة عالية مالت من شغافها إلى الأمام شعبة طويلة أطل من فوقها على الوادى رأس فيه عينان زائغتان طلة من يرتقب السقوط إلى قرارة ذلك المهوى السحيق .

وزبور عند الناس مجموعة متباينة متناقضة متشاكسة ، فهو عندهم كريم وبخيل ، وهو شجاع ورعديد ، وهو ذكى وغبى ، وهو طيب وخبيث ، وهو داهية وغر ، وهو عالم وجاهل ، وهو عف وشهوان ، وهو وطنى حريص على مصالح البلاد ، وهو مستهتر بحقوق وطنه يجود منها بالطارف والتلاد .

كل أولئك زبور ، وكل هذا قد يضيفه الناس إلى زبور ، فلا تكاد تسعهم مجالسهم بما يأخذهم فيه من الدهشة والاستغراب ، وإذا كان مما لا يمكن فى الطبيعة أن يستقيم لرجل واحد ، فقد غلط الناس إذ حسبوا زبورا رجلا واحداً ، والواقع أنه عدة رجال ، وعلى الصحيح هو عدة مخلوقات ، لا تدرى — كما حدثتك — كيف اتصلت ، ولا كيف تعلق بعضها ببعض !

فإذا أدهشك التباين فى أخلاقه ، وراعك هذا التناقض فى طباعه ، فذلك لأن هذا الجرم العظيم الذى تحسبه شيئاً واحداً مؤلف فى الحقيقة من عدة مناطق ، لكل منها شكله وطبعه ، وتصوره ، وحظه من التربية والتهذيب ، فمنها العاقل ، ومنها الجاهل ، ومنها الحكيم ، ومنها الغر ، ومنها الكريم ، ومنها البخيل ، ومنها المصرى ، ومنها الجركسى ، ومنها الفرنسى ، ومنها الإنجليزى ، ومنها المالطى ، كل منها يجرى فى مذهبه ، ويتصرف فى الدائرة الخاصة به ؛ فلا عجب إذا صدر عن تلك المجموعة الزبورية كل ما ترى من ضروب هذه المتناقضات !

والظاهر أن زبور باشا — برغم حرصه على كل هذه الممتلكات الواسعة — عاجز تمام العجز عن إدارتها ، وتوليها بالمراقبة والإشراف ، وما دامت الإدارة المركزية فيه قد فشلت كل هذا الفشل ، فأحرى به أن

يبادر فيعلن إعطاء كل منها الحكم الذاتى ؛ على أن تعمل مستقلة بنفسها على التدرج فى سبيل الرقى والكمال ! وحسب عقله فى هذا النظام الجديد أن يتوافر على إدارة رجليه وحدهما ، ولعله يستطيع أن يسيرهما فى طريق الأمن والسلام . ! !

وإنى أورد عليك طائفة يسيرة تدلك على ما فى هذه المجموعة الغريبة من ضروب المتناقضات التى تجزم منها بأن ذلك الخلق ليس شيئاً واحداً ، وإنما هو فى الحقيقة عدة أشياء !

وأن ظلماً أن يؤخذ البرىء بجريمة الآثم ، وأن عسفاً أن يعاقب البرىء بما أجرم الظالم ، فقد يكون الذى اقترف كل هذه الآثام هو كوع زيور باشا الأيسر ؛ أو القسم الأسفل من « لغده » ، أو المنطقة الوسطى من فخذه اليمنى ، أو غيرهما من تلك الكائنات التى تجمعت فى هيكله العظيم !

فما شأن تلك المخلوقات كلها تجر إلى مواطن الاتهام ، وتعاقب بما ارتكب بعضها من الجرائر والآثام ؟

إن الحق والعدل ليقضيان بأن يؤلف مجلس النواب — إن شاء الله — لجنة تقوم بعمل التحقيق فى جسم صاحب الدولة ، فتسأل أعضاءه عضواً عضواً ، وتحقق مع أشلائه شلواً شلواً ، حتى يفرق منها بين المحسن والمسىء ، ولا يخلط فى العقوبة بين المجرم والبرىء .

ولعل العضو الوحيد المقطوع ببراءته من كل ما ارتكب من الآثام هو مخ زيور باشا ، فما أحسبه شارك ولا دخل فى شىء من كل ما حصل . « انتهى المقال » !

* * *

وأنت ترى أن هذا النوع من النقد إنما يقوم فى جملته على التماس العيوب الرئيسة فى شخص ما ، وترك القلم يعرضها عرضاً كاريكاتورياً يزيد فى تشويهها ما يرد على ذهن الكاتب فى أثناء كتابته من ضروب التشبيه ،

وما يحضره من فنون التمثيل ، ولا يزال الكاتب يتوسع فى الموضوع عن طريق التوليد للمعانى من جهة ، وإيراد النكت البارعة من جهة ثانية حتى تستكمل عنده الصورة القلمية الكاريكاتورية كل عناصر الإضحاك والسخرية والتندر بالشخص الذى هو موضوع هذه الصورة بالذات .

والصورة الكاريكاتورية القلمية منذ القدم تتألف من العناصر الآتية ، وهى :

أولا — عنصر التجسيم للعيوب ، أو المسخ لصورة الشخص الذى هو موضوع الكاريكاتور .

وكما قلنا تقوم طريقة الكاريكاتور على المبالغة فى تصوير العيوب : فالرجل ذو الأنف الكبير يبدو بريشة الرسام وقلم الكاتب كأن وجهه كله عبارة عن أنف ، والرجل القصير يبدو كذلك كأنه أقصر من طفل ، والرجل البدين يظهر فى شكل من البدانة والضخامة قل أن يكون له نظير فى الحياة الواقعة نفسها ، وهكذا .

ثانياً — عنصر التوليد — وهو ما يتاح للكاتب ولا يتاح للمصور ، وبه يعمد الكاتب إلى توليد المعانى ، واستطراد الأفكار ، وكل معنى منها يذكر بآخر ، وكل فكرة منها توحى بأخرى ، وهكذا حتى يستنفد الكاتب كل هذه المعانى والأفكار ما استطاع .

ثالثاً — عنصر التندر أو ذكر النكات التى ترد على ذهن الكاتب فى أثناء الكتابة ، وهنا تظهر براعته فى طريقة الإيراد ، بحيث تبدو كل واحدة من هذه النكات وكأنها لم تذكر إلا فى هذا الموضع الذى يشير إليه الكاتب بالذات ، أو كأنها لم تذكر إلا من أجل هذا الشخص الذى هو موضع السخرية والتندر .

رابعاً — عنصر التشبيه أو التمثيل ، وهو العنصر الذى يستوحى فيه الكاتب خياله ، ويستعين به على عملية « المسخ » التى أشرنا إليها ، وكثيراً

ما يتسلق الكاتب فى هذه الحالة على كلام القدماء ، وأهاجى الشعراء ، وحكايات العامة أو نحو ذلك .

وأكثر من هذا وذاك أنك ترى صاحب القلم الكاريكاتور يعتمد فى توفير هذا العنصر الأخير من عناصر الصورة على كلام القدماء ، وعلى تحويل هذا الكلام من معناه الأصلى الذى وضع له إلى المعنى الجديد الذى أراده صاحب القلم الكاريكاتورى .

ومن الأمثلة على ذلك أن الشيخ عبد العزيز البشرى فى سخريته « بزيور باشا » على النحو السابق استشهد ببيت من أبيات أبى نواس وهو :

وليس على الله بمستنكر — أن يجمع العالم فى واحد

والمعروف أن أبا نواس ذكر هذا البيت من الشعر فى معرض المدح لخليفة من خلفاء بنى العباس ، ولكن « البشرى » ذكر هذا البيت نفسه فى معرض التعريض ، وإضحاك الناس من شخصية « زيور باشا » .

ولا يكاد هذا الفن — وهو فن القلم الكاريكاتورى — ينقسم إلى أكثر من هذه العناصر الأربعة ، وهى متى توافرت فى مقال ما بلغ هذا المقال كل ما قصده الكاتب من ورائه ، وفى هذه العناصر السابقة ، وفى كل عنصر منها على حدة مجال واسع يتنافس فيه الكتاب وأصحاب الأقلام ، ويظهر نبوغهم وتتجلى عبقريتهم إما فى نقد الأشخاص ، وإما فى نقد الأفكار والموضوعات .

وغنى عن البيان أن المقال الكاريكاتورى لا يزدهر إلا فى أوقات الأمن واستمتاع الناس بكل أنواع الحريات ، فليس من السهل على كاتب هذا النوع من المقال أن يعرض حياته للخطر الذى يصيبه من الشخصية المرموقة التى هى موضوع المقال .

أما فى أوقات الظلم والطغيان ، وأوقات الرقابة المفروضة على الصحف فإن الصحافة لا تلجأ إلى القلم الكاريكاتورى بحال من الأحوال ، وإنما

تستعيض عنه بالرسم الكاريكاتورى الذى يراه القراء فى الصحف ، ويفهمون مضمونه ومقصوده ، ويكون الرسام والصحيفة مع ذلك بمأمن من بطش الحاكم أو السلطان الذى رسمت من أجله الصورة الساخرة .

ويسير علينا أن نلاحظ كذلك أن القلم الكاريكاتورى لا يجود إلا فى فترات نهضة الأدب ، وكثيراً ما يكون دليلا من دلائل هذه النهضة الأدبية فى ذاتها ، ذلك أن هذا الفن الأدبى الرائع فى ذاته يحتاج إلى قدرة أدبية من نوع خاص ، كما يحتاج إلى قدر من الذكاء من نوع خاص أيضا ، ثم لا غنى له مع هذا وذاك عن قدر من الثقافة يعين الكاتب على توفير العناصر الأربعة المتقدمة للقلم الكاريكاتورى .

وأخيراً لا يستغنى صاحب هذا الفن الأدبى الرائع عن أن تكون له صفات ذاتية يخف بها كلامه على الناس ، ومن هذه الصفات — على سبيل المثال — أن يكون ظريفاً غاية الظرف ، وأن يكون خفيف الظل فى كتاباته كاحسن ما تكون خفة الظل ، وأن يكون فى طبعه مرح ، وفى أفقه سعة ، وفى ذهنه ذخيرة هائلة من التجارب الإنسانية التى خبر بها الناس خبرة جيدة .

وهذه وتلك مواهب تخص بها الطبيعة فريقاً من الناس دون الفريق الآخر ، وفى الصحافة المجال الواسع للانتفاع الكامل بهذه الميزات أو المواهب فى الإنسان .

كيف يكتب المقال الأدبى :

ذهب النقاد إلى أن المقال إنما يتألف من مقدمة وصلب وخاتمة ، ففى المقدمة يستهل الكاتب كلامه بفكرة عامة أو خاطرة من الخواطر التى مرت بذهنه ، ووقف أمامها متأملا ومستغرقا فى تأمله ، وعلى هذه الفكرة أو الخاطرة يبنى الكاتب مقاله ، ويأتى بعد ذلك صلب المقال ، فإذا هو شرح لهذه الفكرة وتعليق عليها وإيراد لبعض الأمثلة والشواهد .

ولابد أن تكون هذه الأمثلة مشتقة من واقع الحياة ، أو نابعة من شخصية الكاتب الخاصة ، وأخيراً تأتى الخاتمة ، وهى تلخص موضوع المقال وتأتى بنتيجته .

والذى لا ريب فيه أن للمقدمة التى يستهل بها الكاتب مقاله أهمية بالغة ، فهى التى تجذب القارىء فيمضى فى القراءة ، وهى التى تصدّ القارىء فيقف عن القراءة ، وهنا يتفاوت البلغاء فى العبارات البلاغية التى يستهلون بها مقالاتهم .

وكذلك الشأن فيما يتعلق بالخاتمة ، فإنها آخر ما يبقى فى ذهن القارىء ، ولا بد أن تكون الخاتمة قوية جامعة محكمة فى آن واحد .

وهناك طريقة أخرى فى تحليل المقال الأدبى ، وكيف يكتبه الكاتب ، وتتلخص هذه الطريقة فى تقسيم المقال إلى عنصرين : هما المضمون ، والقالب ، والقالب بدوره ينقسم إلى قسمين هما : التصميم والأسلوب (١) :

وقد عرّف «والتر باتر» تصميم المقال فى مقالته المعروفة عن الأسلوب فقال :

« التصميم هو ذلك التصور البنائى للموضوع الذى يتكهن بالنهاية منذ بدايته وهو فى أى جزء من الأجزاء يلفت إلى الأجزاء الأخرى ويدل عليها ، حتى إذا وصل القارىء إلى العبارة الأخيرة اتضح له كنه العبارة الأولى وبرر وجودها دون أن يحس بأى فتور » (٢) .

و « الخلاصة » أن التحرير فى ذاته هو التفكير والتعبير ، فالتفكير هو المضمون أو الفكرة أو الخاطرة ، كما تقدم فى العبارات السابقة ،

---

(١) محمد يوسف نجم : فن المقالة ص ١١٩

(٢) محمد يوسف نجم نقلا عن : Aa. W. Patev : Stgle P. 399

والتعبير هو الأسلوب أو هو الوعاء الذى يحمل المعنى أو الفكرة أو الخاطرة ، وكما أن البيت فى بنائه يحتاج إلى مهندس تصميم ، ومهندس تنفيذ ، فكذلك المقال فى إنشائه يحتاج إلى طريقة أو طراز أو أسلوب أو نظام يتبعه الكاتب فى هذا الإنشاء .

وسنعود إلى الكلام فى هذا الموضوع عندما نعرض للمقال فى المجلة الدورية .

الفصل الخامس

مقال الخواطر والتأملات

نبغ فى هذا النوع من المقال كثيرون من كتابنا ، وربما كان من أظهرهم فى ذلك « أحمد أمين » ، الذى وصف لنا الكاتب الدقيق فقال : « إنه الكاتب الذى يسمع حفيف الأشجار ، ودبيب النمل ، ويرى دقيق الأشياء فى الظلمة، ويرى قلوب الناس فى أعينهم ، ودخائلهم فى صفحات وجوههم، وقد يرى بأذنه ، ويسمع بعينه ، وقد يرى ما لا يراه الناس ، ويسمع مالا يسمع الناس ، وقد يدرك الجمال بتفاصيله ، كما يدرك القبح بتفاصيله ، حتى كأنه قد منح من الحواس مالم يمنحه سائر الناس ، وكأن حواسه ليست خمسا وإنما هى خمسون أو خمسمائة أو ماشئت » (١) .

وهذا الوصف للكاتب الدقيق ينطبق على « أحمد أمين » ، كما ينطبق على غيره من الكتاب الواقعيين الذين يميلون دائما إلى وصف الحياة الواقعة كما تبدو لأعينهم ، وكما تفهمها عقولهم ، لايغيب عن علمهم شىء من دقائق هذه الحياة ، ولا تفوتهم همسة من همساتها .

ومعنى ذلك أن موضوع المقالات الأدبية بوجه عام ومقالات التأملات والخواطر بنوع خاص هو كل شىء فى المجتمع ، ذلك أن الكاتب الفنى هو من استطاع أن يجد من كل شىء موضوعا يجيد فيه ويستخرج أعجاب القارىء ، ومن استطاع أن يجد من كل شىء نواة يؤلف حولها مايصلح لها حتى يخرج موضوعه متسقا تنسيقاً يبهر السامع والقارىء . وهو فى تأليفه قد يضم الشىء إلى إلفه ، وقد يضمه إلى نقيضه ، وقد يصل به

---

(١) راجع « فيض الخاطر » أحمد أمين ، الجزء الأول ص ١٧٩ و ١٨٠

الـكلام فى الذرة إلى الكلام فى الشمس ، وقد يصل به الـكلام فى النملة إلى الـكلام فى الله ، ولـكن القارىء لا يشعر بمفارقات ، ولا يشعر بهوة بين أجزاء الكلام ، ويسير مع الكاتب كأنه فى حلم لذيذ أو قصة محبوكة » (١)

* * *

وقد كتب « أحمد أمين » مقالات كثيرة فى باب الخواطر والتأملات ، نشر بعضها فى مجـلة « الثقافة » ، وبعضها فى مجلة « الرسالة » ، وبعضها فى مجلة « الهلال » ، وجمع كل هـذه المقالات فى كتاب له بعنوان « فيض الخاطر » وقد رأينا أن نقف عند نموذج واحـد من هذه المقالات على سبيل المثال ، وهو مقال له بعنوان :

سـلطة الآباء

كتب الكاتب فى نقد المجتمع الحديث كتابا بدأه بقوله :

رحم الله زمانا كان الأب فيه الآمر الناهى ، والحاكم المطلق ، والملك غير المتوج ، ينادى فيتسابق كل من فى البيت إلى ندائه ، ويشير فإشارته أمر ، وطاعته غنم . تحدثه الزوجة فى خفر وحياء ، ويحدثه الابن فى إكبار وإجلال ، ويرى من سوء الأدب أن يرفع إليه بصره ، أو يرد عليه قوله ، أو يراجعه فى رأى ، أو يجادله فى أمر . أما البنت فإذا حدثها لف الحياء رأسها ، وغضن الخجل طرفها ، قليلة الكلام ، متحفظة الضحك ، خافضة الصوت ، تتوهم أنها أخطأت فى التافه من الأمر فيندى جبينها ، ويصبغ الخجل وجهها ، وإذا جاء حديث الزوج والزواج فإلى أمها التحـدث لا إلى أبيها ، وبالتلويح والتلميح لا بالتصريح ، والأمر إلى الأب فيما يقبل وفيما يرفض ، وفيما يفعل وفيما لا يفعل » .

---

(١) نفس المصدر ص ١٧٩ .

ومضى الكاتب فى مقاله على هذا النحو ثم قال :

« لقد ودعنا ذلك الزمن بخيره وشره ، وحلوه ومره ، واستقبلنا زمانا صار فيه الأبناء آباء » . . .

ثم يقول :

« قالت الخطيبة لخطيبها : الناس أحرار ، وأنا إنسان وأنت إنسان ، فإن اعتززت بالكسب اعتززت بالإنفاق ، وإن اعتززت بالرجولة اعتززت بالأنوثة ، وإن اعتززت بأى شىء فأنا أعتز بمثله وبخير منه ، فأنا وأنت شريكان : لاسيد وأمة ، ولا ملك ومملوك ، لى كل الحقوق التى لك ، وقد يكون علىّ بعض الواجبات التى عليك ... يمكنك أن تحصل على المال وعلىّ الإنفاق ، ولك السلطان التام فى اختيار طرق التحصيل ، ولى الخيار التام فى وجوه التبديد ، أنت للبيت والبيت لى ، وإن كان لك أم فقد شبعت سلطة فى الماضى أيام كانت زوجة ، فلا حق لها أن تنعم بسلطانها وسلطان غيرها ، فليس لها الحق إلا أن تأكل، كما ليس لك الحق فى أن تحبها ، فالحب كله للزوجة ، إنما لك أن ترحمها. والدّين لا شأن لك فيه بتاتا ، فهو علاقة بين العبد وربه ، وكل إنسان حر فى أن يحدد هذه العلاقة كما يوحى إليه قلبه ، فإن شئت أن تتدين فتدين ، على شرط ألا تقلب نظام البيت وتقلق راحتى وراحة الخدم .

ورأى الرجل أن الأحكام قاسية ، والشروط فادحة ، وهام يبحث بين الممدنات عمن ترضى به زوجا على الشروط القديمة فأعياه البحث.....

إلى أن يقول : تم الزواج وفرحت الزوجة بالظفر فغـــالت فى الطلب ، وابتدعت كل يوم مطلبا جديداً ، وأرادت أن تنتقم لأمهاتها من آبائه فى شخصه ، فطالمـا أطعن ، وطالما خضعن ، فليطع دائما وليخضع دائما جزاء وفاقا على ماجنى آباؤه وأجداده ...

قالت : إن رقصْتَ رقصتُ ، فذلك حقك وحق ، قال : نعم .

قالت : بل إن لم ترقص رقصت ،لأنك إن أضعت حقك لم أضع حقى ،

وإن خالفتَ خالفتُ ، فالجزاء من جنس العمل ، بل إن لم تخالف ربما خالفتُ ، لأن حياة الزوجية البحتة قد يعتريها الركود والسأم والملل . . .

فصرخ الرجل ولف الغضب وجهه ، وحاول أن ينكل بها فتراجعت وسحبت مطلبها الأخير ، ورأت من الحكمة أن تتريث بعض الشيء حتى يبلع ريقه من أثر الصدمة الأولى ، ويستعد للصدمة الثانية ، فإن لم يسعفها الزمان أوصت بناتها بشروطها الجديدة . . .

قالت : وسيكون أول ما أوصى به ابنتى أن تأخذ قياس خطيبها ، ثم يكون من أول جهازها أن تفصل له برذعة ولجاما على قدره ، فتضع البرذعة عليه ، وتركبه إذا شاءت ، وتشكمه باللجام إذا حاول أن يتحرك يمينا أو شمالا على غير رغبتها .

وشاء الله أن يرزقا بنين وبنات :

... وقد رأوا أن الأم لا تجل الأب فلم يجلوه ، ولم تعره كبير التفات فلم يعيروه ، ورأوها تبذر فى مال الأب فبذروا ، ورأوها حرة التصرف فتحرروا ، ورأوها تخرج من البيت من غير إذن الأب فخرجوا خروجها وتعود إلى البيت متى شاءت ففعلوا فعلها ، ورأوها لا تتدين فلم يتدينوا ..

وقال الأبناء لأبيهم :

إننا مخلوقون لزمان غير زمانك فاخضع لحكم الزمان ، وقد نشأنا فى زمن الحرية فى الآراء ، والحرية فى الأعمال ، والحرية فى التصرف لا كما نشأت فى جو من الطاعة والقيد والأسر والتقاليد ، فمحال أن يسع ثوبك الضيق أبداننا ، وتقاليدك العتيقة البالية نفوسنا .

قال نعم : قالوا : وأنت الذى سمحت لنا بادىء ذى بدء أن نغشى دور السينما والتمثيل ، وأن نسمع الأغانى البلدية ، وأن نشهد المراقص الأوربية فإذا أقررت المقدمة فلا تهرب من النتيجة ، فأنت الذى عودنا ألا نضع للبيت ميزانية ، لأنك تعطى راتبك لأمنا تنفق منه من غير حساب ، فإن انتهى فى

نصف الشهر طلبت منك أن تقترض ، فاقترضت ، وأن تشترى مالاحاجة لنا به . . فاشتريت . : . فليس لك أن تطالبنا بالاقتصاد فى الجدول الصغير والنهر الكبير ليس له ضابط . . . قال نعم . قالوا وقد أضعت سيادتك على أمنا ، فلم تفرض سيادتك علينا ؟ وهى أم الحاضر وأنت أبو الماضى ، ونحن رجال المستقبل . . . . قال : نعم .

وقالت البنات لأبيهن :

يا أبانا الذى ليس فى السماء : رقصت أمنا فرقصنا ، وشربت أمنا فشربنا ، وشربت سرا فلتسمح لنا بحكم تقدم الزمان أن نشرب جهرا ، ورأينا فى روايات السينما والتمثيل حبا فاحببنا ، ورأينا عريا فى الشواطىء فتعرينا ، وتزوجت أمنا باذن أبيها فلنتزوج نحن باذننا .

قال : نعم ، قلن : وقد أوصتنا أمنا أن نركب الزوج ، ولكننا أمام مشكلة يشغلنا حلها ، فإننا نرى شباب اليوم متمردين لا يخضعون خضوعك ولا يستسلمون استسلامك . . .

يا أبانا : هل البيت ضرورة من ضرورات الحياة ؟

أليس نظام الأسرة نظاما عتيقا من آثار القرون الوسطى ؟ قال : نعم ، قلن على كل حال يصح أن يجرب جيل النساء الجديد مع جيل الرجال الجديد ، فإن وقع ما خشينا عشنا أحرارا وعاشوا أحرارا ، وطالبنا بتسهيل الطلاق ، وبهدم المحاكم الشرعية على رءوس أصحابها .

قال الأب : وماذا تفعلن بما ترزقن من أبناء وبنات ؟ قلن : لك الله يا أبانا ! إنك لا تزال تفكر بعقل جدنا وجدتنا ، لقد كنت أنت وأبوك وجدك تحملون أنفسكم عناء كبيراً فى الأولاد ، وتضحون بأنفسكم وأموالكم فى سبيلهم ، وتعيشون لهم لا لكم ، أما عقليتنا نحن أهل الجيل الحاضر فأن نعيش لأنفسنا لا لغيرنا ، لقد ضحك عليكم الدين والأخلاق ففهمتم أن

الواجب هو كل شيء ، وكشفنا نحن اللعبة ففهمنا أن اللذة هى كل شيء ، فنحن نمنع النسل ، فإذا جاء قسرا فليعش كما يشاء القدر ...

قال الأب : وأمر المال كيف يدبر ؟ كيف تعشن أنتن وأولادكن إذا كان طلاق وكان فراق ؟ قلن : هذا ظل آخر ظريف من ظلال تفكيرك ، دع هذا يا أبانا والبركة أخيراً فيك .

أما بعد ، فقد خلا الأب يوما إلى نفسه ، وأجال النظر فى يومه وأمسه ، فبكى على أطلال سلطته المنهارة ، وعزته الزائلة . . . .

* * *

هذه تأملات وخواطر خطرت لكاتب المقال فى النماذج الحديثة للحياة ، وهى النماذج التى لا يرضى عنها الآباء بحال من الأحوال ، بل إنهم يرون فيها الخطر كل الخطر على كيان المجتمع وعلى حياة الأسر ، وقد بنى الكاتب مقاله هذا على الموازنة الدقيقة بين حياة الأسرة فى الجيل القديم وحياة الأسرة فى الجيل الجديد . وهدفه من ذلك أن يحذر من الأخطار الناجمة عن المبالغة فى التجديد الذى ينخدع به الجيل الجديد .

و « لأحمد أمين » مقال آخر فى باب الخواطر والتأملات يحسن بنا أن ننقله للقارىء فيما يلى :

الرأى والعقيدة

قال فيه :

« فرق كبير بين أن نرى الرأى وأن نعتقده ، إذا رأيت الرأى فقد أدخلته فى دائرة معلوماتك ، وإذا اعتقدته جرى فى دمك ، وسرى فى مخ عظامك ، وتغلغل إلى أعماق قلبك ، ذو الرأى فيلسوف يقول : إنى أرى الرأى صوابا ، وقد يكون فى الواقع باطلا ، وهذا ماقامت الأدلة عليه اليوم ، وقد تقوم الأدلة على عكسه غدا ، وقد أكون مخطئا فيه ، وقد أكون

مصيبا ، أما ذو العقيدة فجازم بأنه لاشك عنده ولا ظن ، عقيدته هي الحق لا محالة ، هي الحق اليوم ، وهي الحق غدا ، لأنها خرجت عن أن تكون مجالا للدليل ، وسمت عن معترك الشكوك والظنون .

ذو الرأى فاتر أو بارد ، إن تحقق مارأى ابتسم ابتسامة هادئة رزينة ، وإن لم يتحقق مارأى فلا بأس ، فقد احترس من قبل بأن رأيه صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيره خطأ يحتمل الصواب ، وذو العقيدة حار متحمس لايهدأ ألا إذا حقق عقيدته ، هو حرج الصدر لهيف القلب ، تتناجى فى صدره الهموم ، أرق جفنه وأطال ليله تفكيره فى عقيدته ، كيف يعمل لها ، ويدعو إليها ، وهو طلق المحيا ، مشرق الجبين إذا أدرك غايته ، أو قارب بغيته .

ذو الرأى سهل عليه أن يتحول ويتحور ، وهو عبد الدليل أو عبد المصلحة التى تظهر فى شكل دليل ، أما ذو العقيدة فخير مظهر له ما قاله رسول الله : « لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أدع هذا الذى جئت به ما تركته » ، وكما يتجلى فى دعاء عمر « اللهم إيمانا كإيمان العجائز » .

ولقد رووا عن سقراط أنه قال : إن الفضيلة هى المعرفة ، وناقشوه فى رأيه ، وأبانوا له خطأه ، واستدلوا بأن العلم قد يكون فى ناحية والعمل فى ناحية ، وكثيرا مارأينا أعرف الناس بمضار الخمر شاربها ، وبمضار القمار لاعبه ، ولكن لوقال سقراط : إن الفضيلة هى العقيدة لم أعرف وجها للرد عليه ، فالعقيدة تستتبع العمل على وفقها لا محالة ، فقد ترى أن الكرم فضيلة ثم تبخل ، والشجاعة خيراً ثم تجبن ، ولكن محال أن تؤمن بالشجاعة والكرم ثم تجبن أو تبخل .

العقيدة حق مشاع بين النـــاس على السواء ، نجدها فى السذج ، وفى الأوساط ، وفى الفلاسفة ، أما الرأى فليس إلا للخـــاصة الذين يعرفون الدليل وأنواعه ، والقياس وأشكاله ، والناس يسيرون فى الحياة بعقيدتهم ،

أكثر مما يسيرون بآرائهم ، والمؤمن يرى بعقيدته مالا يرى الباحث برأيه ، قد منح المؤمن من الخواص الباطنة والذوق ما قصر عن إدراكه القياس والدليل .

لقد ضل من طلب الإيمان بعلم الكلام وحججه وبراهينه ، فنتيجة ذلك كله عواصف فى الدماغ أقصى غايتها أن تنتج رأيا ، أما الإيمان والعقيدة فموطنهما القلب ، ووسائلهما مد خيوط بين الأشجار والأزهار والبحار والأنهار وبين قلب الإنسان ، ومن أجل هذا كانت الآية الكريمة . « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت » أفعل فى الإيمان من قولهم : « العالم متغير وكل متغير حادث » ، فالأول عقيدة والثانى رأى .

الناس إنما يخضعون لذى العقيدة ، وليس ذوو الرأى إلا ثرثارين عنوا بظواهر الحجج أكثر مما عنوا بالواقع ، لا يزالون يتجادلون فى آرائهم حتى يأتى ذو العقيدة فيكتسحهم . . . .

وسار الكاتب فى مقاله على هذا النهج حتى ختمه بقوله :

« ليس ينقص الشرق لنهوضه رأى ، ولكن تنقصه العقيدة ، فلو منح الشرق عظماء يعتقدون ما يقولون لتغير وجهه ، وحال حاله ، وأصبح شيئاً آخر .

وبعد ، فهل حرم الإيمان مهبط الإيمان ؟

إن هذا المقال إلى الخواطر الفلسفية أدنى منه إلى الخواطر الأدبية ، أو الاجتماعية ، وهو نموذج جيد لهذا الطراز بنوع خاص .

الفصل السادس

المقال العلمى

المقال العلمى ، من حيث هو نوعان ، نوع يكتب للمتخصصين ، ونوع يكتب لغيرهم من القراء ، والأول مكانه الكتاب العلمى ، أو المجلة العلمية التى تصدرها الهيئات أو المؤسسات التى توفرت على نشر العلم ، والثانى مكانه الصحيفة اليومية ، والمجلة الدورية : أسبوعية كانت أم شهرية أم سنوية ، والأول ليس موضوعاً لبحثنا هذا ، أما الثانى فموضوع اهتمام الصحافة ، ومدارعنايتها ، ومادة من موادها لا تستطيع الاستغناء عنها بحال ما .

والمقال العلمى الذى تنشره الصحف والمجلات إنما يحقق غرضين من أغراض الصحافة الخمسة التى أشرنا إليها فى غير هذا الفصل ، وهذان الغرضان هما :

١ — التوجيه والإرشاد .

٢ — التسلية والإمتاع .

وليس شك فى أن الناس جميعاً فى احتياج إلى من يرشدهم على الدوام فيما يتصل بحياتهم العقلية ، وحياتهم الفنية ، أو بعبارة أخرى : فى احتياج إلى الغذاء العقلى ، والغذاء الفنى ، وهذا أو ذاك إنما يتم لهم عن طريق المقال العلمى فى الصحيفة أو الإذاعة .

والذى لاشك فيه أيضاً أننا فى عصرنا هذا لا نستطيع — ولو حرصنا — أن نلم بجميع العلوم والفنون ، لأننا فى عصر التخصص العلمى والفنى ، لكل واحد منا شعبة خاصة من شعب المعرفة أو الفن ، توفر عليها ، واستأثرت بعقله وقلبه ، بل امتزجت بروحه ودمه .

على أنه إلى جانب هذا التخصص العلمي أو الفني لا غنى للمثقفين في الأمة عن الأخــــذ من كل علم من العلوم الإنسانية بطرف ، وبهذه الطريقة تستروح العقول البشرية من جهة ، ويحدث التوازن العقلي والروحي للمواطن المثقف من جهة ثانية .

وقد أدركت الصحافة منذ نشأتها هـذه الحقيقة ، فدرجت على إمداد قرائها من حين لآخر بتلك الفصول العلمية المفيدة ، والمقــــالات الفنية الطريفة يتعلمون منها حيناً ، ويتسلون بها أحياناً ، ويجـــدون في كلتا الحالتين لذة عقلية ربما لا تضارعها لذة مادية من لذائذ الحياة .

ثم إن القراء أنفسهم — بالقياس إلى المقال العلمي — طبقتان كما سبقت الإشارة إلى ذلك :

طبقة لا تعرف إلا علماً واحداً ، أو فناً مفرداً ، ولا صلة لها تقريباً بغير ذلك من العلوم أو الفنون .

وطبقة لا تعرف شيئاً من هذا أو ذاك ، ولم تتخصص في شيء من هذا أو ذاك ، ولكنها تميل إلى أن يكون لها بعض الإلمام بهذا الشتات من المعلومات .

وما دام الأمر كذلك فلا مناص للصحيفة من الاعتراف بهذا الوضع ، والتقيد بهذا القيد في كتابة هذا النوع من أنواع المقال ، وبعبارة أخرى ينبغي أن تتوافر في المقال العلمي الذي تنشره الصحيفة شروط عــــدة ، منها ما يلي :

أولا — الإقلال جهد المستطاع من المصطلحات العلمية المعروفة عند أهل هذا العلم أو ذاك من العلوم التي يتعرض لها المقال .

ومعروف أن لكل علم منها عشرات ، بل مئات من المصطلحات يعرفها المشتغلون بهذا العلم معرفة جيدة ، وكلما جد جديد من هذه المصطلحات ، بادروا إلى معرفته ، وأخذوا في تداوله ، أما غيرهم

من الناس فلا علم لهم بهذه المصطلحات ، ولهذا وجب على كاتب المقال العلمى بالذات أن يقتصد — ما أمكنه — فى ذكر هذه المصطلحات .

ومع هذا وذاك ينبغى للمحرر العلمى أن يدرك أن القارىء لا يضيره أن يقرأ لفظاً علمياً غريباً على مسامعه إذا دعت الضرورة إلى استعماله فى المقالة .

ولا ينبغى للمحرر فى هذه الحالة أن يعتذر عن استعمال هذا اللفظ ، ولا أن يحاول شرحه شرحاً علمياً مستفيضاً ، فله — مثلا — أن يستخدم لفظ الوحدة الحرارية ، ولكن ليس عليه أن يشرح هذه الوحدة الحرارية من الوجهة العلمية ، بل يقول مثلا : إن ثلاث قطع من السكر ، أو قطعة صغيرة من الزبد تولد مائة وحدة حرارية ، وإن الإنسان يحتاج إلى مائة وحدة حرارية فى الساعة عادة ، وإلى مائة وستين وحدة إذا كان يقوم بعمل مجهد » (١) .

ثانياً — تبسيط المعلومات التى يقدمها الكاتب للقراء مراعاة منه لهذه الحقيقة — التى أشرنا إليها الآن — وهى أنه إنما يكتب لغير المتخصصين من القراء .

والكتاب والمحررون فى مجال التبسيط درجات :

فنهم من وهب المقدرة على شرح المادة العلمية الصعبة بطريقة سهلة على الأسماع ، تعرف طريقها إلى الأذهان ، ومنهم من غلبت عليه الصبغة العلمية الخالصة ، وعجز عن التخفف منها ، ولم يستطع أن يقدم للصحيفة غذاء ما فى هذه الناحية .

ثالثاً — اصطناع القوالب الأدبية — كلما أمكن ذلك — فى التعبير عن المادة العلمية ، ومن هذه القوالب — على سبيل المثال — قالب القصة ، وبها

---

(١) كيف تصبح صحفياً ، لكارل وارين ، ترجمة عبد الحميد سرايا ، الصفحة الأخيرة .

يستطيع الكاتب القدير أن يحيل هذه المواد الجافة إلى قصص حية تحس فيها كأن الطبيعة نفسها تتكلم وتتحرك ، أو كأن الحقائق العلمية ذاتها أشخاص تذهب وتجيء ، وتؤدي أدوارها كأحسن ما يكون الأداء

وبهذا الأسلوب الجذاب يستطيع الكاتب المتمرن أن يحدثنا عن الطبيعة وظواهرها فى قصص :

فقصة للمطر ، وقصة للقمر ، وقصـــة للبركان ، وقصص للجبال أو الوديان ، وهكذا .

ثم بهذا الأسلوب الجذاب يستطيع الكاتب أيضاً أن يحدثنا عن الإنسان ، وعما يعرض له من حالات الصحة والمرض ، وكل ذلك فى قصص ممتع .

فقصة عن السرطان ، وقصة عن الشلل ، وقصة عن الجراثيم ، وقصة عن الميكروب ، وقصة عن الأنسولين ، وأخرى عن البنسلين ، وثالثة عن أنواع الفيتامين ، وهكذا .

رابعاً — ربط المعلومات الطريفة التى يأتى بها الكاتب فى مقاله بحاجة من حاجات القراء ، أو رغبة من رغباتهم ، حتى ولو كانت هذه النزعة مجرد التأمل فى قدرة الخالق ، وكثيرون من الناس تحفزهم هذه النزعة الأخيرة إلى القراءة .

خامساً — عدم طغيان الصفة الذاتية على الصفة الموضوعية وإن كان ذلك لا يمنع من وجود مسحة ذاتية صريحة تبث فى المقال شيئاً من الحياة والإشراق .

ومهما يكن من شيء فنى مجال المقال العلمى الآن تتنافس الصحافة والإذاعة أيهما أجدى على القارىء أو السامع ، وأيهما أقدر من الأخرى على تثقيفه بشتى المعارف التى تجمعها أفلاك ثلاثة يسبح فيها العالم ، وهى :

الله ، والطبيعة ، والإنسان .

قيمة المحرر العلمي :

ومعنى ذلك أن أمام المحرر العلمي مجالات كثيرة يتجه فيها إلى القراء والمستمعين والمشاهدين عن قصة العلم ، وهى قصة من أمتع القصص التى يمكن أن يتتبعها المواطنون الراغبون فى تنوير أذهانهم بالثقافات العلمية على اختلافها .

لقد مر العالم إلى يومنا هذا بثلاثة عصور علمية كبيرة ، وهى عصر التجارة ، وعصر الكهرباء ، وعصر الذرة ، والمؤلم فى كل ذلك أن للغربيين دون العرب الفضل كل الفضل فى هذه العصور الثلاثة :

أما العرب فقد ظلوا متفرجين طوال هذه العصور ، ولم يكن إلا فى النصف الثانى من القرن العشرين أن بدأ العرب يشاركون فى الميادين العلمية .

ومهما يكن من شىء فقد كان على الصحيفة الحديثة أن تقوم بواجبها نحو تزويد المواطن الجديث بالمعلومات الكثيرة عن قصة العلم التى أشرنا إليها .

فتى اخترعت المطبعة ، ومتى اكتشفت أمريكا ، ومتى نادى العلماء بكروية الأرض ودورانها حول الشمس ، ومتى عرف العلماء شيئاً عن الدورة الدموية ، ومتى عرفوا قانون الجاذبية ؟، وما هى قصة الآلة البخارية ، وإلى أى حد انتفعت الصناعة بهذه الآلة الجديدة ، وما هو التلغراف الكهربائى ، ومتى نجح الإنسان فى تحويل الحديد إلى صلب ، ومتى استخدمت الإبرة المغناطيسية فى جهاز الاستقبال التلغرافى ؟ ! .

وكيف واجه « داروين جميع الناس فى عصره بنظريته : فى أصل الأنواع ؟

وماهو صدى هذه النظرية الغربية ؟ ومتى عرف العلم الدينامو الكهربائى والمصباح المتألق ؟ ومتى عرف التليفون ، ومتى عرفت السيارة ؟ ومتى ظهر الترام الكهربائى ؟ ومتى عرفت الآلة الكاتبة أو الطابعة ؟ ومتى سمع الفونوغراف أو « الحاكى » ؟ ومتى وصل العرب إلى الأشعة السينية ؟ وما هو أثر ذلك فى الطب ؟ ومتى كشف العلم عن الإلكترونات ، ومتى ظهرت السينما ، ثم الراديو ، ثم التلفزيون ؟ وماذا نعرف عن الأقمار الصناعية ؟ وكيف تستخدم الذرة فى السلم لا فى الحرب ؟

وكل موضوع من هذه الموضوعات يصلح لأن يكون « قصة » علمية متى ظفر بالمحرر العلمى الذى يستطيع أن يصوغ المعلومات الخاصة بها بطريقة تجذب إليها أكبر عدد من القراء ، وتوسع فى الوقت نفسه مدارك المواطنين ، وتخلق بينهم تجانسا عقليا لا بد منه فى المجتمع الواحد .

من أجل هذا كان للصحافة المصرية منذ نشأتها عناية كبيرة بالمقال العلمى الذى يهدف إلى تزويد القراء بالمعلومات فى شتى ألوان المعرفة على اختلافها ، فعنيت بهذا المقال الصحف الآتية ، وهى :

الوقائع المصرية ، وروضة المدارس ، ووادى النيل ، وروضة الأخبار ، ويعسوب الطب ، ومصباح الشرق ، والمؤيد ، واللواء ، والأهرام ، والجريدة ، وما زال اهتمام الصحافة المصرية باديا بهذه الناحية إلى اليوم .

ولكن من الحق أن يقال إن من أكثر المجلات المصرية احتفالا بالمقال العلمى مجلتا : المقتطف والهلال ، ويصح أن تضاف إليهما مجلتا الرسالة والثقافة .

غير أن القدح المعلى فى هذا الميدان إنما كان للمقتطف بالذات ، فقد استطاعت هذه المجلة المصرية العتيدة أن تقدم للعلم فى مصر والشرق خدمة جليلة ، وذلك منذ سبعين عاما إلى الوقت الذى احتجبت فيه عن سماء الفكر العربى ، ثم تليها فى الدرجة العلمية مجلة « الهلال » التى أنشئت عام ١٨٩٢

وما زالت تخدم العلم والثقافة والأدب إلى اليوم ، وقد اعتادت هذه المجلة الأخيرة أن تتحف قراءها فى كل عدد من أعدادها بمقال طريف فى موضوع من الموضوعات العلمية الدقيقة ، وكثيراً ما تنقل الهلال هذه المقالة أو تلك ، إما عن كتاب معروف فى الأوساط العلمية ، وإما عن إحدى المجلات الأوربية أو الأمريكية ، مثل مجلة الريدرز دايجست . وقد يكون المقال من تأليف عالم من العلماء فى مصر ، أو الشرق ، أو عضو من أعضاء أسرة التحرير بالمجلة ذاتها .

أما الصحف اليومية الحديثة فى مصر فلم تغفل هى الأخرى ما يجب عليها نحو المقال العلمى ، ومن هذه الصحف المعاصرة صحيفة « الأهرام » ، وصحيفة « أخبار اليوم » ، وفى الأخيرة ظل الدكتور « سعيد عبده » يكتب فترة طويلة عن الأمراض الكثيرة بعنوان « خدعوك فقالوا » .

وما دمنا نشير إلى فحول الكتاب فى هذا المجال فلا مفر لنا من الإشادة برائد هذا النوع من المقالات فى العصر الحديث ، وهو الأستاذ هولدين Holldane فى كتابه . « العلم فى خدمة الحياة اليومية » Seience for every day Life : وهو حلقة من سلسلة كتب بينجوين Pingwin المعروفة ، ولعل هذا الأخير من أوائل من اهتدوا إلى أكثر من طريق لتبسيط العلم وتيسيره على القارىء العادى .

* * *

يتضح مما سبق أنه لاغنى للصحيفة فى عصرنا الحاضر عن « المحرر العلمى » وهو عضو من أعضاء أسرة التحرير ، يمتاز غالباً بخبرة واسعة فى العلوم ، وإليه تلجأ الصحيفة فى كل ما يتصل بالمادة العلمية التى تسوقها إلى القراء ، سواء أكانت فى شكل مقال علمى ، أم فى شكل عمود إخبارى ، أم فى شكل عدد ممتاز يختص بناحية من النواحى العلمية ، أو بمرفق من مرافق الأمة .

خذ لك مثلا -- صحيفة الأهرام -- فإنها تصدر « الأهرام الاقتصادى »

مرة كل شهر فى الغالب ، وتصدر كذلك عدداً خاصاً باسم « البلاد العربية » فى مواعيد غير محدودة ولا مضبوطة ، لأن أمثال هذه الدوريات إنما تخضع خضوعاً تاماً للمناسبات ، وذلك كله فضلا عن العمود او المقال العلمى الذى تنشره الأهرام اليومية بين حين وآخر (١) .

وهكذا تتسع دائرة المعارف الإنسانية يوماً بعد يوم، لكنها مهما اتسعت تظل على الدوام ناقصة ، وذلك ما يدعو الصحف والمجلات إلى الكتابة العلمية التى تصل الجمهور بكل جديد فى العلم من حيث هو .

والناظر إلى « المقال العلمى » الذى تراد به خدمة الجمهور من قراء الصحف يرى أن لصياغته طرائق شتى منها :

طريقة السرد ، وطريقة الحوار ، وطريقة القصة ، وطريقة الأمثلة والشواهد ، وطريقة تصحيح الأخطاء والأفكار ، وطريقة الرسوم الكاريكاتورية التى تصور بعض الشخصيات الهامة فى الميدان العلمى ، ونحو ذلك .

وقد نبهنا الأستاذ كارل وارين فى كتابه « كيف تصبح صحفياً » إلى طائفة من الوصايا التى يحسن الالتفات إليها عند كتابة المقال العلمى ، ومنها ما يلى :

أولا — لا تحسن الظن دائماً بمعلومات القارىء ، ولكن فى الوقت نفسه لا تحتقر ذكاءه أو تفترض أنه غبى .

ثانياً — لا تظن أن هذا الخبر أو ذاك قديم على القارىء كما هو قديم ومألوف لديك ، فهناك قراء كثيرون لا يزالون يعيشون فى القرن التاسع عشر ، أو فى القرن الثامن عشر .

---

(١) يشرف على التحرير العلمى لصحيفة الأهرام ، فيما نعلم ، الأستاذ عزيز ميرزا والسيو ديبونو Deponoo

ثالثاً — لا تخرج عن دائرة الحياة الإنسانية ، فالقارىء آدمى دائماً ، ولا تعنيه غير هذه الموضوعات .

رابعاً — لا تنس كذلك أن القارىء يقاطعك فى كل عشرة سطور ليسألك : لماذا ، وماذا ؟ فإذا لم تجب عن تلك الأسئلة وأمثالها فلن يتم قراءة موضوعك .

خامساً — لا تعتقد أنك تجعل الموضوع أكثر جاذبية إذا حشوته بخرافات أو أشياء خيالية ، أو بألفاظ تدل على التهويل والمبالغة .

سادساً — لا تقل : هذا كشف هام ، فما دمت قادراً على ذلك فلست فى حاجة إلى كتابة هذه العبارة .

وعلى أية حال ليس المحرر العلمى فى الصحيفة عالماً بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، ولكنه رجل قادر على تفهم المعنى العام لأى اختراع ، أو كشف ، أو نظرية علمية ، ونحو ذلك ، وقد لا يتطلب منه ذلك غير دراسة عامة ، وتجارب منوعة (١)

* * *

وبعد ، فقد كنا نود أن نورد للقارىء نموذجاً للكتابة العلمية بقلم الأستاذ « هولدين » أستاذ العلوم بجامعة كمبردج الذى تقدم ذكره ، ولكن منعنا من ذلك أنه غير مصرى ، ونحن إنما نسوق أمثلة مصرية بحتة كلما امكن ذلك .

وعلى هـــذا نكتفى بمثال من مجلة « الهلال » هو بالصدفة منشور فى العدد الخامس من المجلد الثامن والخمسين ، ويتناول موضوعا طريفا هو موضوع « الرادار » ، وقد اختار له الكاتب هذا العنوان جاء فيه (٢) :

---

(١) المقال « الترجمة العربية » للكتاب بقلم عبد الحميد سرايا ص ٥٩

(٢) بقلم الدكتور « محمد رشاد الطوبى » بكلية العلوم فى جامعة القاهرة .

الأذن السحرية

كلما اكفهر جو السياسة الدولية ، وتلبدت فيه الغيوم منذرة باحتمال وقوع الحرب نشطت السلطات المختصة فى كل دولة لتجنيد الرجال العسكريين والعلماء معاً .

والواقع أن تجنيد العلماء للبحث والاختراع لا يقل أهمية من الوجهة الحربية عن تجنيد العسكريين ، وما زالت معركة بريطانيا الجوية ماثلة فى الأذهان ، إذ جند الألمان مالا يحصى عدده من الطائرات لكى يقضوا على انجلترا القضاء الأخير ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يكسبوا تلك المعركة رغم استعدادهم الضخم الرهيب ، وإحكامهم وضع الخطط لتنفيذه ، وما كان فشلهم غير المنتظر إلا نتيجة اختراع « الرادار » أو الأذن السحرية الذى استطاع الإنجليز بها معرفة الطائرات المعادية قبل وصولها بوقت كاف لاستعداد قوات الدفاع التى أصلتها نارا حامية عند وصولها، وبذلك فقدت هذه الطائرة عنصر المفاجأة .

ويضع المختصون آمالهم الآن فى جهاز « الرادار » لدرء خطر القنبلة الذرية التى ينتظر أن تكون هى السلاح الأول فى أية حرب قادمة .

وللرادار جهاز لاسلكى يبعث موجات لاسلكية قوية يسيرها بسرعة عظيمة فى اتجاه محدد ، فإذا اصطدمت هذه الموجات بجسم صلب ، كطائرة تشق عنان السماء ، أو باخرة تمخر عباب الماء ، انعكست وعادت إلى الرادار ثانية ، وبمعرفة الزمن الذى استغرقته فى ذهابها وعودتها يعرف موقع الطائرة أو الباخرة ، وتعرف المسافة بينهما وبين محطة الرادار .

ومن المدهش أن الخفاش أو « الوطواط » سبق إلى أسلوب جهاز الرادار منذ أزمنة بعيدة ، وقام باستخدامه بنجاح عجيب قبل أن يدرك الإنسان من أمره شيئاً .

فالمعروف أن الخفاش يختفى بالنهار ، فإذا أقبل الليل خرج للبحث عن الغذاء طائراً بسرعة كبيرة فى الظلام الحالك ، دون أن يصطدم بتاتاً بالأشجار أو بالأبنية التى تعترض طريقه ، وكثيراً ما يخترق الغابات الكثيفة التى تمتلىء بالأشجار المتقاربة والأغصان المتشابكة ، فيمرق بينها مروق السهم ، فى سهولة وأمان !

وقد كانت هذه الظاهرة العجيبة — ونعنى بها تحاشى الخفاش تلك العوائق المتقاربة ، وعدم اصطدامه بها — مما أثار دهشة الباحثين زمناً طويلا ، لما ثبت من أنه لا يستطيع أن يراها فى الظلام ، فهو إذن لا يعتمد فى تجنبها على حاسة النظر ، بل هناك — ولا شك — حاسة أخرى ؛ هى التى تنير له السبيل ، وتجنبه الاصطدام بتلك العقبات .

وقام كثير من الباحثين بإجراء تجارب عدة أظهرت فى وضوح تام أن الخفاش لا يعتمد على الإبصار فى طيرانه ليلا، فقد أحضر العالم « سبالانزانى » عدداً من الخفافيش ، وفقأ عيونها ، ثم تركها بعد ذلك تطير فى الهواء ، فتبين له من حركتها المتزنة أنها لم تتأثر على الإطلاق بفقدها الإبصار !

ووضع بعض الباحثين خفاشاً فى غرفة كبيرة وثبت فى جميع أرجائها أسلاكا متقاطعة على شكل شبكة ، وعلق فى تلك الأسلاك أجراساً صغيرة تدق إذا لمس أى جسم هذه الأسلاك ، ثم أطفئت أنوار الغرفة ، ووقف الباحثون فى ركن منها ، لا يرون شيئاً ، ولكنهم يسمعون ويحسون بما يجرى فيها ، وظلوا كذلك حوالى نصف ساعة ، والخفاش يطير من مكان إلى مكان متنقلا بين فتحات تلك الشبكة دون أن يمس أى جزء فيها ، وكان فى بعض الأحيان يقترب من وجوههم حتى ليحسون بحركة الهواء الذى تدفعه الأجنحة .

وحينما أضيئت الأنوار انقطع الخفاش عن الطيران ، وتراجع إلى أعتم مكان فى الغرفة حيث قبع ساكناً لا يبدى أى حراك .

وبدأ الباحثون يعللون هـــذه الظاهرة بشتى التعليلات دون أن يهتدوا إلى الدليل الكافى الذى تدعمه التجارب والمشاهدات العملية ، وكان التعليل الذى قدمه العالم « هارتردج » سنة ١٩٢٠ أول تعليل استساغه أغلب الباحثين ، وقد رجح فيه استخدام الخفاش موجات صوتية لا تدركها أذن الإنسان ، ثم أيدت الأبحاث الحديثة صحة هذا التعليل .

ولتفسير ذلك نقول : إن الأصوات المختلفة التى نسمعها تنتقل فى الهواء على صورة موجات صوتية ، ويدرك الإنسان تلك الأصوات فور وصولها إلى طبلة الأذن ، ولا تستطيع أذنه أن تدرك من الأصوات إلا ما كانت اهتزازاتها تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ ألف اهتزازة فى الثانية ، وهى تعرف « بالأصوات المسموعة » ، أما الموجات الصوتية التى تزيد اهتزازاتها على هذا فلا تدركها الأذن ، وقد أطلق عليها العلماء اسم « الأصوات فوق السمعية » .

وأثبت بعض العلماء الأمريكيين حديثاً أن الخفاش لا يصدر الأصوات المعروفة التى نسمعها فحسب ، بل يصدر كذلك أصواتاً أخرى «فوق سمعية» ، كما أثبتوا أن فى استطاعته سماع تلك الأصوات التى تدركها أذن الإنسان ، فهو يقوم بإصدار هذه الأصوات التى تنتقل فى الهواء ، حتى إذا اعترض طريقها بعض العوائق كالأشجار وغيرها انعكست كما تنعكس أشعة الشمس على سطح مرآة ، فإذا ما وقعت تلك الموجات الصوتية المنعكسة على أذنه أمكنه أن يدرك وجود تلك العوائق . ويعتمد الخفاش فى تقدير المسافة التى بينه وبين السطح الذى ينعكس منه الصوت على الزمن الذى يستغرقه الصوت فى الذهاب إلى هذا السطح والعودة منه بعد انعكاسه .

وهذا ما يحدث تماماً فى جهاز الرادار .

ومن بين التجارب التى أجريت لإثبات وجود تلك الأصوات الخاصة التى لا نسمعها أنهم وضعوا « ميكروفونات » بالقرب من الخفافيش

الطائرة ، ووصلوا هذه الميكروفونات بأجهزة دقيقة تقوم بتحويل الاهتزازات الصوتية التي لا نسمعها إلى اهتزازات كهربائية يمكن إدراكها بطريقة خاصة ، فأثبتت هذه التجارب أن الخفافيش تصدر أصواتاً تتراوح بين ٣٠ و ٧٠ ألف اهتزازة في الثانية ، أي أنها فوق القدرة السمعية للأذن البشرية ، وفي الوقت نفسه قام هؤلاء العلماء الباحثون بفحص أذن الخفاش ، فظهر لهم أن لها من الميزات ما يجعلها قادرة على سماع مثل تلك الأصوات .

ويقال إن الحاسة التي يتفادى بها الخفاش جميع الحواجز التي تعترضه تتركز في لسانه ، فقد لجأ العلماء إلى قطع عصب تحت لسانه فاكتشفوا أنه يصدر أصواتا يتعرف بها على الحواجز التي أمامه بواسطة حركات لسانه(١)

من ذلك نرى أن الطبيعة قد وضعت سراً من أدق أسرارها في مخلوق ضعيف لا يكاد يعيره الإنسان ما هو جدير به من تقدير وإعجاب ، فقد استخدم هذه الطريقة العجيبة في كفاحه من أجل الحياة ، وتغلب على الصعوبات التي تعترض طريقة أثناء تجواله الليـــلي الذي يمارسه بحثاً عن الغذاء .

وهكذا انتهى هذا المقال العلمي في شرح نظرية من أدق نظريات العلم ، وهي نظرية « الرادار » ، واصطنع الكاتب في مقاله هذا لغة سهلة تجنب فيها الإكثار من المصطلحات العلمية التي يشق فهمها على القراء ، وسرد في سبيل ذلك طائفة صالحة من التجارب التي مارسها العلماء ، وشرح هذه التجارب الكثيرة بأسلوب يمتاز بالوضوح والبساطة ، كما يمتاز كذلك بربط ما اشتمل عليه من المعلومات الطريفة بحاجة من حاجات القراء ، هي الرغبة في السلام ، ونزعة من نزعاتهم ، أو غريزة من غرائزهم ، هي غريزة حب الاستطلاع ، وفي ذلك ما أغنى الكاتب عن

---

(١) راجع مقال « عندما يسمع اللسان » في الصحيفة الزراعية عدد ديسمبر ١٩٥٩

سلوك سبيل « القصة » ، أو « الحوار » أو غيرهما من الوسائل الأدبية التى أشرنا إلى بعضها فى غضون هذا الفصل .

ومثل هذه المقالات كثير مما كتبه الدكتور أحمد زكى فى الصحف والمجلات ، وكثير مما أذاعه كذلك من إذاعات ، سارداً فى هذه وتلك شيئاً من قصص العلوم والمخترعات .

ولا يتسع الفصل الذى بين يديك لإيراد أمثلة أخرى توضح لك الطرق التى سلكها الكتاب فى تبسيط العلم ، وتقريبه إلى أذهان العامة ، سعياً وراء هذه الغاية التى تهدف إليها الصحافة ، وهى تثقيف رجل الشارع بمختلف الثقافات ، وتزويده بشتى المعلومات .

كما لا يتسع هذا الفصل لاستيعاب الأنواع الكثيرة للمقال العلمى فإن المقالات العلمية تتنوع بتنوع العلوم ذاتها ، وما أكثرها كما نعرف ، غير أن أشهر ما عنيت وتعنى به الصحف والمجلات المصرية إلى اليوم من أنواع المقال العلمى ما يلى :

١ — المقالة النقدية ، ومن أشهر كتابها : العقاد، والمازنى، وطه حسين .

٢ — المقالة الفلسفية ، ومن أشهر كتابها : أحمد لطفى السيد ، والدكتور منصور فهمى ، والدكتور زكى نجيب محمود .

٣ — المقالة التاريخية ، وهى كثيرة الورود فى الصحافة المصرية ولها كتاب عديدون .

٤ — المقالة العلمية ، ومن أشهر كتابها : الدكتور صروف ، والدكتور أحمد زكى .

٥ — المقالة الاجتماعية ، وكتابها كثيرون أيضاً فى الصحف والمجلات فى الوقت الحاضر ، وكل ذلك تنشره المجلات أكثر مما تنشره الصحف اليومية .

الفصل السابع

المقال الصحفي

اعتاد الباحثون فى الفن الصحفى أن يشبهوا الخبر بالحواس الخمس للإنسان، وهذه الحواس هى وسيلته دائماً للاتصال بالعالم الخارجى ، ومعنى ذلك أن المخبر الصحفى يسجل دائماً ما يشاهده بعينه ، ويسمعه بأذنه ، ويشمه بأنفه ، أى أنه يحس الخبر إحساساً تاماً .

ثم يأتى بعد ذلك دور « المقال الصحفى » كائناً ما كان ، وقد اعتاد الباحثون تشبيهه « بعقل الإنسان » أو « بالمعدة » ، ومعنى ذلك أن وظيفة المقال فى الصحيفة كوظيفة المعدة أو العقل سواء بسواء ، والعقل البشرى هو القادر دائماً على تفسير المحسوسات ، وشرح المؤثرات ، وربط الأحداث بعضها ببعض ، ومن هنا كان الفرق عظيما بين كاتب الخبر ، وكاتب المقال .

فكاتب الخبر ليس له أن يستنبط ، أو يستخرج ، أو يدخل فى موازنات أو يتبرع بالمدح أو بالذم ، وإنما هو مسجل للأحداث ، يعرضها بطريقة تتفق وسياسة الصحيفة .

أما كاتب المقال ــ كائناً ما كان ــ فله أن يوازن بين الصور المختلفة لخبر من الأخبار ليخرج من هذه الموازنة بالقدر من الصواب الذى اشتركت فيه جميع الصحف ووكالات الأنباء ، وله كذلك أن يختار من صور هذه الأخبار صورة يراد بها التأثير فى نفوس القراء ، وعليه تقع هذه التبعة الإخبارية ، كما عليه أن يتولى القيام بتبعات الإرشاد والتوجيه وغيرهما من التبعات الأخرى .

وكلا الرجلين : كاتب الأخبار، وكاتب المقال لا ينبغى لهما – إلا فى الأوقات النادرة ــ الاهتمام بالإحساسات الذاتية قدر الاهتمام بإحساسات القراء .

وبما تقدم تتضح لنا وظائف المقال الصحفى، وهى كثيرة من أهمها مايلى:
أولا — وظيفة شرح الأخبار ، وتفسير الصلة التى بينها وبين الأفراد والمجتمعات ، والتعليق على هذه الأخبار تعليقاً يوضح مغزاها للقارىء .

ثانياً — وظيفة التوجيه والإرشاد ، وذلك على أساس من العلم والمعرفة التامة بموضوع التوجيه ، وإيراد الشواهد القوية من واقع الحياة .

ثالثاً — وظيفة التسلية والإمتاع وإشباع فضول القراء ؛ وذلك فى الموضوعات التى تستأثر باهتمامهم ، وتجتذب التفاتهم .

من أجل ذلك وجب على « مجلس التحرير » فى الصحيفة أن يضم إليه نخبة طيبة من المحررين المتخصصين ، كل فى موضوع من الموضوعات الهامة كالسياسة ، والاقتصاد ، والزراعة ، والصناعة ، والتعليم ، ونحو ذلك . ومعنى هذا فى إيجاز أن على « مجلس التحرير » فى الصحيفة الحديثة أن يكون أشبه بمجالس الكليات فى الجامعة ، وتتألف هذه المجالس عادة من الأساتذة ذوى الكراسى ، عملهم الرئيس توجيه الدراسات المختلفة فى كليات الجامعة ، وإحداث التنسيق التام بين مواد كل كلية من هذه الكليات على حدة .

وهذا كله ما يمكن أن يطلق عليه اسم « تجميع الصحيفة » أى جعلها تأخذ صورة « الجامعة » .

ولا غرابة فى ذلك مادامت الصحافة فى كل أمة من الأمم هى التى يناط بها تثقيف الجمهور ، وإرشاده فى جميع الأمور .

فنون المقال الصحفى وطريقة صياغتها :

المقال الصحفى بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة لا يكاد ينطبق إلا على فنين فقط ، هما : فن المقال الافتتاحى ، وفن العمود ، أما ما عدا ذلك من الفنون الصحفية — عدا الخبر — كالحديث ، والتحقيق ، والماجريات

والطرائف الصحفية ، فهى وإن كانت شبيهة بالمقال الصحفى ، إلا أنها لا تعتبر مقالا صحفياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة .

ومعنى ذلك أننا كما فرقنا بين المقال الأدبى ، والمقال العلمى ، وجعلنا لكل منهما أشكالا ، وجعلنا لكل شكل طريقة خاصة به من حيث التحرير ، فكذلك نجعل المقال الصحفى مقصوراً على مادتين فقط من مواد الصحيفة ، وهما : مادة المقال الرئيس ، ومادة العمود بأشكاله الكثيرة وأغراضه المنوعة .

أما عن صياغة المقال الصحفى — كائناً ما كان — فنحن نعرف أولا أن بين هذين الفنين من فنون الصحافة ، وهما : الخبر ، والمقال — فروقاً هامة من حيث القالب الفنى الذى تصاغ فيه كل مادة من هاتين المادتين على حدة .

فالخبر — وهو شىء مخالف فى طبيعته كل المخالفة للمقال — يصاغ على شكل الهرم المقلوب . بأن تأتى الخلاصة أولا ، ثم تأتى التفاصيل بعد ذلك .

والمقال : وهو فكرة يتلقفها الكاتب إما من الصحيفة نفسها ، وإما من الراديو أو من التليفزيون ، وإما من جهاز استقبال الأخبار Ticker ينبغى أن يصاغ على هيئة الهرم القائم أو المعتدل ، بمعنى أن الخلاصة تأتى فى النهاية دائماً ، وأما الشواهد والتفاصيل والمقدمات فتكون سابقة لذلك .

ومعنى هذا باختصار أن للمقال الصحفى أقساماً ثلاثة ، وهى :

١ — القديم . ٢ — الاستدلال ٣ — النتيجة .

فى حين أن للخبر قسمين فقط ، هما :

(١) الصدر (٢) الصلب أو الجسم .

ومع هذا وذاك فلكل فن من فنون المقال الصحفى سمات خاصة ، وأصول متبعة ، وقواعد يجب على المبتدىء فى تحرير الصحف أن يعرفها

معرفة جيدة ، وقبل أن نخوض فى شىء من ذلك يصح أن نقف قليلا عند موضوع هام يتصل بتحرير المقال هو :

لغة المقال الصحفى :

نعرف أن الصحافة عمل اجتماعى بحت ، وأن اللغة التى تستخدم لهذا الغرض مشتقة من الحياة الواقعة التى يحياها الناس فى المجتمعات ، وهذه الحياة الواقعة تلد للصحافة كل يوم جملة صالحة من الألفاظ والتراكيب التى لا عهد لرجال العلم أو الأدب بها ، والذين مارسوا الصحافة فى أية أمة من الأمم لم يجدوا بدآ من إيثار هذه الألفاظ التى ولدتها الحياة الواقعة ، ومازالت هذه الأمم الكبرى تلد أمثالها إلى اليوم .

وعلى هذا فالمعين الأول الذى يستق منه المعجم اللغوى للصحافة فى كل أمة من الأمم : هو الشعب ، أو شعوب العالم كله حين تضطر هذه الشعوب إلى استحداث ألفاظ تعبر بها عن معان جديدة فى المجال الدولى تارة ، وفى المجال الإقليمى تارة أخرى .

على أن المسألة ليست مسألة الألفاظ المستحدثة فقط ، وإنما هى مسألة التراكيب التى يألفها الشعب نفسه كذلك . وللشعب قدرة عجيبة على صوغ التراكيب الحديثة التى يعبر بها عن بعض التجارب الإنسانية التى تمر به .

ومعنى ذلك أن الشعب يعمل ذوقه فى الألفاظ من جهة ، وفى التراكيب والجمل من جهة ثانية .

ولكن أى طبقة من طبقات الشعب يمكنها عملياً أن تقوم بهذه المهمة المزدوجة ؟ لا شك أنها الطبقة المثقفة التى يقدر أفرادها دائما على نحت الألفاظ الجديدة . والذى لا شك فيه أيضاً أن على محررى الصحف فى كل بلد من بلاد العالم المتحضر يقع العبء الأكبر فى القيام بهذه المهمة التى نتحدث عنها .

والعجب كل العجب أن نرى بعض المجددين فى الأدب يطالبون ملحين بين الحين والحين باصطناع اللهجة العامية فى الكتابة تيسيراً على القراء، وإشراكا لأكبر عدد منهم فى التعليم والثقافة، وما درى هؤلاء المجددون - وهم يتعبون أنفسهم فى هذا السبيل - أن الصحافة الشعبية تقوم لهم بهذا العمل الجليل، وتتقدم كل يوم خطوة جديدة نحو هذه الغاية، ولكن من غير أن تثير عليها ضجة من جانب المحافظين المتزمتين الذين يحمون اللغة الفصيحة من أن يتسرب إليها بعض الألفاظ والجمل التى ليست منها فى الحقيقة.

ورب قائل يقول: ولكن هاتين المقدمتين السابقتين بينهما شىء من التعارض، والواقع أن هاتين، المقدمتين، لا تعارض بينهما، لأنهما تقودان إلى النتيجة المطلوبة. فالمقدمة الأولى تقول: إن الحياة الواقعة تستحدث ألفاظاً وتراكيب جديدة لا عهد لرجال العلم أو الأدب بها، والمقدمة الثانية تقول: إن الفئة المثقفة فى الأمة هى التى تقوم بهذه المهمة المزدوجة. والنتيجة التى تقودنا إليها المقدمتان هى أن الصحافة لابد لها من «صفة الشعبية» فى التعبير: صفة التطور فى الكتابة، وإفساح المجال للجديد من الألفاظ والمعانى التى لم يعرفها القدامى.

أما من حيث الألفاظ فمن ذا الذى يقول إن القدماء كانوا يعرفون كلمات: التأميم، والتدويل، والتصفيع، والتعايش السلمى، والضمان الاجتماعى، والحكم الديموقراطى، والحكم الأوتوقراطى، والنقطة الرابعة، وغير ذلك من الكلمات التى نسمع بها فى الصحف من حين لآخر وسنسمع بغيرها فى المستقبل؟

وأما من حيث التراكيب، فمن ذا الذى يقول: إن القدماء - والمحافظين منهم بنوع خاص - يستسيغون استخدام الأساليب العامية، حين يؤثرها الكتاب والمحررون على الأساليب الكلاسيكية، حتى أن البعد

أو القرب فى الصحافة من المستوى الشعبى فى الكتابة يحدد طوراً من أطوار التحرير الصحفى ، أو يعين مرحلة من المراحل التى يمر بها التحرير فى عهوده المختلفة ؟

من أجل هذا نرى كثيرين من المحررين ـ حتى المحافظين منهم على عربية الأسلوب — يحشون مقالاتهم بالألفاظ والتراكيب العامية والأمثال الشعبية ، ومن الأمثلة على ذلك :

قول بعضهم فى مقام التعبير عن الحيرة : أريد أن أعرف رأسى من رجلى ، وقول بعضهم فى مقام التعجب : ياسلام ! ، وقول بعضهم فى مقام التهوين أو التخفيف من حدة السامع أو القارىء : الدنيا بخير يا أخى !

وقول بعضهم فى معنى الانتقال من حديث إلى آخر : ما علينا ! إلى غير ذلك من آلاف الأمثلة !

ألست ترى معى أن كل هذه الجمل والتراكيب مما يصطنعه الناس فى أحاديثهم الخاصة ، وأنهم لا يكادون يستخدمون غيرها فى مثل هذه المواضع التى أشرنا إليها ؟ .

وأكثر من هذا وذاك أن عنوانات بعض المقالات تأتى أحياناً على شكل صور شعبية لا صلة لها كذلك بغيرها من العنوانات «التقليدية» التى نجدها فى الكتب القديمة أو الحديثة .

ومن الأمثلة على ذلك مقال كتبه الدكتور « طه حسين » فى موضوع التربية والتعليم بعنوان « ولو » رد فيه على الذين يناقشونه آراءه الخاصة به فى هذه الناحية .

وكثير من العنوانات التى يستخدمها كتاب آخرون غير « طه حسين » تكون فى معظمها على شكل مثل عامى ، أو حكمة شعبية ، أو عبارة جارية على الألسن ، ونحو ذلك .

« والخلاصة ، أن المقال الصحفى ينبغى أن يكتب باللغة التى يفهمها أكبر عدد ممكن من الشعب على اختلاف أذواقهم أو أفهامهم ، أو بيئاتهم وثقافتهم ، وهذه اللغة التى هى اللغة القومية — فى صورة من صورها — تمتاز بأشياء منها : البساطة والوضوح ، والإيناس ، واللطف ، والرشاقة ، وتنأى ما أمكن عن صفات التعالى على القراء ، والتقعر ، أو الغرابة فى الأسلوب ، أو المبالغة فى التعمق الذى لا تقبله طبيعة الصحف بحال من الأحوال [1] . .

---

(١) راجع كتاب « الصحافة والأدب فى مصر » للمؤلف « الفصل الثانى » بعنوان : لغة الأدب ولغة الصحافة .

الفصل الثامن

المقال الافتتاحى

يطلق عليه الإنجليز والأمريكيون اسم ، Leading Article أو اسم Editorial Article ، وهو المقال الرئيس للصحيفة ، وله فن خاص به من حيث الصياغة . وأساس هذا الفن هو الشرح ، والتفسير ، والاعتماد على الحجج المنطقية حيناً ، والعاطفية حيناً آخر للوصول إلى غاية واحدة فقط هى إقناع القارىء .

ومعنى ذلك أن المقال الافتتاحى ليس الغرض الأول من أغراضه الإعلام ، ولا ينبغى له أن يهدف إلى السبق الصحفى من هذه الناحية . إنما الغرض الأصلى للمقال الافتتاحى هو الرأى ، وكثيراً ما يكون هذا الرأى تعليقاً على أحدث الأخبار أو الحوادث الجارية ، ومن ثم نرى كاتب هذه المادة الصحفية سريعاً فى تفكيره ، سريعاً فى تعبيره عن رأى الصحيفة فى هذا الحدث أو ذاك ، ولذا وجب عليه دائماً أن يكون واسع الاطلاع ، قادراً على ربط الحاضر بالماضى ، متصلا على الدوام بشتى الصحف والدوريات ، كما يقف الناقد على أحدث الآراء فى النقد ، أو أحدث الكتب فى المادة التى هى موضوع هذا النقد .

وفوق هذا وذاك ينبغى لكاتب المقال الافتتاحى أن يكون على صلة لا تنقطع بالصفوة الممتازة من العلماء والأدباء والمفكرين فى عصره ، وله فى بعض الأوقات أن يكل إلى أحدهم كتابة المقال الافتتاحى فى الموضوع الذى تخصص فيه ، وللصحيفة أن تنشر هذا المقال ما دام يتفق وسياستها ، ويعبر عن غرضها .

ثم إنه لاغنى لكاتب المقال الافتتاحى ، فى أحيان كثيرة ، عن

الارشيف الصحفى ، يرجع إليه كلما أراد الوقوف على الحوادث السابقة والشواهد الماضية ، ويفيد منه فى تقوية المقال ، ويكون الأرشيف الصحفى فى هذه الحالة أشبه شيء بالوثائق والشهود على صدق ما يقول .

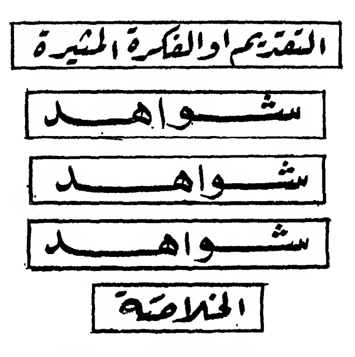
ومهما يكن من شيء فنحن نستطيع أن نتبين فى المقال الافتتاحى هذه العناصر :

(١) عنصر التقديم أو الفكرة المثيرة لاهتمام القارىء .

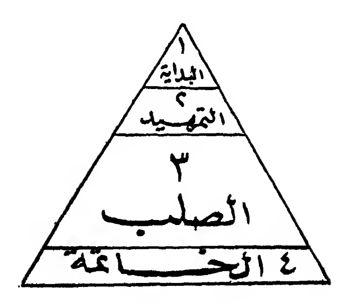
(٢) عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للفكرة .

(٣) عنصر النتيجة أو الخلاصة التى يخرج بها القارىء .

ومن وسائل التوضيح لهذه العناصر عند الباحثين فى الصحافة وضع رسم كالآتى :



ومن وسائل التوضيح لهذه العناصر التى يتألف منها المقال الافتتاحى وضع رسم كذلك على النمط الآتى :



خصائص المقال الافتتاحي :

نستطيع أن نقول إن للمقال الافتتاحي سمات خاصة يعرف بها ، وخصائص فنية تتوافر له ، ومن هذه الخصائص ما يلي :

أولا — خصيصة الثبات على سياسة واحدة هي سياسة الصحيفة ، إذ لا يصح لهذه الصحيفة أن تكون متذبذبة بين سياسات كثيرة ،لأنها بذلك تفقد أهميتها كصحيفة من صحف الرأي .

ومن أجل هذا يراعى فى المقال الافتتاحي عادة ألا يكون مذيلا بتوقيع كاتبه ، لأنه مقال منسوب إلى الصحيفة نفسها بوصفها هيئة من هيئات الإعلام ، لها سياستها وهدفها من وراء هذا الإعلام .

ثانياً — خصيصة الحذر والاحتياط فى إبداء الرأى ، لأنه ما دام رئيس التحرير أو كاتب المقال الافتتاحي لا يعبر عن رأيه الشخصي ، بل عن رأى الصحيفة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وظيفتها — الإعلام — كما قلنا ، يجب عليه أن يصطنع الحيطة فيما يكتب من مواد باسم الصحيفة : وإلا عرّضها للخطر الداهم .

والحقيقة أن كاتب المقال الافتتاحى ليس مطالباً كل يوم بذكر آراء صريحة فى كل مشكلة من المشكلات التى تهم المجتمع ، بل إنه أشبه بالقاضى العدل ، يجوز له أن يؤخر حكمه فى القضايا المعروضة أمامه حتى تتجمع لديه الأدلة الكافية ، والشهود العدول ، والبراهين المؤيدة لوجهة النظر التى ينتهى إليها فى كل قضية من القضايا .

وبعبارة أخرى — يجب على كاتب المقال الافتتاحى أن يفكر مرتين عندما يشرع فى كتابة هذا المقال : مرة بوصف أنه كاتب لهذه المادة الصحفية الهامة،والأخرى بوصف أنه معبر عن رأى الصحيفة التى يكتب هذه المادة لها وباسمها .

وهنا تثار مسألة تتصل « بضمير الكاتب » فهل معنى ما تقدم من الكلام أن الكاتب ينبغى أن يخالف ضميره فيما يقدم للقراء من هذه المادة الصحفية الهامة التى قلنا إنها ملك للصحيفة قبل أن تكون ملكا لكاتب من كتابها ؟

والجواب على ذلك صريح واضح ، وهو أن الكاتب الذى يختلف فى وجهة نظره عن وجهة نظر الصحيفة يجب ألا يجعل من المقال الافتتاحى مجالا لإظهار ذلك .

على أننا لا نعرف من أصحاب الصحف أو رؤساء التحرير من يفرض على كاتب من كتاب الصحيفة أن يكتب المقال الافتتاحى فى موضوع لا يوافق عليه الكاتب ، ولا يتفق فيه إطلاقاً مع سياسة الصحيفة، وسنعود إلى الكلام عن هذه المسألة الهامة بعد قليل .

ثانياً — خصيصة التبسط فى الحديث والإيناس فى السرد ، ومعنى ذلك بعبارة موجزة أن حديث الكاتب فى المقال الافتتاحى لا يجوز مطلقاً أن يأتى عن طريق الاستعلاء الذى يحس به القارىء عند القراءة ، بل ينبغى أن يأتى عن طريق الملاحظة ، وشعور الكاتب والقارىء معاً بأنهما صديقان يتحدثان حديثاً يهم كل واحد منهما بقدر ما يهم الآخر ، وليس

المقال الافتتاحى فى الواقع إلا محاولة هادئة لجذب القراء ، وإشعارهم بأنهم شركاء فى حل المشكلات العامة ، وتوجيه السياسة التى تتبعها الدولة ، أو يتّبعها المجتمع ، فإذا شعر القارىء يوما ما بغير هذا الشعور انصرف عن الصحيفة ، ولو كان الحق معها ، والصواب فى جانبها .

رابعاً — خصيصة الإقناع عن طريق الشواهد والأمثلة المشتقة — كما قلنا — من الأحداث الجارية فى الحاضر ، والأحداث التى جرت فى الماضى ، والتجارب الإنسانية التى يختزنها الكاتب فى ذاكرته إما بطريق الممارسة ، وإما بطريق الاطلاع ، ولهذه الشواهد والأمثلة حيز كبير فى المقال الافتتاحى ، وهى مجال واسع يتبارى فيه كتاب الصحف ، ويظهر فيه علمهم واطلاعهم ، ووقوفهم على التاريخ العام والتاريخ الخاص .

خامساً — خصيصة الجدة الزمنية ، أو مسايرة المقال للأحداث ، ومعنى ذلك أنه ينبغى للمقال الافتتاحى أن يعالج موضوعات الساعة ، ومشكلة اليوم ، ويهتم بالأفكار التى تشغل أذهان الناس وقت ظهور الصحيفة . .

وبذلك تضمن الصحيفة أن يكون لها قراء ينتظرون رأيها فى كل حادثة تحدث لهم ، أو فكرة تولد بينهم ، أو وضع من الأوضاع السياسية أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية يراد نقلهم إليه .

سادساً — خصيصة التوجيه والإرشاد ، وهى شىء يختفى دائماً وراء أسلوب الكاتب ، فلا ينبغى أن يكون فى شكل موعظة ، أو نصيحة ، أو أمر ، أو نهى أو زجر ، أو تعليمات يبعث بها الكاتب من فوق منبر الصحيفة ، ليحاول أن يؤثر بذلك فى الرأى العام .

إنما الكاتب الصحفى — كما قلنا ذلك مراراً — صديق القارىء وشريكه فى تكوين هذا الرأى .

ومع هذا وذاك فإن كثيراً من الصحف التى تعتبر نفسها «صحف رأى» ،

لا تحاول أن تنزل إلى مستوى العامة بقدر ما تحاول أن ترفع العامة إلى مستواها ، وتلك مهارة صحفية لا تستعصى على كثيرين من الكتاب متى قصدوا إليها ، وكانت سياسة صحفهم ترمى إلى ذلك .

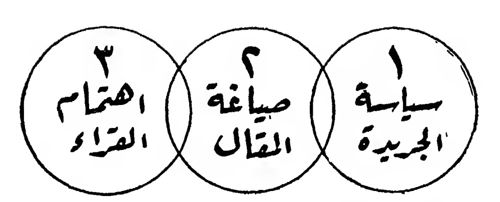
سابعاً — عنصر التسلية والإمتاع والترفيه ، فلا يقتصر المقال الافتتاحى على المسائل الكبيرة وحدها ، بل يتناول كذلك بعض المسائل الخفيفة ، والموضوعات الطريفة ، وآية ذلك أننا نجد الصحف الموقرة فى مصر وانجلترا تنزع أحياناً إلى موضوعات لها مثل هذا الطابع الذى أشرنا إليه ، وهو الطابع الممتاز بخفة الروح ، وبراعة النكتة ، وطرافة الفكرة .

ومهما يكن من شىء فينبغى أن نذكر دائماً أن للمقال « وحدة »مستقلة ، ومعنى ذلك أنه ليس مجرد سرد للحقائق ، أو إتيان بالشواهد ، أو إيراد للأمثلة ، ولكنه وسيلة للتعبير عن رأى من الآراء ، أو مذهب من المذاهب ، فلا ينبغى أن يحشى بحقائق يزحم بعضها بعضاً أو تتراكم تراكما يحول دون فهم الرأى الذى يبسطه الكاتب ، أو الفكرة التى كتب من أجلها المقال ، كما ينبغى للمقال الصحفى أن يكون ذا موضوع معين ، وغاية واحدة ، ولا بد من معالجته بطريقة يظهر بها المقال كأن له وحدة مستقلة بذاتها ، كما قلنا (١) .

ويجب باختصار أن يعرف المحرر الصحفى للمقال الافتتاحى أن هناك ثلاثة أشياء يؤثر بعضها فى بعض ، ويعتمد بعضها على بعض ، ويتداخل بعضها فى بعض كتداخل هذه الدوائر المرسومة .

---

(١) غير أننا نرى بعض الصحف — فى الوقت الحاضر — قد درجت على كتابة موضوعات كثيرة فى المقال الافتتاحى الواحد ، وإن كانت الصلة واضحة بين أكثر هذه الموضوعات فى أغلب الأحوال .



وهذه الأشياء الثلاثة هى :

سياسة الجريدة ، وصياغة المقال ، واهتمام القراء .

فعلى كاتب المقال الافتتاحى أو الرئيس فى الصحيفة أن يتصور هذه الدوائر فى كتابته دائماً ، حتى يبلغ بمقاله الدرجة التى تسعى لها الصحيفة ، وينتفع بها القراء .

ولنضرب لذلك مثلا يوضح مدى هذا التداخل ، وكيف تحاول الصحيفة تنفيذه بما يحقق شخصيتها التى امتازت بها بين سائر الصحف .

وهذا المثل هو «القمر الروسى» ، وليس من شك فى أن هذا الموضوع قد أثار اهتمام القراء فى العالم كله ، فلا مفر إذن من أن يكون موضوع المقال الأفتتاحى فى جميع الصحف على اختلافها ، وبذلك يتحقق الركن الثالث من هذه الأركان أو الدائرة الثالثة من هذه الدوائر ، وهى الدائرة الخاصة باهتمام القراء .

غير أن الصحف تختلف سياستها فى البلد الواحد : فصحيفة يسارية تجنح إلى روسيا وإلى جميع الأفكار التى ترد منها ، وصحيفة يمينية تجنح إلى أمريكا وإلى جميع المذاهب التى تصدر عنها ، وصحيفة وسط بين طرفين :

فأما الأولى ، وهى اليسارية ، فإنها تبرز هذا الخبر بطريقة تلفت النظر ،

وتمنحه من العناية ما يشعر القارىء بأنه من أهم أخبار العالم ، وأما الصحيفة الثانية — وهى اليمينية — فإنها لا تأبه له إلا بالقدر الذى يقف عند حد الإعلام ، ثم تسكت عند هذا الحد ، فلا تختار له المكان البارز من الصحيفة ، ولا تسرف فى وصفه أو التعليق عليه .

وأما الصحيفة الثالثة — وهى الوسط — فتهتم بالخبر اهتماماً وسطاً كذلك ، وهكذا يسير العمل فى الدائرة الأولى من الدوائر الثلاث ، ونعنى بها الدائرة الخاصة بسياسة الجريدة .

ثم إن الاختلاف يقع بين هذه الصحف الثلاث كذلك من حيث الصياغة : فالصحيفة الأولى تعتمد على التهويل ، والمبالغة ، والإنذار ، والتهديد ، والوعيد ، والطنطنة ، وخلق اليأس من مجاراة الروس فى ميدان العلم ، والثانية تعتمد على المواربة والتهوين من شأن هذا الاختراع الجديد ، وعلى الأمل الكبير فى اللحاق بهذا القمر الروسى متى أرادت أمريكا شيئاً من ذلك وقصدت إليه ، والثالثة تعتمد على الحذر والاحتياط فى الحديث ، وعلى التوسط بين المدح والذم ، أو الإسهاب والاقتضاب ، وبين الرجاء واليأس .

الصفات التى ينبغى توافرها فى كاتب المقال الافتتاحى:

على أن كاتب المقال الافتتاحى ليس كالأديب ، وإنما هو شخص آخر لا يعبر عن آرائه الذاتية ، بل يتقيد بآراء الصحيفة التى ينتمى إليها ، أو الحزب الذى تدافع عنه الصحيفة .

ولكى يكون هذا الكاتب ممتازاً فى هذا اللون من ألوان التحرير ، يحسن أن يكون متمتعاً بصفات ، منها :

أولا — أن يكون ذا حاسة صحفية دقيقة يتذوق بها الأحداث الجارية فى محيطه ، والأحداث الجارية فى خارج هذا المحيط ، وعلى قدر حظه من

هذه الحاسة دائماً يكون نجاحه فى كتابة المقال الافتتاحى ، وخاصة إذا كان فى المجال السياسى .

ثانياً — أن تكون له حاسة تاريخية كذلك يستطيع بها ربط الماضى بالحاضر ، وبها يستطيع أيضا أن يتكهن بالمستقبل ، ومن ثم كان التاريخ عنصراً هاما من عناصر ثقافة الصحفى ، وذلك ما تلاحظه معاهد الصحافة فى العالم .

ثالثا — أن يكون ذا ثقافة عريضة ، ولا بأس أن تبدو فى بعض مواضعها عميقة ، فهذه الثقافة — التى يعتبر التاريخ جزءا واحدا منها — يستطيع الصحفى البارع أن يقف على المعلومات التى تمكنه من الحكم الصائب ، والنظر الصادق ، والتوجيه السليم .

وهنا نذكر — مع الأسف — أن أهم مايميز الصحافة الأجنبية عن الصحافة المصرية إلى يومنا هذا إنما هو صفة « التخصص » .

فالمقال الافتتاحى فى صحيفة انجليزية أو فرنسية إنما يكتبه رجل مختص فى نوع الموضوع الذى يخوض فيه المقال الافتتاحى ، فإن كان المقال اقتصاديا كتبه شخص اقتصادى ، وإن كان سياسيا كتبه شخص سياسى ، وهكذا .

رابعا — وهو خلاصة ما تقدم من الصفات — ينبغى أن يكون كاتب المقال الافتتاحى ذا حاسة اجتماعية مرهفة ، أوقدرة بالغة على الانغماس فى المجتمع ، وموهبة فى الحديث والإيناس والملاطفة ، ونحو ذلك من الخصال التى تمكنه من الوقوف على حقيقة الرأى العام .

وكل ذلك مع مراعاة تامة لمصلحة الصحيفة التى يكتب فيها ، فإذا آنس من نفسه أنه عاجز عن مراعاة هذه السياسة ، أو حدث أن تعارض ضميره مع مصلحة الصحيفة ، فخير له أن يستقيل فوراً من عمله الصحفى بوصفه كاتباً للمقال الرئيس .

وهذا معنى قولنا فيما تقدم : إنه ينبغى لهذا الكاتب أن يتصور الدوائر الثلاث فى ذهنه دائماً ، وهى : دائرة السياسة العامة للجريدة ، ودائرة الطريقة العامة لكتابة المقال الافتتاحى ، ودائرة اهتمام القراء .

وقد جرى الكثير من الصحف الهامة على سنة لا بأس بها فى كتابة المقال الرئيس ، وهذه السنة هى عقد اجتماع فى دار الصحيفة يضم أعضاء التحرير فيها لمناقشة الموضوع الهام الذى يعرض له المقال الرئيس ، حتى إذا انفض الاجتماع ، وجلس رئيس التحرير لكتابة المقال ، أمكنه أن يعبر تعبيراً صادقاً عن سياسة الصحيفة ، غير أن هذه الطريقة لا تتبع عادة إلا فى المسائل الهامة ، أو المشكلات الخطيرة ، أو الحالات التى ترى فيها الصحيفة — لسبب ما — أنه لا بد من تغيير سياستها العامة .

أهمية المقال الافتتاحى فى الصحافة :

يقول علماء الاجتماع : إن الظروف والأحداث التى تمر بالإنسان ، والتغيرات التى تطرأ على المجتمع لا يمكن أن تكون لها دلالة ما ، أو يكون لها فى كيان الفرد أو المجتمع أثر ما إلا إذا وعاها الفرد وأدركها وقدّرها وكيّفها ، فإذا لم يحدث من ذلك شىء ظلت هذه الظروف والأحداث والتغيرات بعيدة عن وجدان الناس ، بل أصبحت فى حكم العدم .

وهنا تظهر أهمية الكاتب الموجه ، والصحفى اليقظ ، حين ينتهز كل منهما كل فرصة ليتحدث عما وراء الأخبار ، وعما يحمل كل خبر منها من مغزى ، وبهذه الطريقة يستطيع الأفراد كما تستطيع الجماعات أن تحل مشكلاتها التى تعرض لها ، سواء أكانت هذه المشكلات نفسية ، أم اقتصادية ، أم سياسية ، أم اجتماعية ، ويكون الفضل فى كل ذلك راجعاً إلى الصحافة ، أو إلى ذلك الكاتب الذى انبرى للكتابة فى الوقت المناسب ، وأخذ يزج بنفسه فى تلك المشكلات ، وإن لم يكن من الأفراد الذين تناولتهم كل مشكلة منها ، أو اشتركوا فى إحداها على أية صورة

من الصور ، بينما قد لا يشعر أصحاب هذه المشكلات التى أحاطت بهم أنه قد أصبح لها أثر فى حياتهم ، وذلك لانعدام الوعى من جهة ، ولعجزهم عن تصور حياة أفضل ؛ أو حالة أحسن من جهة ثانية .

إنه حين تحرص صحيفة من الصحف فى بلد من البلاد على أن تكون « صحيفة رأى » أكثر منها « صحيفة خبر » نراها تعمد إلى المقال من حيث هو ، وتعطى عنايه تامة للمقال الرئيس ، أو المقال الافتتاحى بنوع خاص .

وقد كان هذا النوع من المقالات الافتتاحية منذ نشأة الصحافة — كما يؤخذ ذلك من اسمها — يحتل أول صفحة من صفحات الجريدة ، ويكون أول شىء يطالعه القراء فيها ، ولم تتزحزح المقالة الافتتاحية عن مكانها الممتاز من الصفحة الأولى إلا فى وقت قريب ، أى منذ انحازت الصحافة الحديثة فى الفترة الأخيرة إلى الخبر ؛ وقلت عنايتها نوعاً ما بالمقال .

وليس شىء أدل على أهمية المقال الافتتاحى منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا — ولا يزالون — نوابغ الصحافة فى كل أمة من الأمم ؛ بل فى كل فترة من فترات التاريخ .

فى الصحافة المصرية كان يكتب المقال الافتتاحى للمجلة أو للصحيفة أمثال : محمد عبده ، وأديب إسحق ؛ وعبد الله النديم ، وإبراهيم المويلحى ؛ والسيد على يوسف ، والزعيم الشاب مصطفى كامل ، والأستاذ أحمد لطفى السيد ، والأساتذة : عبد القادر حمزة ، وأمين الرافعى ، وإبراهيم المازنى ، ومحمد حسين هيكل ، وغيرهم من أساطين الأدب ، والفكر ، والصحافة جميعاً .

وفى الصحافة الإنجليزية وجدنا المقال الرئيس مكتوباً بأقلام ديفو ، وأديسون ، وستيل ؛ وجونسون ، وويلكز ، وجونياس أو « الصحفى المجهول » وأضرابهم .

وفى الصحافة الأمريكية لمعت أسماء صمويل آدمز ، وجون آدمز ، وجيمس أوتز ، وجوزيف وارين ، وصمويل كوبر ، ورالف أمرسون ، وغيرهم من قادة الشعب الأمريكى .

وقل مثل ذلك فى الصحافة الفرنسية ، والصحافة الألمانية ، والصحافة الروسية .

وكان للمقال الافتتاحى فى غير هذه الأيام التى نعيش فيها الآن شأن عند جميع الأمم الناهضة أكبر من شأنها فى الوقت الحاضر ، بل إن المقال الافتتاحى كان ينظر إليه دائماً على أنه الأداة الأولى للتقدم ، والوسيلة الوحيدة للإرشاد ، والطريق الصحيح للأخذ بيد الأمة التى تريد لنفسها صيانة الشعب من جميع المؤثرات الضارة به ، وبأفكاره وتقاليده ، مادام فى صيانتها صمام الأمن ، والسلام والسلامة من هذه الأضرار .

ويمكن بإيجاز أن يقال إن الصحافة فى العالم كله لا تستطيع القيام برسالتها الوطنية ، أو الإنسانية ، بأسهل ولا بأوضح من طريق المقال الرئيس ، وهو المقال التوجيهى الذى ترمقه الأبصار ، وتستريح إليه العقول والأفهام .

ولكن على الرغم من ذلك نرى المقال يتخلف فى أيامنا هذه تخلفاً كبيراً عن الخبر الصحفى ، وربما كانت لذلك أسباب كثيرة ، من أهمها النزاع بين الكتلتين الشرقية والغربية ، أو بعبارة أخرى : الخوف من الخطر الشيوعى !

وفى إحصائية قام بها معهد جالوب Gallub بأمريكا ظهر أن ١٩ ٪ فقط من الرجال و ١٠ ٪ فقط من النساء يعنون بقراءة المقال الافتتاحى .

وفى بحث قيم للأمريكى روبيرت راند Robert Rand دراسة قيمة لميول القراء حول موضوع المقال الافتتاحى لثلاثين صحيفة من صحف أمريكا ، وقد خرج الباحث من هذه الدراسة بأن قراء المقال الافتتاحى

فى صحف أمريكا لا يتجاوزون ١٨,٨ ٪ وأن ٧٨,٩٪ منهم يلقون نظرة عجلى إلى المقال دون قراءته من أوله إلى آخره !

فإذا كان هذا هو الشأن فى بلاد كأمريكا ، فما ظننا بقراء المقال فى بلاد كمصر أو فى أى قطر من أقطار الشرق ؟

وكم نود أن يجرى العلماء عندنا بحوثاً كهذه البحوث ليقيسوا بها ميول القراء المصريين ورغبتهم فى قراءة الخبر أو المقال ، وإن كنا نستطيع أن نتكهن منذ الآن بأن نسبة قراء المقال فى مصر لاتكاد تزيد عن ٣ أو ٤ أو ٥ ٪ على أكثر تقدير .

ولكن ليس معنى ذلك أن الصحيفة يحسن بها أن تعدل عن المقال ، أو أن ذلك يقلل من قيمة المقال ؟ كلا لا ينبغى مطلقاً أن تزعجنا هذه النسبة القليلة لقراء المقال فى الصحيفة ، فنحكم حكماً قاسياً على المقال بأنه قليل الأهمية بالقياس إلى الخبر فى الصحيفة .

لايصح أن يزعجنا ذلك ، فإنما الصحيح هو العكس ، إذ يجب علينا أن نلاحظ أن عدد القراء المستنيرين فى كل أمة لا يزيد غالباً عن هذه النسب التى أشرنا إليها ، وذكرنا أمثلة منها .

ومع أن هذا العدد من المستنيرين قليل فى الأمة دائماً ، فإن هذه القلة هى صاحبة الحل والعقد ، وهى وحدها القادرة على قيادة الأمة فى كل وقت .

من أجل ذلك نجد فى كل أمة من الأمم نوعين من الصحف عادة : صحافة يكتبها الصفوة للصفوة ، وصحافة يكتبها الدهماء للدهماء .

الأولى : وهى صحافة للصفوة الصفوة ، صحافة حقيقية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى .

والأخيرة : وهى صحافة الدهماء للدهماء ، سلعة من السلع ، لاأكثر ولا أقل !

ولنضرب المثل هنا بصحافة انجلترا : فإن صحيفة التيمس لا توزع أكثر من ٤٠٠ ألف نسخة ، بينما توزع صحيفة الديلى ميرور أكثر من أربعة ملايين نسخة ! ومع هذا وذاك فإن التيمس فى نظر الحكومة الإنجليزية ، ونظر الشعب الإنجليزى أعظم أهمية من الديلى ميرور ، ذلك لأن صحيفة التيمس هى صحيفة التوجيه والإرشاد عن طريق المقال الافتتاحى ، ومن أجل ذلك لا تفرض الحكومة الإنجليزية الرقابة على هذه الصحيفة فى الوقت الذى تفرض هذه الرقابة على غيرها من الصحف الأخرى وتأخذ الحكومة الإنجليزية نفسها بهذه الخطة حتى فى أوقات الحروب والمحن ؛ ثقة منها بأن قسم تحرير التيمس شريك لها فى الشعور بالمسئولية . وشريك لها فى وضع السياسة الإنجليزية ، داخلية كانت هذه السياسة أم خارجية .

وبعد ، فقد مر المقال الافتتاحى أو الرئيس فى الصحافة المصرية بطورين :

أولهما — كانت فيه المقالة الرئيسة تحتل الصفحة الأولى ، وكانت المقالة الرئيسة فى هذا الطور طويلة مسرفة فى الطول ، حتى لقد بلغت فى بعض الأحيان نحواً من أربعة آلاف كلمة (١) ، وكثيراً ما كانت تذيل بتوقيع الكاتب .

ثانى الطورين — أصبحت فيه المقالة الرئيسة تحتل مكاناً آخر غير الصفحة الأولى — منذ تركت هذه الصفحة للأخبار الخارجية — كما أصبحت لا تحمل توقيع الكاتب ، ولا يصح أن تحمل هذا التوقيع ، وأما من حيث الطول فقد امتازت المقالة الرئيسة فى هذا الطور بالقصر ، بحيث لا يمكن أن تتجاوز — بشكل ما — ستمائة وخمسين كلمة على الأكثر .

---

(١) انظر مقالا للسيد على يوسف بعنوان « حفلة الوداع » ، وخطبة اللورد كرومر ، نقلا عن جريدة المؤيد ، العدد ٥١٥٧ ، بتاريخ ٧ مايو سنة ١٩٠٧ .

ذلك أن المقال الرئيس فى الطور الأخير أصبح يكتب فى عمود واحد من أعمدة الصحيفة ؛ وفى هذا العمود مقال واحد حينا ، ومقالان أو ثلاثة حيناً آخر .

وغنى عن البيان أن الصحافة الحديثة عمدت إلى كتابة العمود الرئيس، أو المقال الافتتاحى على النحو المتقدم لكى تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الأخرى التى لم تعرفها الصحافة القديمة ؛ أو كانت معرفتها بهذه المواد قليلة . ومن هذه المواد التى عنيت بها الصحافة الحديثة مادة الحديث الصحفى ، ومادة التحقيق الصحفى ، ومادة الماجريات الصحفية على اختلافها ، ثم أخبار الرياضة ، والكتب ، والمسرح ، والسينما ، وما إلى ذلك .

وهذا ما نجده فى الصحف المصرية فى يومنا هذا ، أما الصحف الإنجليزية — على سبيل المثال — فصفحة المقال الافتتاحى بها تتألف عادة من عدة أعمدة ، فنرى هذه الصفحة بجريدة التيمس وبها المقال الافتتاحى — غالبا — يتألف من أربعة تعليقات ، هى :

١ — التعليق السياسى .

٢ — التعليق الاقتصادى .

٣ — التعليق الاجتماعى .

٤ — تعليق خفيف .

هذا مع ملاحظة أن المقال الافتتاحى يختلف فى الصحف الشعبية الإنجليزية عنه فى الصحف غير الشعبية ؛ فهو ينشر عادة فى الصفحة الأولى على اليسار فى الصحف الشعبية مثل صحيفة « ديلى ميل » الصباحية ، وصحيفة « ديلى اكسبريس » الصباحية أيضاً .

أما الصحف الإنجليزية الرفيعة فتنشر المقال الافتتاحى غالباً فى الصفحة الرابعة أو الخامسة على الشمال تحت عنوان Comment ، ومن هذه الصحف الأخيرة صحيفة « التيمس » ، وصحيفة « الديلى تلغراف »

الفصل التاسع

العمود الصحفى

لاتجد فناً من الفنون يخضع لتطور الحياة كما يخضع له فن الصحافة ، ذلك لأن الصحافة إنما خلقت لتخدم المجتمع ، وتعبر عن أفكاره ، وتساير أهواءه ، والمتأمل فى تطور الصحافة فى العالم يجد علاقة كبيرة بين ظهور « العمود الصحفي » ورغبات القراء ، كما تظهر فى اضطرارهم إلى السرعة فى القراءة ؛ وإيثار المواد القصيرة التى تعطيهم الشيء الكثير فى الزمن القصير ، ثم تردهم سريعاً إلى هواياتهم الخاصة ، أو إلى مشاغلهم الكثيرة ، أو إلى عملهم اليومى .

ولقد كانت الصحافة المصرية إلى أوائل القرن العشرين صحافة مقال من أولها إلى آخرها ، وكان المقال الصحفي يشغل حيزاً كبيراً جداً من الصحيفة ، بل كثيراً ما وجدنا « النديم » وأمثاله من الصحفيين يصدر الواحد منهم عدداً كاملا يتألف من مقال واحد ، وإذا ذهبت تقيس هذا المقال بما تجده فى الكتب نفسها رأيته لا يقل فى مساحته عن فصل أو فصلين من فصول الكتب العلمية أو الأدبية فى أيامنا هذه .

وكمصر فى هذا الاتجاه نحو المقال غيرها من البلاد الأخرى مثل انجلترا وفرنسا ، وقد أشرنا فى بعض مواضع هذا الكتاب إلى الفترة التى كانت فيها الحكومة الإنجليزية تفرض الضرائب على الأخبار ، وتعفى منها المقال ، وإلى الأثر الذى أحدثته هذه السياسة فى شكل الصحيفة إذ ذاك .

وهكذا تخضع الصحافة فى مصر لمثل الظروف التى تخضع لها الصحافة فى غيرها من الأقطار الأخرى ، وهكذا نرى أن الصحيفة التى اقتصرت فى الماضى على الخبر والمقال بدأت بعد ذلك تحفل بألوان أخرى من المواد ؛

كالفكاهات ، والرسوم الكاريكاتورية والأعمدة الصحفية ، والأحاديث والتحقيقات ، وغير ذلك .

ويظهر أن العمود الصحفى لم يشتد ظهوره فى مصر إلا فى المرحلة الرابعة من مراحل الصحافة المصرية ، وهى المرحلة التى تقع على وجه التقريب بين عامى ٢٢ و ١٩٤٢ ، ثم تعددت أشكاله فضلا عن ذلك .

تعريف العمود الصحفى وخصائصه :

لكن ما المقصود بالعمود الصحفى عند إطلاقه ؟ وما هى الصورة التى كان عليها العمود منذ نشأته ؟ وكيف تنوعت أشكال العمود وصوره فيما بعد ؟

سنجيب على السؤالين الأخيرين من هذه الأسئلة الثلاثة تمهيداً للإجابة على السؤال الأول :

كان العمود فى نشأته عبارة عن فكرة أو رأى، أوخاطر من الخواطر يرد على ذهن الكاتب ، فيكتب فيه سطوراً قليلة ، وكثيراً ما كان هذا الرأى أو الخاطر يدور حول واقعة ، أو ظاهرة وقع عليها نظر المحرر فى المحيط الذى يعيش فيه ، ومعنى ذلك أن العمود الصحفى فى بداية الأمر كاد لا يتعدى المحيط الاجتماعى ، ومثله عمود « ما قل ودل » فى الأهرام أو فى « الأخبار » لأحمد الصاوى .

ثم سرعان ما لاحظنا أن العمود الصحفى أصبح موزعاً فى الصحيفة المصرية على أبواب كثيرة : فهناك العمود السياسى فى صفحة السياسة الخارجية ، ومثله عمود « ما وراء الأخبار » الذى كانت تنشره صحيفة «الزمان» فى صفحة السياسة الدولية ، وهناك العمود المسرحى ،أوالسينمائى ، ومثله العمود الذى عنوانه : « رأيت أمس » وكانت تنشره « مى شاهين » بصحيفة الأخبار .

ثم هناك العمود الرياضي ، والعمود الزراعي ، والعمود الاقتصادي ، وهكذا .

وأكثر من هذا وذاك أننا وجدنا العمود الصحفي يستقل بموضع من مواضع الصحيفة يتعود عليه القراء ، ويطالعون فيه رأى الكاتب في الأبواب المختلفة من سياسة ، واجتماع ، وأدب ، وعلوم ، واقتصاد . كما نجد ذلك في الأهرام والأخبار بعنوان : « ما قل ودل » لأحمد الصاوى ، وفي الأخبار بعنوان : « نحو النور » لمحمد زكى عبد القادر ، وفي الأخبار كذلك بعنوان : « فكرة » لعلى أمين ، وفي صحيفة القاهرة بعنوان : « بين السطور » لحافظ محمود ، وفي صحيفة الجمهورية بعنوان : « خاطر الصباح » لأحمد قاسم جوده .

وإذن فليس هناك فرق بين المقال والعمود من حيث الموضوع . فكلاهما يعالجان جميع هذه الأمور ، وكلاهما يخوضان كل هذه الميادين ، ومعنى ذلك أنه من الصعب علينا أن نميز بين هذه الفنون الثلاثة ، وهي : العمود ، والمقال ، والقصة الإخبارية ، على أساس الموضوع ، وإذن فلنبحث عن أساس آخر يمكن أن تقوم عليه هذه التفرقة .

ألا يكون الفرق بينهما آتياً من ناحية الأسلوب ؟

إن المواد الصحفية يمكن تقسيمها على أساس الأسلوب إلى قسمين :

الأول — القصة الإخبارية التي تطغى عليها الناحية الموضوعية ، والتي لا تذيل غالباً بتوقيع كاتبها ، لأن القصة الإخبارية الواقعة في الحقيقة إنما يشترك في كتابتها أفراد عديدون في الصحيفة الواحدة .

والثاني — المواد غير الإخبارية ، وهي المواد التي يذيل معظمها بتوقيع كاتبها ، ولا يختفي الطابع الشخصي في الكثير منها ، ومثلها العمود الصحفي على اختلاف ألوانه ، ولا يستثنى من ذلك غير « المقال الافتتاحي » الذي قلنا إنه يعبر عن سياسة الصحيفة ، ولا يكون عليه توقيع كاتبه إطلاقاً .

وعلى هذا لا نجد الفرق واضحاً كذلك بين العمود والمقال على أساس الأسلوب، وإذن فلنبحث عن أساس ثالث يمكن أن تقوم عليه هذه التفرقة.

وليكن هذا الأساس الأخير هو «الشكل» أو «المساحة» التى تخصص لكل مادة من مواد الصحيفة على حدة.

ومن اليسير علينا أن نلاحظ أنه بينما يجرى تنظيم الصفحة الواحدة من صفحات الصحيفة بطريقة توفر المساحة التى يشغلها العمود، بحيث يضاف إليه جزء، أو يبتر منه جزء ليوضع فى صفحة أخرى، إذ بنا نرى القصة الخبرية، أو المقالة الصحفية، تبتر منذ بدايتها وتوزع على أكثر من موضوع واحد، أو صفحة واحدة من صفحات الجريدة التى تنشر فيها.

أى أننا إذا أنعمنا النظر فى شكل العمود، وشكل المقال، وجدنا أن الأول يمتاز بصغر المساحة التى يشغلها من الصفحة بالقياس إلى الثانى، وهذا هو أول الفروق الواضحة بينهما.

وثم فرق آخر بينهما كذلك من حيث الشكل؛ وهو أن العمود ينشر دائماً تحت عنوان ثابت، وفى مكان ثابت من الصحيفة لا يتغير أبداً.

وهناك فرق ثالث — أشرنا إليه قبل الآن — وهو أن العمود ينبغى أن يكون له توقيع، وإن كان هذا التوقيع له صور كثيرة — كما سنرى فيما بعد — على حين أن المقال الافتتاحى، بوجه خاص، لا ينبغى أن يحمل توقيع الكاتب.

بعد هذا نستطيع أن نقدم تعريفاً للعمود الصحفى فنقول:

«إنه المادة الصحفية التى تتسم دائماً بطابع صاحبها، أو محررها فى أسلوب التفكير، وأسلوب التعبير، ولا تتجاوز فى مساحتها عموداً

صحفياً على أكثر تقــدير ، وتنشر بانتظام تحت عنوان ثابت ، وتوقيع ثابت هو توقيع المحرر » .

وتوقيع العمود الصحفي قد يكون بالاســم كاملا ، وهو السائد فى الأعمدة ، أو بالاسم الأول فقط ، أو بالحرف الأول فقط ، كما فى العمود الذى كانت تنشره صحيفة المصرى بتوقيع « ج » تحت عنوان « تعليق » ، وفيه يعقب المحرر على السياسة الخارجية ، وقد يكون التوقيع بالرموز ؛ كتوقيع « الحاج سيد » تحت عمود « بالبلدى » فى صحيفة الجمهورية عند أول ظهورها ، وتوقيع « دولى » تحت عمود « ماوراء الأخبار » فى صحيفة « الزمان » وتوقيع « ديدبان » للدكتور محمود عزمى بصحيفة « الأهرام » وقد يكون توقيع العمود الصحفى على شكل نقط بين قوسين هكذا (. . .) كما فى عمود « لا » بصحيفة الجمهورية عند أول صدورها ، وهكذا .

أما من حيث الموضع الذى يحتله العمود الصحفى من الصحيفة ، فيلاحظ أنه يحتل مكاناً متطرفاً فى أقصى الصفحة من اليسار : كما فى عمود « ماقل ودل » بصحيفة الأهرام والأخبار ، وكما فى عمود « خاطر الصباح » بصحيفة « الجمهورية » أو فى أول الصفحة الأخيرة من اليمين : كما فى عمود « فكرة » بصحيفة « الأخبار » ، وقد يحتل العمود مكاناً متوسطاً فى الصفحة ، كما فى « نحو النور » فى رأس العمود الرابع من الصفحة الخامسة لصحيفة « الأخبار » أيضاً ، وكما فى « بين السطور » فى العمود السادس من الصفحة الخامسة لصحيفة « القاهرة » .

وأما من حيث الطباعة ، فيحسن لكى يتميز العمود عن غيره من مواد الصحيفة ، ولكى يلفت إليه نظر القارىء ، أن يكون بحروف سوداء من « بنط » خاص ، ولا بأس من كتابته كذلك فى إطار خاص كلما أمكن ذلك ؛ كما كان الشأن فى صحيفة « المصرى » .

ومهما يكن من شيء ، فالمهم فى العمود الصحفى — كما قلنا — أن

يكون له مكان ثابت ، وعنوان ثابت ، وتوقيع ثابت ، وفى هذه المميزات الثلاثة ما يكفى لكى يلفت إليه أنظار القراء فيتعودون على قراءته ، ويواظبون على هذه القراءة دائماً .

* * *

صياغة العمود الصحفى :

إن العمود الصحفى بالقياس إلى أنواع المقال أشبه بالأقصوصة إذا قورنت بفنون القصص الأخرى ، ومعنى ذلك أن العمود الصحفى — من حيث التفكير — لا يعدو أن يكون فكرة صغيرة محـــدودة فى مشكلة من مشكلات القراء ، يدور حولها الكاتب ، ولا يعدوها إلى سواها ، أو يستطرد منها إلى أفكار أخرى ، أو مشكلات بعيدة عنها ، وفى الحالة التى يتناول فيها العمود تعليقاً على خبر من الأخبار يراعى فى ذلك عادة أن يكون هذا الخبر معروفاً لدى القراء ، وأن يعتمد الكاتب على هذه المعرفة لكى يثير اهتمامهم من جهة ، ويضفى على عموده شيئاً من الطرافة من جهة ثانيـــة .

وعلى هذا لا يعتبر « السبق الصحفى » غرضاً من أغراض العمود الذى يستمد منه التعليق على الأخبار ، وإنما الغرض من العمود فى مثل هذه الحالة هو الإمتاع ، والطرافة ، والتعقيب السريع ، وشرح وجهة نظر الكاتب فى سطور قليلة لا أكثر ولا أقل .

وثم مسألة هامة تتصل بكاتب العمود ، وتعرض للباحث فى هذا الفن من فنون الصحافة ، وهى :

إلى أى حد يعتبر كاتب العمود حراً فيما يكتبه ما دام الذى يكتبه يحمل طابعه الشخصى ، ويتسم بالذاتية البحتة ؟

هنا يختلف الباحثون فى الإجابة :

فنهم من يرى أن كاتب العمود صاحب حرية واسعة فيما يكتب ، مادام يتحمل مسئولية الكتابة ، وما دام يذيل العمود بتوقيعه .

وإنما تسمح الصحيفة لكاتب العمود بمثل ذلك ، وتبيح له كل هذا القدر من حرية القول كذلك طمعاً فى التوزيع . والسبب فى هذا أن كاتب العمود كثيراً ما يكون ذا شهرة خاصة لدى القراء قبل إقدامه على الكتابة ، أو يصبح ذا شهرة خاصة بينهم بعد مدة طويلة من الكتابة ، وهنا يوازن رئيس التحرير بين سياسة الصحيفة ، وسعة التوزيع ، فيؤثر الآخرة على الأولى .

ومع ذلك فمن رؤساء التحرير من لا يبيحون لكاتب العمود كل هذا القدر من حرية الكتابة ، وإذ ذاك نرى مثل هذا الكاتب ينزل عن آرائه الخاصة ، ويكتب بلسان الصحيفة التى يعمل لها ، وينهج النهج الذى يشير به رئيس التحرير .

ومن العلماء الذين يذهبون إلى هذا الرأى « لا يبلنج Liebling » فى كتابه The wayward pressman(١) ، وحجته فى ذلك أن الصحافة بعد إذ أصبحت حرفة أو صناعة ، جعلت من الصحافى محامياً لا ينبغى أن يطالب دائماً بالإيمان الخالص بالقضية التى يدافع عنها ، ولقد بالغ الأستاذ «لا يبلنج» فى ذلك إلى حد أن قال :

« إن المحرر الصحافى له أن يترك آراءه الخاصة عند باب غرفة التحرير ويخلعها دائماً كما يخلع معطفه عند هذا الباب ، حتى إذا ما انتهى من عمله ، وعاد إلى معطفه عادت إليه آراؤه الخاصة التى يمكنه أن يحتفظ بها لنفسه متى أراد » .

---

(1) A. J. Libeling· The Wayward Pressman P. I. H. g.

أما نحن فلا نميل إلى هـذا الرأى ، لأن فى اتباعه إهداراً لركن هام من أركان العمود الصحفى ، وهو الطابع الشخصى ، والرأى الشخصى الذى يتميز به العمود عن سائر أنواع المقال .

ولا شك أن الصحيفة التى تفقد هذا القدر الضئيل من الذاتية ، أو الحرية لاتغرى القراء بقراءة صفحاتها ، ولا تسمح للكتاب بعرض وجهات النظر المختلفة فى الموضوع الواحد ، وإن زعمت فى الوقت نفسه أنها تحافظ على سياستها العامة ، وطابعها الصحفى الذى تمتاز به عن بقية الصحف الأخرى .

وتلك وأمثالها هى خصائص العمود الصحفى من حيث أسلوب التفكير ، أما خصائص العمود من حيث التعبير فمنها ما يلى :

أولا — جمال الأسلوب :

وذلك أن العمود الصحفى أشبه بالمقال الأدبى لا الصحفى من حيث العناية باختيار الألفاظ ، والاحتفاظ بحلاوة الأساليب ، وفيه مجال كبير لتبيان النبوغ الأدبى ، أو القدرة البيانية التى يمتاز بها المحرر الصحفى .

وانظر إلى كاتب من كتاب العمود مثل « أحمد الصاوى محمد » فى عموده « ما قل ودل » وهو يكتب عن العواصف والأنواء التى اشتدت بمدينة الإسكندرية فى ٩ من فبراير سنة ١٩٥٦ فيقول :

وعندما تهب الريح ، وتزمجر العاصفة ، ويحجب الغبار المرئيات ، وترتعش الأشجار ، وتهتز خوفاً وفرقاً ، يأوى الرجل إلى البيت ، فهو بعد الكفاح اليومى مأواه وحماه ، وليست البيوت أربعة جدران ، فالجدران لا تحمى إلا الجسد ، والبيوت إنما خلقت لتحمى الروح ، وتبنى الهناء ، فما أكثر الذين لهم بيوت كبيرة وحياة صغيرة ، وما أكثر الذين لهم قصور ، وهم يعيشون فى صحراء قفراء جرداء من الخيال والحب . . الخ » .

إلا أن جمال الأسلوب — على أية صورة من صوره ، أو مرتبة من مراتبه — ليس شرطاً فى لغة العمود ، ولكنه جائز فى هذه المادة الصحفية أكثر من جوازه فى بقية المواد الأخرى ، وآية ذلك أننا لا نقع على هذا الجمال فى كل ما كتب « الصاوى » نفسه تحت عنوان « ما قل ودل » ، كما لا نظفر بهذه الطريقة من طرق البيان فى بقية الأعمدة الصحفية الأخرى مما نراه فى شتى الصحف المحلية عدا « الأهرام » .

ثانياً — عنصر السخرية :

إنه عنصر مشترك بين المقال والعمود ، ولكنه فى هذا الأخير أشبه ما يكون بلسعة العقرب ، أو وخزة الإبرة ، أو تحذيرة اليد أو الذراع ونحو ذلك ، على أن المقال يتوسع فى السخرية — إذا قصد الكاتب بنفسه إلى ذلك — ويتنوع فى طرقها ، ويعدد من صورها ، وقد تضيع الغاية منها على الكاتب نفسه فى طيات هذا التنوع والتعدد ، ولذلك ترى القراء يتأثرون بسخرية العمود أكثر مما يتأثرون بسخرية المقال ، لأنهم يصلون إلى الأولى من أقصر طريق ، وقد يضلون فى الوصول إلى الثانية لتعدد المسالك المؤدية إلى هذا الطريق .

ثالثاً — عنصر الذاتية :

ذكرنا أن العمود الصحفى أقرب المواد الصحفية كلها إلى الأدب الخالص ، والفرق بين الأدب والصحافة أن الأول ذاتى ، والثانية موضوعية ، ومن أجل هذا أصررنا على أن نعطى لمحرر العمود حرية كاملة ، بقدر المستطاع فى التعبير عن آرائه المختلفة ، وهو قدر من الحرية لا يعطاه الأعضاء الآخرون فى أسرة الصحيفة ، ومن هنا تصبح الرابطة قوية بين محرر العمود وقرائه ، ومن هنا وجب على محرر العمود أن يهتم قبل كل شىء بمشكلات الأفراد ، ومعالجة كل مشكلة منها ، وعلى هذا الوتر الحساس يؤدى كتاب الأعمدة دورهم فى الصحف ، فيجتذبون إليهم القراء ، ويأتى يوم

لا يستطيع فيه القراء أن يجدوا فى أنفسهم غنى عن محرر العمود الذى يشاركهم فى عواطفهم الخاصة والعامة ، ويهون عليهم متاعب الحياة التى يحيونها ، والصعاب التى يلاقونها ، ويدرس معهم النماذج البشرية التى يلتقون بها دائماً فى طريق الحياة .

وكم للسطور القليلة التى يكتبها محرر العمود من تأثير فى النفوس ، ولو كانت هذه السطور من محض خيال الكاتب فإنها تؤثر فى أخلاقه وطباعه ، كما تؤثر القصة الطويلة التى يكتبها اديب بارع ، ويريد بها تغيير نفس القارىء ، أو تصحيح فكرة من أفكاره ، أو معتقد من معتقداته . والأمثلة على هذا كثيرة لا تحتاج إلى بيان .

من أجل ذلك حرصنا على أن يكون كتاب العمود أحرارا فى أفكارهم ، أحرارا فى تعبيرهم ، حتى يكون لأعمدتهم صدى كبير فى نفوس القراء ، فإن وافق ذلك هوى من الصحيفة التى يكتبون فيها فذاك ، وإلا فلكاتب العمود فى هذه الحالة أن يترك العمل فى الصحيفة .

رابعاً — شكل الهرم المعتدل فى الصياغة :

ما أشبه العمود فى هذا بالمقال ، إذ يبدأ المحرر بالفكرة التى يدور حولها العمود ، ثم يواصل الإتيان بالأمثلة والشواهد ، أو الأدلة والبراهين ثم يأتى بالنتيجة التى أراد الوصول إليها فى النهاية .

وكثيرا ما يكون العمود على شكل رسالة من بعض القراء إلى الكاتب الذى يرد عليه ، وفى هذه الرسالة يبسط القارىء شكواه من أمر معين ، أو تأييده لوضع معين ، فيكون على محرر العمود فى هذه الحالة أن يرد على القارىء ، وأن يؤيد فكرته بالحجج والشواهد ، وأن يوجه الخطاب إلى ولاة الأمور بعد ذلك لكى يزيلوا أسباب هذه الشكوى ، أو يزدادوا ثقة بفائدة المشروع الذى كتبت من أجله الرسالة .

خامساً — الإيجاز فى العبارة :

على الرغم من أن العمود لا يتسع لأكثر من الكلام عن فكرة واحدة، أو خاطر واحد ، فإن كاتبه مضطر كذلك — بحكم الحيز الصغير الذى خصصته الصحيفة للعمود — أن يوجز فى عبارته ، وألا يجنح إلى الإسهاب فى هذه العبارة بحال ما .

وربما كان ذلك بعض ما أحس به الأستاذ « أحمد الصاوى » — وهو من أشهر كتاب العمود فى مصر — حين اتخذ لعموده عنوان : « ما قل ودل » .

والواقع أن كاتب العمود إذا طلب إليه أن يكتب مادة أخرى ، كالقصة الخبرية ، أو المقال أو التحقيق ، أو الحديث — نراه يصطنع لنفسه أسلوبا آخر فى هذه الحالة يخالف كل المخالفة أسلوبه المعتاد فى كتابة العمود ، وإذا كان هذا صحيحاً بالقياس إلى الكاتب الواحد ، فلا شك أنه أكثر صحة بالقياس إلى الكتاب الكثيرين فى أكثر من مادة واحدة من مواد الصحافة .

* * *

مؤسسات العمود الصحفى فى الوقت الحاضر :

لقد ألفنا فى مصر أن يتولى تحرير العمود الصحفى كاتب من كتاب الصحيفة يستوحى فى هذه الكتابة خياله حينا ، وحوادث المجتمع حيناً آخر ، ومشكلات الأفراد حيناً ثالثا ، وهكذا ، ومعنى ذلك أن محرر العمود إنما يكتبه « للاستهلاك المحلى » بلغة رجال المال والاقتصاد فى الوقت الحاضر .

غير أن كتاب العمود فى خارج مصر أصبح لهم سلطان واسع تجاوزوا به حدود بلادهم إلى بلاد العالم كله تقريبا ، فنرى الصحيفة فى بلاد كالولايات المتحدة الامريكية تشترى « حق نشر الأعمدة » من مؤسسات خاصة بهذه

الأعمدة تشبه من قريب أو من بعيد « وكالات الأنباء » المعروفة في أيامنا هذه .

وقد بدأ هـذا النوع الجديد من المؤسسات في الظهور بأمريكا منذ الحرب الأهلية الامريكية عام ١٨٦١[١]، وهي تزيد الآن عن مائتين وخمسين مؤسسة .

ومن أشهر هـذه المؤسسات مؤسسة ماكاور ، ويقال إنها كانت في أول أمرها توزع حوالى خمسة آلاف كلمة في الاسبوع ، ثم لم تلبث أن بلغ ما توزعه ثلاثين ألف كلمة في الاسبوع [٢] .

ومن أشهر هذه المؤسسات كذلك واحدة باسم « مؤسسة بوك الصحفية » وقد وصل صاحبها « إدوارد بوك » الامريكي إلى منصب رئيس شركة كورتيس للنشر Curtis Publicating Camp من سنة ١٨٩١ إلى سنة ١٩٣٠ ، وبدأ حياته الصحفية بالتزام نشر عمود أسبوعي للكاتب الامريكي « هنري وارد بيشر » تعليقاً على الأخبار ، وكان الربح الوفير الذي جناه « بوك » من هذه الطريقة أكبر مشجع له على إنشاء المؤسسات المقرونة باسمه إلى اليوم (٣) .

وقد رأت مؤسسة بوك لكي تجذب القارئات من النساء إلى مطالعة العمود الصحفي أن تنشر عموداً خاصاً بالأطفال ضمن الأعمدة التي تنشرها ، وتبيع حق نشرها لجميع الصحف التي تطلب منها ذلك [٤] .

---

(١) Robert W, Jones : Journalism in the united States

انظر في هذا الكتاب فصلا عن المؤسسات التي توزع الأعمدة الصحفية ص ٣٤٩ ، وفصلا عن محررات العمود الصحفي من النساء ص ٥٣٩ ، وفصلا من عمود المسائل العاطفية ص ٥٤٢ ، ونحن ننبه القارىء إلى كل ما سبق .

(٢) نفس المصدر ص ٣٥٨ . (٣) المصدر السابق ص ٣٥٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٦٠ .

ويؤخذ مما تقدم أن هناك مجالا إنسانيا كبيراً تنشر فيه الأعمدة الصحفية ، وأن العمود الصحفى الإنسانى هو الذى يمكن توزيعه على أكبر عدد ممكن من صحف العالم ، ونحن نعلم أن الصحافة عمل اجتماعى محلى، ولكن العمود الصحفى بهذا الطابع الإنسانى يجذب الصحافة رويداً رويداً إلى محيط الأدب . . والأدب هو النتاج العقلى الذى يصلح لأكبر عدد ممكن من أفراد البشر ؛ لأنه يتجه دائما إلى النفس البشرية ، والنفس البشرية خالدة من جهة ، وهى وحدة متشابهة فى جميع أقطار العالم من جهة ثانية .

وحين تصبح الصحافة على هذا النحو تصبح « أدبا خالداً » بالمعنى الصحيح .

إلا أن الأمل فى وصول الصحافة إلى هذه المنزلة بعيد التحقيق فى الوقت الحاضر لأسباب كثيرة من أهمها — فيما يتصل بالعمود — أن العمود نفسه مادة واحدة فقط من بين المواد الكثيرة التى تتألف منها الصحيفة .

وأعجب من كل ذلك ، وأمعن منه فى الغرابة أن نجد « العمود الصحفى » يتجاوز مهمته الأولى فى الصحافة — وهى مهمة الإرشاد ، وحل مشكلات القراء — إلى وظيفة جديدة هى وظيفة الإعلان !

وفى كتاب للأستاذ « لايبلنج » بعنوان « الصحفى المتجول » — سبقت الإشارة إليه — حديث عن صحفى بدأ حياته محرراً لعمود إعلانى لدى مؤسسة « ساشس Sachs » لبيع أثاث المنازل ، وقد احتال هذا الصحفى على القراء بحيلة لطيفة ، هى أنه أخذ يجذب إليه انتباه القراء أولا بالكتابة فى موضوع الديموقراطيات الحديثة ، وكان أول مقال كتبه فى ذلك بعنوان لا يمكن لأية ديموقراطية أن تعيش من غير صحافة حرة » ، ثم أخذ يتدرج فى عموده وينوع فى هذا العمود حتى وصل إلى الشئون المنزلية ، وإلى أن المنزل يجب ان تتوفر له الراحة والأمن والبهجة والتسلية ، ثم أخذ هذا

الكاتب يتوخى فى هذه الأعمدة أن تنشر بجوار البضائع المعلن عنها فى الصحيفة ، فكان لهذه الطريقة أثر فعلىّ فى رواج البضاعة ، وأقبل القراء على قراءة الأعمدة الإعلانية العجيبة ، ولم لا؟ يفعلون ذلك ، وقد بدأ هم فى هذه الأعمدة بالحديث عن الديموقراطية ، والحرية ، والصحافة ، وما إليها (١)

ألا ما أبرع الصحافة ، وما أذكى كتابها ، ومحرريها ، والقائمين على إدارتها وإخراجها للجمهور القارىء!

وقريباً تتقدم الصحف فى مصر ، وتبلغ الحد الذى تصبح فيه قادرة على شراء حق نشر الأعمدة المشهورة فى العالم ، كما أصبحت — منذ وقت قريب — قادرة على الحصول ـ عن طريق وكالات الأنباء ـ على جميع أخبار هذا العالم .

والصحافة المصرية على هذا الوجه المنشود تصبح عملا إنسانياً ، وعملا فنيا ، وعملا تجارياً فى وقت معاً .

* * *

لقد رأيت مما سبق أن العمود الصحفى أنواع كثيرة ، ولا نستطيع فى هذا الكتاب أن نختص كل موضوع منها ببحث معين ؛

فلنكتف إذن بنوعين فقط من الأنواع على سبيل المثال ، هما :

عمود الموضوعات الإنسانية ، وعمود الرياضة والفنون (٢) .

وسنفرد لكل منهما فصلاً برمته فيما يلى :

---

(١) المصدر المتقدم ص ١٤٧

(٢) لاشك أيضاً أن للعمود السياسى أهمية كبيرة فى العصر الحاضر ، ومن أحسن الأمثلة على هذا النوع أعمدة الكاتب المعروف باسم والترليبمان (راجع كتاب مدخل الصحافة) تأليف بون ، وترجمة راجى صهيون ص ٣١٧

الفصل العاشر

عمود الموضوعات الإنسانية

نعنى بالموضوعات الإنسانية جميع الموضوعات التى يخاطب فيها الكاتب إحساس القراء ، ويهدف إلى إمتاعهم من الناحيـــة الشعورية البحتة ، وإحساسات القراء لا حصر لها فى الواقع ، وهى فى الوقت نفسه تختلف بين فرد وفرد ، كما تختلف بين حالة وحالة عند الفرد .

فشاب ضيق الدخل ذو أسرة كثيرة العيال قد يثير فيك من الإحساسات مالا يثيره الشيخ الهرم ، أو المرأة العجوز التى مات زوجها وأولادها منذ زمن بعيد ، وبائع متجول لفحت وجهه الشمس ، وعليه ثياب ممزقة ، وصوته قد بح فى الإعلان عن بضاعته اليسيرة قد يحرك فيك من الشعور مالا يحركه منظر اليتيم فى يوم عيد ، وهكذا .

ونعنى بالموضوعات الإنسانية أيضاً جميع الموضوعات التى يخاطب فيها الكاتب عقول قرائه ، والناس فى هذا العصر لا يجدون لهم غنى عن المتع العقليـــة البحتة ؛ يلتمسونها من أى طريق ، ومادام طابع العصر هو « السرعة » فلا ينتظر من أكثر القراء أن يلتمسوا هذه المتع العقلية الخالصة فى « الكتب » ، ولكنهم مضطرون فى معظم الأحيان إلى التماسها فى « الصحف » .

من أجل ذلك نرى الصحف كثيراً ما تمد القارىء بأعمدة تخاطب فيها عقله ، وربما كانت هذه الأعمدة خلاصة طيبة لمقال قرأه الكاتب ، أو لبحث فلسفى أوحى إليه بكتابة العمود الإنسانى .

ومن هذا القبيل كثير من الأعمدة التى كان يكتبها « على أمين » بصحيفة

«الأخبار» تحت عنوان «فكرة» ، ومنها كذلك بعض الأعمدة التى يكتبها «محمد زكى عبد القادر» فى نفس الصحيفة تحت عنوان «نحو النور» .

أما الصحف الأجنبية — أمريكية كانت أم أوربية — فحافلة بهذا اللون من الأعمدة ، والذى لا ريب فيه أن هـــذه الصحف الأجنبية تقدمتنا أشواطا بعيدة فى هذا السبيل .

ولئن كانت الأعمدة الانسانية العاطفية تعتمد على غزارة العواطف عند الكاتب وعلى ثروته فى المشاعر ، فإن الموضوعات الإنسانية العقلية تعتمد على قدرة الكاتب على التأمل فى سلوك الناس ، والمهارة فى تحليل هذا السلوك تحليلا فطرياً حيناً ، ومبنياً على قواعد عـــلم النفس الحديث حيناً آخر .

وما أشبه المحرر الصحفى فى الحالة الأولى بالأديب .

وما أشبه المحرر الصحفى فى الحالة الثانية بالفيلسوف .

وما أشد حاجته فى الحالتين معاً إلى قوة البيان ، وجمال الأسلوب ، وحلاوة التعبير ، والقدرة الصحيحة على ربط هذه الإحساسات أو التأملات بعضها ببعض ليخرج منها مادة إنسانية تريح النفس ، وتلذ العقل ، وتغذى الوجدان .

من أجل هذا كانت الأعمدة الإنسانية أقرب المواد الصحفية كلها على الإطلاق إلى محيط الأدب ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنها أدب خالص له من القيم الفنية ما يصبح به خليقاً باسم الأدب الخالص ، ونحن نعلم أن هذه القيم الفنية إنما تتلخص فى ثلاثة أشياء ، وهى :

عمق التفكير ، وغزارة الشعور ، وجمال التعبير ، وقد رأينا كيف يمكن أن تتوافر هذه الأشياء كلها فى الموضوع الإنسانى .

ومن ثم وجب أن يكون كاتب هذه الموضوعات أديباً ممتازاً ، وإن كان

الأدب وحده لا يكفى ما لم تسنده التجارب الذاتية الكثيرة ، والمعرفة الإنسانية العميقة ، والاطلاع الواسع على الكتب والمجلات ، والقدرة على التأمل فى سلوك الأفراد والجماعات .

* * *

وقد تقول : وما الفرق بين العمود الإنسانى ، والمقال الأدبى الذى مر ذكره فى الفصول السابقة ؟

والجواب على ذلك ، أن هناك فرقاً مبدئياً بين هاتين المادتين من مواد الصحف من حيث الطول : فالمقال الأدبى طويل إلى حد أنه يعتبر فصلا كاملا من أى كتاب ، أما العمود فيشترط فيه أن يكون قصيراً ما استطاع الكاتب إلى ذلك سبيلا .

وهناك فرق بينهما كذلك من حيث الشمول : فالمقال الأدبى إنما تقصد به فى الواقع طبقة معينة من القراء ، هى الطبقة التى تفهم الأدب ، وتعرف شيئا عن صوره ، ووسائله فى التعبير ، أما العمود الإنسانى فإنه موجه إلى عدد أشمل من الناس ، ويستطيع أكثر القراء تتبع العمود الإنسانى دون حاجة منهم إلى معرفة الأدب ، أو الوسائل التى يؤدى بها الأديب ما أراد .

وقد تقول : وما الفرق بين العمود الإنسانى ، والتقرير أو « الريبورتاج » ؟ والجواب على ذلك ، كما يقول الأستاذ « كارل وارين » فى كتابه « كيف تصبح صحفياً » (١) :

« أن التقرير — أو الريبورتاج — هو معلومات جديدة تتناول

(١) راجع الترجمة العربية للكتاب ، بقلم عبد الحميد سرايا ص ١٢٤ و ١٢٥ .

أشخاصاً أو أشياء ، أو حوادث لهامغزى معين ، والغاية منه أولا — وقبل كل شيء — نقل المعلومات إلى القارىء . أما الموضوع الإنسانى فيهدف إلى إمتاع القارىء برواية مكتوبة : ممثلوها حقيقيون ، ومواقفها الإنسانية حقيقية ، وهدفها الوحيد إثارة إحساساته ، ومع هذا وذاك فليس ثمة خط واضح يفصل تماماً بين الموضوع الإنسانى ، والريبورتاج ، فحدودهما تختلط كما تختلط حدود الألوان فى قوس قزح » .

* * *

أما موضوعات العمود الإنسانى فكثيرة ، ولا نستطيع لها حصراً فى الحقيقة ، فالأطفال ، والشبان ، والنساء ، والشيوخ ، والحيوان الأليف كالقطة ، والحيوان المسلى كالقرد ، والأشجار ، والأمكنة التى ارتبطت فى الأذهان ببعض الأحداث ، والمحكوم عليه بالإعدام ، والتاجر ، ورجل الأعمال ، والسجين ، والوزير ، والطبيب ، والأستاذ ، والفلاح ، والشهيد فى موقعة من مواقع القتال ، والقائد فى الموقعة ، والزعيم فى المنفى ، كل هذه موضوعات صالحة للعمود الإنسانى الذى تنشره الصحيفة .

غير أن النوع العاطفى الخالص من هذه الموضوعات يكثر فى الصحافة عند اشتداد الأزمات القومية التى تمر بالبلاد ، ومنها أزمات الحروب التى تقوم بها العصابات ، وجيوش التحرير الوطنى فى أى بلد كان ، ومنها كذلك أوقات الأمراض الفتاكة ، كالكوليرا ، والطاعون ، ونحوهما ، ومنها الأزمات الاقتصادية الحادة ، والحوادث الكبيرة المفزعة ، كحادثة زلزال ، أو بركان ، أو سيل من السيول الجارفة ، ونحو ذلك ، وكل هذه الموضوعات تصلح لأن تكون مادة للعمود الإنسانى ، كما تصلح فى الوقت نفسه أن تكون مادة للتقرير الصحفى أو « الريبورتاج » .

وإن تنس مصر لا تنسى تلك الأعمدة الفياضة بالمشاعر والوجدانات

عما ظهر فى الصحف المصرية على أثر المواقع التى اشتبك فيها الفدائيون المصريون بالجنود الإنجليز عند مدينة الإسماعيلية ، وذلك فى غضون سنة ١٩٥١ ، وفى هذه المواقع الحربية سقط فى ميدان الشرف كثيرون من شباب الجامعات المصرية .. ورثت الصحافة هؤلاء الشهداء رثاء أثار أعمق العواطف الإنسانية فى قلوب القراء .

وهكذا كانت « قناة السويس » منذ نشأتها إلى اليوم مدعاة لأزمات قوية هزت الشعور المصرى هزاً قوياً ، وكان من نتيجة ذلك أن أفاض الشعراء والكتاب ورجال الصحف على اختلافهم فى الكتابة فى هذا الموضوع بين حين وحين . . ولو ذهبت تجمع هذا النتاج الأدبى الصحفى العظيم لتألف لك منه ما يمكن أن تطلق عليه اسم « أدب القناة » ، وهو جزء من الأدب المصرى المعاصر ، عليه طابع الحزن الذى نجد مثله فى جزء من الأدب العربى ؛ هو الأدب الشيعى الذى يدور فى معظمه حول حادثة مشهورة فى التاريخ الإسلامى ، هى حادثة مقتل « الحسين بن على » .

وإلى القارىء مثلا واحداً فقط من أمثلة الأدب الذى اصطلحنا على تسميته « أدب القناة » ، وهو هنا عمود من أعمدة الموضوعات الإنسانية التى حفلت بها الصحف المصرية إذ ذاك ، ومنها صحيفة « الزمان » :

وقد نشرت هذه الصحيفة مقالا بعنوان :

إلى البطل الشهيد عادل محمد غانم

قالت فى أوله :

استشهد فجر أمس « ١٩٥١/١٢/٣٠ » المجاهد « عادل محمد غانم » الطالب بكلية الطب بجامعة إبراهيم « عين شمس الآن » ، فكان أول جامعى سقط فى ميدان الشرف .

ثم وجه الكاتب تحيته لهذا الشهيد الكريم ، فقال :

« كنت بين زملائك فى الجامعة ملء العيون ، وبين أهلك وأصدقائك ملء القلوب ، وكان هدفك أن تتمتع بالشباب النضير ، والربيع الضاحك ، والأمل الحلو ، وتمتّع أهلك بما تنال من فرحة النجاح ، وبهجة العرس ، وجاه المنصب ، ثم هتفت مصر تناديك فلبيت ، وأبليت ، وضحيت !

« يالك من شاب سخى البذل ، كريم النفس ، عظيم الهمة !

« ألم تهزمك دموع أمك وهى تودعك ؟ ألم تغلبك عواطف أبيك وهو يشيعك ؟ ألم تستمع إلى نداء المستقبل الذى كافحت من أجله فى الدرس ؟ ولا إلى الشباب الذى يفتح لأمثالك نوافذ الأمل والمتعة والحرص ؟ ولا إلى صوت أصدقائك الذى نعمت بمحبتهم ، ونعموا بمحبتك ؟

« ودعت كل ذلك ، وكل ما فوق ذلك ، وضحيت بالمستقبل الذى كان ينتظرك ، والأمل الذى كان يراودك ، وأسرعت نحو أمك الكبرى تلبى نداءها ، وتجيب دعاءها ؛ كأن صوتها لحن سماوى ملك عليك كل مشاعرك ، وأنساك كل شىء إلا أمل مصر ، وحق مصر ، وصوت مصر !

« يالك من شاب سخى كريم ! فى الوقت الذى تعانى فيه مصر ضغطاً متصلا من أوربا ، ونقصاً أكرهت عليه فى السلاح ، تندفع أنت كالشعلة تفيض بالضوء والحرارة ، وتؤدى ضريبة الدم زكية سخية ، لتروى بها شجرة الحرية ، فلا الظلام أعماك عن الهدف ، ولا التثبيط أقعدك عن الكفاح ، ولا الخوف حال بينك وبين التضحية !

« لقد أضفت إلى قائمة الشهداء فى معركة التحرير اسماً لامعاً سوف لا تنساه مصر ، وكتبت بدمائك الطاهرة صفحة خالدة فى سجل الكفاح الوطنى ستذكرها مصر ، وقدمت بروحك الغالية وثيقة الثقة بين مصر وشباب مصر !

« وسوف تثمر هذه الدماء التى تتخضب بها أرض القناة ثمرتها المرجوة

إن شاء الله ، ما دامت مصر تجد من بنيها رجالا مثلك ، يدسون فى سبيلها نفوسهم ، ويضحون من أجل حياتها بحياتهم !

«فلتطمئن نفسك ، ولتهنأ روحك ، فإن جهادك لن يضيع ، وتضحيتك لن تنسى ، ووطنك لن يموت !

وتقبل من قلوب أهلك ، وأصدقائك ، وزملائك ، وبنى مصر جميعاً باقة خالدة مخضلة بالدموع » ! إدجار جلاد

وعندى أن هذه القطعة الأدبية ، أو العمود الصحفى الإنسانى من أروع ماخلفه لنا الصحفيون والأدباء ، كتّاباً ، وخطباء ، وشعراء ، وهو — على كونه عموداً صحفياً بحتاً — له من الصفات الفنية ، والقيم الجمالية ما يجعله خالداً خلود القطع الأدبية التى تركها لنا هؤلاء القدامى .

° ° °

أما النوع الثانى من أنواع الموضوعات الإنسانية ، وهو النوع الذى يخاطب فيه الكاتب عقول القراء بدلا من عواطفهم ، فالأمثلة عليه كثيرة من الصحف المصرية منذ نشأتها ، وتذكرنا هذه الموضوعات بما كانت تفعله صحيفة المؤيد لصاحبها « السيد على يوسف » فقد كانت تنشر بين حين وآخر موضوعات إنسانية تستعيرها من بعض الكتاب الأمريكيين . ومنهم الكاتب المشهور باسم : آرثر بريزباين » .

وكان هذا الكاتب يبعث بأعمدته إلى إحدى مجلات المؤسسة الأمريكية المعروفة باسم « هرست » ، فكانت تلقى رواجاً كبيراً جداً فى بلاد أمريكا ، وذلك على الرغم من أنها لم تكن تتصل بأمور السياسة ، وكان من المعجبين بهذه الأعمدة الإنسانية العقلية — أيما إعجاب — شاب شرقى اسمه « سليم » كان مقيما بأمريكا ، وكان يصدر بها مجلة باللغة العربية ، واشتهت نفس « سليم » هذا أن يحظى بلقاء الكاتب الأمريكى الكبير فى مكتبه ، ويشهد

بنفسه كيف يكتب عموده الصحفي عادة ، ونجح سليم في ذلك — على الرغم من أن مقابلة هذا الكاتب الأمريكي كانت أعسر على طالبها من مقابلة رئيس الجمهورية نفسه ، وإذ ذاك سأله سليم قائلا : كيف تكتب العمود دائماً ؟

قال الرجل : أقضي نهاري في مراقبة الناس وأحوالهم ، ومطالعة أفضل المؤلفات ، فمتى اختمر المعنى الذي اخترته موضوعاً للعمود في عقلي أتيت غرفتي هذه ، وكتبت موضوعي على الآلة الكاتبة بيدي(١) .

ونريد أن نستميح القارئ الشرقي عذراً في إيراد مثل واحد من أمثلة العمود العقلي الإنساني الذي كان يكتبه ذلك الكاتب الأمريكي ، وهو العمود الذي نشرته صحيفة « المؤيد » بعنوان :

الماموث والناموس

لقد تعلم أيها القارئ أن الماموث حيوان مفترس في غاية الضخامة ، وأنه انقرض الآن ، فلم تبق إلا ذكراه .

وأما الناموس الصغير فلا يزال موجوداً بكثرة ، وأنه يزداد ويحصى بملايين الملايين :

ولم نعلم إلا أخيراً أن الناموس هو الذي ينشر حمى الملاريا ، وينقل الحمى الصفراء ، وغيرهما من الأمراض .

وقد استطاع الإنسان مع ضعفه الأول ، وأطواره الأولى أن يتخلص من الماموث ، ومن سائر الحيوانات الضخمة ، ولكنه لا يزال حتى الآن عاجزاً عن إبادة الناموس على الرغم من صغر حجمه ، وعلى الرغم من أنه أشد الهوام المنظورة أذى وضررا .

---

(١) انظر « أدب المقالة الصحفية في مصر » الجزء الرابع ، للمؤلف ص ٩٢ و ٩٣

أفلا ينتج عن هـذا أن العمل الصغير التافه هو أشد ما يعترض الجنس البشرى كله ؟ وأن العقل يقوى على حل أعظم المسائل وأشـدها تعقيدا وضخامة ، ولـكنه يعجز عن مقاومة المشكلات الصغيرة التافهة ؟

نعم ، سنتمكن فى آخر الأمر من إبادة الناموس ، والذباب ، وسائر الهوام الجالبة للأمراض ، وإذ ذاك نبدأ عراكا من نوع آخر نقاتل فيه الميكروبات ، والجراثيم ، والأشياء غير المنظورة ، ونقاتل فيه ميكروبات الأمراض التى كان الناموس ينقلها ، ويوصل أذاها إلينا ، وهو عراك عنيف طويل لا بد لنا من الفوز فيه بطريقة أو بأخرى .

ولـكن العبرة التى أسوق إليها القارىء من كل ذلك هى أن الإنسان يجد مثل هذا العناء فى المعارك الخلقية ، والمعنوية التى تصادفه فى حياته ، فأصغر الأعداء فيها يحتاج إلى وقت طويل ، وصبر أطول مما يحتاج إليه الإنسان فى التغلب على أعظم الأعداء ، وأقوى الأقوياء .

إننى أعتقد أننا لا نزال فى دور الهمجية من حيث الأخلاق ، والمعنويات، فنحن لا نزال نحارب جرائم القتل ، وإحراق البيوت والزرع ، ونحارب السرقة ، وغيرها من الجرائم الـكبيرة والعيوب الضخمة ، وكما كان ساكن الـكهوف يحارب الماموث ، فنحن الآن نحارب هذه الوحوش الأخلاقية الشرسة الضخمة ، وستزول هذه الوحوش الأخلاقية يوماما ، وتتلاشى من الوجود ؛ فلا يرتـكب الناس القتل، ولا يقترفون السرقة ، إذ لا تكون هناك حاجة يومئذ إلى القتل، أو إلى السرقة متى أعيد تنظيم المجتمع على أسس أخرى!

عند ذلك فقط نعود إلى محاربة المتاعب الخلقية والمعنوية الصغرى من حيث الإثم ، والـكبرى من حيث الخطر والفتك بالجنس البشرى . ونريد بهذه المتاعب الـكثيرة ، أو المخلوقات المعنوية الدقيقة : الرياء ، والغطرسة ، والأنانية ، وحب الذات ، وانعدام الرغبة فى الإحسان ،

وأشباه ذلك من العيوب الأخلاقية والاجتماعية التى تشبه « الناموس » والهوام فى عالم المعانى والأخلاق (١) » .

* * *

وهكذا نرى أن عمود الموضوعات الإنسانية لا يكاد يختلف كثيرا عن المقال الأدبى ، بل هو عبارة — فى الواقع — عن مقال أدبى صغير ، يشترط فيه أن يدور حول فكرة واحدة فقط ، لا يعدوها إلى غيرها من الأفكار الأخرى ، كما يشترط فيه أيضاً أن يكون أدنى إلى الإيجاز فى اللفظ ، ذلك أن المساحة التى يشغلها العمود فى الصحيفة أقل بكثير من المساحة التى يشغلها المقال الأدبى أو العلمى أو الصحفى .

وثم فرق آخر بين العمود والمقال ، هو أن الأخير لا غنى له فى أكثر الأحيان عن الأمثلة والشواهد التى يأتى بها الكاتب لتقوية كلامه ، والدفاع عن قضيته ، فى حين أن العمود لا يحتاج إلى شىء من ذلك إلا فى القليل النادر .

---

(١) راجع صحيفة المؤيد العدد ٥٢٠٣ بتاريخ ٣ يونيه سنة ١٩٠٧ وقد نقلنا عنها هذا المقال بشىء من التصرف .

الفصل الحادي عشر

عمود الرياضة والفنون

قيل إن القارىء العادى للصحيفة ، كما دلت الإحصاءات الكثيرة على ذلك ، يلقى نظرة سريعة على العنوانات البارزة فيها ، ثم يقلب صفحاتها على عجل بحثاً وراء الفكاهات ، والصور الكاريكاتورية ، ونحوها ، وأخيرا يستقر بصره فى صفحتى المرأة والرياضة[1].

ولسنا ندرى إن كان هذا صحيحا بالقياس إلى الشعب الأمريكى ، أو الشعب الأوربى ، وإلى أى حد يكون صحيحا كذلك بالقياس إلى الشعب المصرى خصوصا والشعوب العربية عموما ؟ .

والمعروف – على أية حال – أن الصحف العربية تخصص للألعاب الرياضية والمسرح والسينما حيزا يلفت أنظار الجمهور القارىء .

فلنقف وقفة ما عند صفحتى الرياضة والفنون فى الصحيفة ، والمشير إلى أهم القواعد والأصول المتبعة فى تحرير هاتين الصفحتين أو العمودين فى العادة :

صفحة الألعاب الرياضية :

نرى معظم الصحف التى تصدر فى العالم – فى الوقت الحاضر – تفرد صفحة أو أكثر لأعمدة الألعاب الرياضية ، ولعل السبب الحقيقى فى اهتمام الصحافة الحديثة بهذه الصفحة بالذات هو انتشار الالعاب الرياضية، والروح الرياضى فى أكبر أقطار العالم المتحضر ، ومن ثم كان على الصحف

---

(١) راجع كتاب « كيف تصبح صحفيا » للأستاذ كارل وارين ، الترجمة العربية للأستاذ عبد الحميد سرايا ص ١٩٥ .

أن تخضع خضوعا تاما للأمر الواقع ، وأن تستجيب لرغبات الجماهير فى العناية التامة بهذه الأعمدة .

ومعلوم أن أهم الألعاب الرياضية التى تسترعى نظر القارىء هى : كرة القدم ، وكرة السلة ، ولعبة التنس ، ولعبة الجولف ، والسباحة ، والمصارعة ، والملاكمة ، وسباق الخيل ، ، وسباق السيارات ، وسباق الدراجات ، وصيد الحمام :

والذى لا شك فيه أن العنصر الرئيسى فى جميع الألعاب هو : « عنصر المنافسة » ؛ وأن الدافع الحقيقى إلى تتبع أخبارها فى الصحف هو : « الإعجاب بالبطولة »

والذى لا شك فيه أيضا أن الجمهور فى كل بلد من بلاد العالم تقريبا يتهافت — كما قلنا — على قراءة أخبار الرياضة حتى لتشعر الصحيفة أنها لو أغلقت هذا الباب هبط توزيعها إلى درجة كبيرة :

ولذلك اهتمت الصحف جميعها بصفحة الرياضة ، وكان فى هذا الاهتمام معنى الدعاية بالمجان ، وهى دعاية يتدفق بها الذهب فى جيوب مديرى الملاعب ، والمسارح على اختلاف ألوانها !

وكثيراً مانجد فى الصحف الكبرى أن لكل نوع من الأنواع الرياضية المتقدمة محرراً خاصا به ، يكتب أخباره ويحاول أن يأتى — عقب ذلك — بالنقد الفنى لهذه الأخبار .

فإذا أعلن يوما عن مباراة رياضية نهض المحرر المختص على الفور ، وجمع المعلومات التامة عن المشتركين فى هذه المباراة ، وعنى بالبطولات التى أحرزوها ، ورجح كفة فريق على فريق ، ووصف المباراة وصفا دقيقا من جميع الوجوه ، ولم ينس أن يذكر موقف المتفرجين على المباراة ، وطريقة تشجيعهم لهذا الفريق أو ذاك ، وباختصار يذكر كل ما يرضى كلا من

اللاعب والقارىء الذى لم تتح له فرصة الحضور بنفسه لمشاهدة المباراة . أماالقارىء الذى شهد المباراة ففى استطاعة المحرر الرياضى أن يمده بمعلومات جديدة قلما يستطيع الحصول عليها بمجهوده الذاتى .

من أجل ذلك يعنى كثير من الصحف فى وقتنا هذا «بالمحرر المختص» وتتوخى فيه دائماً أن يكون من ذوى الخبرة التامة ، والمرانة المتصلة؛ حتى أننا لنرى المحرر الرياضى يرتفع فى بعض الأحيان إلى مستوى المحرر السياسى أو المحرر الأدبى ، أو المحرر العلمى .

ولكن كيف يؤدى هذا المحرر الرياضى عمله عادة ؟ وكيف يرضى فضول قرائه كذلك ؟

دلت التجربة على أن هذا المحرر يتّبع فى كتابة مادته طائفة من القواعد، منها على سبيل المثال :

أولا — تركيز الانتباه فى نقطة واحدة على الدوام ، هى سير اللعب فى ذاته ، وحركات اللاعبين أنفسهم ، وذلك بغض النظر — ما أمكن — عن شعور النظارة .

ثانياً — إن كان ولا بد من العناية بشعور النظارة ، فليكن ذلك دائماً لغاية واحدة فقط ، هى وصف الجو الوجدانى المحيط باللعب ، ومقدار الصلة بين هذا الجو العاطفى ، وحركات اللاعبين فى المباراة ، ذلك أن لتشجيع الجمهور أثراً لاسبيل إلى إنكاره فى الفريقين المتنافسين على السواء .

ثالثا — عرض الحقائق الخاصة باللعب عرضا مجردا عن الهوى ، مجردا كذلك عن مشاعر النظارة الذين لا يصح — بحال من الأحوال — أن يعتبرهم المحرر الرياضى جزءاً من أجزاء المباراة .

رابعاً — من حق المحرر الرياضى — بعد ذلك — أن يكتب تعليقا على المباراة ، وينبغى له عندئذ أن يجعل هذا التعليق زاخراً بالحياة ، معبراً عن الواقع .

خامساً — كتابة الخبر والتعليق بأسلوب جذاب ، يصف المباراة ، ويذكر الأطوار التى مرت بها ، ويصف النتيجة التى انتهت إليها .

على أن هذا الوصف يتطلب من المحرر قدرة بلاغية من نوع معين ، ولكن مهما كانت هذه القدرة البلاغية التى ندعو إليها ، فلا يصح أن تكون حائلا دون استخدام الألفاظ الفنية — ولو كانت عامية — وهى الألفاظ التى اصطلح الرياضيون عليها ، ولهذا السبب الأخير اشترطت الصحف فى محررها الرياضى أن يكون عالما بتاريخ اللعبة الرياضية ، وأن يكون ممارساً لها منذ مدة .

سادساً — فى صياغة القصة الرياضية يحسن أن يتبع نظام القصة الخبرية ، فيعنى المحرر الرياضى بالأسئلة الستة المعروفة ، ويصوغ القصة على شكل هرم مقلوب تأتى فيه النتائج والأخبار المهمة أولا ، ثم تأتى التفاصيل بعد ذلك .

سابعاً — على المحرر الرياضى أن يعنى العناية كلها بنتيجة المباراة ، وعليه أن ينوه بالفائز دائماً ، كما أن عليه أن يشرح للقراء مغزى النتيجة التى انتهت بها المباراة ، ولا بأس من التعرض فى أثناء ذلك لبعض وجوه الضعف فى الفريق الخاسر ، والإشارة العابرة إلى المهم من أخطائه ، ولكن بقصد التوجيه والإرشاد ، لا بقصد السخرية والإيذاء ، فإن السخرية فى مثل هذه الحالة خطأ أدبى جسيم لا يتفق مطلقا والروح الرياضى .

* * *

وفى يدى عند كتابة هذا الفصل صحيفة « أخبار اليوم » الصادرة فى ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، وقد نشرت فى صفحتها الرياضية أخباراً كثيرة منها الخبر الآتى بالعنوانات الآتية :

الزمالك والمصرى يتعادلان

٢ إلى ٢

أحمد سليم يسجل هدف التعادل فى الوقت الضائع

ثم أتت الصحيفة بعد هذه العنوانات بـ « صدر الخبر » ، فكان على النحو الآتى :

تعادل الفريقان : الزمالك والمصرى ٢ — ٢ ، وسجل « أحمد سليم » هـــدف التعادل للزمالك فى الوقت الضائع ، كما سجل « عبده سليم » هدفى المصرى ، وأصاب « خليل » هدفا للزمالك ... جمهور الدرجة الثالثة يلقى بالفوارغ فى الملعب .

ثم أتت الصحيفة على « صلب الخبر » ، وفيه التفاصيل على النحو الآتى:

الشوط الأول

تبادل الفريقان الهجوم منذ البداية ، وبعد ١٥ دقيقة شدد الزمالك الهجوم على دفاع المصرى ، ولكنه لم يستغل جناحه الأيمن ، وتمكن دفاع المصرى من صدّ هجمات الزمالك التى كانت جميعها غير محكمة .

شدد الدفاع المصرى حراسته على « خليل » الذى اضطر لتغيير مركزه أكثر من مرة لمراوغة الدفاع . أضاع هجوم الفريقين فرصا كثيرة ، وقبل نهاية الشوط الأول بدقيقة تمكن « العيوطى » حارس مرمى الفريق المصرى من صد قذيفة قوية من قدم « شريف الفار » أرسلها على بعد «٤ ياردة ، وانتهى الشوط الأول بدون أهداف .

الشوط الثانى

بدأ الشوط الثانى بهجوم الزمالك ، وبعد ٧ دقائق رد « شريف » الكرة إلى « خليل » الذى انفرد بمرمى المصرى ، فسدد كرة مرت بجوار القائم

الخشبي ، وبعد ١٤ دقيقة أحرز « عبده سليم » متوسط هجوم الفريق المصرى الهدف الأول من قذيفة قوية لم يستطع « محمد عبد الله » صدها ، وبعد ٢٢ دقيقة أحرز « خليل » هدف التعادل للزمالك إثر تمريرة من « شريف الفار » ، وبعد دقيقة احتسب الحكم ضربة جزاء «لصالح المصرى» سجل بعدها « عبده سليم » الهدف الثانى للمصرى وعلى الأثر تكتل فريق المصرى أمام مرماه للاحتفاظ بفوزه ولعب « عبده سليم » متوسط هجوم بمفرده ؛ وقبل نهاية الشوط الثانى بعشر دقائق سيطر فريق الزمالك على الكرة حتى نهاية المباراة ، وتمكن « أحمد سليم » من إصابة هدف التعادل للزمالك قبل النهاية بنصف دقيقة ، وذلك فى الوقت الضائع إثر قذيفة من « علاء » صدت فى الدفاع المصرى ، فتلقفها « أحمد سليم » وسجل الهدف الثانى للزمالك .

* * *

هكذا ركز المحرر الرياضى انتباهه فى نقطة واحدة هى سير اللعب ، وحركات اللاعبين ، وغض النظر عن شعور النظارة .

بل إن المحرر الرياضى أغفل هذا الشعور تماماً فى مقاله أو عموده ، فلم يذكر عنه كلمة واحدة ، واكتفى إذ ذاك بصورة شمسية كبيرة نشرها فى أقصى الشمال من يسار صفحة الرياضة ، وجاء بها على خمسة أعمدة من هذه الصفحة ، وكتب تحتها العبارة الآتية :

« ثورة الجمهور على الحكم فى مباريات الزمالك والمصرى ، ثار الجمهور عند ما احتسب الحكم ضربة جزاء ضد الزمالك ، وأخذ يلقى الفوارغ ، وهجم على الملعب ، ويرى رجال البوليس وهم يحاولون تهدئة الحالة » .

وبهذه الصورة الشمسية استغنى المحرر — كما قلنا — عن وصف مشاعر النظارة ، وأعطى فكرة عن الجو المحيط باللعب ، وأوضح مقدار الصلة بين حركات اللاعبين وتشجيع الجمهور .

ثم هكذا عرض المحرر الرياضى بصحيفة « أخبار اليوم » « الحقائق » الخاصة بالمباراة التى أجريت بين فريق الزمالك وفريق المصرى ، وتجرد المحرر فى أثناء ذلك عن التحيز لأحد الفريقين ، كما تجرد أيضاً عن مشاعر النظارة .

ثم إن المحرر الرياضى الذى أمامنا توخى أن يكتب خبر المباراة على شكل قصة خبرية لها « صدر » ، ولها « صلب » ، وأجاب عن بعض الأسئلة الستة ، وعنى بذكر النتيجة ، ووصفها ، ولم ينس فى أثناء ذلك كله أن يوجه النقد من حين لآخر إلى اللاعبين ، ويلفت أنظارهم إلى الأخطاء التى كانوا يرتكبونها ، ولم ينس هذا المحرر مطلقاً أن ينوه ببعض الممتازين من اللاعبين ، وأن يسجل حركاتهم فى الملعب ، وأن يستخدم فى أثناء ذلك كله الألفاظ المصطلح عليها بين الرياضيين أنفسهم ؛ كألفاظ :

هدف التعادل ، والدفاع ، والمرمى ، والجناح ، ومتوسط هجوم ، وضربة جزاء الخ ، ولا يكاد يعاب على هذا العمود الرياضى الذى أتى على شكل قصة خبرية أكثر من أن محرره لم يقسم « صلب الخبر » إلى فقرات تبدأ كل فقرة منها بسطر جديد ، فإنه بدلا من أن يفعل ذلك اكتفى بالفصل بين كل فقرة وأخرى بنقطة أفقية هكذا (. . .)

ولا شك أن هذه الصفحة الرياضية التى ينشر فيها هذا العمود الرياضى لم تتسع — فيما يظهر — للتعليق الفنى على المباراة ، بما يعطى للقارىء فكرة كاملة الوضوح ، تامة البناء ، ظاهرة المعالم :

صفحة الفن :

الفن تعبير شخصى حر يشيع الفرح والبهجة والهدوء والاطمئنان فى النفس البشرية ، والفن تعبير عن الحياة فى جميع العصور التى مرت بها . ورسالة الفنان مطابقة دائماً لشعوره وإحساساته ، وهى تقص علينا قصته كما تخيلها وأحس بها .

والفنان هو وحده صاحب الحق فى أن يتصرف فى الطبيعة من حوله فيرسمها لنفسه وللناس بالصورة التى يمليها عليه إحساسه وشعوره .

* * *

نظرت سيدة إلى لوحة فنية رائعة ، لمنظر من مناظر الطبيعة فى أبهى مظاهرها ، فصاحت فى وجه الرسام قائلة :

« لكن الطبيعة ياسيدى ليست كذلك ! » فأجابها الفنان من فوره قائلا :

« لكن ، ألا تحبين ياسيدتى أن تكون الطبيعة كذلك » ؟

تلك هى بعض الأسباب التى من أجلها تعنى البشرية كلها بالفن من حيث هو ، وتلك هى بعض الأسباب التى من أجلها تزيد الصحافة من عنايتها بالفنون على اختلافها .

وهذه الفنون فى ذاتها قسمان : قسم خيالى ، وآخر واقعى :

أما الخيالى ، فلا يتقيد بقيود من أى نوع ، ومن هنا كانت الحرية أصلا من أصول الفن ، وسبباً من أسباب بقائه ونمائه ، بحيث إذا حرمها الفن حرم الحياة كلها على الفور .

وأما الفن الواقعى ، ففيه تشترك اليد مع الذهن ، أى أنه فن يحتاج إلى مادة تعمل فيها اليد بوحى من الذهن .

ومن هنا أطلق على الفنون الخيالية اسم : « الفنون الجميلة » ، أو « الفنون الرفيعة » ، كما أطلق على الفنون الواقعية اسم : « الفنون العملية » ، أو الفنون التطبيقية » :

فن الفنون الخيالية : الشعر ، والرسم ، والتصوير ، والزخرفة ، والتمثيل ، والموسيقى .

ومن الفنون التطبيقية : صناعة السجاد ، وصناعة الأثاث ، ونحو ذلك .

وللصحف — فى الأعم الأغلب — عناية بالفنون الجميلة ، أو الفنون الرفيعة

تهتم بأخبارها ، وتتصل بذويها ، وتحرص على تتبع ما يخرجون من ثمرات قرائحهم ، ومايعملون فيه أذواقهم ، ومواهبهم ، ولعلها — أى الصحف — بالموسيقى ، والمسرح ، والغناء والسينما ، أشد عناية ، وأعظم اهتماماً .. ولذا تراها غاصة بالأعمدة الفنية حول حفلة غنائية لسيدة الغناء السيدة « أم كلثوم » أو الموسيقار « محمد عبد الوهاب » ، أو رواية من الروايات التى تمثل على مسرح الأوبرا ، أو الأزبكية ، أو التى تظهر كل يوم فى دور السينما بنوع أخص .

وإنك لترى هذا الرجل الذى يحضر الحفلة الأولى لكل تمثيلية ، أو لكل « فيلم » سينمائى ، أو هذا الرجل الذى يحييه الجمهور بين حين وآخر بابتسامة لطيفة وهو جالس فى الصف الأول ، أو « اللوج » الظاهر من « ألواج » المسرح ، فتعلم أنه « الناقد المسرحى » ، وهو معروف لأكثر النظارة ، لأن اسمه يظهر يومياً فى باب السينما والمسرح ، من أبواب الصحف الكبرى فى العاصمة .

فما السبب — ياترى — فى هذا الاحترام الذى يتمتع به هذا الرجل من جانب النظارة ؟

إن السبب فى ذلك — غالباً — هو الخوف من قلم هذا الكاتب ، حتى لكأن نجاح « التمثيلية » أو « الفيلم » مرهون بنقده ، فإذا أهمل الناقد المسرحى الكتابة عن إحدى المسرحيات ، أو قال عنها : إنها رديئة ، سقطت من أعين الناس ، وانزعج لذلك المشتغلون بالمسرح ، أو القائمون على إخراج الرواية ، أما إذا كتب الناقد المسرحى رأيه فى المسرحية ، وأثنى عليها بوجه ما ، فإن الجمهور يقبل عليها ، ورجال المسرح يربحون من وراء ذلك الأموال الطائلة ، وكثيراً ما يأتى نجاح الرواية بسبب تحامل الناقد المسرحى عليها ، وقسوته فى نقدها ، فقد يدفع ذلك بالكثير من الناس إلى رؤية الرواية بنفسه ، ومحاولة الحكم عليها بنفسه ؛ فإما وافق الناقد المسرحى ، وإما خالفه ، ولكن كيف يؤدى الناقد المسرحى عمله غالباً ، وما الشروط التى لا بد من توافرها فى النقد ؟

أولا — يبادر الناقد المسرحى إلى حضور المسرحية التى يريد نقدها ، ولكنه قبل الذهاب إلى المسرح لهذا الغرض ، عليه أن يحرص كل الحرص على قراءة القصة التى سيشهد إخراجها فى المسرح أو فى السينما ، وعليه أيضا أن يطلع على المقالات التى كتبت عن هذه القصة فى الصحف ، أو المحاضرات والأحاديث التى أذيعت عنها فى الإذاعة ، أو النوادى العامة والخاصة ما أمكنه ذلك ، ومتى تجمع لديه — من وراء هذه الجهود — قدر كبير من المعلومات أمكنه أن ينقد الرواية نقداً جيداً ، ويسبر غورها جيداً ، ويعطى كل ذى حق حقه من المؤلفين أو المخرجين ، أو الممثلين ، وغيرهم .

ثانياً — يشترط فى الناقد المسرحى أن تكون لديه ثقافة مسرحية واسعة ، وذلك فضلا عن علمه التام بالمسرحية التى أمامه من حيث المبنى والمعنى ، وكم يكون جميلا — فى ذلك الوقت — أن يكون الناقد المسرحى مؤلفاً مسرحياً قد مارس هذا الفن منذ مدة كافية ، ذلك أن الفرق كبير بين الناقد الأدبى ، والناقد المسرحى .

فهذا الأخير لا يكتفى بدرس المسرحية وحدها ، بل عليه أن يهتم بالممثلين أنفسهم ، ويعنى بنقد طرائقهم فى التمثيل والإلقاء ، كما عليه أن يتعرض كذلك لنقد ملابس الممثلين ، وزخارف المسرح ، وحركة الإضاءة وليس له العذر — مع هذا وذاك — فى أن ينسى أن يسجل آراء الجمهور ، ويصف الجو الوجدانى الذى صحب مشاهدة التمثيل ، وأصوات الموسيقى التى صحبت الممثلين ، أو تلك التى تسمع فى الفترات الفاصلة بين فصول الرواية ، ونحو ذلك .

والحق أن واجب الناقد المسرحى ثقيل جداً ، فعليه أن يعدّ نفسه للقيام بهذا الواجب إعداداً حسناً ، وإلا فشل فشلا ذريعاً فى أداء مهمته .

ثالثاً — يشترط فى الناقد المسرحى كذلك أن يكون نزيهاً فى الحكم ، عف اللفظ فى النقد ، مهذب العبارة فى التوجيه ، وإلا سقطت هيبته من أعين الجمهور ، وسقطت معـــه « صفحة الفنون » ، ثم ما أسرع ما يتهمه الناس بعدئذ بأنه لا يكتسب للفن ، وإنما يكتسب سعياً وراء الربح المادى البحت ، وربما بالغ أعداؤه كذلك فاتهموه بمد يده إلى أصحاب المسارح ودور السينما ، يأخذ منهم الرشوة فى سبيل كلمة طيبة يمدح بها عملهم من حيث لا يستحقون شيئاً من هذا المدح .

رابعاً — أما اللغة التى تستخدم فى نقد المسرح والسينما فلسنا بحاجة إلى القول بأنها ينبغى أن تكون فى مستوى أعلى من اللغة التى يستخدمها المحرر الرياضى ، إذ المسرح والسينما كالشعر والموسيقى من الفنون الرفيعة التى يجب أن يصطنع لها الكاتب لغة مكافئة لها ، من حيث السمو والرفعة ، وتصل هـذه اللغة إلى الذروة على أيدى النقاد المثقفين الذين يتعرضون لنقد الروايات الإنسانية الخالدة ، وللقصص الفلسفية الرائعة .

* * *

وفى باب المسرح والسينما — من أبواب الصحيفة الحديثة — يجد القارىء أخبارا عن الممثلين والممثلات ، وملخصاً لبعض القصص السينمائية أحياناً ، وإن وجدت فرقة موسيقية ، أو فرقة « باليه » بالمدينة كان على الصحيفة أن تبادر إلى نشر كل ما يتصل بهذه الفرق ، من ذكر أسماء القطع الفنية ، وأسماء العازفين ، والراقصين ، وطرق العزف أو الرقص ، وغير ذلك من المعلومات التى يرحب بها قراء هذه الصفحة من صفحات الجريدة .

ويعنى هذا الباب — فيما يعنى به كذلك — بالفرق الاستعراضية على اختلافها ، وإن كانت السينما قد طغت على الصحف فى هذا الميدان طغياناً جيدا ، بحيث لم تدع لها فرصة للتنافس معها فى شىء من ذلك .

الفصل الثاني عشر

الحملة الصحفية

لعل أبسط تعريف للحملة الصحفية أنها تتكون من عدد من المقالات، أو التحقيقات الصحفية يتبع بعضها بعضا بلا انقطاع، ويكتبها محرر واحد أو عدد من المحررين المنتمين إلى صحيفة واحدة، وتكون في معنى واحد ولهدف معين يعود بالنفع على المجتمع المقصود بهذه الحملة.

* * *

ولكن يظهر أنه ليس من السهل على الباحث أن يفصل فصلا تاماً بين المقال الصحفي والتحقيق الصحفي والحملة الصحفية، فالواقع أن كل فن من هذه الفنون الصحفية يتصل بالفنين الآخرين اتصالا قوياً، أو أننا بعبارة أخرى نجد أن التحقيق الصحفي يتولد عن الخبر أوالمقال، والحملة الصحفية تتولد عن التحقيق... وهكذا.

* * *

ولنضرب المثل أولا بما يلي:

... نجد الفتاة الإنجليزية عارضة الأزياء المعروفة باسم «كريستيان كيلر» قد قالت عنها الأخبار إنها كانت على صلة بوزير الحربية البريطاني وبالملحق العسكري الروسي في لندن، وتقول الأخبار أيضاً إن هذه الصلة كانت سبباً في استقالة الوزير، وفي تعديل الوزارة البريطانية سنة ١٩٦٣

وقدنشرت الصحف البريطانية ما وصل إليها من هذه الأنباء، ثم لم يقف الأمر عند هذا الحد، وهو مرحلة الخبر الصحفي.. بل تعداه إلى مرحلة

المقال الصحفى ، ثم كثرت البيانات الخاصة بهذا الموضوع ، وفتحت هذه البيانات طريقاً إلى المناقشات العامة ، ثم كانت هذه البيانات والمناقشات هى السبيل إلى تحقيقات صحفية ، وكشفت هذه التحقيقات عن أخطاء جسيمة فى الحكومة البريطانية استحقت بها هذه التحقيقات أن تتحول إلى حملة صحفية ، وجاءت هذه الحملة على شكل مقالات وتحقيقات متتابعة تهدف كلها إلى البحث عن أخطاء الوزارة البريطانية القائمة ، وتستدل على ذلك بالبيانات الموجودة تحت يد الصحف :

ولكن — ليس معنى ذلك مطلقاً أن هذه الفنون الثلاثة — المقال ، والتحقيق ، والحملة الصحفية — متشابهة فى طريقة تحريرها وإن تشابهت فى الهدف من هذا التحرير ، فقد رأينا فيما سبق كيف يختلف المقال عن التحقيق من حيث الكتابة أو التحرير ، أما الحملة الصحفية فهى قمة هذه الجهود التى تبذلها الصحيفة ، وهى المرحلة الأخيرة التى تصل إليها هذه الجهود بعد أن تقطع الصحيفة مرحلة الخبر ، والتعليق على الخبر ، والتحقيق المتولد عن هذا الخبر ، وأخيراً تأتى بعد كل ذلك مرحلة الحملة الصحفية إن كانت هناك ضرورة ، إذ الفائدة من وراء هذه الحملة ، والضرورة التى تدعو إلى تنظيم حملة صحفية كثيرا ماتكون نتيجة للشعور العميق بالمطالبة بإصلاح وضع من الأوضاع الفاسدة ، سياسياً كان أو اجتماعياً أو مذهبياً ونحو ذلك .

ومعنى هذا مرة أخرى أن الهدف من الحملة الصحفية فى الواقع إنما هو الكشف عن الأخطاء التى تسبب منها فساد واضح فى المجتمع ، وهو تأكيد لوجود هذه الأخطاء بطريق الإلحاح عليها والإلحاح على المسئولين عنها ، ولذلك نرى أن كاتب الحملة يحرص أكثر ما يحرص على تنبيه المسئول الحقيقى عن هذه الأخطاء ، وبدون ذلك لا تكون لحملة الصحيفة أية فائدة مرجوة .

ولنضرب المثل هنا بسوء نتائج الامتحانات العامة مع وزارة التربية

والتعليم فى بعض البلاد العربية . . . إن أمراً كهذا إذا حدث فإننا نجد الصحف تبدأ أولاً بنشر هذه النتائج العامة ، ثم يلى ذلك دور التعليق الصحفى أو كتابة المقال الذى يعبر فى الصحيفة عن أسفها أو عجبها من هذه النتيجة ، ثم تعقب ذلك مرحلة ثالثة فيها نجد الصحيفة تسعى وراء البيانات الخاصة بهذا الموضوع ، ثم ترى أن هذه البيانات تصلح لأن يستعان بها فى كتابة تحقيق صحفى فى الموضوع ، ثم تأتى بعد ذلك المرحلة الرابعة والأخيرة ، وهى قيام الصحيفة بالتنبيه إلى الأخطاء الحقيقية التى أدت إلى سوء النتائج العامة ، وفى سبيل هذه الغاية الأخيرة تقوم الصحيفة بدراسة تفصيلية للموضوع ، فتقسمه إلى أجزاء ، وتوزع هذه الأجزاء على عدد من الصحفيين المتمرسين ثم تقترح لذلك الحلول ، وتلقى المسئولية الحقيقية — إن وجدت — على الذين ارتكبوا هذه الأخطاء : ، فهل كانت هذه الأخطاء صادرة عن المعلمين لأنهم غير متخصصين كل فى المادة التى يقوم بتدريسها ، أم كانت هذه الأخطاء ناجمة عن الهيئة الإدارية التى تقوم بالإشراف على المدرسة وما يجرى فيها من أحداث ؟ . . .

أم أن مردّ هذه الأخطاء فى الواقع هو فساد الحياة السياسية القائمة أو الحياة الاجتماعية المضطربة لسبب من الأسباب ؟ . . . الخ هذه الأسئلة وأمثالها مما يرد إلى ذلك الصحفى الذى يعمد إلى كتابة التحقيقات المؤدية إلى كتابة الحملة الصحفية المقصودة ، ومعنى ذلك أن الصحيفة تستطيع فى النهاية أن تضع يدها على الأسباب الحقيقية لسوء النتائج العامة ، وهذه الاسباب فى ذاتها هى المقوم الإساسى للحملة الصحفية التى تريد الصحيفة أن تطلع بها على القراء ، ومتى نجحت هذه الحملة فإنها تخدم قضية التعليم ، وتخدم كذلك أسر التلاميذ . . .

الخطة فى كتابة الحملة :

الخطة التى تتبع فى تحرير الحملة إنما تقوم على تقسيم هذه الحملة إلى

موضوعات تكتب فيها مقالات يتبع بعضها بعضاً بدون انقطاع ، بشرط أن يتناول كل مقال من هذه المقالات مشكلة بعينها أو خطأ بعينه أو زاوية معينة من زوايا القضية التى كتبت من أجلها الحملة الصحفية ، ومازال الشعب المصرى يذكر تلك الحملات الصحفية التى قامت بها صحيفة « روز اليوسف » ومن أخطرها الحملة التى قامت بها هذه الصحيفة ضد الاسلحة الفاسدة وهى الاسلحة التى كانت ترسل إلى الجنود المصريين فى أثناء حرب فلسطين ١٩٤٨ ثم ثبت أنها غير صالحة للاستعمال ، وكثيرون من المراقبين يرون أن هذه الحملة التى شنتها صحيفة « روز اليوسف » هى من أقوى الأسباب الحقيقية فى قيام ثورة الجيش سنة ١٩٥٢ تلك الثورة التى أطاحت بالملكية ، وقضت على نظام الإقطاع ، وبشرت بالاشتراكية ، إلى آخر ما نعرف من تاريخ هذه الثورة ، وفى كتاب الرئيس جمال عبد الناصر ما يؤيد ذلك .

* * *

وفن الحملة الصحفية معروف فى الصحافة العربية منذ فارقت هذه الصحافة دور الطفولة ودخلت فى دور الشباب ، وقد عرف القدماء من الصحفيين العرب فن الحملة الصحفية ومارسوه فى صحفهم بنجاح تام .. ونذكر من هؤلاء الصحفيين على سبيل المثال : السيد « على يوسف » صاحب « المؤيد » وهى الجريدة التى صدرت فى مصر سنة ١٨٨٩ وامتد بها الأجل بعد ذلك حتى شهدت قيام الحرب العالمية الأولى ، والمعروف عن تاريخ السيد « على يوسف » أنه كان فى خصومة شديدة مع عميد الاحتلال البريطانى فى مصر « اللورد كرومر » وبسبب هذه الخصومة الطبيعية بين الرجلين نشرت « المؤيد » هذه الحملة ضد كرومر ، وكان السبب فى ذلك خبراً نشرته الصحف عن استقالة « اللورد كرومر » من منصبه بالقاهرة ، وإذ ذاك نشر السيد « على يوسف » طائفة من المقالات المتتابعة فى نقد سياسة « كرومر » ،

لفت بها أنظار الشعب المصرى ، واشتهرت هذه المقالات وعددها يربو على اثنتى عشرة مقالة باسم : « مقالات قصر الدوبارة بعد يوم الإربعاء »

وقد نالت هذه المقالات أعجاب القارىء المصرى ، وأنهالت بسبب ذلك التهنئات على كاتبها ، ثم أضيفت إليها المقالة الرائعة ، التى رد بها السيد « على يوسف » على خطبة الوداع للورد كرومر ، وهى الخطبة التى نال فيها كرومر من كرامة المصريين منالا عظيما ، وجاء مقال السيد « على يوسف » فسح عن المصريين كل هذه الإهانة .

* * *

وتعتبر هذه الحملة الصحفية من أنجح الحملات فى تاريخ الصحافة المصرية التى ضربت رقماً قياسيا فى مكافحة الاحتلال البريطانى فى عهـــد أطلق التاريخ عليه اسم [الطور الصحافى من أطوار الحركة الوطنية] ، وهو الطور الذى حرمت فيه بلاد من جيش يدافع عنها ، ومن أية قوة أخرى تقوم بهذا الدفاع خلا قوة الصحافة (١) .

* * *

وهكذا نستطيع أن نضرب الأمثلة الكثيرة من الصحف المصرية على الحملات الصحفية التى قامت بها هذه الصحف فى مناسبات شتى ، ومنها الحملات الصحفية التى كان يشنها العقاد ضد حكومة الوفد بعد خروجه على هذا الحزب .

* * *

غير أن أخشى ما نخشاه أن يفهم من ذلك أن الحملة الصحفية لا يرتفع صوتها ولا تظهر أقلام كتابها إلا فى مجالات السياسة وحدها ، ذلك أن الحملات الصحفية فى مجال الاجتماع أوسع وأعمق .

---

(١) راجع الجزء الرابع من «أدب المقالة الصحفية فى مصر» للمؤلف من ص ١٩٢ — ٢٢١

ومما لاشك فيه أن أنجح الحملات الصحفية ما تعاون فى كتاباتها أكبر عدد ممكن من المشتغلين فى الصحيفة ، وهذا هو الفرق بين الصحف الحديثة والقديمة من حيث كتابة الحملات ، ففى الصحف القديمة كالمؤيد أو اللواء كان صاحب الجريدة يتولى وحده كتابة هذه الحملة ، أما فى الصحف الحديثة فلابد من اشتراك مندوب الأخبـــار ، وسكرتير التحرير ، والمحرر المختص فى تحرير الحملة الصحفية ، حتى يضمن لها النجاح ، ومع هذا وذاك فقد كان تحرير الحملة الصحفية فى الصحف القديمة بنظام واحد وصدورها عن روح واحدة وطريقة واحدة سبباً من أسباب قوتها ونجاحها فى أداء مهمتها .

الفصل الثالث عشر

الحيل الصحفية

أو الصراع بين الصحيفة والرقيب

منذ القدم والمعركة حامية بين الحاكم والمحكوم حول مسألة « حرية الرأى » ، وتشتد هذه المعركة دائماً كلما تأزمت الأمور أمام الحاكم ؛ وخاصة فى ظروف الحرب ، أو الثورة أو الانقلاب ، ، أو الظروف التى تخضع فيها الأمة لحكومة أجنبية عنها ، وفى كل واحد من تلك الظروف يشعر الحاكم بأنه فى غاية الحرج ، فلا هو يستطيع أن يكاشف الأمة بأسرار الموقف السياسى ، ولا الشعب صابر على أن يقاد فى الطريق كما تقاد الأنعام ، وفى كل ظرف من الظروف المتقدمة يضطر الحاكم إلى فرض الرقابة التامة على الصحف والكتب ، وذلك أقصى ما يستطيع الحاكم نفسه أن يفعله فى مثل هذه الظروف .

أما الشعب — ممثلا فى الكتب والصحافة — فإنه يسلك فى سبيل غايته طرقاً خاصة ، ليس هنا موضع إحصائها ، ولكنا نسوق طرقاً منها على سبيل المثال .

نحن نعرف أن الأدب أسبق فى ظهوره من الصحافة ، ونذكر أن الأدباء ـ فى عصور الاضطهاد الدينى والسياسى ـ ذهبوا مذاهب شتى فى مقاومة الاضطهاد على أى شكل من أشكاله ، ولعل أقدم صورة من صور النقد السياسى حفظها لنا التاريخ هى صورة « القصص على ألسنة الحيوان » كما تظهر لنا فى كتاب « كليلة ودمنة » لابن المقفع .

وقد صرح لنا هذا الكاتب بأن له أغراضاً أربعة من وضع هذا الكتاب :

أولها — إقبال العامة على قراءته .

ثانيها — انتفاع الخاصة بهذه القراءة .

ثالثها — رغبة النساخ فى انتساخه على مدى العصور .

رابعها — وهو « الأقصى » خاص بالفيلسوف نفسه .

وهنا سكت « ابن المقفع » عن بيان هذا الغرض الرابع الذى وصفه « بالأقصى »، وفهم القراء ، وفهم الخليفة العباسى إذ ذاك ،وكان «أبو جعفر المنصور » أن الكتاب موجه إليه ، وإلى حكومته ، وأن القصد منه توجيه اللوم إليه ، وإلى حكومته .

وثم طريقة أخرى من الطرق الأدبية الخالصة فى التعبير عن الآراء والنظريات والمذاهب المخالفة ؛ وهى : «طريقة الرؤيا والأحلام » ، وهى وسيلة الكتاب والشعراء إلى نقد المجتمعات ، والحكومات . ومن الأمثلة عليها «رسالة الغفران» لأبى العلاء المعرى ، ورسائل الوهرانى ، وهو أديب مغربى وفد إلى مصر فى العصر الأيوبى ، سعيا وراء وظيفة حكومية ففشل فى الحصول عليها ، فصب جام غضبه على حكام مصر ، وكبرائها على هذه الصورة

بل إن من الطرق التى سلكها بعض المصريين فى نقد حكامهم أحيانا ، « طريقة الجنون » أو الظهور بمظهر العته الذى لا يعاقب عليه القانون .

« ففى العصر الطولونى ، وجزء من العصر الأخشيدى عرفت مصر شخصية عجيبة كل العجب فى تاريخها ، هى شخصية «سيبويه المصرى» ، وكان رجلا يظهر الحمق والجنون ، واشتهر عنه ذلك ، فاختفى وراء هذه الصفة ، وأخذ يهجو الحكام والأمراء ، فلم يكن أحد منهم قادراً على أن يأخذه بقوله ، لأنه مجنون !

ولكن الناظر فى كلامه ، وأهاجيه يحس إحساساً عميقاً بأنه فى الواقع

إنما يعبر عن آراء الشعب المصرى فى زمانه أصدق تعبير (١) » .

* * *

ثم أتى دور الصحافة ، وأخذت تحل محل الأدب فى مقاومة الظلم والطغيان ، وتنوعت طرق هذه الأخيرة ، كما سبق أن تنوعت طرق الأولى فى سبيل هذه الغاية ، وسجل تاريخ الصحافة المصرية — بنوع خاص — بعض الطرق التى لجأت إليها الصحف الشعبية فى القرن الماضى ، ومنها على سبيل المثال :

طريقة « النديم » فى صحيفته المعروفة باسم : « التنكيت والتبكيت » وهى صحيفة كتبها « النديم » باللغتين ، أو اللهجتين : العربية ، والعامية . وكتب باللهجة الأخيرة قصصاً شعبية للعامة سخر فيها من كثير من الأوضاع الشاذة فى المجتمع المصرى الحديث منذ التقت فيه الحضارة الحديثة بالحضارة الشرقية الموروثة ، وكتب باللهجة الفصحى مقالات وقصصاً رمزية للخاصة منها على سبيل المثال أقصوصته التى كتبها بعنوان :

مجلس طبي على مصاب بالافرنجي

« والإفرنجى كلمة أطلقها المصريون فى القرن الماضى على مرض الزهرى . والكاتب يستعمل هذا اللفظ هنا استعمالا رمزياً ، لأنه رمز به إلى الخراب الذى عم البلاد بسبب إسراف إسماعيل ، كما رمز بكلمة « المصاب » إلى مصر التى أصبحت تعانى المرض والفقر بسبب هذا الإسراف ، ورمز بكلمة

(١) انظر كتاب « الفاشوش فى حكم قراقوش » ، طبعته أخبار اليوم ، فى سلسلة « كتب اليوم » ص ٩١

«مجلس طني» إلى العقلاء الناصحين للأمة المصرية ، الذين عليهم أن يفكروا في مخرج لها من هذه الأزمة (١) » .

وكان من ألمع الكتاب الصحفيين بمصر في القرن الماضي ، وإمام السخرية في العصر الحديث غير مدافع «يعقوب بن صنوع» الذي اتخذ لنفسه اسم «أبي نظارة» ، وسلك في سخريته بحكومة إسماعيل طريقين ، هما : طريق المحاورات الصحفية ، وطريق القصص المسرحية ، ونجح فيهما نجاحاً لا نظير له في الحقيقة ، حتى لقد خافه الخديو إسماعيل ، واضطر إلى نفيه ، وكما سمى «يعقوب بن صنوع» نفسه «بأبي نظارة» ، فقد سمى الخديو إسماعيل «بشيخ الحارة» ، وسمى الفلاح المصري «بأبي الغلب» .. الخ .

وما دمنا نتحدث عن الصور الأدبية والصحفية لنقد الحكام الطغاة ، ومحاربة الظلم والاستبداد ، فلا ننسى الإشارة إلى أديب مصر في القرن الماضي ، وهو إبراهيم المويلحي ، وإلى بعض طرقه في ذلك .

ومن هذه الطرق المقالات التي كتبها بعنوان : «ما هنالك» ، وهي مقالات كتبت في نقد الحكومة العثمانية ، والفساد العثماني ، وفي نفس الوقت أخافت الحكام في مصر ، فقد خشوا أن يكتب فيهم «المويلحي» «ماهنا» بدلا من «ما هنالك» .

ومن الطرق الأدبية الخالصة التي عمد إليها «إبراهيم المويلحي» كذلك ، وشاركه فيها ابنه «محمد المويلحي» طريقة القصة الطويلة ، فقد كتب المويلحي الكبير «إبراهيم» قصة «موسى بن عصام» في نقد الاحتلال الإنجليزي ، والتهكم على رجاله ، وكتب المويلحي الصغير «محمد» قصة «عيسى بن هشام» في نقد المجتمع المصري ، ونقد حكامه .

أما الكتاب الأول ، فالظاهر أن رجال الاحتلال تنبهوا إليه ، وحالوا

---

(١) المصدر المتقدم من ص ١١٢ — ١١٤ .

دون صدوره على هيئة فصول متتابعة فى جريدة « مصباح الشرق » التى كان يصدرها المويلحى .

أما الكتاب الثانى لصاحبه « محمد المويلحى » فقد نشر تباعاً على صفحات مصباح الشرق ، وجمعت فصوله — فيما بعد — فى كتاب لم يزل بأيدينا إلى اليوم .

ويطول بنا القول لو أردنا أن نشير إلى كل طريقة من الطرق التى سلكها الأدباء ورجال الصحافة فى محاربة الظلم الذى يقع أحياناً من الحكومة فى مثل الظروف التى أشرنا إليها فى أول حديثنا هذا .

* * *

وفى القرن الذى نعيش فيه طلع علينا الأدباء ورجال الصحافة بطرق كثيرة : بعضها قديم ، وبعضها مبتكر ، وليس يعنينا فى هذا الفصل أن نذكر شيئاً عن هذه وتلك بقدر ما يعنينا - فى الواقع - أن نشير إلى بعض الحيل التى لجأت إليها الصحف المصرية فى مثل الظروف التى أشرنا إليها ، تحت ضغط الرقابة التى فرضها الحاكم عليها .

والصحافة تعرف أن من أسلم طرق الهروب من الرقابة طريق « الكاريكاتور » سواء أكان عن طريق القلم ، أم عن طريق الرسم أم عن طريق الصورة ، والطريق الأخير أوقع وأسلم من الطريق الأول فى الغالب ، ولذلك تعتمد الصحافة الحديثة اعتماداً ظاهراً على الرسم الكاريكاتورى ، لأنه الرسم الذى يفهمه الشعب على اختلاف طبقاته ، فى حين أن القلم الكاريكاتورى العلمى قد لا يستطيع أن يفهمه من الشعب غير الطبقة الخاصة :

غير أن الرسم والتصوير خارجان عن التحرير ، فما هى أهم الحيل التى يلوذ بها الفن الصحفى اليوم فى هذا الميدان الأخير ؟

تستطيع صحيفة مصرية حديثة كمجلة « خيال الظل » للأستاذ « حافظ

عوض » ، أو مجلة «الاثنين» التي تصدرها دار الهلال أن تمد القارىء بطائفة من هذه الحيل !

وربما كان من أهمها حيلة :

اختراع الشخصيات

فإذا عجزت الصحافة في مصر عن أن تصف الحكام الظالمين — في وقت ما — بأنهم «حمير» ، أو بأن الذين يقرون منهم مبدأ المحسوبية «حمير» فإن صحفيا حديثاً — كالأستاذ مصطفى أمين — باتفاقه مع رسام قدير ، كالرسام «رخا» يستطيع أن يبتكر شخصية «حمار أفندى» لتظهر في «مجلة الاثنين» ، وتوجه النقد لاذعاً إلى الحكام في أخذهم «بمبدأ المحسوبية» تارة ، وعجزهم عن محاربة «الغلاء» تارة أخرى .

وإذا عجزت الصحافة في مصر عن أن تكشف الستار عن سياسة الحكام الذين أثروا عن طريق الحرب ، وسمحت لهم ضمائرهم بالاتجار في أقوات الشعب ، فإن «مجلة الاثنين» تستطيع كذلك أن تبتكر شخصية «غني حرب» ، وهي شخصية رجل أثرى على حساب الشعب ، وأصبح الفرق عظيما ومخجلا في الواقع بينه وبين هذا الشعب .

وإذا عجزت الصحافة في مصر عن مواجهة الحكام الطغاة الذين أسكرتهم السلطة ، وغرهم النفوذ ، فإن «مجلة الاثنين» تستطيع أن تبتكر شخصية «سكران باشا طينة» لتعبر عن رأيها في هؤلاء الحكام ، وتردهم إلى شيء من التواضع والصواب .

ومهما يكن من شيء فلعل أبدع شخصية ابتكرتها «مجلة الاثنين» في أثناء الحرب العالمية الأخيرة هي شخصية «ابن البلد» :

ابن البلـــد

ولندع الأستاذ «مصطفى أمين» يصف لنا هذه الشخصية التى اشترك فى رسمها [illegible] مع الرسام «رخا» حيث يقول (١) :

« . . ابن البلد ثائر على المتبع فى هذا البلد ، فهو يحب المرشح إلى أن ينتخب ، والضعيف إلى أن يقوى ، والفقير إلى أن يغنى ، والحزب إلى أن يتولى الوزارة ، وهو يكره القوى إلى أن يضعف ، والحاكم إلى أن يستقيل والظالم إلى أن يعزل » ،

« وهو لا يكف عن الابتسام ، وبعض الناس يحسب ابتسامته جهلا ورضى بالخنوع ، والبعض الآخر يرى ابتسامته دليلا على السخرية والاستخفاف » .

« وابن البلد حاضر النكتة ، يلقيها ولا يهمه أن تصيب أو تخيب ، وقد يتعثر فيها الكبير ، وقد تؤلم الصغير ، ولكنها دائماً بريئة لا يقصد منها أن تنفع أحداً أو تضر أحداً ، اللهم إلا أن تظهر طبيعته الساخرة التى ورثها من توالى عهود الظالمين » .

« وهو رجل طيب القلب ، لا يتعصب ضد دين أو جنس ، ولا يحقد على أحد ، ولا ينتقم من مغلوب ، ولا يمد خنجره فى جريح .

« كم اضطهدوه وعذبوه ، وكم طردوه وانتهروه ، ولكنه لا يستطيع إلا أن يقول لهم كلمته الخالدة خلود الأهرام : « معلهش » ، أو « ربنا يسامحهم » ، أو « منهم لله » !!

« وقد يعد بعضهم هذا التسامح دليلا من أدلة الضعف ، ولكنه يعدها رجولة ، والرجولة عنده نصيحة »

---

(١) راجع « ثورة الصحافة » للأستاذ سامى عزيز ص ٩ وما بعدها .

« إنه يحنى رأسه أمام الطغيان ، ولكنه — فى الوقت نفسه — يلعن فى قلبه الطغاة المتجبرين » .

« ابن البلد رجل خلق من الطبيعة وحدها ، والحكمة التى تجرى على لسانه هى حكمة السليقة — قد لايقصدها — والقبلة التى يضعها على يدى القوى قد تخرج من فمه ولا يشعر بها ، أما اللعنة التى يرسلها فهى من قلبه ، وقد يكون لها — دون أن يعلم — أثر أشد فتكا من رصاص المدفع الرشاش » !

« هذا هو ابن البلد الذى ولدته « مجلة الإثنين » . . ادعوا له أن يعيش » .

ولقد كانت الحكومات لا تنتبه إلى هذه الشخصيات التى تخترعها الصحافة من حين لآخر إلا بعد فوات الوقت ، وبعد أن يكون القراء قد علموا بها ، وفهموا قصدها ، وأصبحت كل واحدة من هذه الشخصيات ذات صورة واضحة كل الوضوح فى أذهانهم ، وصار لكل لفظ من الألفاظ التى تجرى على ألسنة هذه الشخصيات مغزى قوى فى أذهانهم.

* * *

وهناك حيل أخرى عمدت إليها الصحافة عدا حيلة « اختراع الشخصيات » ، منها التعليق على حوادث البلاد الأخرى تعليقاً يمكن تطبيقه على حوادث مصر نفسها ، وكأنما الكاتب الصحفى فى مصر يقول لحكومته فى هذا التعليق وأشباهه : « إياك أعنى ، واسمعى يا جارة » !.

والأمثلة على هذا كثيرة ، منها :

أن إحدى الصحف انتهزت يوماً ما فرصة اعتداء الفرنسيين على رئيس جمهورية « لبنان » ، واعتقالهم « رياض الصلح » رئيس الوزارة ، وفرضهم

على الجمهورية اللبنانية رئيس وزارة آخر ، واستعانتهم على ذلك بالدبابات والجنود ، والطائرات ، فأخذ الأستاذ « مصطفى أمين » يكتب المقالات الفنية التي وصف فيها هذا الحادث ، كما وصف تدخل فرنسا في شئون لبنان ، وكيف أن فرنسا داست على استقلال هذا البلد الشقيق ، وكأنما كان الأستاذ « مصطفى أمين » يتحدث في الواقع عن حادث ٤ فبراير ، وكيف تدخل الإنجليز في شئون مصر الداخلية ، وفرضوا عليها رئيس وزارة بالدبابات ، والجنود ، والطائرات ، وسائر أدوات المظاهرات العسكرية الإرهابية ، وفهم القراء في مصر ما قصدت إليه « مجلة الإثنين » من أنها تشير إلى هذا الحادث ، وأنها تسخر من رئيس الحكومة المصرية الذي ظفر بالحكم على أسنة الرماح الإنجليزية ، وهي هنا حكومة الوفد ، وكان على رأسها مصطفى النحاس « باشا » :

وكما يتحدث الصحفي عن حوادث وقعت في بلاد لبنان ، وكان لها نظائر في مصر ، فكذلك يستطيع أن يتحدث عن خطوب وقعت في بلاد غير لبنان : كالصين ، أو الهند ، أو فارس ، ونحو ذلك .

وجملة القول : أن مجلة «الإثنين» بالذات عمدت إلى طريقتين إلى الآن ، وهما : طريقة ابتكار الشخصيات ، وطريقة انتهاز الفرص والحوادث الخارجية الشبيهة بالحوادث المصرية ، وبهذه الطريقة الأخيرة ، وقفت الصحافة المصرية يوماً من الأيام تنقد نواب البلاد ، كما نقدت من قبل رجال الحكومة في عيب من العيوب الخطيرة ، وداء من الأدواء الوبيلة ، هو « داء المحسوبية » الذي منيت به البلاد المصرية في العهود الماضية كلها ، غير أن الصحافة بدلا من أن توجه اللوم للنواب المصريين أخذت توجه هذا اللوم إلى النواب اللبنانيين ، أو السوريين ، أو العراقيين ، حتى تفلت بهذه الطريقة من قلم الرقيب .

وهـــذا كله فضلا عن الطرق الأدبية الطابع في ذاتها ، مثل النبوءات ،

والرؤى والمنامات ، واختراع الخرافات ، والتحدث على ألسنة الطيور ، وطريقة الحوار القصير بين أستاذ وتلميذه ونحو ذلك .

ثم إن الصحافة الحديثة لم تسلك طريق المقال على شكل من الأشكال فحسب ، بل طرقت طريق الفنون الصحفية الأخرى : كفن الحديث الصحفى ، وفن التحقيق الصحفى على لسان شخصية مبتكرة لا وجود لها فى عالم الحقيقة .

وبهذه الطريقة تنكر وضعاً من الأوضاع الغريبة فى المجتمع أو فى الحكومة ، وتستطيع فى الوقت نفسه أن تفلت من يد الرقابة .

ولعل من خير الأمثلة على هذه التحقيقات الخيالية ذلك التحقيق الصحفى الذى نشرته « مجلة الإثنين » بعنوان : « كيف يعيش محمد أفندى » ، والتحقيق الصحفى الذى نشرته أيضاً بعنوان : « كيف يعيش الأسطى إبراهيم »

وقد جاء كلا التحقيقين تعبيراً صادقاً عن شعور الشعب المصرى بالأزمة الشديدة التى أحس بها فى غضون الحرب العالمية الثانية .

ثم إن من الحيل الصحفية التى نراها بين آن وآخر ، كتابة الرسائل التى يتجه بها القراء إلى رئيس التحرير ، على أن تدور هذه الرسائل حول شخصيات خيالية ، أو رحلات وهمية ، أو مشاهدات لا نصيب لها من واقع الأمة التى تصدر فيها الصحيفة ، وهى طريقة أدبية قديمة عمد إليها الكتاب الأوربيون ، كما نجد ذلك فى الرسائل « الفارسية » لمونتسكيو ، والرسائل « الإنجليزية » لفولتير ، وغيرها .

وفى هذه الرسائل وأمثالها يتخيل الكاتب شخصا غريبا عن البلاد جاء لزيارتها ، ولفت أنظار أهلها بغرابة ملابسه ، وغرابة سلوكه ، كما لفت نظره ما وجد منهم من تصرفات عجيبة ، وآراء غريبة ، فأخذ ينقد كل وضع يراه ، وصورة يقع عليها ، وعبر عن ذلك كله بطريق الرسائل .

ومن هذا القبيل يمكن أن يعتبر كتاب الدكتور « طه حسين » بعنوان :

« مرآة الضمير الحــديث » ، أو الرسائل « الجاحظية » التى توجه بها « طه حسين » — يوماً ما — إلى رئيس الوزارة فى مصر ؛ وهو المهندس حسين سرى .

* * *

وهذا كله من جانب الصحفيين ، أما الأدباء غير الصحفيين ، فقد كانت لهم وسائلهم الخاصة بهم فى نقد الحكومة والمجتمع ، ومن أهم هذه الوسائل : « القصص » كما نجد ذلك فى قصة « مذكرات نائب فى الأرياف » لتوفيق الحكيم ، و « جنة الحيوان » لطه حسين ، و« المعذبون فى الأرض » له أيضاً ، إلا أن وسائل الأدباء ليست مما نهدف إليه فى بحث خاص بالصحافة ، فليس من حقنا إذن أن نرسل القول فى هذا اللون من ألوان الأدب .

* * *

و « الخلاصة » أن على الأدباء ، ورجال الصحف ، واجباً ثقيلا لا مفر من أدائه ، وهذا الواجب هو : « محاسبة الحكام » ، وبذل النصيحة لهم وللمحكومين على السواء ، فإذا كانت الظروف ظروف سلم وأمان ، لم يحتج الأديب أو الصحفى إلى التورية فى كلامه ، وإن كانت الظروف ظروف حرب وظلام ، فلا يجوز لرجال الأدب والصحافة أن يقفوا مكتوفى الأيدى حيال الظلم ، أو البطش ، أو الخيانة ، ذلك أن الطبيعة وهبتهم من الذكاء مايمكنهم من الوصول إلى غرضهم ، ومن الأسلحة ماهو بمثابة الحيل التى توصلهم إلى هذا الغرض .

مصادر الكتاب الثالث

1 — The Kemsley Manual of Journalism.
by : Hadson

2 — Newspaper Writing and Editing.
by : Bleyer. Willard Crosvenor. 1932.

3 — An Introduction to Journalism.
by : Bond, Frank Fraser, 1954.

4 — Commission on Freedom of the Press.
by : Univ. of Chicago Press, 1947,

5 — Businėss Journalism, its Function and Future.
by : Elfenbeen, Tuban, 1954.

6 — Modern Feature Writing.
by : Reddick.

7 — Journalistic Writig.
by ; Hyde. Grant Milnor, 1946.

8 — American Journalism.
by : Mott Frank Lutber, 1950.

9 — Journalison.
by : Olson, Kenneth.

10 — Writing the Feature Article.
by : Steigleman.

11 — The Complete Journalism.
by : F. Mansfield.

12 — Journalism.
by : Wickman, Stead.

١٣ — جنة العبيط ، للدكتور زكى نجيب محمود

١٤ — ثورة فى الصحافة ، للأستاذ سامى عزيز .

١٥ — أدب المقالة الصحفية فى مصر ، للدكتور عبد اللطيف حمزة .

١٦ — مستقبل الصحافة والأدب فى مصر ، للدكتور عبد للطف حمزة .

١٧ — فن المقالة، للدكتور يوسف نجم ط ١٩٦٧ فى بيروت

١٨ — فيض الخاطر ، لأحمد أمين

١٩ — ساعات بين الكتب ، لعباس محمود العقاد

٢٠ — الفصول ، لعباس محمود العقاد

٢١ — حصاد الهشيم ، للمازنى

٢٢ — صندوق الدنيا ، للمازنى

٢٣ — الأيام ، لطه حسين

٢٤ — فى المرآة ، لعبد العزيز البشرى

٢٥ — الأسلوب ، لأحمد الشايب

٢٦ — فى الميزان الجديد ، لمحمد مندور

هذا عدا الصحف والمجلات التى تصدر فى مصر .

* * *

الكتاب الرابع

فن التقرير

وبه الكلام عن فن تحرير المجلة

الفصل الأول

المجـــلة

لعل أول من استخدم لفظ « مجلة » أو أشار باستعمالها هو ابراهيم اليازجى عندما كان يحرر « مجلة الطبيب » ، ثم شاعت بعد ذلك ، هكذا قال فيليب طرازى (١).

ويطلق على المجلة فى اللغة الإنجليزية لفظ له دلالته وهو « Reiew » والمعنى الحرفى لهذا اللفظ هو « إعادة النظر » ، ودلالة هذا الاسم آتية من أن المجلة لا تعدو فى جوهرها أن تكون عبارة عن إعادة النظر فيما سبق من أخبار وحوادث ومواد سبق نشرها فى الجرائد اليومية ، ولم تساعد طبيعة الصحافة اليومية ذاتها على استيفاء هذه المواد كما ينبغى .

صحيح إن الصحف(٢) تحاول غالباً أن تتابع الخبر الصحفى بشتى الطرق الممكنة ، وصحيح إن هذا التتابع للخبر يظهر فى الجريدة فى شكل تعليق ، أو فى شكل طرائف Feature أو فى شكل حديث أحيـــاناً ونحو ذلك ، لكن المجلة تستطيع بعد كل هذا أن تعيد النظر فى جميع هذه المواد على اختلافها ، وأن تبدى للقارىء وجهة نظر جديدة . وتمتاز هذه النظرية الجديدة بشىء من العمل ، ونوع من الاستيفاء فى البحث ، وشىء كذلك من الجمال فى العرض قلما يتاح للجريدة اليومية .

هيئة تحرير المجلة وطبقة المحررين بالقطعة :

المتبع فى كل مجلة من المجلات أن يكون لكل قسم من أقسامها مدير

---

(١) انظر كتابه « تاريخ الصحافة العربية » جـ ١ ص ٧ .

(٢) يجب أن يكون مفهوماً منذ الآن أننا نطلق لفظ (صحيفة) على كل من الجريدة والمجلة الأسبوعية أو الشهرية أو الدورية .

مسئول عن مواد هذا القسم ، وتساعده هيئة من المحررين تقوم بجمع المواد وصياغتها صياغة فنية قدر المستطاع .

غير أن أنشط الأعضاء فى هيئة تحرير المجلة فى الواقع هم « طبقة المحررين بالقطعة » ، وهم الذين يتعاملون مع المجلة ، ويتقاضون على ذلك مرتبات ثابتة أو مكافآت معلومة من القائمين عليها .

وتعتمد المجلات على هؤلاء الكتاب فى الحصول على الجانب الأكبر من مادتها الصحفية ، ويطلق على الكتاب بالقطعة اسم « المصاحفين » Free Lancers تمييزاً لهم عن المحررين الأصليين فى المجلة أو فى الجريدة . وهؤلاء المصاحفون يقومون بتزويد المجلة بأنواع شتى من المواد الصحفية ، كالمقال ، والقصة ، والتحقيق ، والطرائف ، والرسوم الكاريكاتورية ، والفكاهات والألغاز، وغير ذلك .

ويحصل المصاحفون على هذه المواد من الحوادث الجارية ، ومن مراقبة هذه الحوادث أولا بأول ، ومن الهيئات والمؤتمرات ، ومن النشرات ، ومن المكتبات ، ومن الإذاعات ، ومن الإحصاءات التى تصدرها الجهات الرسمية وغير الرسمية .

وكثيراً ما يعتمد المصاحف كذلك على الاتصال الشخصى ، كما يعتمد كذلك على الوكالات الخاصة بالأعمدة . ومعنى ذلك أنه كما توجد وكالات خاصة بالأنباء فإنه توجد كذلك وكالات لا تهتم إلا بالأعمدة الصحفية تزود بها الصحف والمجلات التى تطلبها ، وتشترك بالمال فى هذه الوكالات من أجل هذه الغاية .

وغير خاف كذلك أن هؤلاء المصاحفين يواصلون قراءة المجلات التى يكتبون فيها ، ولا تنقطع صلتهم بالمسئولين عنها لكى يقفوا على رغباتهم ، ورغبات القراء فى نوع معين من المواد الصحفية . وعلى المجلة من جانبها أن تعمل كل ما فى وسعها للدعاية اللازمة لنجاح أولئك المصاحفين

فى مهمتهم ، لأن فى نجاحهم نجاحاً للمجلة ذاتها من ناحية ، ونجاحا للوكالة التى يعتمد عليها هؤلاء الكتاب من ناحية ثانية . والمعروف أن هذه الوكالات تتقاضى من كاتب المجلة الذى من هذا النوع عمولة قدرها ١٠٪ من الأجر الذى يحصل عليه من المجلة . والذى لا شك فيه أن حوالى نصف المواد التى تنشرها المجلات الأمريكية إنما تأتيها عن طريق الوكالات التى من هذا النوع .

المصادر التى تستقى منها مواد المجلة :

عرفنا أن المواد التى تنشر فى المجلة قلما تتعدى ما يلى :

الافتتاحيات — بعض الأخبار والتعليق عليها — المقالات، أو الأعمدة — التحقيقات الصحفية — القصص — الطرائف — المذكرات والفكاهات والنوادر — الأقوال المأثورة — الرسوم الساخرة — الإعلانات — الأركان، أو الأبواب الصحفية التى تتفق ونوع المجلة وأهدافها ونوع تخصصها ، فمن مواد المجلة النسائية — على سبيل المثال — مادة خاصة بالأزياء ، وأخرى خاصة بالأطفال ، وثالثة خاصة بشئون المطبخ ، ورابعة خاصة بمشكلات البيت وبالعلاقات الزوجية، وقس على ذلك بقية المجلات الأخرى : كمجلة المهندسين ، ومجلة المحامين ، ومجلة المعلمين ، ومجلة الطلبة ، ومجلة العمال وما إليها .

أما المصادر التى تستق منها مواد المجلة فيمكن أن تتلخص فى مصدرين :

أولهما — مصدر داخلى ، ونعنى به الكتاب والمحررين والمراسلين ومندوبى الأخبار ، والمصورين والرسامين وغيرهم ممن يعملون داخل المجلة ، ويعتبرون عمالا وموظفين بها .

وثانيهما — مصدر خارجى ، ونعنى به طبقة الكتاب بالقطعة أو المصاحفين ، والمصورين والرسامين فى خارج المجلة لا فى داخلها ، ووكالات الأعمدة والطرائف ، وقدسبقت الإشارة إليها ، تضاف إلى ذلك :

مكاتب الاستعلامات التابعة للحكومة وللهيئات ، ثم المكتبات والمؤسسات والمتاحف ، كما تعتبر المجلات المحلية والأجنبية ، ويعتبر القراء أنفسهم، كذلك ، مصدراً هاماً من مصادر المجلة لا غنى عنه .

ولا شك أن الصعوبة فى إعداد المجلات تأتى من أنه ليس من السهل فى واقع الأمر إرضاء كل قارىء ، فنحن إذا نشرنا المواد الأصيلة "Original" اتهمنا بأننا لا نميل إلى التجديد ، وإذا نشرنا المواد الهشة أو الخفيفة اتهمنا بأننا بلهاء أغبياء ، وإذا عدلنا عن نشر هذه المواد الأخيرة فنحن جادون أو متزمتون أكثر مما ينبغى وهكذا .

والمجلة لكى ترضى قراءها يجب أن تأخذ فى إعداد موادها لستة أشهر مقدماً ، ولا شك أن هذه ميزة تنفرد بها المجلة دون الجريدة اليومية ، وهذه الميزة آتية من أن المجلات لا تقوم دائماً على عنصر الحالية Actualité ، كما فى الجريدة اليومية .

على أن إعداد المواد قصصاً ، ولمدة طويلة يثير مشكلة من أعقد المشكلات التى تواجه المسئولين عن تحرير المجلات العامة ، وهى: كيف نحكم على أهمية موضوع ما بالنسبة للقراء بعد فترة طويلة من الزمن كهذه الفترة التى أشرنا إليها ؟ مع أن الآراء تتبدل ، والأذواق تتغير ، وما قد يكون هاماً فى نظر القارىء اليوم قد لا يكون هاماً فى نظره بعد ذلك .

إن حل هذه المشكلة يتوقف غالباً على مهارة القائمين بتحرير المجلة ، وقدرتهم على فهم اتجاهات الرأى العام أو الذوق العام ، ولا شك أن الطريق السليم لمعرفة الاتجاهات العامة هو طريق الاستفتاء أو الإحصاء . ولذلك تعتمد المجلات الكبيرة اعتماداً ظاهرا على هذه الطرق .

ومن المجلات المصرية التى تؤمن بهذه الطرق المبنية على الاستفتاء مجلة « الهلال » بالجمهورية العربية المتحدة ، ولا شك أن هذا سبب من أسباب نجاحها وبقائها إلى اليوم .

أما المجلات المحلية والأجنبية باعتبارها مصدراً تستقى منه المواد الصحفية فالملاحظ إلى الآن أن المجلة العربية مازالت إلى يومنا هذا تعتمد فى كثير من موادها على المجلات الأجنبية وخاصة الأمريكية والإنجليزية والفرنسية ، ومن هذه المجلات الأجنبية ما وصل فعلا إلى الدرجة العالمية التى تجعل منها مصدرا لأكثر المجلات المحلية ، ومثلها مجلة لوك Look ، ومجلة ماتش Match ، ومجلة لايف life وغيرها ، ذلك أن هذه المجلات الأخيرة لها من الإمكانيات ما يساعدها على الانفراد بموضوعات ممتازة من ناحية الفكرة ، ومن ناحية العرض، ومن ناحية الصورة ، ومن ناحية التحرير ، ولا تكاد بعض الصحف المصرية فى كثير من الحالات تفعل أكثر من أنها تقوم بترجمة هذه المواد ، وتحذو حذوها كذلك فى طريقة الإخراج ، بل إن المجلات المصرية الكبرى كالمصور ، وآخر ساعة ، وحواء ، والكواكب ، وهى ، وسمير ، وكروان ، تمعن إلى يومنا هذا فى محاكاة المجلات الأجنبية من حيث الإخراج ، ومن حيث المواد أو الأركان وغير ذلك .

ومهما يكن من شىء فإن المواد التى تنشر فى مجلاتنا المصرية الآن على نوعين :

أولهما — المواد الإعلامية كالأخبار والتعليقات والصور المتصلة بحوادث الأسبوع وغير ذلك من المواد التى اصطلح على تسميتها بالمواد الحاليـــة .

وثانيهما — مواد ليس لها صفة الإعلام أو الحالية ، وليس لها ارتباط بزمن معين ، وهو ما اصطلح على تسميته باسم Magazine ، ومن الأمثلة عليها التحقيقات الصحفية غير المرتبطة بأحداث الشهر أو الأسبوع، والقصص والرسوم الكاريكاتورية والطرائف ، وهذا النوع من المواد هو الذى يصح للمجلة المحلية أن تأخذ فى إعداده مقدماً لمدة طويلة كلما أمكن ذلك ،

وهذا بخلاف النوع الأول فإنه قلما يؤخذ فى إعداده قبل الأيام القليلة التى تسبق ظهور المجلة ، بل فى الساعات القليلة التى تسبق هذا الظهور .

الأرشيف الصحفى للمجلة :

الأرشيف الصحفى نوعان ، عام وخاص :

« فالأرشيف العـــام » هو تلك المجموعة الضخمة من مواد الكتب والجرائد والمجلات والدوريات والنشرات والقواميس أو المعاجم ودوائر المعارف ، أو هو القصاصات المأخوذة من جميع هذه المصادر ، وهومجموعة الصور والرسوم التى تحتفظ بها دار المجلة أو الجريدة وترتبها وتنظمها طبقاً لقواعد الفهرسة والتبويب المعروفة ، ويشرف على هذه العملية الدقيقة مشرفون تابعون للدار ، قادرون على القيام بهذا العمل الذى لا غنى عنه للمجلة .

ماهى قيمة الارشيف العام للصحيفة :

تظهر قيمة الأرشيف العام للمجلة أو الجريدة فيما يلى :

١ ـــ تزويد الصحفى أو المصاحف بالمعلومات أو المعارف التى تهمه فى موضوع معين يأخذ فى إعداده للصحيفة .

٢ ـــ يعتبر الأرشيف العام مرجعاً عاماً للصحفى أو المصاحف عندما يشعر بالحاجة الملحة إلى معلومات أو رسوم أو صور يدعم بها مقاله أو موضوعه أو مادته الصحفية التى لابد من تقديمها للصحيفة .

٣ ـــ الأرشيف الصحفى يوفر على القائمين بالتحرير جهوداً شاقة ، ووقتاً طويلا فى سبيل البحث عن هذه المعلومات التى يحتاج إليها ، أو الصور والرسوم التى يضمنها الموضوع .

٤ ـ الأرشيف الصحفى يساعد المحررين على الوصول إلى ما يسمى « بالسبق الصحفى » إذا كانت الحصيلة التى سيعتمدون عليها من المعلومات والصور أكثر من الحصيلة التى يعتمد عليها غيرهم من الصحفيين فى صحيفة أخرى .

ولنضرب مثلا لذلك :

قد يحتاج أحد المحررين إلى صورة معينة لحادث معين مضى عليه بعض الوقت ، ولكن لسبب ما ظهرت ضرورة تستدعى إعادة النظر فى الموضوع والكتابة فيه من جديد ، وهنا تتفتح القيمة الكبيرة لهذه الصورة التى أخذت وقت حدوث الحادث لتذكر القراء به ، كما تظهر القيمة الكبرى للأرشيف العام لاحتفاظه بهذه الصورة .

٥ ـ يمكن النظر إلى بعض ما يحتفظ به الأرشيف العام للصحيفة على أنه سجل تاريخى للأحداث المحلية أو العالمية إن أمكن ، ويمكن الرجوع إلى هذا السجل عند الحاجة إلى ذلك .

٦ ـ الأرشيف العام يعين الصحفى على متابعة الحوادث متابعة لها خطرها ، خذ لذلك مثلا : عند صدور حكم هام فى حادث له أهميته أيضاً يمكن للصحفى أن يرجع للأرشيف الذى من هذا النوع ، وينقل منه ما سبق نشره من الأخبار والأحكام الخاصة بهذا الحادث ، وبذلك يربط الحكم الصادر ببيانات الحادث ، ووقائعه ، وبأسماء المجنى عليهم فيه ، وبأسماء الشهود ونحو ذلك .

ما المقصود بالأرشيف الخاص ؟ وما قيمته ؟

الأرشيف الخاص هو ذلك الأرشيف الذى يجمعه الصحفى أو يجمعه المصاحف بنفسه يوماً بيوم ، وشهراً بشهر ، وسنة بسنة ، ويكون ملكا خاصاً له

ويعتمد صاحب الأرشيف الخاص على الصحف والمجلات والإذاعات والقراءات والمقابلات الشخصية والكلام الذى يسمعه من أفواه الخاصة والعامة ، وذلك فى جمع الأرشيف الخاص وتأليفه بالصورة التى يرتضيها لنفسه ، ويشترك فى تأليف هذا الأرشيف كذلك مجموعة الأحكام القضائية التى تنشر من حين لآخر فى موضوع معين ، وقد يجمع صاحب الأرشيف الخاص معلوماته كذلك من وكالات الأعمدة كما قدمنا .

لكن ما هى قيمة الأرشيف الخاص ؟

تظهر قيمة هذا النوع من الأرشيف إذا كان صاحبه قد جمع فيه من الأخبار والآراء والأحكام مالم يتيسر لغيره من المشتغلين بتحرير الصحف جمعه ، وتظهر قيمة الأرشيف الخاص بشكل أوضح حين يأتى صاحبه بمعلومات وآراء وتسجيلات ليس لها وجود بالصدفة فى الأرشيف العام للصحيفة ، ثم تبدو هذه الأهمية أوالقيمة خطيرة حين يكلف المحرر من قبل الجريدة أو المجلة بموضوع أو بمشكلة اجتماعية أو سياسية تظهر أهميتها فجأة ، وتثير اهتمام العدد الأكبر من القراء .

وهنا ينجح المقال أو التحقيق أو الموضوع المبنى على أكبر قدر ممكن من المعلومات والوقائع والأسانيد التى أسعف بها الأرشيف الخاص ، وكثيراً ما تكون هذه المواقف سببا فى لمعان اسم معين أو فى تألق نجمه ولفت الأنظار إليه .

ولنضرب لذلك مثلا :

وقد تكون المعلومات التى تضمنها الأرشيف الخاص مما تتصل بموضوع « تحديد النسل » أو موضوع « الطفولة المشردة » أونحو ذلك ، فإذا كان الأرشيف الخاص قد استطاع أن يزود المحرر بمعلومات كافية فى الموضوع الذى يكتب فيه ، وإذا كان المحرر قد صبر على جمع مواده مدة طويلة ،

ثم وقعت حالة مشابهة لتلك الحالات مع اختلاف فى الأسماء أو اختلاف فى ظروف النشر ونحو ذلك ، فنى هذه الحالة يستطيع المحرر صاحب هـذا الأرشيف الخاص الغنىّ بكل هـذه المعلومات والآراء والأحكام أن يكتب تحقيقاً شاملا ، وبحثاً عميقاً يبهر به أبصـــار الناس ، ويستحوذ به على إعجابهم ، ويكون ذلك طريقاً إلى نجاح المحرر وعلوه إلى المرتبة اللائقة من مراتب التحرير .

وإليك مثلا آخر :

قد يقرأ المحرر قصة طلاق هنا أو هناك ، وربما كانت هـذه القصة مؤلفة من فقرة أو فقرتين فقط ، أو ربما حملته على الضحك ، أو أثارت فيه نوعاً من السخط أو الغضب ، ولكنه يسجلها عنده فوراً فى الأرشيف الخاص . .

وبعد يوم أو أسبوع أو شهر سيسمع أو يقرأ عن قصة طلاق أخرى، وربما وجد قصة مسلية ، فيحفظها أو يسجلها كذلك فى أرشيفه الخاص وتزيد هذه القصص عنده شيئاً فشيئاً ، وقد تدور كلها حول شكاوى غير عادية من الأزواج والزوجات ، وربما كشفت هذه القصص عن كثير من المآسى فى الحياة الزوجية عند أكثر الناس ، وقد يضم المحرر إلى هذا الأرشيف بعض الأحكام القضائية فى حوادث الطلاق مثلا .

وقد يجـــد المحرر فى هذه الأحكام ما يضع العراقيل أمام القيام بالإجراءات النهائية فى الطلاق ، إذا تبين أنه ضرورة لامحيص منها ، ويفرغ المحرر من جمع المعلومات والأحكام الكافية حول موضوع الطلاق ثم تسأله المجلة كتابة مقال أو بحث أو تحقيق أو استطلاع فى هذا الموضوع ، فهنا يجد نفسه قادراً على كتابة هذه المادة ، مستعيناً عليها بالأرشيف الخاص الذى يجعل لكلامه طعماً ورائحة ، وهو بهذه الصفة يصبح قادراً على إمداد مجلته بالمادة التى تكتسح بها السوق ، كما يقول رجال الاقتصاد .

على أن شيئاً آخر يظهر في مادة الكاتب الذى من هـذا الطراز ، وهذا الشيء هو مهارته الفائقة فى كتابة العنوان ، بشرط أن يكون فيه قدر كبير من الإغراء ، وقلما يوفق كاتب صحفى إلى نجاح كامل فى هذه الناحية مالم يكن قد درس موضوعه وعاش فيه مدة كافية .

* * *

بقى علينا أن نقف وقفة خاصة عند كل مادة من هذه المواد ، وهى :

١ — المقال من وجهة نظر المجلة لا الجريدة .

٢ — القصة فى المجلة .

٣ — التقرير بفنونه المعروفة ، وهى : الحـديث الصحفى — والتحقيق الصحفى — والماجريات الصحفية : برلمانية، وقضائية، وسياسية ، ودبلوماسية .

٤ — الإعلان والصورة ، وطرق تحرير هذين الفنين من فنون الصحافة .

الفصل الثانى

المقـــال فى المجلة

من آراء الإنجليز أن المقال أنواع ثلاثة لا تخرج فى مجموعها عن الأنواع التى سبق شرحها فى باب المقال . . وهى :

١ — Essay

٢ — Article.

٣ — Feature.

والأول منها — يمتاز بشىء من الطول ، كما يمتاز بشىء من الذاتية إذا كان الموضوع أدبياً ، وبشىء من الموضوعية إذا كان علمياً .

والثانى — هو المقصود بالمقال الصحفى ، لا الأدبى ولا العلمى ، وهو أقل من الأول حظاً فى عنصر الذاتية ، لأنه مقال يقصد به نقل الحقائق المتصلة بالخبر ، إما بقصد التوجيه والإرشاد ، وإما بقصد التدليل والإقناع ، وإما بقصد التسلية والإمتاع .

والثالث — يكون أقرب إلى المقال الصحفى منه إلى المقال الأدبى أو العلمى ، وهو أكثر ظهوراً فى المجلات ، على حين أن المقال الصحفى أكثر شيوعاً فى الجرائد .

وتشترك الجريدة والمجلة فى جميع الأنواع المتقدمة ، وإن كان النوع الأول أنسب للمجلات ، كما قلنا ، منه للجرائد ، وكان النوع الثانى على عكس ذلك .

وفى النوع الثالث تشترك المجلة والجريدة كذلك ، إلا أننا نلاحظ أنه إذا كان الموضوع المشترك بينهما — على سبيل المثال — «أغا خان» فى القاهرة

مثلا فإن الجريدة تكتب عن « أغا خان » وعن زوجاته وأولاده وعاداته وأخلاقه ، وتسوق المادة التى تنشرها من ذلك ، وهى أدنى فى طبيعتها إلى الخبر من حيث هو خبر .

اما المجلة فإنها تكتب عن «أغا خان» بشىء من التأمل والهدوء، يدعو القارىء إلى التفكير ، فضلا عن كونها تسعى إلى تسليته بما تورده من المعلومات فى هذا الموضوع .

ولا شك أن عنصر الوقت الذى يتسع أمام المجلة ولا يتسع أمام الجريدة هو السبب الذى من أجله اختلفت نظرة كل منهما إلى موضوع « أغا خان » .

ومهما يكن من شىء فإن المقال الذى تنشره المجلة يمتاز بالطول بحيث تتراوح كلماته بين ألف وستة آلاف كلمة ، ولا يتقيد المقال الذى ينشر فى المجلة بقالب معين ، وذلك كله فضلا عن ميزتين أخريين هما : الذاتية ، والحرية ، وثم ميزة ثالثة أيضاً ، هى أن المجلة تعالج الموضوع من أفق أعلى وزاوية أكثر انفراجاً .

وهكذا نرى أن المجلة تعتمد اعتماداً كبيراً على « المقال » لكى تجذب به انتباه القراء الذين لا يعجبهم القصص أحياناً ، وهذا مايدعونا إلى النظر فى صفات كاتب المقال .

صفات كاتب المقال :

صدق من قال « إن كاتب المقـال شخص يعبر عن الحياة بلغة الحياة ، ينقدها بأسلوبه الخاص ، ولا ينظر إلى الحياة نظرة المؤرخ أو الشاعر أو الفيلسوف أو القصاص ، ولكن يتوافر فى فنه شىء من كل ذلك ، وليس يعنيه أن يكشف عن نظريات جديدة ، ولا أن يوجد الصلة بين أجزائها المختلفة ، لأن طريقته فى العمل أدنى إلى الأسلوب التحليلى ، فهو يراقب

ويسجل ما يراقب ، ويفسر الأشياء كما تبدو لناظره ، ثم يدع خياله يمرح في مغزاها .

والغاية من هذا كله أن يحس إحساساً عميقاً بصفات الأشياء ، ويلق عليها نوراً واضحاً رقيقاً ، لعله بهذا وذاك يستطيع أن يزيد الناس إحساساً بالحياة ، وأن يهيئهم لما اشتملت عليه من المفاجآت المفرحة حيناً ، والمحزنة حيناً آخر » (١) .

« إن المقالة قد تدور حول شيء مما أبصره المؤلف أو سمعه أو شمه أو تصوره أو اخترعه أو توهمه ، ولكن المهم أن يكون قد ترك في نفس الكاتب أثراً خاصاً ، وتكون في ذهنه منه صورة خاصة . ويتوقف مجال المقالة على مجال الفكر الذى تصور ، ثم سجل ما تصور . . فالعبرة إذن بأن يحس الكاتب إحساساً قوياً بموضوعه ، وأن يعبر عنه بعبارة قوية رائعة » (٢) .

لقد درجت صحيفة «المؤيد» لصاحبها السيد على يوسف على نشر مقالات أمريكية من حين لآخر ، اشتهر بها كاتب أمريكى معروف فى ذلك الوقت ، واستأثرت هذه المقالات بإعجاب الجمهور المصرى يومذاك ، فذهب أحد المعجبين بها فى مصر إلى أمريكا ، واحتال حتى وصل إلى هذا الكاتب الأمريكى وسأله : كيف تكتب المقال ؟ فأجاب :

أقضى نهارى فى مراقبة الناس وأحوالهم ، وفى مطالعة أفضل الكتب والمؤلفات ، ومتى اختمر فى عقلى المعنى الذى اخترته موضوعاً لكتابة المقال أتيت غرفتى هذه ، وكتبت مقالتى على الآلة الكاتبة .

---

(١) محمد عوض محمد « محاضرات فى فن المقالة الأدبية » ص ٦٤ ، نقلا عن الكاتب الإنجليزى بنسن Benson .

(٢) نفس المصدر ص ٦٣ .

إن معنى ذلك إذن أن المقال يكون وليداً للصدفة حيناً ، وللتأمل والتفكير الطويل حيناً آخر ، ومن هنا كانت « العين الصحفية » بالنسبة للمقال «كالأنف الصحفية » بالنسبة للأخبار .

يقص علينا الكاتب الأمريكي ويلزلى Welseley فى كتابه « عالم المجلات » حكاية بسيطة عن طالبتين فى إحدى كليات الصحافة ، طلب الأستاذ إلى إحداهما أن تكتب ثلاث مقالات فى موضوع الدين ، ورأت الطالبة أن هذا الطلب معقول بالنسبة لها ، فقد قالت إن لديها قدراً من الثقافة الدينية يسمح لها بذلك ، وفرغت من كتابة المقالات الثلاث ، فجاء المقال الأول خليطاً من المعلومات الخاطئة ، والعبارات الدالة على التعصب الأعمى ، كما جاء مشتملا على فقرات تشير — على طريقة السرد — إلى بعض العقائد الدينية السائدة .

وقرأ الأستاذ المقال فلم يرق فى نظره ، وسأل الطالبة عن عملها الخارجى فقالت : إنها تشتغل بتجارة « الأبسطة المصنوعة من خيوط النايلون » . فطلب إليها أن تكتب ثلاث مقالات أخرى عن هذا النوع من الأبسطة ، وأن تضمن المقال رأيها فى تنسيق البيوت ، وطريقة تزيينها بهذا النوع من المفروشات ، ثم اقترح الأستاذ عليها أن تبعث بهذه المقالات رأساً إلى مجلة بعينها ، وكتبت الطالبة هذه المواد وبعثت بها إلى هذه المجلة ، فلم تلبث أن تلقت من محررة القسم النسائى بها دعوة لتناول الغداء معها فى المنزل ، وناقشتها المحررة فى محتويات المقالات الثلاث ، ولما تمت المقابلة عرضت الطالبة آراءها وتعديلاتها لبعض الأجزاء فى هذه المقالات ، ثم نشرتها تباعاً فى المجلة ، وكتبت الطالبة لأستاذها بعد ذلك له تقول : لقد تحققت المعجزة ، ونشرت المجلة جميع المقالات ، وبعد سنوات التحقت هذه الطالبة بهيئة التحرير فى هذه المجلة .

حقائق حول كتابة المقال فى المجلة :

المقال الذى تنشره المجلة إما أن يكون « مقالا افتتاحياً» أو مقالا «غير افتتاحى » .

فالأول — تعبير عن رأى المجلة فى المشكلة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الأدبية أو الفنية التى تعرض لها المجلة .

والثانى — تعبير ذاتى من جانب الكاتب يصور به آراءه ، ويعبر به عن ذات نفسه ، ولا يقصد به إلى أكثر من الإقناع حتى يأخذ القارىء بوجهة نظره .

وهنا يحسن بنا أن نذكر كلمة قالها المعقب الأمريكى والتر ليبمان Lippmaun وهو يحلل ما يسميه «الرأى العام» حيث قال : « إننا لانحكم على الأشياء فى ذاتها ، بل على الصورة التى نكونها نحن عنها ، أى أن الصورة التى فى رءوسنا هى مادة آرائنا ، ومضمون هذه المادة على الدوام » .

والصحف اليومية — كما يقول الأستاذ « دينوابيه » صاحب كتاب « الصحافة فى العالم » ، تشارك بجزء فقط فى تكوين هذه الصورة التى فى رءوسنا ، وأما الأجزاء الأخرى فآتية عن طريق المجتمعات العامة ، والمنابر والمحاكم والمجالس النيابية وغير ذلك من الوسائل الفعالة فى التأثير على الرأى العام ، وأخيراً تسلطت السينما والإذاعة على عقول الجماهير إلى درجة جعلتهما تعتقدان خطأ أنهما سوف تخلعان الصحافة عن عرشها إلى الأبد .

ثم قال الأستاذ « دينوابيه » كذلك : « وفى المنافسة بين هذه الوسائل المتعددة فى تكوين آراء الناس تلعب المجلات دوراً هائلا ، وذلك عن طريق الصور والقصص والموضوعات التى درست درساً عميقاً ونحو

ذلك ، ومن المحقق أن الجماهير تتأثر بصورة الصحف الأسبوعية أكثر من تأثرها بصورة الصحف اليومية ، ومن المحقق أيضاً أن الأثر النسبي الذى تتركه الصحف اليومية فى عقول الشعب مائع إلى الحد الذى يتعذر معه القياس الدقيق لهذا الأثر .

ثم أيد الأستاذ « دينوابيه » كلامه بعد ذلك ببحث قام به حول قوائم توزيع الدوريات والمجلات فى فرنسا فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٧ ، أثبت فيه أن الجرائد اليومية تستهلك قدراً من الورق أقل نسبياً من الورق الذى تحتاج إليه جميع الدوريات على اختلافها .

والمفروض فى افتتاحيات المجلة أنها بناءة ، والمجتمع يعتمد فى هذا البناء على المجلة أكثر من اعتماده على الجريدة ، ولكل فائدة وميزة ، بحيث لا تغنى إحداهما غناء تاماً عن الأخرى .

وميزة الجريدة هى التكرار ، وميزة المجلة هى العمق ، والحق أن الافتتاحيات البناءة جليلة النفع للمجتمع وللحكومة ، وخاصة عندما تقوم على تفكير عميق ، ومعلومات دقيقة .

الواقعية فى المقال :

هناك شىء آخر يجب توافره كذلك فى افتتاحيات المجلة ، هو « صفة الواقعية » ، ولكن كيف تكون كاتباً واقعياً بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ؟

إن الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة ولا هينة ، إذ أنه ربما كانت الكتابة الخيالية أسهل بكثير من الكتابة الواقعية ، وذلك بالرغم من أن حقائق الحياة كثيراً ما تكون أغرب من الخيال نفسه .

وصعوبة الكتابة الواقعية هى فى جعل حقائق الحياة قابلة للتصديق ،

وبعبارة أخرى : يجب على الكاتب الواقعى أن يعرف ماذا يروق الجماهير ؟ وما الذى يجب أن يعرفوه ؟

إن على الكاتب الواقعى إذن أن يتعرف بنفسه إلى الحقائق والمعلومات التى يحب القراء أن يلموا بها ، ولكن ليس للكاتب الواقعى أن يسأل الناس من آن لآن : ماهى هذه الحقائق أولا ؟

إن على الكاتب الواقعى أن يحترم رغبات القراء ، وأن يجعل من نفسه خادماً لهم ، ولكن على شريطة ألا يقدم لهم من المعلومات إلا ما يتصف بالدقة والصدق ؛

كما أن عليه أن يثابر قبل ذلك على البحث عن هذه الحقائق حتى يتألف له منها عدد كاف ، ثم ينشر من هذا العدد مايناسب الأحداث الجارية ، ويلذ القراء ، وكل ذلك فى لغة سهلة بعيدة عن الغرابة والتعقيد ، وبذلك كله تتوافر للمقال الصحفى الذى تنشره المجلة صفتان لازمتان هما :

الواقعية من جانب ، ويسر القراءة من جانب آخر ، والصفة الأخيرة هى المقصودة بالكلمة الإنجليزية Readability ، ومعناها الحرفى «الإنقرائية أو طواعية القراءة » ، وتأتى هذه الطواعية المطلوبة عن طريق سهولة الألفاظ ، وألفة التراكيب ، ومعرفة المحرر بقدرة الكلمة على الإيحاء أو بما يكون لها من ظلال وأصداء فى ذهن القارىء .

«وبعد» فعلى كاتب المقال فى المجلة أن يضع هذه الحقائق نصب عينيه دائماً ، وهى :

أولا — أن قارىء المجلة أعلى مستوى من قارىء الجريدة اليومية من حيث اللغة ، ومن حيث الثقافة ، وربما من حيث المستوى الاجتماعى والمستوى الاقتصادى كذلك .

ثانياً — أن الوقت الذى ينفقه القارىء فى المجلة أطول من الوقت الذى ينفقه فى قراءة الجريدة اليومية ، ذلك لأن قارىء المجلة إنما يقرؤها على مهل ، وغالباً ما يكون ذلك بعد الفراغ من عمله ، اليومى ، أو فى عطلة الأسبوع .

ثالثاً — أن قارىء المجلة يهتم بأسلوب الكاتب ، ويهتم بالموضوع الذى يكتب فيه ، أما قارىء الجريدة اليومية فقلما يهمه الأسلوب ، إلا عندما يقرأ العمود الصحفى لكاتب معروف ، لأنه يقرأ ما يقرأ ليقف فقط على المضمون العام .

رابعاً — أن الكتابة للمجلات تحتاج إلى عنصر الخيال فى كثير من الأوقات ، وتعتمد كما قلنا ، على قوة البـــلاغة ، على حين أن الكتابة فى الجريدة اليومية لا تحتـــاج إلى أكثر من الوضوح فى شرح الحقـائق والأحداث .

النظام التقليدى لصياغة المقال :

إن النظام التقليدى لصياغة المقال هو أن يكون على النحو الذى سبق شرحه فى أحد الأبواب المتقدمة ، وهو أن يشتمل المقال على ما يلى :

١ — مقدمة تشتمل على فكرة من الأفكار تثير اهتمام القارىء ، أو تشتمل على رواية دقيقة وموجزة للخبر الذى يبنى عليه المقال .

٢ — شواهد وحقائق تؤيد الفكرة التى بنى عليها المقال .

٣ — خلاصة للمقال تكون بمثابة خاتمة له تبلور النتيجة أو الهدف الذى كتب من أجله المقال .

غير أن من الكتاب من يستطيعون الاستغناء عن عنصر المقدمة أو التقديم فى بعض الأحيان ، ولهم فى البدء فى كتابة المقال طرق شتى منها على سبيل المثال :

(ا) أن يبدأ المقال على شكل سؤال يلقيه الكاتب على القارىء .

(ب) أن يبدأ بجملة تثير الضحك أو السخرية من شيء معين .

(ج) أن تكون البداية بجملة فيها معنى الغضب أو الثورة على شيء معين .

(د) أن يبدأ المقـــال بإشارة طفيفة إلى أسطورة من الأساطير المعروفة ، عربية كانت أم أجنبية ، قديمة كانت أم حديثة .

(ه) ربما يبدأ المقال بحقيقة من الحقائق العامة التى لا تكون موضعاً لجدل من القارىء ، وهكذا .

الفصل الثالث

القصة فى المجلـــة

يمكن تقسيم القصة من حيث الطول والقصر إلى ثلاثة أنواع :

الأول — الأقصوصة .

الثانية — القصة القصيرة .

الثالثة — القصة الطويلة .

وتمتاز القصة القصيرة بأنها تتيح لكاتبها التعبير عن فكرة واحدة فقط ، يسلط الكاتب عليها كل الأضواء ، ويعزلها عزلا تاما عن جميع الأفكار الأخرى ، وبهذه الطريقة يستطيع الكاتب أن ينقل للقارىء صورة قوية عن هذه الفكرة الواحدة تكون بطبيعة الحال أقوى بكثير مما لو كانت ضمن أفكار أخرى تشتمل عليها القصة الطويلة أو الرواية ، ثم إن القصة القصيرة يمكن أن يقرأها القارىء فى جلسة واحدة ، وفى هذه الحالة يحصل القارىء على جميع ما للقصة من تأثير كامل دفعة واحدة

أما القصة الطويلة أو الرواية فإنها تحتاج إلى جلسات كثيرة ، ومن ثم يقع تأثيرها فى نفس القارىء على دفعات .

ومعنى ذلك أن القصة القصيرة أصلح للمجلة ، وأن القصة الطويلة أو الرواية أصلح للجريدة اليومية .

وسندع الكلام عن الرواية ، لأنها لا تهمنا فى الكلام عن المجلة ، وننظر قليلا فى القصة القصيرة .

فن القصة القصيرة

إن الذى لاريب فيه أن القصة القصيرة أدنى إلى الأدب الواقعى بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، ومن هنا جاءت ملاءمتها للصحف ، وأصبحت من المواد اللازمة لها منذ ظهور الصحافة ، والصحافة فى ذاتها أدب واقعى قبل كل شىء ، لأنها تعنى بالمجتمع وبما يقع فيه من أحداث .

ولقد كان الكاتب الفرنسى الشهير « جى دى موباسان » من كتاب النصف الثانى من القرن التاسع عشر أول كاتب رسم للقصة القصيرة طريقاً جديداً بالمعنى الصحيح .

ذهب هذا الكاتب إلى أن القصة القصيرة ليس من الضرورى أن تدور حول الأحداث الخطيرة ، بل يغلب عليها أن تدور حول الأمور العادية التى تحدث للناس كل يوم ، وفى ذلك ما قد يكشف عن أشياء كثيرة فى النفس البشرية التى يهم القارىء أن يعرف عنها الشىء الكثير .

ومن هنا كانت الأحداث فى القصة القصيرة عند هذا الكاتب أحداثاً عادية . وكان الأشخاص فى القصة أشخاصاً عاديين ، وكانت مواقف القصة مواقف عادية ، وبهذه المواقف العادية استطاع الكاتب أن يفسر الحياة تفسيراً سليماً ، وأن يكشف فيها عن زوايا خفية ، وأن يشرح النفس الإنسانية شرحاً دقيقاً .

وبينما كان « جى دى موباسان » هذا يكتب القصة القصيرة بأسلوب سهل يدنو كثيراً من أسلوب الصحافة ، إذا بالكاتب الروسى « تشيكوف » يعمد فى كتابة قصصه إلى أسلوب بعيد كل البعد عن أسلوب الصحافة ، وبذلك عمل على أن تستعيد القصة القصيرة مكانتها من حيث البلاغة والأناقة وسمو التراكيب .

وأما خطة هذا الكاتب الروسى فى كتابه القصة القصيرة فتقوم على هذه القاعدة : « عرف الناس بالناس ولا تعرفهم بنفسك »

وهذا مثال من قصص « تشيكوف » يفصح فيه عن طريقته ، ويكشف عن ميله الشديد إلى الإيجاز الذى عرف به .

فى هذه القصة ، وعنوانها «موت موظف حكومة» نرى موظفاً حكومياً ، هو واحد من آلاف الموظفين الذين عرفتهم الأداة الحكومية فى روسيا القديمة يعطس يوماً فوق صلعة قائد كبير جلس أمامه فى المسرح ، فيرتاع الموظف الصغير من فعلته هذه ، ويستبد به الخوف إلى درجة مزعجة تملك عليه كل مشاعره ، ويقول لنفسه : أما علىّ أن أقوم بواجب الاعتذار وأؤكد للقائد العظيم أن العطسة كانت بغير قصد منى ؟ إن غضب القائد قد يجر على — وأنا الموظف الصغير — أوخم العواقب . واستجمع الموظف الصغير كل شجاعته ، وذهب إلى القائد واعتذر له مرارا وتكراراً ، حتى اضطر القائد نفسه فى النهاية أن يأمر بطرده من مجلسه فطرد المسكين ، وإذ ذاك بلغ به الخوف والهلع مبلغاً أفضى به إلى الموت فى داره فور وصوله إليها . !

هذه قصة مبكية مضحكة فى وقت معا ، وهى فى الوقت نفسه موجزة كل الإيجاز ، محبوكة كل الحبك ، ولكن دون أن تنقصها كلمة واحدة يكمل بها التأثير الكلى فى القارىء أو فى السامع .

ومن ثم اشترطت فى القصة القصيرة شروط ثلاثة ، هى :

أولا — أن تكون لها بداية ووسط ونهاية.

ثانياً — أن تكون تصويراً لحدث متكامل له وحدته التى تتمثل فى البداية ، والوسط ، والنهاية .

ثالثا — أن تحدث فى القارىء أثراً كليا ، أو تؤدى إلى معنى كلى .

ومعنى هذا أن القصة القصيرة لا يمكن أن تكون مجموعة أخبار يربط الكاتب بينها بطريقة مصطنعة ليوهم القارىء أنها قصة وهى ليست كذلك.

إن القصة القصيرة عبارة عن موقف قصصى ، أو موقف من مواقف الحياة يأخذ فى النمو شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى نقطة معينة يسميها النقاد «لحظة التنوير» كما سنشرح ذلك فيما بعد .

عناصر القصة القصيرة :

تبنى القصة القصيرة على أربعة أركان أو عناصر :

١ — عنصر الحوادث أو الأخبار .

٢ — عنصر الشخصيات .

٣ — عنصر الفكرة أو المعنى .

٤ — لحظة التنوير ، وهى اللحظة التى يكسب بها الحدث معنى من المعانى يكون هو المعنى الذى كتبت من أجله القصة .

عنصر الحوادث والأخبار :

لا بد للقصة من خبر من الأخبار ترويه بصورة فنية ، ولكن يجب أن يكون مفهوماً على الدوام أنه ليس كل خبر أو مجموعة من الأخبار قصة . فالشرط فى أن يصبح الخبر قصة هو أن يكون له أثر كلى فى نفس القارىء، وبعبارة أخرى : ينبغى للخبر الذى تحكيه القصة أن تتصل تفاصيله وأجزاؤه بعضها ببعض بحيث يكون لمجموعها أثر كلى ، هذا فضلا عن توفر شرط آخر سبقت الإشارة إليه : وهو أن تكون للخبر بداية ، ووسط ، ونهاية ، ثم لا يكفى أن يكون للخبر أثر كلى ، بل يجب أن يصور حدثا أو موقفا معينا ، أو بداية معينة تأخذ فى النمو شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى نقطة معينة ، هى «لحظة التنوير» التى أشرنا إليها ، وقلنا إننا سنشرحها بعد ذلك .

وعلى هذا يكون الفرق بين الخبر الذى يقتصر على تزويدنا بالمعلومات ،

والخبر الذى يصوّر حدثاً من الأحداث تصويراً فنياً من نوع معين ، هو الفرق بين القصة الإخبارية فى الجريدة ، والقصة الفنية المعروفة فى الأدب .

فلو كتبت لأحد أصدقائك تقول له :

« سافرت إلى الريف وسحرنى بجماله وهدوئه ، وقضيت الوقت كله فى الحقول ، ومن أجل ذلك تأخرت فى الكتابة إليك ، أما عمدة القرية فلا يسأم الجلوس فى « الدوار » . ويجمع حوله رفاقه من شيوخ القرية ، ولقد كنت طوال هذه المدة أجالس العمدة ، وأقرأ له الجرائد والمجلات ، واستمع معه إلى الراديو ، وأكبر أولاد العمدة — وهو صديق لى كذلك عاد من العاصمة وقال : إنه انتهى من الامتحان النهائى فى كلية الحقوق ، وأنه سيصبح محامياً بعد بضعة أسابيع ، وهو يمارس الآن تجربة حب عنيف مع فتاة من بنات القرية تقرب منه فى السن ، ويقال إنها تحب فتى غيره ، ومثلى لا يمكن أن تغيب عنه هذه المعلومات التى أكتبها إليك بثقة .

فإن فى هذا الخطاب أخباراً يرويها الكاتب لصاحبه ، ولكنها رويت بحيث بدأ كل خبر منها منفصلا أو كالمنفصل عن الخبر الآخر ، ومجموع هذه الأخبار لم يترك فى نفس القارىء أثراً كلياً ، ولذا عجزت كل هذه السطور أو الأخبار عن أن يكون لها معنى كلى ، لذلك لا ينبغى لنا مطلقاً أن نطلق على هذه السطور اسم « قصة » .

إنها مجرد أخبار تزودنا ببعض المعلومات كالأخبار التى نقرؤها كل يوم فى الصحف لا أكثر ولا أقل .

أما القصة فإنها ومضة من الضوء يلقيها الكاتب على شريحة من شرائح الحياة إذا صح هذا التعبير ، ليصور بها حادثة ذات وحدة عضوية ، ويكشف بها عما يربط بين أجزائها من معان أو علاقات .

إنها إذن تعتمد على أساسين كبيرين هما : اللمسة الإيحائية من جانب ،

وخلق مشكلة من المشكلات التى تعرض للبشر ، وحل هـذه المشـكلة من جانب آخر .

وكما عرفنا كيف نفرق بين القصة الإخبارية فى الصحافة ، والقصة القصيرة فى الأدب ، كذلك ينبغى لنا أن نفرق بين المقال القصصى والقصة القصيرة ، فهذه الأخيرة — وهى القصة القصيرة — أدنى إلى الأدب والفن بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة .

ذلك أن « العقدة » و « لحظة التنوير » شرطان أساسيان فى هذا اللون من الأدب ، على حين أن المقـال القصصى لا يشترط فيه أن تـكون له « عقدة » ولا يحتاج إلى « لحظة التنوير » التى تنحل بها هذه العقدة .

إن المقال القصصى أقرب إلى « الأقصوصة » منه إلى « القصة القصيرة » ، وللقارىء أن يرجع فى ذلك إلى ما سبق أن كتبناه عن المقال القصصى كما هو معروف عند الـكاتب الشهير باسم « إبراهيم عبد القادر المازنى » .

عنصر الشخصيات :

مما لا شك فيه أن كل حدث من الأحداث لا يقع بالطريقة التى وقع بها فى القصة إلا لوجود شخص معين أو أشخاص معينين يجرى على أيديهم هذا الحدث المعين .

ومعنى ذلك أن الحدث فى القصة هو هذه الشخصية أو الشخصيات التى تعمل ويجرى على أيديها الحدث بصورة خاصة ، ووحدة الأحداث فى القصة لا تتحقق إلا بتصوير الشخصيات وهى تعمل فى داخل القصة ، وهـكذا يتطور الحدث من نقطة إلى أخرى ، أى أن كل جزء فى القصة يبدو كأنه يؤدى إلى الجزء الذى يليه وهكذا ، وربما كان من أوضح الأمثلة على دور الشخصيات وهى تعمل ويجرى على يديها الحدث قصة كـتبها

الـكاتب الفرنسى الذى مر ذكره ، وهو هنا ، جى دى موباسان ، بعنوان :

فى ضوء القمر[1]

بدأت هذه القصة بموقف للأب « مارينيان » وهو يمشى فى حديقة له بالقرية ويسأل نفسه : « لماذا فعل الله ذلك ؟ » ؟ إن عظمتك ياربى أعظم من أن تدركها عقول البشر ، وبهذا المنطق البسيط طفق الرجل يفسر الطبيعة من حوله ، فالشمس لإنضاج المحاصيل ، والمطر لسقى الزرع ، والليل ليستعد الناس للنوم . . . وهكذا .

غير أنه كان يكره النساء كل الـكره ، وكان يزعم أن الله تعالى غاضب عليهن ، وكان يعتقد دائماً أن الله خلق المرأة لغواية الرجل واختباره ، وكانت له ابنة أخت تعيش مع أمها فى منزل صغير قريب من منزله ،وكان قد صمم على أن يجعل منها راهبة ، وكانت الفتاة تحب الحياة وتستجيب لجمال الطبيعة بأكثر مما تستجيب لوعظ خالها ، وفى يوم من الأيام أخبرت مديرة البيت الأب مارينيان أن ابنة أخته قد اتخذت لنفسها عشيقاً فصاح الأب : كـذب . . كـذب ! ! .

ولـكن المرأة التى أخبرته بذلك قالت : ليعاقبنى الله إن كنت أكذب يا سيدى القس . . إنهما يتقابلان كل ليلة بجانب النهر ، وما عليك إلا أن تذهب إلى هناك ما بين الساعة العاشرة ومنتصف الليل ، وفى موجة من الشعور بالحزن والخيبة والعار وخدش الـكرامة أخذ القس عصا فى يده من خشب البلوط وخرج من بيته ، ولـكنه ما لبث أن توقف عندالباب مبهوتاً مأخوذاً بجمال الطبيعة .

وكان بهاء القمر رائعاً روعة نادرة ، وشعر الرجل فجأة أن جمال الليل

---

(١) رشاد رشدى « القصة القصيرة » من ص ٤١ — ٤٨ بتصرف .

وجلاله وبهاءه قد حرك قلبه ، وفى حديقته الصغيرة التى سبحت فى ضياء باهت عكست أشجار الفواكه ظلالها على ممر أغصان رقيقة من الخشب تكسوها الخضرة ، ومن الزهور المتسلقة على الحائط انبعثت رائحة جميلة ، وسار الرجل ببطء مسحورا مبهوراً حتى كاد ينسى ابنة اخته ، وعندما وصل إلى بقعة عالية قف ويرقب الوادى بأجمعه وبهاء القمر يحتضنه ، وسحر الليل الهادىء الجميل يغرقه . . . واستمر الأب يمشى وهو لا يعرف لم تخلت عنه شجاعته ! وود لو يجلس أو يتوقف حيث هو ليحمد الله على ما صنعت يداه ، وهناك فى طرف المرعى رأى ظلان يمشيان جنباً إلى جنب تحت الأشجار المتعانقة الغارقة فى الضباب الفضى .

كان الرجل هو الأطول ، وقد لف ذراعه حول عنق حبيبته ، ومن وقت لآخر كان يقبلها فى جبينها ، وفجأة دبت الحياة فى الطبيعة المهجورة التى أحاطت بهما وكأن الطبيعة نفسها إطار إلهى صنع خصيصاً من أجلهما ، وبدأ الشخصان كأنهما كائن واحد ، هو الكائن الذى خلق من أجله الليل الهادىء الساكن ، واقتربا من القس كأنهما إجابة حية على سؤاله الذى ألقاه على نفسه فى بداية القصة ، إجابة بعث بها إلى ربه الأعلى . . . وإذ ذاك كان الأب « ماربنيان » يلقى على نفسه سؤالا آخر :

ألم أكن على وشك الخروج على طاعة الله ؟ ، لو لم يكن الله يرضى عن الحب لما أحاطه بمثل هذا الإطار من الجمال والسحر والبهجة والعظمــــة !! .

وهرب الأب مذهولا وهو يكاد يشعر بالخجل أو بالوجل ، كما لو كان قد اجتاز هيكلا مقدساً لا حق له فى اجتيازه فى تلك اللحظة !!

* * *

هذه القصة تصور لنا حدثاً متكاملا له وحدته ، وتصور لنا الشخصية وهى تعمل ، وتصور لنا الفعل والفاعل والشخصية شيئاً واحدا لا يمكن تجزئته ، ومن ثم نجحت هذه القصة نجاحا كبيرا ، وبصرف النظر عن

كونها تشتمل على خبر تافه فى ذاته ، هو عبارة عن قسيس يدعى « الأب ماريليان » سمع أن ابنة أخته على علاقة بأحد الشبان ، فخرج ليضبطهما متلبسين بالجريمة ، وتربص لهما فى الحقول والوديان ، وبعد مدة رآها قادمة مع حبيبها تتهادى فى ضوء القمر ، فخجل من نفسه وعاد إلى بيته .

عنصر الفكرة أو المعنى :

إن تصور الحدث فى القصة من البداية إلى الوسط ثم إلى النهاية لا يكفى لتطوير الحدث نفسه ، لأن الحدث عبارة عن تصوير الشخصية فى القصة وهى تعمل ، ثم إن تصوير الشخصيات فى القصة وهى تعمل لا يكفى كذلك لإحداث التكامل فى القصة ، فالتكامل فى القصة أو الحدث هو تصوير الشخصية وهى تعمل عملا معينا له معنى أو فكرة تهدف إليها القصة ، وليس المعنى أو الفكرة شيئا مستقلا عن الحدث يمكن أن نضيفه إليه متى أردنا ، أو نفصله عنه كيفما شئنا ؛ فنقول مثلا : إن هذه القصة تعالج مشكلة الفقر ، أو تثبت أن الفضيلة أقوى من الرذيلة ، ومعنى ذلك باختصار شديد أن الحدث والمعنى أو الفكرة فى القصة وحدة لا تتجزأ .

انظر إلى القصة السابقة « فى ضوء القمر » تجد أن الحدث له بداية ، ووسط ، ونهاية ، وتجد أن المعنى أو الفكرة والحدث وحدة لا تتجزأ إلى أجزاء يمكن أن ينفصل بعضها عن الآخر ، ومن ثم أصبح هذا الحدث متكاملا . والوحدة بينه وبين المعنى تامة ، وليست مفروضة عليه بصورة من الصور ، وهذا المعنى هو أن الله تعالى يرضى عن الحب ، والكاتب هنا لا يعبر عن هذا المعنى فى شكل إخبارى بحت ، وإنما يعبر عنه فى شكل فنى هو عبارة عن حدث ينمو فى القصة شيئاً فشيئاً حتى تؤدى إلى المعنى الذى كتبت من أجله القصة .

لحظة التنوير :

لـكى تـكمل للقصة القصيرة مقوماتها الفنية المطلوبة يجب أن تصور حدثاً متـكاملا يجلو موقفاً من المواقف الإنسانية كما قلنا .

إن كاتب القصة القصيرة لا يسرد تاريخ حياة أحد من الناس ، ولا يلقى أضواء مختلفة على أحداث كثيرة ، ولا يكشف عن زاويا متعددة للأحداث والشخصيات ، كما يفعل كاتب القصة الطويلة أو الرواية ، بل ينظر إلى الحدث من زاوية معينة لا من عـدة زوايا ، ويلقى عليه ضوءاً معيناً ، لا عدة أضواء ، ويهتم بتصوير موقف معين فى حياة فرد أو جماعة ، لا بتصوير الحياة كلها . . فالنهاية فى القصة القصيرة تـكتسب أهمية خاصة ، لأنها النقطة التى تجمعت فيها خيوط الحدث كلها ، وبها يكتسب الحـدث نفسه معنى وفـكرة ، ولذا سميت هذه النقطة : « لحظة التنوير » .

وبالقصة التى ضربنا بها المثل ، وهى قصة « فى ضوء القمر » نجد لحظة التنوير ، وقد عبر عنها الـكاتب فى قوله :

« وفجأة خيل إلى القس أن الحيـاة قد دبت فى الطبيعة المهجورة التى أحاطت بالفتى والفتاة وكأنها — أى وكأن هذه الطبيعة الحية — إطار إلهى صنع خصيصاً من أجلهما ، واقتربا من القس كأنهما إجابة حية على سؤاله ، إجابة بعث بها إليه ربه الأعلى ، وقال الأب على الفور : ربما خلق الله مثل هذا الجمال إطار المثله الأعلى « وهو حب الإنسان » ، وتراجع بعيداً عن الحبيبين وهو يكاد يشعر بالحياء والخجل كما لو كان قد اجتاز معبدا لا حق له فى اجتيازه » .

نسيج القصة :

رأينا كيف أن بناء القصة كبناء الـكائن الحى ، وأن كل جزء فى هذا البناء لا يمكن أن ينفصل أو يستقل بنفسه عن الأجزاء الأخرى ، بل يشاركها فى الغاية من وجوده .

والغاية من القصة — كما عرفنا — هى تصوير حدث معين لهدف معين، ينسج الكاتب من أجله قصة، ووسائل هذا النسيج كما نعرف أيضاً هى اللغة، والوصف، والحوار، والسرد، وغير ذلك من الأشياء التى تشترك كلها فى مهمة التصوير من جهة، وتطوير الحدث فى داخل القصة من جهة ثانية.

أما الوصف فإنه لا يرد فى القصة القصيرة لذاته، ولكن يرد فيها لغاية معينة، ولذلك لا يعمد الكاتب إلى وصف شخصية من الشخصيات من خلال منظاره هو، ولكن من خلال منظار الشخصية التى تتعامل مع غيرها من شخيصات القصة، وفى ذلك ما يساعد الحدث فى القصة على التطور والنمو شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى نهايته، ومعنى هذا أن الوصف فى نظر الكاتب والقارىء جزء كذلك من الحدث الذى تدور حوله القصة.

مثال ذلك:

إذا كان الشخص فى القصة القصيرة يحب الفتاة الطويلة ذات الشعر الأسود، والبشرة التى تميل قليلا إلى السمرة، فإن الكاتب الذى يريد أن ينشىء علاقة حب لهذا الشخص فى القصة لابد له أن يصف الفتاة فى القصة بنفس هذه الأوصاف المذكورة، لا بأوصاف يحبها هو، ويترجم بها عن مثله الأعلى فى الجمال ولو فعل غير ذلك لكان هذا خطأ فى نسيج القصة بهذا المعنى.

وكذلك الشأن فى اللغة التى تستخدم فى هذا الوصف، فإنها هى الأخرى يجب أن تكون لغة مطابقة للشخصية فى القصة القصيرة، فمن غير المعقول أن يدع الكاتب شخصياته تتكلم على مستوى لغوى واحد، فإن فى ذلك ما فيه من البعد عن الواقعية التى هى أساس هذا الفن من فنون الأدب، ونعنى به القصة القصيرة.

وفى نسيج القصة القصيرة يجب أن يلتفت الكاتب دائما إلى هذه الحقيقة،

وهى أن التقرير فى القصة لا ينبغى أن يحل فيها محل التصوير ، فالتقرير شيء والتصوير شيء آخر : الأول — وهو التقرير — لا يصح وروده فى القصة ، والثانى هو كل ما يمكن أن تعتمد عليه القصة .

إن التقرير لا يصف الإحساسات والمشاعر ، ولكن الطريق الوحيد لذلك هو التصوير ، فالابتسامة ، أو الدمعة ، أو السكوت عن الجواب ، أو العزلة ، أو الحركة تصدر من يد الشخص أو من كتفه ، والتصرف المعين ، أو السلوك المعين يصدر من هذا الشخص أيضا — كل هذه الأشياء تعين على التصوير الذى يقصد إليه الكاتب ، ولا يمكن اعتبارها تقريراً عن مشاعر الشخصية التى تجري على يدها كل هذه الحركات أو السكنات ونحو ذلك .

وهكذا لا تجد كاتب القصة يعمد إلى تقرير شيء من الأشياء أو التعليق عليه كما يفعل المحرر الصحفى ، وإنما يكتفى بتجسيم هذا الشيء فى عمل يصدر عن الشخصية ، ويحمل ذاتيتها وطابعها فى نفس الوقت .

والمهم أن تقول بعد ذلك : إن النسيج كالحدث وكالشخصية فى القصة ليس منفصلا عنها ، لكن هذه العناصر كلها شيء واحد ، فلا يمكن أن نتصور بناء القصة بعيدا عن نسيجها ، كما لا نستطيع أن نتصور أن أحداث القصة أو شخصياتها أو فكرتها ومعناها معزولة عنها .

الواقعية فى القصة القصيرة :

بقيت لدينا كلمة نشرح فيها المراد بصفة الواقعية فى القصة القصيرة ، وهى الصفة التى بدأنا بها هذا الحديث .

وإنا لمكتفون هنا بتجربة قام بها صاحب جريدة « الهاتف » ، وهى جريدة صدرت ببغداد ما بين سنة ١٩٣٤ وسنة ١٩٥٤ ، وصاحبها ورئيس

تحريرها هو الأستاذ جعفر الخليلى ، (١) قال :

كتب لى قارىء وأنا أدير جريدة «الهاتف» يقول : إنه كان قد سألنى مرة ما الذى يجب أن أعتمد عليه فى بناء القصة ؟ فأجبته بأن الواجب يقضى عليه بتوخى « الواقعية » بعد وثوقه من قابليته الفطرية للكتابة .

وعمل القارىء بهذه النصيحة ، وكتب قصة بيته ، وأرسلها إلى جريدة « الهاتف » فلم تنشرها الجريدة ، مع أنه لم يبعد فيها عن الواقع قيد شعرة ، وكانت قصة بيته التى يشير إليها ، والتى يلوم « الهاتف » على عدم نشرها بعنوان :

حياة أسرة

وهى قصة أرض قال إن أباه قد اشتراها من امرأة ، وهى واقعة فى الطرف الفلانى من المدينة ، وبالقرب من المحل الفلانى ، وقد أنجز أبوه بناءها فى طابقين ، اتخذ الطابق الفوقانى مسكناً له ، وخصنا أنا وعمتى وجدتى وأختى بالطابق التحتانى ، وفى البيت سلمان أحدهما بالقرب من باب الدار ، والثانى فى نهاية البهو ، وكلاهما ينتهيان بالطابق الفوقانى ، ويصلان إلى سطح الدار .

وقال إن أباه ينوى أن يبنى جناحاً آخر إذا ماجاء موسم الزراعة بمنتوج جيد فى السنة المقبلة ، وقد كان ينوى يوم خط خريطة البيت أن يبنى سرداباً ، ولكن صديقاً لأبى حذره قائلا : إنه لن يأمن أن يمتلىء السرداب بالماء فى موسم الفيضان ، فعدل عن بناء السرداب وبنى لنا تنورا لا تزال أمى وعمتى تتناوبان الخبز فيه ، وإن كان خبز أمى أحسن من خبز عمتى .

ثم أضاف قائلا : وليس فى بيتهم هذا مجال ليتخذ فيه حديقة ، ولكنهم

---

(١) جعفر الخليلى « القصة العراقية » ص ١٥٥ .

ينتظرون أن يبيعهم جارهم بيته المتصل ببيتهم ليتخذوا منه حديقة غناء إن شاء الله تعالى .

وتنتهى القصة بعد ذلك بحادث وقوع بيتهم هذا بسبب شق الطريق ، وكانت نتيجته أن انهدم البيت وعوضوا عنه بمبلغ معين، وهكذا تمت قصة حياة الأسرة ، أو قصة الدار قبل أن يتاح لهم أن يحققوا أمنيتهم منها .

لقد أقسم كاتب هذه القصة بأنه لم يكتب شيئاً يخالف الواقع ، ولم يفته شيء مما ينبغى أن يذكر لتكون الإحاطة تامة بجميع أطرافه ، وذلك طبقاً للقاعدة المطلوبة فى بناء القصة ، أو طبقا لنصيحة « صاحب الهاتف » .

قال صاحب « الهاتف » بعد ذلك :

« إن الواقعية التى أرادت أن تكون قاعدة أساسية للقصة لم أقصد بها أن ينبرى أحدنا إلى بيته أو إلى شارعه أو إلى مدينته أو أية جهة أخرى فيصفها وصفاً صحيحاً ، ثم يقدمها للناس باعتبارها قصة من القصص الفنية ، وإنما يجب أن تصف الواقعية موضوعا يصح أن يسترعى انتباه القارىء لغرابته ، أو للذته ، أو لاستهوائه النفس، أو لإثارته الكوامن ، أو لأى شيء مما يعنى به الناس كلهم أو بعضهم ، وذلك فى قالب فنى وإطار معين ، أما أن ينطلق الكاتب إلى المطبخ مثلا فينقل للقراء صورة صادقة لمواقع القدور والملاعق من الجهة اليمنى إلى الجهة اليسرى ، وموضع الطباخ أو من يطبخ فى بيته : أهى أمه أم عمته أم الخادمة ، ثم يحاسبنا على أنه قد راعى فى وصفه أهم قواعد القصة ، وهى « الواقعية » والإحاطة بجميع أطراف الموضوع فذلك شيء لا يمت إلى القصة بأى وشيج من النسب ، وإذا جاز أن يكون قصة فهو من نوع صاحب البيت المعمور الذى أشرنا إليه هنا ، والذى أسأل الله أن يكون أبوه قد اشترى له بيتا جديداً حقق فيه آماله من حيث السعة وإنشاء الحديقة » !!

* * *

تقول « اليزابيث بوين » فى تعريف « الرواية والحقيقة » :

إنها — أى الرواية — قصة مبتكرة ، ولكنها فى الوقت نفسه، ورغم كونها مبتكرة فإن لها القدرة على الإيحاء بالصدق ، وقد يتساءل البعض ، وما قياس هذا الصدق ؟

فأقول ، إنه بالنسبة للحياة كما يعرفها القارىء ، أو ربما كما يتحسسها هذا القارىء ، وأنا إنما أعنى القارىء الناضج الكامل النمو ، فمثل هذا القارىء يكون قد اجتاز مرحلة قراءة القصص الخرافية ، ونحن لا نريد فى الرواية شيئا من الأحداث الغريبة المستحيلة ، ولهذا فإنى أؤكد بأن الرواية يجب أن تنطبق على الواقع كما يعرفه الناضجون من الناس فى المجتمع .

ومعنى ذلك أن الرواية ليست نشرة إخبارية ، كما أنها ليست حوادث مثيرة للحس ، أو مثيرة للنظر ، وهنا يأتى دور الشرارة التى تبعث الحياة الحقيقية فى الرواية ، وهى خيال الكاتب صاحب القدرة الممتازة ، وهذا الخيال لا يقتصر على الاختراع ، بل إنه يدرك الأشياء ويمسها ويضاعف من الأشياء التى تبدو عادية ومألوفة ، وهو يمدها بقوة جديدة ، ويزيد من أهميتها ، ويؤكد صدقها ، كما يعطيها حقيقة داخلية عميقة ، وهذا هو مفهوم الفن الروائى .

وقفت « اليزابيث بومين » عند ثلاث خصائص للقصة وهى :

أولا — أن تكون بسيطة ، واضحة ، سهلة الفهم .

ثانياً — أن تكون طريفة بحيث تدور حول أزمة من الأزمات ، أو تعالج مشكلة ذات أهميـــة كبرى بالنسبة للكاتب أو للقارىء فى حياته الخاصة

ثالثاً — أن تكون ذات بداية جيدة ، كأن تنطلق من موقف مشحون بالأمل ، أو على الأقل توحى للقارىء بأن مثل هذا الموقف واقع وموجود بالفعل .

الفصل الرابع

وظيفة التقرير الصحفى وأهميته

بين العلماء والباحثين خلاف كبير فى المقال الصحفى من حيث هو : أيعتبر فناً مستقلا بذاته من فنون الصحافة ؟ أم يعتبر لوناً من ألوان الخبر أو الإعلام ؟ وتمادى الخلاف بينهم فى ذلك حتى ذهب بعضهم إلى أن المقال الصحفى — وإن كان يهدف إلى التوجيه والإرشاد — فإنه يعتبر فى الواقع نوعاً من الإخبار والإعلام ، ولم لايكون كذلك ؟ والمقال الافتتاحى ذاته يبنى فى أكثر الأحيان على خبر هام،سواء أكان من الأخبار الخارجية أم الداخلية ، وقد يدور هذا المقال الافتتاحى كذلك حول خبر ما تحول ظروف خاصة دون إيراده مورد النبأ بالشكل المعروف فى الصحيفة .

على أنه بالرغم من هذا التداخل الكبير بين الخبر والمقال،فإن الكثرة الساحقة من علماء الصحافة مجمعة على ضرورة الفصل بين هذين الفنين من فنونها ، وذلك على أساس من الفهم السليم لوظائفها الخمس المعروفة للصحافة وهى كما نعلم :

وظيفة الإخبار ، ووظيفة تفسير الأخبار ، ووظيفة التوجيه والإرشاد ووظيفة التسلية والإمتاع ، ووظيفة التسويق والإعلان .

والغرض الأول والثانى من هذه الأغراض الخمسة يختصان بالخبر .

والغرضان الثالث والرابع منها يختصان بالمقال ،وأما الغرض الخامس والأخير فخاص بالناحية المادية التى لا تعنينا فى هذا البحث .

فإذا كان هذا هو الخلاف الحادث بين العلماء والباحثين فى شأن المقال

الصحفى بالذات ، فكيف يكون الخلاف بينهم فى الفنون الصحفية الأخرى ، ومنها فن الحديث ، وفن التحقيق ، وفن الماجريات ؟ .

إن من هؤلاء العلماء من يعتبرون هذه الفنون الأخيرة لوناً عملياً من ألوان الإعلام أو الإخبار ، والدليل على ذلك — فى رأيهم — أن محرر التقرير الصحفى — كائنا من كان — يكتب ما يرى ، ومايسمع فى مكان الحادث أو التحقيق ، ويهمل كل ما عرفه — ولو من طريق الصحف — عن الشائعات التى تجرى على ألسنة الناس بعيداً عن هذا المكان ، ومعنى ذلك أنه لا يكتب فى مكتبه ، أو غرفة التحرير بالصحيفة ، كما يفعل كاتب المقال أو التعليق على الأنباء ، وإنما يكتب أولا فى المكان الذى يقع فيه الحادث ، أو المكان الذى هو موضوع التقرير الصحفى الذى تطلبه الصحيفة .

والمعروف أن عمود الأخبار لا يتسع فى الصحيفة إلا لعبارات موجزة وجمل مركزة ، ولكن بعض هذه الأخبار يجذب إليه انتباه القراءة ، وكثيراً ما تثير فضولهم ، فتضطر الصحيفة إلى إشباع فضولهم هذا بكتابة التقرير الصحفى المفصل ، كائنا ما كان نوعه ، أو كانت صورته .

من أجل ذلك ذهب بعض العلماء إلى أن التقرير الصحفى يهبط بمستوى الصحافة ، لأنه لا يهدف إلا لغرض واحد فقط فى الواقع ، هو إرضاء غريزة من غرائز الإنسان ، هى غريزة حب الاستطلاع ، أو إلى إرضاء غريزة أخرى من غرائزه كذلك ، هى الغرور الإنسانى لدى المجرمين ، والمتهافتين على الشهرة والميل إلى الظهور .

وذهب بعض العلماء كذلك إلى اعتبار التقرير .. « صحافة من الدرجة الثانية » ، لأنه لا يتطلب من كاتبه كل ما يتطلبه كاتب المواد الأخرى فى الصحيفة من مهارة وحذق فى فنون الكتابة والعرض .

لكن يردّ على هذه الآراء السابقة وأمثالها بردود كثيرة منها : أنه

يكفى أن نرى جمهور القراء يتهافتون على قراءة التقرير الصحفى — أياً كان نوعه — وأن نراهم معجبين أشد الإعجاب بكاتب هذا الفن من فنون الصحافة الحديثة .

على أن كاتب التقرير الصحفى فى الحقيقة من أشد الكتاب الصحفيين عناية بعرضه على أحسن وجه ، وكتابته على أحدث طريقة ، وجعله تحفة فنية تجذب إليها انتباه القارىء ، وسنرى فى بعض الفصول القادمة كيف أن كاتب التقرير الصحفى ، بأشكاله المختلفة ، لابد أن يكون رجلا يتوافر فيه من الصفات الأدبية والفنية ما يتوافر فى كاتب القصة الإخبارية ، أو المقالة الصحفية ، أو العلمية ، أو الأدبية ، أى أن كاتب التقرير يجب أن يكون كغيره من أعضاء أسرة التحرير على جانب عظيم من العلم والمعرفة ، وعلى جانب عظيم من الفن والموهبة ، وبغير ذلك تبدو كتاباته ضحلة فارغة أو مضحكة ، وتتعرض إذ ذاك « لمقص » سكرتير التحرير وقلمه « الأحمر » الذى يضرب به على كثير من المواد غير المبذول فى كتابتها وإعدادها من العناية ما يكفل نشرها ، ويغرى قراء الصحيفة بقراءتها ، والانتفاع بها .

وفى أهمية المقرر الصحفى يقول مسيو « إيلى ريشارد Elie Richard وكان رئيسا لتحرير صحيفة فرنسية يقال لها « سى سوار » :

« الحقيقة أن المقرر الصحفى ثمرة من ثمار هذا القرن الذى نعيش فيه ، إنه المندوب الذى يذهب من قبلك — أيها القارىء — لرؤية الحادث ، والكشف عن أسبابه بدقة تامة ، إنه ليس أديبا متجولا ، ولكنه فى الواقع العين التى نبصر بها ، والأذن التى نسمع بها ، ، وهو يعرف جيداً أن عليه أن ينقل إلينا جميع الأحاسيس فور شعوره بها ، وإدراكه لها ، أما التأملات والإيحاءات فمتروكة لنا وحدنا بعد كل ذلك » .

ويفرق الباحثون بين «المقرر الكبير» و «المقرر الصغير» ، فالأول ذو خبرة واسعة ، ومرانة طويلة ، وعليه — بوجه عام — تعتمد الصحيفة فى كتابة التقارير حول الأخبار الهامة ، والحوادث الجسام ، كحادث اغتيال رئيس من رؤساء الحكومات ، أو حادث غرق سفينة كبيرة ، أو هلاك منطقة آهلة بالسكان بسبب الفيضان ، أو بسبب بركان ، وكفضيحة من الفضائح تكون الشخصية الرئيسية فيها نجما أو نجمة من نجوم العلم ، أو الأدب ، أو السينما ، أو المسرح ونحو ذلك .

فإذا وقع حادث من هذا النوع أسرع المقرر الصحفى الكبير ، فحزم متاعه ، واصطحب معه آلة التصوير ، وركب الطائرة ، أو القطار السريع ، ليصل إلى مكان الحادث قبل غيره من الصحفيين ، وهنا يجمع المعلومات ، ويجرى التحقيقات ، ولا يعبأ بالمصاعب والعقبات التى تعترض طريقه ، ويسابق الوقت فلا تضيع منه دقيقة واحدة ، وإلا فسدت عليه خطته من أولها إلى آخرها .

أما « المقرر الصغير » فيحرر فى الغالب باب « الأصـــداء » أو باب « المبارمات » ، أو تلك المواد الصغيرة المسلية التى تهتم بها جميع الصحف ، وتفرد لها مكانا خاصاً من مساحتها ، وكثيراً ما يكون ذلك بالصفحة الأخيرة التى تعتبر أدنى فى طبيعتها إلى « المجلة » : Magazine منها إلى الجريدة News paper .

وفى هذه الصفحة الأخيرة يرى القارىء طائفة من الأحاديث المصورة ، التى هى فى الواقع «أصداء» لأهم الحوادث الجارية ، وهنا يتساءل الباحث عن هذه الأحاديث ، والأصداء : ما نوعها ؟ وهل تعتبر من الحديث الصحفى ، أو التحقيق الصحفى ، أو الماجريات الصحفية ؟

والجواب على ذلك : أن هذه التقارير الصغيرة ليست فى شىء من هذه

الفنون الثلاثة بالمعنى المقصود من كل فن منها على حدة ، وهو المعنى الذى ستشرحه الفصول التالية :

فليست هذه التقارير الصغيرة أحاديث صحفية لعدم وجود عنصر الحوار فى أكثرها ، بل فيها جميعاً .

وليست هذه التقارير الصغيرة عبارة عن تحقيقات صحفية لعدم وجود عنصر البحث عن الحقـــائق ، وعنصر جمع المعلومات حول مشكلة من المشكلات العامة سعيا وراء إيجاد حل مناسب لها .

وليست هـــذه التقارير الصغيرة « ماجريات صحفية » لأنه يشترط فى هذه الماجريات — كما سنرى — أن تكون تقريراً عن حوادث كبيرة عقدت لها جلسات فى هيئات عامة ، كالمحكمة ، والبرلمـان ، والمؤتمر الإقليمى ، أو المؤتمر الدولى .

فإن كان ولابد من إدراج هذه التقارير الصغيرة تحت فن من فنون الصحافة فهى أدنى إلى « فن التعليق » على الأخبار منها إلى أى شىء آخر ، وذلك بشرط أن نتسامح أيضاً فى معنى « التعليق على الأخبار » فلا تكون الغاية منه مقصورة على توجيه القارىء بقدر ما تكون الغاية من هذا التعليق الصحفى أو « الثرثرة الصحفية » هى تسلية القارىء أو إمتاعه ، بصرف النظر عن توجيهه أو إرشاده .

ثم إن هذا التعليق على الأخبار متى قصد منه إلى إيضاح بعض النقط المتصلة به ، أو الكلام بشىء من التوسع عن الأشخاص والأماكن التى تذكر معه ، أو تزويد القارىء بطائفة من المعلومات المسلية التى ترتبط به من قريب أومن بعيد سمى فى الواقع باسم : «طريفة» ، وجمعها «طرائف» ، Eeatures ، وهو فن من فنون الصحافة أدنى إلى الخبر منه إلى المقال ، كما

أوضحنا ذلك فى فصل من فصول الكتاب الثانى من كتب هذا البحث ، وعنوانه « الطرائف » .

المقرر الكبير ومكانته فى الصحافة الحديثة

الحق أن المقرر الكبير يعتبر قوة كبيرة من قوى الصحافة الحديثة ، وعلى أيدى المقررين الكبار تجرى أنواع من البطولات والمغامرات لا تقل عن مغامرات المخترعين وكبار العلماء ، ومن هذه المغامرات — على سبيل المثال — « مغامرة ستانلى » الذى أرسلته صحيفة « نيويورك هارولد » للبحث عن « لفنجستون » أدت إلى القيام بتقرير صحفى غريب أثار آنذاك إعجاب العالم أجمع ، فقد كان « ستانلى » صحفيا ورحالة فى آن واحد .. وفى أكتوبر سنة ١٨٦٩ كلفه مدير « النيويورك هرالد » بالبحث عن « لفنجستون » فى أفريقيا الاستوائية بعد أن انقطعت أخبـــاره ثلاث سنوات ، ووصل ستانلى إلى زنزبار فى يناير سنة ١٨٧١ وتوغل فى قلب القارة السوداء ، وعثر أخيراً على لفنجستون فى « أودجيجى » الواقعة على ضفاف بحيرة تنجانيقا ، وزوده بالمؤن ، ثم كتب « ستانلى » إلى الصحيفة تقريرا مثيرا » (١) .

« وفى أوائل مايو سنة ١٩٥٦ استطاع الصحفى المصرى « ابراهيم عزت » أن يتخطى حدود اسرائيل ، ويطوف مدنها ويقف على حقيقة ما يجرى فيها من أمور ، ويمكث فيها أحد عشر يوما قابل فى خلالها « دافيد بن جوريون » رئيس الوزراء ، و « موسى شاريت » وزير الخارجية ، و « جولدا مائير » وزيرة العمل ، و « موشى ديان » قائد الجيش .

وقد استطاع « إبراهيم عزت » أن يحصل على تأشيرة من سفارة اسرائيل

---

(١) راجع د . خليل صابات « الصحـــافة » رسالة ، استعداد ، علم ، فن » ص ١٢٠ — ١٢١ .

بلندن بعد أن أقنع المسئولين هناك بأنه صحفى برازيلى من أصل عربى ، واسمه «جورج إبراهيم حبيب» يفهم العربية ولكنه لا يكتبها ، وأنه يقوم بجولة فى منطقة الشرق الأوسط لزيارة الدول العربية واسرائيل ، ولكنه يخشى إن ظهرت على جواز سفره تأشيرة دخول اسرائيل أن ترفض الدول العربية دخوله أراضيها .

وطار « إبراهيم عزت » من لندن إلى نيقوسيا ، ومنها إلى « اللد » حيث كان فى استقباله مدير المطار ، ومندوب وزارة الخارجية ، الأمر الذى أفزعه إذ ذاك ، ولكن سره لم ينكشف ، وظل يجوب مدن اسرائيل حيث مكث ثلاثة أيام فى تل أبيب وحيفا ، ويومين فى القدس وبير سبع ، وزار المستعمرات الصهيونية على الحدود المصرية .

وفى كل لحظة كان يقف على الأمور خلف الأسوار ، ويطلع على أدق الأسرار ... وبعد أحد عشر يوما عاد إلى قبرص .. ومن هناك أبرق إلى « روز اليوسف » بتفاصيل رحلته إلخ » (١) .

أليس فى كل ذلك مايدل دلالة واضحة على المكانة التى يتمتع بها المقرر الكبير فى الصحافة الحديثة ، وما يدل كذلك على أن التقرير الصحفى فى ذاته صحافة من الدرجة الأولى لا من الدرجة الثانية ؟

* * *

لقد سبق أن قلنا إن الخلاف قائم بين العلماء فى موضوع المقال الصحفى: أيعتبر فناً مستقلا بذاته من فنون الصحافة ؟ أم يعتبر لوناً من ألوان الإعلام فى هذه الصحافة كبقية الألوان الأخرى .

والرأى عندنا فى ذلك أنه لابد من الفصل بين هذه المواد التى هى :

---

(١) المصدر المتقدم ص ١٢٣

الخبر ، والمقال ، والتقرير ، فهذا الفن الأخير — وهو التقرير — وإن كان فى الواقع يحمل صفة الإخبار ، أو الإعلام ، فإنه فى نفس الوقت يكتب بطريقة مخالفة كل المخالفة للطريقة التى تكتب بها الأخبار ، والاختلاف بين الخبر والتقرير فى طريقة التحرير كاف عندنا للفصل بينهما ، ودراسة الخصائص الفنية لكل على حدة .

فلئن كانت القصة الإخبارية تجيب دائماً عن الأسئلة الخمسة أو الستة المعروفة ، وهى : من ، وماذا ، ولماذا ، وأين ، ومتى ، وكيف ، فالتقرير الصحفى كثيراً ما يكتفى بالإجابة عن سؤال : « لماذا » أو كيف ، ويقف عند هذا الحد .

ولئن كانت الإجابة عن سؤال : « كيف » تأتى فى المرتبة الثانية من حيث الأهمية فى القصة الإخبارية ، أى أنها تجىء لمجرد التفسير فى الفقرة الثالثة ،أو الرابعة ، أو الخامسة من صلب هذه القصة ، فإن الإجابة عن سؤال « كيف » يلعب الدور الهام فى التحقيق الصحفى — بنوع خاص — ويكاد يدور عليه هذا التقرير من أوله إلى آخره .

ولئن كانت القصة الإخبارية إنما تصاغ على شكل هرم مقلوب ، فإن التحقيق الصحفى بالذات — كالمقال الصحفى — يتبع نظام الهرم القائم أو المعتدل ، بمعنى أن الأجزاء التى هى أقل فى الأهمية تأتى فى بداية الكلام ، ثم تتدرج الأجزاء الأخرى إلى أعلى شيئاً فشيئاً ، حتى تصل فى التقرير — كما تصل فى المقال — إلى الذروة Climax ، ويستثنى من ذلك فن الماجريات : قضائية ، وبرلمانية ، وسياسية ، كما سنرى ذلك فى موضعه من هذا البحث .

ولئن كان الخبر الصحفى لا يسمح لمحرره مطلقاً بإظهار شخصيته على نحو ما ، لأنه يتبع فى تحريره أسلوباً يشبه الأساليب العلمية ذات الصبغة الموضوعية ، فإن التقرير الصحفى من حديث ، وتحقيق ، وماجريات ، يحمل

غالباً طابع كاتبه ، وينم عن شخصية محرره ، ويدل عليه دلالة قوية ، وذلك حتى فى بعض الماجريات الدبلوماسية والدولية نفسها .

* * *

وكل هذه الفروق المتقدمة تجعل من حقنا أن نفصل فصلا تاماً بين التقرير الصحفى وغيره من مواد الصحف . كما تجعلنا ننظر إلى « فن التقرير » على أنه فن مستقل بذاته : له خصائصه التى يمتاز بها ، وله أغراضه التى يسعى إليها ، وله كتّابه ومحرروه الذين تهيئوا للنبوغ فيه ،

وللتقرير — فيما قلنا — فنون أربعة ، وهى :

١ — فن الحديث الصحفى .

٢ — فن التحقيق .

٣ — فن الماجريات الصحفية .

٤ — فن التقرير المصور « الريبورتاج » .

وسنتحدث عن كل واحدة من الفنون الثلاثة الأولى على حدة ، وسنعنى فى أثناء ذلك « بالطابع المصرى » ، و « الشخصية المصرية » فى فن التقرير ، كعنايتنا بهما فى الفنين السابقين ، وهما الخبر والمقال :

نعم ، يصح أن يضاف إلى هذه الفنون الثلاثة « فن التقرير المصور » أو الريبورتاج ، وهو عبارة عن تقرير صغير يمتاز بأشياء ، منها :

١ — الإيجاز فى التعبير .

٢ — الحديث عن شخص بعينه أو مكان بعينه أو ظاهرة بعينها .

٣ — أن يكون هذا الحديث مقروناً بالصور كلما أمكن ذلك .

خذ لذلك مثلا : هب أنك مشيت فى الطريق العام ، فقابلت شحاذاً يتكفف المارة ، ووقفت قليلا ترقب هذا الشحاذ فإنك تجد لفائف كثيرة على ساقه اليمنى ، ولفائف أخرى على ساقه اليسرى ، ثم أخذت تلاحظ هذا

الشحاذ عن قرب دون أن يشعر حتى ابتعد عن زحام الناس وأخذ يفك لفائفه وهو آمن ، فإذا هذه اللفائف تحتوى على عدد كبير من الأوراق المالية !

وهنا حدثتك نفسك بأن تكتب عن هذا الشحاذ وتحكى قصتك معه على النحو المتقدم ، وتقرن ذلك بالصور التى لابد من التقاطها .

فى هذه الحالة يعتبر حديثك عن هذا المتسول وحده « تقريراً مصوراً » .

أما إذا تجاوزت ذلك إلى الحديث عن مشكلة التسول فى ذاتها ، ودراسة هذا الموضوع من جوانب متعددة لكان هذا النوع من الحديث تحقيقاً صحفياً .

ومن الأمثلة الرائعة لفن « الريبورتاج » تقرير مصور نشرته الأهرام يوم ١٠ / ١٢ / ١٩٦٢ بعنوان : « إجازة ١٩ ساعة لمسجون أمضى ١٣ سنة فى ليمان طره » .

* * *

ومهما يكن من شىء فيجب العدول عن اعتبار التقرير بصوره المعروفة وهى : « الحديث الصحفى ، والتحقيق الصحفى ، والماجريات الصحفية » ضمن المقال ، فالمقال عبارة عن إنشاء لاحظ له من الطول ، وليس من الضرورى أن يتصف بالعمق أو بالإحاطة التامة بالموضوع ، على حين أن التحقيق الصحفى — وهو أحد الفنون الثلاثة من فنون التقرير — يطول كثيراً ويتعمق فيه الكاتب كثيرا ، وبذلك يبعد التحقيق عن المقال فى طبيعته التى اتضحت لنا من تعريفه فيما سبق .

الفصل الخامس

فن الحديث الصحفي وأنواعه

ليس صحيحاً مايقال من إن فن الحديث الصحفي من ابتكارات القرن العشرين ، وابتداع هذا القرن وحده ؛ فالذى نعرفه من تاريخ الصحافة بانجلترا — على سبيل المثال — أن الصحفي الإنجليزى المشهور « ديفو Defoe » استطاع فى القرن الثامن عشر أن يحصل على حديث صحفى من قاطع طريق اسمه : « جاك شبرد J. Shepherd » ، وكان هذا قبيل تنفيذ الحكم عليه بالإعدام شنقاً ببضع دقائق .

بل إن الأستاذ « ولزلى » فى كتابه : « Exploring Journalism » يرى أن حوار أفلاطون يعتبر نوعاً من الأحاديث ، ذلك أن الأسئلة التى وجهت إلى سقراط حيناً ، وإلى غيره من أصدقاء أفلاطون وتلاميذه حيناً آخر ، كانت تحمل فى طياتها صفات الحديث الصحفى ، ومثل ذلك كثير من أخبار الأدب العربى فى قصور الخلفاء والأمراء ، حيث كان الحوار يدور بينهم فى مسائل شتى ، وموضوعات متباينة .

ولئن دلت هذه الآراء وأمثالها على شيء فإنما تدل على حقيقة واحدة فقط ، وهى أن فى النفس البشرية — منذ نشأتها — ميلا أصيلا ونزوعاً شديداً إلى معرفة أحوال الغير ، والوقوف على جميع أسرارهم كلما أمكن ذلك ، وفى الأحاديث الخاصة من أى نوع كان ، ما يشبع هذا الميل نفسه إشباعاً كبيراً .

ولهذا الفن ، من فنون الصحافة ، أهمية خاصة ، فالأصل فيه ، أن القارىء لا يمكنه أن يشاهد مكان الحادث الذى يهمه ليقف بنفسه على

حقيقة الأمر فيه ، ومن ثم وجب على الصحافة أن تقوم له بذلك عن طريق مخبريها ، فيذهب أحدهم إلى مكان الحادث ، وتكون مهمته توجيه الأسئلة إلى شهود العيان ، وبهذه الطريقة يقف القارىء على الحقيقة ، على أنه ليس من الضرورى فى كل حالة أن تنشر الأحاديث الصحفية على شكل أسئلة وأجوبة ، فربما كان فى نشر المعانى نفس القيمة الخبرية التى للأسئلة والأجوبة .

وفى بيان أهمية الحديث الصحفى يقول الأستاذ « إميل لودفيج » مايلى:

يعتبر الحديث الصحفى من ألمع الفنون الصحفية فى الوقت الحاضر ، ومن أكثرها استهواء للقارىء ، وقد تظن أن الحديث الصحفى لا يزيد على كونه مجرد تسجيل لمناقشة ، أو حوار دار بين طرفين ، غير أن حقيقة الأمر هى أن الحديث الصحفى أهم من ذلك ، لأنه يتطلب قدراً كبيراً من المهارة والتفنن ، ويحتاج إلى توفر صفات من نوع خاص فى المخبر الصحفى .

والواقع أن الحديث الصحفى محبب إلى نفوس القراء ، فكما أنه يسر كل إنسان أن تتاح له فرصة التحدث إلى شخصية كبيرة لها مكانتها فى الحياة العامة ، فكذلك يرحب الناس عادة بالاطلاع على ما تصرح به مثل هذه الشخصيات لمندوب الصحيفة الذى يقوم بنقل هذه التصريحات إليهم .

وتزداد أهمية الحديث الصحفى تبعاً لأهمية صاحبه ، ومدى شهرته ، ولكن ليس معنى ذلك أن الحديث الصحفى لا يؤخذ إلا من المشهورين البارزين فى المجتمع وحدهم ، فقد تكون الأحداث المثيرة التى تقع لبعض المغمورين من الناس سبباً فى الاهتمام الشديد بأحاديثهم وتصريحاتهم ، وخاصة حين تكون مادة الحديث متصلة أشد الاتصال بموضوع من موضوعات الساعة .

فحين يتحدث المحضر « عثمان أبو الحسن حمودة » قاتل « وداد حمدى »

أو تتحدث ابنتها « أشجان » إلى مندوب الصحيفة بعد وقوع الحادث ، والإخبار عنه بالفعل ، فإن هذه الأحاديث تستهوى الجمهور القارىء أكثر مما يستهويه حديث آخر عن استقالة « خروشوف » فى روسيا ، أو مجىء « تشومبي » من الكونغو إلى بلد من بلاد الشرق الأوسط .

والخلاصة أن للحديث الصحفى — بالمعنى الذى تقصد إليه الصحيفة — ثلاث وظائف :

أولاها — أنه خير معين للصحيفة على كتابة القصص الإخبارية التى لا مكان لها فى الواقع غير الصحف .

الثانية — أنه من أنجع الوسائل لعرض وجهات النظر ، ومحاربة الشائعات الضارة بالمجتمع .

الثالثة — أنه من أنجع الوسائل كذلك لتعريف الجمهور بالشخصيات الممتازة لذواتها ؛ أو الشخصيات التى أضفت عليها الحوادث نوعاً من البروز المؤقت فى المجتمع .

وإذ قد فرغنا من الكلام عن أهمية الحديث الصحفى فإننا ننتقل من ذلك إلى الكلام عن :

أنواع الحديث الصحفى :

توشك أن تنحصر الأحاديث الصحفية فى الأنواع الخمسة الآتية :

١ — حديث الخبر « أو الحقائق » Information Interview .

٢ — حديث الرأى Opinion Interview .

٣ — حديث المعلومات والتسلية والإمتاع Feature Interv .

٤ — حديث الجماعات Group Interview .

٥ — حديث المؤتمرات الصحفية Press Conference Interv.

وفى كل نوع من الأنواع الخمسة المتقدمة لابد من مراعاة الشروط التى روعيت فى الخبر الصحفى من حيث هو ، وهذه الشروط أو الخصائص المطلوبة هى :

١ — الجدة من حيث الزمان	Timelimess
٢ — القرب من حيث المكان	Proximity
٣ — الضخامة (وهى اتصال الحادث بأكبر عدد من الناس)	Mahnitude
٤ — قوة الدلالة	Significance
٥ — سياسة الصحيفة	Policy

ومعنى ذلك أن على الخبر الصحفى أن يحقق هذه الشروط الخمسة عندما يشرع فى كتابة الحديث الصحفى ، ولكن كيف نميز — أولا — بين هذه الأنواع الخمسة السابقة ؟ وكيف نعالج كل نوع منها على حدة ؟ ذلك ما نحاول الإجابة عنه فيما يلى :

أولا — حديث الخبر أو الحقائق

والغرض منه فى الواقع هو جمع الأنباء ، واستقصاء المعلومات حول حادث معين ، والرجوع فى ذلك — ما أمكن — إلى الأشخاص الذين رأوا بأعينهم هذا الحادث المعين ، أو اشتركوا فيه وقت وقوعه ، وهنا يجب التنبيه إلى أن المطلوب من الصحفى فى هذه الحالة إنما هى الأنباء أو الحقائق أو المعلومات ، وليس المطلوب هو الآراء أو الاتجاهات أو وجهات النظر المختلفة ونحو ذلك .

وفى هذا يقول الإنجليز : إن القصد من هذا النوع من الحديث هو الحصول على ما يعبر عنه بينهم بهذه العبارة « News not Viewe »

هب أن الصحيفة أرادت أن تعرف سياسة الحكومة فى التموين فى وقت

من الأوقات ، فإنها فى هذه الحالة تبادر بإرسال مندوبيها إلى وزير التموين نفسه ، أو وكيل الوزارة نفسه ، أو مدير العلاقات العامة بالوزارة لكى تستقى منه الحقائق المتعلقة بالسياسة التموينية ، وخطة الحكومة فى تيسير السلع ، وخفض الأسعار ونحو ذلك .

غير أن الناس قسمان : منهم من يحبون الإدلاء بالمعلومات ، ويميلون بطبعهم إلى شرح ما أجروه من التجارب ، وما وصلوا إليه من النظريات .

ومنهم من يترددون كثيراً فى الإدلاء بمعلوماتهم ، ويخشى أحدهم أن يجره التصريح بهذه المعلومات إلى القضاء ، أو يعرضه لسؤال الحاكم ، أو يفسد عليه حياته الخاصة فى داخل الأسرة ، أو حياته العامة فى مكان العمل ، أو خارجه ، وخاصة عندما تكون المعلومات مما يخل بالشرف .

على أن شاهد العيان — مادام إنساناً — لا يمكن أن تكون معلوماته دقيقة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، لأن الحوادث تأخذه على حين غرة ، ويتبع بعضها بعضاً بغاية السرعة ، فلا يستطيع أن يعرف ماذا حدث بالدقة ، ومن هنا يأتى تردده عند ما يطلب إليه الإدلاء ببعض المعلومات الهامة . .

وثم طائفة ثالثة من الناس لا يحبون أن تسلط عليهم الأضواء ، لأنها تكشفهم للملأ ، وتعرض حياتهم نفسها للخطر ، ومن هؤلاء المشعوذون ، والمجرمون ، والدجالون ، ورجال العصابات ، وتجار المخدرات ، والقتلة السفاكون ، وبعض الساسة وغيرهم ، وكل هؤلاء لا يحبون أن يتحدث عنهم الناس ، حتى لا ينكشف سرهم ، ويقف الناس على حيلهم وأفكارهم ومقاصدهم .

بل إن بعض الساسة ، والمسئولين من رجال الأعمال ، وأصحاب المشروعات قد لا يحبون أن يكشفوا عن أوراقهم ، أو يبوحوا بأسرارهم إلا فى الوقت المناسب ، علماً منهم بأن التعجيل بهذا الكشف قد يفسد

خططهم ، ويزيد فى تعقيد أمورهم ، وهم حريصون على أن يكونوا بمأمن من كل هذه الأشياء .

نرى الواحد من هؤلاء الساسة ، ورجال الأعمال لا يحب مطلقاً أن يطرق والحديد بارد ، كما يقول الإنجليز ، ونرى له حاسة سياسية دقيقة يعرف بها متى تكون « اللحظة السيكلوجية » التى يكشف فيها عن أوراقه ، ويعرض فيها آراءه ، ويبسط فيها مشروعه ، لكى يضمن ترحيب المسئولين والشعب بهذا المشروع .

وفى كل حالة من الحالات المتقدمة تكون مهمة المخبر الصحفى صعبة كل الصعوبة ، ولا يكون من السهل عليه فى الحقيقة أن يحصل للصحيفة على حديث يمكن أن ينير الطريق للقراء..

ثانياً — حديث الرأى

إن الصحيفة فى هذا النوع من أنواع الحديث بالذات تهتم كذلك بالحصول على آراء ذوى الخبرة والاختصاص فى موضوع له أهميته فى المجتمع .

ومن الأمثلة عليه حديث لعضو بارز فى مجلس النواب عن مشروع يزمع البرلمان إقراره ، أو حديث مع وزير التربية والتعليم عن سياسة جديدة يريد إنتهاجها والسير عليها ، أو حديث مع رئيس الجمعية الطبية المصرية عن موضوع تأميم الطب ، وفى هذا النوع من الأحاديث يكون لآراء المختصين والفنيين وزن كبير ، وخطر جليل .

والناس بالقياس كذلك إلى هذا النوع من أنواع الحديث الصحفى فريقان : فريق يميل إلى الشهرة ويتعطش إليها ، فهو يسارع إلى الإدلاء بكل بيان ، بمناسبة وبغير مناسبة ، وهو يدعى العلم بما يعرف وما لا يعرف . يتكلم فى السياسة وفى الدين ، وفى الأخلاق ، وفى الأمن ، وفى الإدارة ، وفى الفنون ، وفى العلوم ، وفى كل شيء ، ومثل هذا الفريق من الناس ينبغى الاحتراس من معلوماتهم وآرائهم لأنها دون شك آراء تمتزج فيها الحقيقة بالخيال ، والجد بالهزل .

وفريق آخر من الناس قد يكونون مشغولين بأعمالهم على الدوام ، وقد يكونون من الذين يترددون فى الإدلاء بمعلومات من أى نوع كان ، وفى كلتا الحالتين ينبغى للصحفى أن يقدر الموقف حق قدره ، وينبغى له فى الحالة الأخيرة بنوع أخص أن يحدد الأمر تحديداً واضحاً للمتحدث ، حتى يحصر حديثه فى الموضوع — إن كان من الخياليين الحالمين — أو يخرج المحدث من الشك إلى اليقين ، ومن الخوف إلى الأمن إن كان من المترددين المرتابين ، وعلى المخبر أن يقنع هذا وذاك بأن فى نشر حديثهما فائدة محققة للرأى العام .

وقد يحدث أحياناً أن يصر المتحدث على ألا ينشر اسمه مقروناً بالحديث، وحينذاك لا يجوز للصحفي أن ينشر اسمه، بل يكتفي بأن يقول : عن مصدر مسئول ، أو شخصية كبيرة ، أو عن مصدر لا يرقى إليه الشك ، ونحو ذلك .

ومن الخطر على الصحيفة دائماً أن يَعدَ مخبرها بأنه لن ينشر هذا الجزء أو ذاك من الحديث ، أو بأنه لن ينشر اسم صاحب الحديث ، ثم لا يفي بما وعد ، وتلك جريمة صحفية يعاقب عليها القانون ، ثم إنه لا غنى للصحفي كذلك في حديث الرأى عن مراعاة التوازن بين الآراء المؤيدة ، والآراء المعارضة ، وخاصة إذا كان الحديث متصلا بأمر من أمور السياسة ، أو الاقتصاد ، أو التعليم ، ونحو ذلك من المرافق الخطيرة في الدولة .

ولا ينسى الصحفي مع كل هذا « سياسة الصحيفة » ، بل يجب عليه دائماً أن يضعها نصب عينيه في الأحاديث الصحفية بوجه عام ، وحديث الرأى منها بوجه أخص .

ثالثاً — حديث التسلية والإمتاع

إذا كان الغرض من حديث الخبر والحقائق هو الإعلام ؛ وكان الغرض من حديث الرأى هو التوجيه والإرشاد ، فإن الغرض من هذا النوع الثالث — كما يؤخذ من اسمه — هو التسلية والترفيه عن القراء .

وعلى ذلك فالمهم في هذا النوع الثالث ليس ما يقال ، ولكن كيف يقال؟

والمتحدث في هذه الحالة هو المحرر نفسه ، إذ الغرض الأساسي في الواقع هو تصوير شخصية اعتدت بما فيها من طرافة أو غرابة ، أو تعقيد ، أو بساطة ، ولذلك يعنى المخبر الصحفي بنبرات الصوت ، وحركات المحدث ، وتعبيرات الوجه ، ولون الملابس ، وطريقة الجلوس ، وما إلى ذلك كله .

وباختصار : يهتم المخبر الصحفى فى هذا النوع من الحديث بشخصية المتحدث ، وفلسفته فى الحياة أكثر مما يهتم بنوع اختصاصه، أو بنوع تجاربه وخبراته ، وإذا عرض لشيء من ذلك فإنما يكون من أجل تصوير شخصيته أكثر من الاهتمام بما يصدر عنها من رأى .

ومن الأمثلة على هذا النوع من الأحاديث مقابلة بين صحفى وممثل عالمى زار مصر لأول مرة فى حياته ، أو مقابلة بينه وبين شخصية عالمية مرموقة فى السياسة ، كشخصية روزفلت ، أو ترومان ، أو ستالين فى زيارتهما لمصر كذلك لأول مرة ، ومن أمثلة ذلك أيضاً ظهور شخصية أدبية بمصر على حين غرة ، كشخصية برناردشو ، أو شخصية ذات صبغة دينية كشخصية « أغا خان» ومن الأمثلة على ذلك أيضاً تعيين وزير جديد فى الوزارة يريد الجمهور أن يعرف شيئاً عن ماضى حياته ، ومنها كذلك ما أقدمت عليه صحيفة «الأهرام» يوماً من عرض لشخصية المحامية الزنجية الأمريكية التى زارت مصر ، وكان ذلك فى عددها الصادر فى ١٩٤٥/٥/٤ ونحو ذلك .

رابعاً — حديث الجماعة

هناك طريقتان لحديث الجماعة :

الأولى — أن يختار الصحفى جماعة معينة من العمال ، أو الفلاحين ، أو من المدرسين ، أو المحامين ، أو المهندسين ، ويوجه إليهم سؤالا واحداً لا يتغير ، ويحصل منهم على الإجابة ، وبهذه الطريقة يستطيع الصحفى أن يخرج بصورة صادقة لقطاع معين فى مساحة الرأى العام . وظاهر من هذه الطريقة أنها قريبة الشبه بالإحصاء أو بالاستفتاء ، وأنها غالباً ما تستخدم فى البحوث الاجتماعية ، وتهتم بها الصحافة فى أوقات خاصة كالأوقات التى تسبق الانتخابات العامة ، أو الأوقات التى تسبق التغيرات السياسية المنتظرة ، ونحو ذلك .

والثانية — هى أن يسأل الصحفى طائفة من المتخصصين فى فن من الفنون ، أو علم من العلوم ذات الصلة الوثيقة بمشكلة من المشكلات التى تهتم الصحيفة ببحثها والوصول فيها إلى حل .

خذ لذلك مثلا : مشكلة تحديد النسل ، ففيها يستطيع الصحفى أن يسأل رجال الدين ، ورجال الطب ، والإخصائيين الاجتماعيين ، وعليه أن يجمع آراءهم كلها فى صعيد واحد ، ومن حقه أن يضيف إليها آراء الأطباء ، ورجال الدين ، ورجال الاجتماع فى البلاد الأخرى .

وتسمى هذه الطريقة الثانية بطريقة « النادى » ، وتحتاج من الصحفى إلى ثقافة واسعة من جهة ، ومهارة متفوقة فى فهم آراء المختصين ، والقدرة على عرضها من جهة ثانية .

خامسا — حديث المؤتمرات

تهتم الصحافة دائما بالحصول على أحاديث من المسئولين سواء أكانوا وزراء ، أم رجال أعمال ونحو ذلك .

والطريقة المتبعة هى أن يجمع الوزير ، أو الرجل المسئول ممثلى الصحف المقيمين معه فى مكان واحد ، ويحدد لهم وقتاً للاجتماع ، ثم يدلى إليهم مجتمعين بحديثه ، وبعد ذلك يجيب عن الأسئلة التى توجه إليه منهم .

وفى البلاد الراقية تتبع طريقة المؤتمرات الدورية ، كتلك التى تقام فى « واشنطن » بالبيت الأبيض ، حيث يدلى رئيس الجمهورية أو من يقوم مقامه بحديث للصحف .

وهناك فى نفس الوقت مؤتمرات صحفية تحتاج إليها الحكومات

لتفسير موقف لها أو معاهدة تعقدها ، أو مشكلة تريد عرضها على الشعب ، أو تغيير هام فى الدستور يرى المصلحة فى إجرائه .

وفى هذا النوع الأخير بالذات — وهو حديث المؤتمرات — لا تنفرد بنشر الحديث صحيفة دون أخرى .

وهذا وذاك يدعونا إلى الكلام عن المراحل التى تتبع عادة فى الحصول على الحديث الصحفى على النحو الذى نراه فى الفصل التالى :

الفصل السادس

مراحل إعداد الحديث الصحفى، ونموذج له

يقول الأستاذ «كلايتون» فى موضوع فن الحديث الصحفى مامؤداه :

«إن على المخبر أن تكون له صفات البائع، فهو مضطر إلى أن يذيب شخصيته فى شخصية محدثه، وتلك صفة ضرورية لا يقصد بها إلا الإقناع وحده فقط، ولكنها ألزم ماتكون فى الحقيقة لإيجاد المشاركة الوجدانية بينه وبين المتحدث، ونحن نعلم أن الطبيعة البشرية تجعل الناس يميلون إلى التبسيط فى الحديث بحرية وصراحة مع أولئك الذين يشاركونهم عواطفهم ومذاهبهم أكثر من أولئك الذين يعارضونهم معارضة ما فى كل ذلك، أو يقيمون من أنفسهم أوصياء على فكرة معينة، أو رأى معين».

وعلى هذا تقوم مشكلتان فى وجه المخبر الصحفى الذى تكلفه الصحيفة بالحصول على حديث ما :

الأولى — كيف يمكنه الاتصال بالشخص الذى يريد أن يتحدث إليه.

والثانية — كيف يتمكن من استدراجه للتحدث بحرية تامة فى موضوع يعده للنشر.

والحق أنها مهمة دقيقة تلك التى يقوم بها الصحفى فى هذه الحالة، غير أنها تتم غالباً على مراحل أهمها ما يلى :

أولا — مرحلة الإعداد للحديث الصحفى :

وتنقسم هذه المرحلة نفسها إلى ثلاث خطوات، هى :

(ا) خطوة الوقوف على أكبر قدر ممكن من المعلومات الخاصة بشخصية المتحدث .

(ب) خطوة الدراسة المستوفاة لموضوع الحديث من حيث هو .

(ج) خطوة الإعداد لطائفة من الأسئلة التى تلم بأطراف الموضوع لكى يجيب عنها المتحدث ، بقدر المستطاع .

أما دراسة شخصية المتحدث ، والوقوف على أكبر قدر ممكن من المعلومات الخاصة بذلك فإنها من ألزم الأشياء التى يتوقف عليها نجاح المخبر الصحفى ، أو هى شرط هام فى نجاح مهمته ، فعليه إذن أن يدرس هذه الشخصية التى وقع عليها اختياره، وأن يتعرف ما أمكنه على ميولها وطباعها، بل خير له فى هذه الحالة أن يكشف بنفسه عن بعض ما تميل إليه هذه الشخصية من « هوايات » ، وكثيراً ما يستعين الصحفى على ذلك بقصاصات الصحف والمجلات ، وأقوال الأصدقاء ، والمعارف ، والأقرباء والمعجبين ، وأحيانا يصل إلى ذلك عن طريق الكتب التى تنسب إلى هذه الشخصية ، أو الآراء التى عرفت بها فى المجتمع ، ويبالغ « أميل لودفيج » فى ذلك فيوجب على المخبر الصحفى أن يحصل على صورة شمسية للمتحدث يطيل النظر فيها ، ويدرسها جيداً قبل الذهاب إليه لأخذ الحديث .

وثم نقطة هامة تتصل بهذه المرحلة أيضاً !! هى اختيار المكان المناسب لأخذ الحديث ، فبعض المتحدثين يجدون حرجاً فى التحدث إلى المخبرين الصحفيين بالمكاتب الرسمية ، ويؤثرون التحدث إليهم فى المنزل ، وآخرون على العكس من ذلك .

أما دراسة موضوع الحديث فإنها تتطلب من المخبر الصحفى أن يزود نفسه بأكبر قدر ممكن من البيانات والمعلومات عن هذا الموضوع بالذات ، فليس يشجع المتحدث على الحديث إلا إحساسه بأن الذى يخاطبه

متحمس لموضوعه ، عارف بدقائقه وأهدافه ، ملم بجوانبه وأطرافه ، وإذ ذاك ينسجم المتحدث مع مندوب الجريدة ، وينطلق معه فى الحديث انطلاقا تاماً .

وأما خطوة إعداد الأسئلة فهى ضرورية كذلك لنجاح الحديث الذى يريد الحصول عليه ، ومتى كان مندوب الجريدة دارسا لموضوع الحديث على النحو المتقدم فإنه يستطيع أن يضع الأسئلة الصحيحة التى يتوجه بها إلى المتحدث .

ومع هذا وذاك ليس على المخبر الصحفى أن يتقيد بهذه الأسئلة التى يضعها وإلا فسدت خطته ، ذلك أن أسئلة الصحفى ليست إلا مرشداً له فقط ، والصحفى الناجح هو الذى يقدر على تكييف نفسه بظروف الحديث وبشخصية المتحدث ، إن الأمر إذن متروك لـ . تصرف الصحفى، وقدرته على مواجهة الموقف .

ثانيا — مرحلة قيادة الحديث :

إن هذه المرحلة تتخذ ثلاث خطوات أيضاً ، هى :

(ا) خطوة استهلال الحديث .

(ب) خطوة توجيه الأسئلة للحصول على أكبر قدر ممكن من البيانات الخاصة بهذا الحديث .

(ج) خطوة المراجعة .

فأما من حيث الخطوة الأولى فإنها تعتمد على ذكاء الصحفى ، وحسن اختياره كذلك ، فقد يبدأ هذا الصحفى حديثه عن صورة جميلة وجدها معلقة على الحائط ، أو تحفة فنية وضعت على المنضدة ، أو كلمة رائعة ، أو شعار جميل ، أو مثل حكيم وجده مكتوباً على المكتب ، أو عنوان جذاب لكتاب حديث وجده بين الكتب المرصوصة أمامه ، وهكذا .

ومن هذه البداية يستطيع الصحفى أن يتطرق إلى هواية المتحدث ، ثم من هذه الهواية يصل غالباً إلى موضوع الحديث .

وتأتى بعد ذلك خطوة توجيه الأسئلة ، وإذ ذاك ينبغى للمخبر الصحفى أن يلوذ بالإصغاء التام لمحدثه ، وهنا ملاحظة قد تؤخذ على بعض المخبرين الصحفيين وهى أن أحدهم قد يأتى لزيارة شخصية كبيرة ، ويمطرها وابلا من أسئلته ، ثم ينزلق المخبر نفسه فى إذاعة ما يعرفه من الأخبار ، وينساق فى الحديث انسياقا ينسى معه مهمته ، كل ذلك والشخصية التى أتى لزيارتها تصغى إليه ، وقد تجد فى طريقته هذه تخلصاً تخرج به من موضوع الحديث متى أمكن ذلك !

وثم خطأ آخر يقع فيه المخبر الصحفى أحياناً ، وهو حرصه على أن يكتب كل كلمة تخرج من فم محدثه ، فيصرفه ذلك عن حسن قيادة الحديث ، ويشعر محدثه بأنه مدرس ، أو محاضر فى حجرة الدرس أو المحاضرة .

والمهم فى توجيه الأسئلة ألا تصاغ بطريقة تكون الإجابة عنها بلفظ « نعم » أو « لا » ، فإذا سألت محدثك : هل تظن أن سياسة التعليم الجديدة ستأتى بالثمرة المرجوة ؟ فإن الإجابة فى هذه الحالة ستكون : « نعم » أو « لا » ، أما إذا سألت محدثك : ما هى العوامل التى تراها فى نظرك مساعدة على نجاح السياسة الجديدة فى التعليم ؟ فإن ذلك يكون أدعى إلى التفكير فى هذه العوامل .

على المخبر الصحفى إذن أن يجتهد فى تحديد أسئلته حتى تكون الإجابة عليها واضحة ونافعة ، وهنا يقول الأستاذ « إميل لودفيج » :

« ليس المهم مقدار ما يقوله المتحدث ، بل كيفية الإجابة ، وطريقة انفعال المتحدث بأسئلة المندوب الصحفى »

وباختصار ينبغى للمخبر الصحفى دائماً أن يذكر الأسئلة التقليدية الستة :

ماذا ؟ لماذا ؟ من؟ متى ؟ أين؟ كيف ؟ فإن الإجابة عنها تلم غالباً بالموضوع من جميع جوانبه.

ثم تأتى خطوة « المراجعة » ، وهى من الخطوات الشاقة المرهقة لمندوب الجريدة ، ففيها يحرص المندوب على مراجعة مافهمه من الحديث ، وتصحيح ماجاء به من أخطاء ، وذلك فى الأسماء ، أو فى التواريخ ، أو فى الأرقام، أو فى الأحكام.

ومعلوم أن الصحفى إنما يثبت فى أوراقه أقل قدر ممكن من المذكرات والبيانات فى أثناء الحديث حتى لا يضيق به المتحدث ، ذلك أن مهمة الصحفى الناجح هى فى أن يحصر مجهوده فى تهيئة ذاكرته قبل تهيئة مذكراته ، لتستوعب هذه الذاكرة أكثر ما يمكن من التفصيلات التى يبادر إلى تدوينها فور الانتهاء من الحديث ، وإذ ذاك يستطيع الصحفى أن يستوثق من بعض المعلومات ، أو التفصيلات التى يشك فيها ، وذلك قبل الانصراف من حضرة محدثه ، ويجوز له أن يعود عليه بالسؤال بعد ذلك عن بعض هذه المعلومات أو التفصيلات متى رأى ضرورة لذلك.

وأخيراً تأتى المرحلة الأخيرة من مراحل أخذ الحديث ، وهى :

ثالثاً — مرحلة صياغة الحديث :

هنا ينبغى للصحفى أن يتوخى الدقة والأمانة والصدق فى كتابة الحديث ، وقد كانت الصحافة فى الماضى — حرصاً منها على ذلك — تنشر الأسئلة والأجوبة نشراً حرفياً دقيقاً ، ولكن الصحافة الحديثة عدلت عن هذه الطريقة ، ووجدت فيها ما يبعث على الملل والسآمة ، فاستعاضت عنها بطريقة « القصة الإخبارية » واتخذتها قالباً فنياً لصياغة الحديث ، وعاملته معاملة الخبر فى ذلك ، ونحن نعرف أن هذا القالب الفنى من قوالب الصياغة يتألف عادة من جزءين هما :

« الصدر Lead » : وهو ما يحتوى على أهم نقط الحديث مع تصوير جذاب لشخصية المتحدث بقدر الإمكان .

و« الصلب Body »: وفيه الأسئلة والأجوبة ، وذلك بطريقة الأسلوب المباشر حيناً ، والأسلوب غير المباشر حيناً آخر .

وفى صلب الحديث لايجد المحرر الصحفى غنى عن عنصر « الوصف » . وكثيراً ما يكون ذلك من العناصر التى تجذب القارىء ، لأن الوصف كثيراً ما يضفى على الحديث نضارة وحيوية ، وبه يستطيع المحرر الصحفى أن يخرج قليلا من جو الأسئلة والأجوبة إلى جو كله طرافة وإمتاع وتسلية ، والمهم فى كل ذلك أن يكتب الحديث بطريقة تنم عن شخصية المتحدث نفسه ، أو صاحب الحديث ، ويكشف عن آرائه ونزعاته وأفكاره واتجاهاته ، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الأوصاف التى تتخلل الحديث ، فإذا به نابض بالحياة ، موضح لوجهة نظر المتحدث توضيحا تاماً ، وبهذه الطريقة وحدها يستطيع المحرر أن يسلط جميع الأضواء على شخص محدثه .

ومهما يكن من شىء فإن لكل نوع من الأنواع السابقة للحديث الصحفى طريقته الخاصة فى الأداء :

١ — ففى حديث الحقائق أو الأخبار يحصر المحرر عنايته فى الحقائق الهامة فى نظر القارىء ، معبراً عنها بأسلوب تقريرى مباشر ، يأتى بعده تلخيص دقيق لهذه الحقائق ، وإذا ما كانت شخصية صاحب الحديث مجهولة للجمهور ، أو كانت أهميتها مقصورة على كونها المصدر الوحيد للحقائق التى يتضمنها الحديث ، ففى هذه الحالة تسلط الأضواء على الحقائق ، ولا تسلط أعلى المتحدث .

مثال ذلك الحديث الصحفى حول تنفيذ مشروعات السد العالى ، والسكك الحديدية ، ومصانع الصلب والسماد الخ .

ففى المثال الأول وجدنا الأهرام « بتاريخ ٥/٥/١٩٥٥ » تعنى ببيان

المبالغ التى يتطلبها المشروع ، والخطط التى رسمتها الحكومة لذلك ، وأغفلت تماما ذكر الأسماء التى استقت منها هذه المعلومات ، والبيانات ، والتفصيلات ونحو ذلك .

٢ — وفى حديث الرأى — ينبغى أن تعنى المقدمة أو « الصــدر » بإيراد الرأى الذى صرح به المتحدث ، وكثيراً ما يكون اسم صاحب الحديث من ألزم الأمور فى الأحاديث التى من هذا النوع .

ففى موضوع « جواز إفطار المسلم الصائم فى رمضان » أو موضوع « حق المرأة فى الانتخاب » ونحو ذلك ينبغى أن نذكر الأسماء فى صراحة وجلاء ، أما إذا كان الموضوع يختص بتغيير نظام من أنظمة التعليم ، أو نظام من أنظمة القضــاء أو الإدارة ، أو التموين ، فيكتفى فى ذلك بذكر العبارات العامة ، كأن تقول « صرح وزير التربية والتعليم ، أو وزير العدل بكذا ، أو صرح كبير مسئول فى وزارة التربيـة والتعليم ، أو وزارة العدل بكـذا » ، وهكـذا ، وكثيراً ما ينسب الحديث الصحفى فى هذه الحالة إلى الهيئات العامة ، والمجالس الكبرى « كالمجلس الأعلى للجامعات » أو « المجلس الأعلى للتعليم » ، أو « مجلس الخدمات » ونحو ذلك .

وتستخدم بعض الهيئات لهذا الغرض موظفاً يطلق عليه اسم « مدير العلاقات العامة » ، وتـكل إليه فى بعض الأوقات مهمة الاتصال بمندوبى الصحف ، وإمدادها بما تحتاج إليه من البيانات الصالحة للنشر بالصحيفة . وكثيراً ما ينوب هذا الموظف الخاص عن رئيسه فى الوزارة ، ومع هذا وذاك فإن المقابلات الشخصية لرئيس العمل تـكون أجدى نفعاً ، وأوقع أثراً ، وأقدر على تصوير الرأى .

٣ — وفى حديث المعلومات أو التسلية والإمتاع يحصر المحرر اهتمامه فى المعلومات والحقائق ذات الطابع الإنسانى ، وإذ ذاك يجتهد المحرر عادة فى أن يهيىء الجو المناسب للقصة الإخبارية ، أو الحديث الصحفى الذى من

هذا النوع ، وبعبارة أخرى يقيم مسرحاً مناسباً لهذه القصة ، ثم يدعو محدثه للوقوف على هذا المسرح ، والتحدث منه إلى جمهور القراء .

وفى ذلك يقول « إدوارد برايس » المراسل السابق لجريدة شيكاغو ديلى نيوز :

« إن الناحية الإنسانية هى التى يجب أن تستأثر باهتمام الصحفى حين يريد الحصول على هذا النوع من الحديث ، فهو يعلم أن الانفعالات العاطفية تظهر فى صورة أفكار ، وأن الأفكار تترجم إلى أعمال ، وأن الأعمال هى التى تقرر مصير العالم ، وعلى ذلك فإن الانفعالات والعواطف ، والأفكار هى العناصر التى ينبغى للمحرر أن يهتم بها وبإظهارها ، ليحصل على قراءة معلومات جذابة ومسلية فى هذا الموضوع ، فإنما الحديث الصحفى مرآة تنقل صورة رائعة لشخصية مرموقة ، فتعكس للقراء صفاتها الروحية والخلقية والعقلية ، سواء أكانت هذه الشخصية المرموقة شخصية فنان ، أم عالم ، أم أديب ، أم سياسى محنك ، أم بطل من أبطال المسرح » .

وهذا النوع من الأحاديث تهتم به الصحف الأسبوعية ، أو الدورية أكثر من الصحف اليومية .

٤ — وأما حديث الجماعة فإنه أقرب شىء إلى التقرير المبنى على الإحصاء وذلك إذا كان الحديث على شكل سؤال واحد يلقى على جماعة من المدرسين أو المحامين أو الأطباء أو المهندسين ، وربما كان أقرب شىء إلى التقرير المبنى على التسجيل والإحاطة إذا أخذ على شكل استفتاء تشترك فيه جماعات كثيرة ، وفى كلتا الحالتين لا يطلب من المحرر الصحفى أكثر من اصطناع الدقة ، والوضوح ، وتقرير الواقع الملموس دون تدخل منه فى تغيير هذا الواقع .

ومعنى ذلك أن درجة التحرير فى هذا النوع من أنواع إلى الحديث لا ترقى فى جملتها إلى درجة التحرير فى الأنواع التى أشرنا إليها قبل ذلك .

٥ — وفى حديث المؤتمرات يكون الأمر أيسر على مندوب الصحيفة، لأن التحرير فى مثل هذه الحالة لا يعدو أن يكون نقلا للحديث الذى يسمعه المندوبون جميعاً من رجل معين من رجال الحكومة ، أو من ذوى الأعمال الجليلة فى الدولة .

تلك هى الطريقة العامة التى تتبع فى صياغة الأنواع الستة للحديث الصحفى .

وقد لاحظنا أنه إذا كانت « القصة الخبرية » ، أو الصيغة الصحفية هى المتبعة غالباً فى حديث الحقائق ، وحديث الرأى ، ونحو ذلك ، فإن « الصيغة الأدبية » هى التى تتبع فى حديث المعلومات ، أو حديث التسلية والإمتاع ، ففى هذا الأخير يكون المجال متسعاً أمام المحرر الصحفى لعبارة أنيقة ، أو لفتة ظريفة ، أو كلمة أخاذة ، أو صورة جذابة ، أو نكتة بارعة ، وفى هذه الحالة لا يتحتم على الصحفى أن يركز النقط الرئيسة تركيزاً تاماً فى صدر الخبر ، لأنه فى هذه الحالة إنما يختار لنفسه قالباً أدبياً لا قالباً صحفيا ، ولكن له أن يوزع هذه النقط الرئيسية على أجزاء حديثه بالطريقة التى يراها . ذلك أن المهم فى هذا النوع من الحديث ليس هو الإعلام أو تقديم الآراء أو الأفكار ، ولكن المهم هو العرض ، وبراعة الوصف ، وغير ذلك من الأمور التى تتطلب حسا أدبيا أكثر منه صحفيا .

وأخيراً تصل إلى المرحلة الرابعة من مراحل الحديث الصحفى ، وهى :

رابعا — مرحلة النشر :

قلنا إن الصحافة القديمة — حرصا منها على الدقة والأمانة — كانت تنشر الأسئلة والأجوبة نشراً حرفيا ، أما الصحافة الحديثة فقد استعاضت عن ذلك بطريقة « القصة الخبرية » ، ومعنى ذلك أن الصحف الحديثة ترى

أن من الأصوب أن يتجنب المحرر الأسلوب الذى يأتى فيه بالسؤال ، ثم يتلوه بالجواب ، أو بالأسلوب الذى تستخدم فيه فقرات طويلة من البيانات التى يصرح بها المتحدث ، وترى الصحف الحديثة أن يأتى المحرر بجزء من هذه البيانات ، ثم بملخص بسيط لها ، ثم يأتى بجزء آخر من البيانات ، ثم بملخص بسيط لها ، وهكذا ، وذلك كله فى أسلوب غير مباشر ، وطريقته تعتمد فى أكثرها ، على وصف شخصية المتحدث نفسه ، ذلك أن إعداد الحديث للنشر لابد فيه من إظهار شخصية المتحدث ما دام ذكر اسمه ضروريا ، أما المظهر الخارجى للحديث فقد يكون ذا طابع يغلب عليه الطابع الرسمى الخالص ، أو يكون ذا طابع تغلب عليه الصبغة الإنسانية أو الودية الخالصة.

فإذا كان القصد من الحديث هو الحصول على الحقائق ، فمن الطبيعى أن تكون الحقائق أولى من الأسماء بعناية الكاتب ، والعكس صحيح فى الحالات الأخرى — كما أوضحنا ذلك

ومهما يكن من شىء فليس هناك بد فى نشر الحديث من الأمور التالية :

١ — أن يوضح للقارىء خطورة صاحب الحديث ، حتى يرى أهميته بالقياس إلى الموضوع ، فإذا كان الحديث مما يتصل برأى من الآراء فعلى المحرر أن يوضح للقارىء أهلية المتحدث لإعطاء هذا الرأى ، وإن كان الموضوع عن حادث ما وجب أن يكون المتحدث شاهد عيان ، أو مشتركا فى الحادث نفسه .

٢ — أن يحذر المحرر — كما قلنا — إقحام شخصه فى الحديث أو أن يتخذ من نفسه محوراً له .

٣ — أن يوضح المحرر للقراء القصد من الحديث ، والغاية منه بجلاء تام ، وأن يقرن هذه الغاية أو القصد بشخص المتحدث وحده ليس غير .

٤ — على المحرر ألا ينسى الجانب الإنسانى فى الحديث كلما أمكن

ذلك ، فعن هذا الطريق يستطيع القراء أن يتابعوا هذه المادة ، وأن يجدوا في قراءتها متاعا ولذة .

* * *

تلك هي المراحل الأربع التي يسير عليها مندوب الصحيفة في أخذ الحديث ، وتلك هي الخطوات التي يسير عليها في قطع كل مرحلة منها .

ولا ينسى الباحثون في هذا الفن أن يوصوا في النهاية بالمظهر الخارجي لمندوب الصحيفة ، استناداً في ذلك على أن الوجه والمظهر الخارجي هما سفيرا المرء عند من يريد التعرف إليهم دائما من الناس .

وبعد ، فلا ينسى الصحفي كذلك أن الحديث الصحفي طريق لكسب صداقات جديدة ، وإنشاء علاقات مفيدة يستطيع أن يعتمد عليها في كثير من المواقف الصحفية التي تعرض له في حياته المستقبلة .

* * *

بقي أن نقدم نموذجا واحداً لنوع من الأحاديث الصحفية ، وليكن حديث الحقائق والمعلومات الذي يمكن أن نجد فيه تطبيقا عمليا لأكثر القواعد والأصول التي أشرنا إليها .

وقد اخترنا لذلك حديثا أجراه الدكتور « محمود عزمي » باسم صحيفة «الأهرام» مع سلطان مراكش «محمد بن يوسف» وهو الحديث الذي نشرته الجريدة المذكورة بالعدد رقم ٢٣٥٢٠ في يوم الثلاثاء ٢٧ من مارس سنة ١٩٥١ ، وهذا نصه :

نموذج للحديث

سلطان مراكش يشرح الموقف فى بلاده

ضغط الإقامة العامة الفرنسية على جلالته

حديث للسلطان تختص بنشره « الأهرام »

وصلتُ إلى الرباط عاصمة مراكش مساء الخميس الخامس عشر من شهر مارس الحالى ، وكان همى الأول أن أتشرف بالمثول بين يدى جلالة السلطان محمد الخامس لكى أتعرف خلال الحديث مع « المصدر الأول » نصيب الحقيقة فيما أذيع بمصر من تطور العلاقات خلال الثلاثة الشهور الأخيرة بين « القصر الشريف » ، والإقامة العامة الفرنسية .

فما إن أضحى الضحى بعد ليلة نعمت فيها بالنوم الهادىء إثر رحلة جوية طويلة من القاهرة إلى أثينا ، فروما ، فتونس ، فالجزائر ، فالدار البيضاء ، حتى هرولت إلى الفناء السلطانى الذى يحيط به سور رفيع .

وقصدت إلى عتبة «المخزن» — وهو اللفظ الذى يعبر به عن الحكومة المغربية الأصيلة — فاجتزتها ، وتقدم إلىّ من كانت عليه النوبة من الموظفين ، واليوم يوم جمعة ، وتركت لديه بطاقتى برسم الصدر الأعظم «السيد المقّـرى» الذى جاوزت سنه الرابعة بعد المائة ... وأفضيت إليه بالتماس التشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة السلطان .

صلاة السلطان

وسألت : هل يخرج السلطان للصلاة ؟ وكان قد أذيع فى القاهرة أن الإقامة العامة الفرنسية قد منعت جلالته من تأدية فريضة الجمعة . . . فقيل لى إن الموكب السلطانى يخرج إلى المسجد على عادته عند «الزوال» ، فرأيت

أن يبدأ استقصائى الأحوال فى مراكش بهذا الجانب من الأنباء ، وقررت تأدية الصلاة فى حضرة السلطان . . وكانت الساعة الثانية عشرة قد انتصفت فيممت شطر المسجد الواقع مقابل القصر ، ودلفت إليه ، فلم أجد به إلا قليلا جداً من العاكفين على قراءة القرآن ، فاستميزت بينهم واحداً قعدت إلى جانبه بعد أن صليت ركعتين تحيـــة للمسجد ، فسمعته يرتل القرآن ويقرؤه بالقراءات السبع .

ودهشت إذ فاتت الساعة الثانية عشرة دون أن يزيد عدد الحاضرين بالمسجد إلا قليلا ، وعلمت بعد ذلك أن ساعة الزوال فى الرباط إنما هى الساعة الواحدة بعد الظهر !! .

فظللت أشاهد الوافدين ، والمتوضئين الحاملين معهم سجاجيدهم الصغيرة ، وغير الحاملين ، وأستمع للمرتلين القرآن علانية حتى الساعة الواحدة بعد الظهر ، وأنا أغير مواضع الساقين منى ، تلمساً للراحة فى هذا الجلوس الطويل . . .

وعزفت الموسيقى ، وتقدم فرسان الحرس ومشاته ، وتحرك الركب السلطانى من القصر متجهاً إلى المسجد ، ووقفت العربة السلطانية أمام بابه الصغير ، فدخل منه السلطان إلى مقصورته الخشبية .

وأذن المؤذن فى الخارج ، ودعا الداعى إلى الإنصات فى الداخل ، وألقى الخطيب الخطبة ، ودعا فيها للخليفة محمد الخامس بالنصر والتأييد ، وقامت الصلاة . ثم خرج رجال القصر ، والوزراء ، واصطفوا أمام المسجد تحية للسلطان ، إذ يخرج ويمتطى هذه المرة جواده ، ويعود إلى قصره . فأسرعت فى الخروج ، واستطعت أن أقف إلى جانبه ، وأحيي السلطان تحيته ، فعرفنى جلالته ، وقد سبق أن حظيت بالمثول بين يديه منذ خمس سنين ، وتفضل جلالته علىّ بالسلام ، فسجلت بهذا حضورى .

مع السلطان فى القصر

وأبلغت من بعد أن منتصف الساعة الثانية عشرة ظهر الثلاثاء العشرين من شهر مارس الحالى قد حدد موعداً لتشرفى بالمقابلة السلطانية ، وقبيل الموعد قصدت إلى القصر الشريف، فاستقبلنى حجابه ، ورافقونى إلى مكتب وزيره ، فاستمهلت فيه لحظات جاء على إثرها مستشار الحكومة الشريفة الفرنسى ، فدعانا نحن الاثنين إلى القاعة السلطانية .

وهناك كان جلالة السلطان على أريكته ، فتقدمت إليها ، وتشرفت بالمصافحة ، ثم جلست على مقعد عن يسار الأريكة ، وجلس إلى جانبى المستشار الفرنسى بعد أن أشار له السلطان بالجلوس دون المصافحة ، وقعد الوزير على وسادة إلى يمين الأريكة .

وتفضل السلطان فغمرنى بظرفه ، إذ بادرنى باستطالة المدة التى انقضت بعد زيارتى الأولى لمراكش ، فقد قاربت الخمس سنوات ، وخصنى بعطفه ، إذ أضاف أنه يود لو يرانى مرة فى كل شهر ، فلا أقل من أن تكون زيارتى مرة فى كل سنة، وعقب على ذلك بترديده أن «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

تحيـــة لمصر

وسألنى جلالته عن مصر وأحوالها ، وأعرب عن خالص شكره لاهتمامها به وببلاده ، وحملنى شرف الإفضاء بعظيم تحيته ، وصادق عرفانه للشعب المصرى جميعه ، وكذلك لجامعة الدول العربية ، وأمينها العام ، وكان جلالته يذكر ذلك كله فى عبارات قوية تخرج من الأعماق .

عنـدى سؤال

ثم تقدمت إلى جلالته بأن لدىّ سؤالا أود لو أستطيع أن ألقيه ، وأنا أعرفه بالغاً حداً من الدقة غير قليل، ولكنى ألح فى إلقائه إلحاحاً ، ولا أود

فى الوقت نفسه أن يكون فى الإدلاء به شىء من الإحراج ، فلأدلِ به ، وليتصرف فيه جلالته كما يشاء

فتلطف جلالته ، وأشار إلىّ بالإفصاح ، فقلت : إنا سمعنا فى مصر بوقوع نوع من الضغط والإكراه ، وأود لو استطعت أن أعلم الجهة التى صدر عنها الضغط والإكراه : هل هو الجنرال « جوان » أو قبائل الجلاوى ، أو ضمير جلالتكم ؟

فأجاب جلالته على الفور :

« إن هذا السؤال سياسى ، ويحسن أن تقدمه مكتوباً ، وسأجيبك عنه كتابة أيضاً ، وستكون إجابتى بغاية الصراحة » .

وعاد جلالته يكرر فى حزم :

« قدم ما تشاء من أسئلة ، وسأجيبك عنها كتابة ، وبكل صراحة » .

وسألنى جلالته عن برنامجى فى اليومين التاليين ، فأجبت أنى قاصد إلى طنجة فى اليوم التالى ، وأنى عائد منها ومن الرباط يوم الجمعة .

فعقب جلالته بقوله :

« ستكون إجابتى المكتوبة عندك يوم الجمعة ، وستكون بغاية الصراحة »

فشكرت جلالته خالص الشكر ، وأحسست عمق ما تنطوى عليه شخصية السلطان من قوة معنوية .

وإذ كنت أعرف أن تصريحات الملوك لا يصح نشرها إلا بإجازتهم فقد تقدمت إلى جلالته مستأذناً فى نشر الإجابات على أسئلتى ، فتفضل جلالته بذلك .

ثلاثة أسئلة

ولما أذن لى جلالته بالانصراف مررنا فى طريقنا بمكتب وزير القصر، فأخذ منه المستشار الفرنسى قبعته، وطلب إلى الوزير أن أجلس لأدون الأسئلة، فتركت المستشار يمضى، وجلست إلى منضدة الوزير، وأمسكت بالقلم، وعلى ورقة من أوراق القصر السلطانى حررت بالمداد الأزرق ثلاثة أسـئلة، وقعتها بإمضائى، وأرختها بتاريخ اليوم، ثم كتبت صورة منها بالقلم الرصاص على ورقة أخرى من أوراق القصر احتفظت بها، وسلمت الأولى للوزير وانصرفت.

وقصدت فى اليوم التالى إلى طنجة، وأمضيت بها يومين كاملين، ثم عدت إلى الرباط بعد ظهر الجمعة الثالث والعشرين من هذا الشهر.

مع ولى العهد

وكان قد تصادف وأنا أغادر القصر الشريف بعد تسليمى أسئلتى لوزيره أن التقيت فى إحدى الردهات بصاحب السمو الأمير الحسن ولى العهد، فتفضل بدعوتى إلى تناول الشاى بقصره الخاص يوم عودتى من طنجة فذهبت إليه عند انتصاف الساعة السادسة بعد الظهر.

الجرائدى

وهناك سلمنى صورة والده السلطان التى تفضل جلالته بإهدائها إلى، فأقبلت على قراءة الإهداء وهو:

إلى الجرائدى الفذ السيد محمود عزمى ... محمد يوسف ملك المغرب أعانه الله.

ووقفت وقفة حتى تبينت أن «الجرائدى» إنما هو التعبير المقابل عندنا لتعبير «الصحفى».

ملك المغرب

كما تبينت صحة التلقب بملك المغرب ، لأن جلالته إنما هو العاهل الأوحد لسلطنة مراكش التى يسمونها « المنطقة السلطانية » ، و « المنطقة الخليفية » ، و « المنطقة الدولية » أيضاً ، وإذا كان مقر جلالته الرسمى فى الرباط فإن له خليفة فى تطوان ومندوباً فى طنجة .

واعتززت بالهدية الكريمة ، وتساءلت عن الإجابة على أسئلتى ، فناولنى الأمير ولى العهد الورقة المكتوبة عليها ، وإذ كانت بالخط المغربى فقد شاءت إرادة سموه أن يتلوها حتى أقف على كنهها فى أسرع وقت .
وقد استمعت إليها ، كما استطعت أن أقرأها بسهولة فيما بعد ، فألفيتها مبينة أحسن إبانة ، ووجدتها غاية فى الصراحة ، على سابق نطق جلالته !

حديث السلطان

وها هى أسئلتى ، وإجابات ملك المغرب عليها :

الضغط والإكراه

السؤال الأول :

أذيع أن توقيع جلالتكم على « بروتوكول » ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ كان تحت ضغط أو إكراه ، وقد سمعت منذ قدومى إلى مراكش فى هذا الصدد روايات :

يقول بعضها : إن التوقيع كان نتيجة لتهديد من قبل الجنرال جوان ، ويقول بعضها الآخر : إنه كان نتيجة لحركة صدرت عن القبائل بإيعاز من الجلاوى .
ويقول بعضها الآخر : إنه يرجع إلى ضمير جلالتكم الذى شاءت حكمته أن ينقذ بلاده من شر التلاحم .

ترى أية رواية من هذه الروايات أصدق ؟

بل أيها الصحيح ؟

الجواب :

إن توقيعنا على « بروتوكول » ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ كان نتيجة لعوامل متعددة ، أهمها :

١ — التهديد الذى وجه إلينا بواسطة وزير القصور والتشريفات من بعض شخصيات الإقامة العامة ، وذلك فى أثناء المخابرات التى كانت جارية بين القصر ، والإقامة العامة فى ذلك اليوم .

٢ — حركة القبائل التى أتى بها من جهات متعددة دون أن تعلم الباعث الحقيق على تحريكها ، فرابطت على أبواب فاس ، وسلا ، والرباط .

٣ — اجتناب ما كان يتوقع من عواقب سيئة ، للعوامل الآنفة الذكر ، فاضطررنا ـ مع هذه الأسباب جميعها ـ إلى إرضاء مطالب الإقامة العامة .

سبب الأزمة

السؤال الثانى :

قيل إن الأزمة ترجع إلى تعطيل إصدار بعض الظهائر « أى المراسيم » . فإذا كان هذا صحيحاً ، ترى ما هى أسباب هذا التعطيل ؟

الجواب :

إن سبب الأزمة هو غير ما أشيع من أننا رفضنا بعض التشاريع القانونية المقترح علينا قبولها ، إذ أن الأزمة فى الواقع ترجع إلى الرغبة التى أعرب عنها مقيم فرنسا العام فى أن يصدر منا استنكار لأساليب حزب الاستقلال ، وإلى عدم نزولنا على هذه الرغبة .

ولقد قدم المقيم العام هذا الطلب قبل سفره إلى أمريكا بلهجة لا تخلو من تهديد ، أما مشاريع الظهائر الشريفة المقترح علينا إمضاؤها ، فإننا

لا نرفضها ، أو نشير بتعديلها إلا بعد أن تدرسها لجان قصرنا الشريف ، وتبدى نظرها فيها ، مستندة إلى الأوفقة « أى الاتفاقيات » ، والمعاهدات ، وسائر فروع القانون .

آمال السلطان

السؤال الثالث :

ما هى آمال جلالتكم فى مستقبل مراكش ، وفى علاقاتها مع الجمهورية الفرنسية ؟

الجواب :

إن رغبتنا شديدة فى تقدم البلاد ، ورقيها رقياً ديموقراطياً ، وجميع أعمالنا ومساعينا تهدف إلى إحلال بلادنا العربية الإسلامية فى المكان اللائق بماضيها المجيد .

وأملنا عظيم أن تنظر حكومة الجمهورية الفرنسية ، اعتماداً على ما بين الدولتين من روابط الصداقة — الى مطامح شعبنا الشريفة بما يليق بها من العناية .

* * *

وفى نشر هذه النصوص اليوم كفاية ، وسنتابع الإدلاء بملابسات استقصائنا ونتائجها فى الأيام التالية — محمود عزمى

بين الطريقة القديمة والحديثة فى نشر الحديث

لا بد أنك لاحظت أيها القارىء أن الحديث الصحفى الذى كتبه الدكتور محمود عزمى ، يحظى بميزتين هما : ميزة السرد وميزة الوصف ، ولأن الحديث لم يكن على شكل حوار بين السلطان والمحرر فإنه فقد فى الواقع شيئاً من الحيوية التى تتمم الحديث بالطريقة الحوارية ، وليس الذنب فى ذلك على المحرر ، ولكن ذنب السلطان الذى أصر على أن تكون إجاباته

تحريرية لا شفوية ، من أجل ذلك يمكن النظر إلى النموذج المتقدم على أنه مكتوب بالطريقة القديمة لا بالطريقة الحديثة .

والواقع أن هناك طرقا عدة استحدثها الصحفيون لإجراء الحديث :

فمن هذه الأحاديث ما يكتب على طريقة الحوار الداخلي مع النفس ، ولعل من أروع الأمثلة عليها حديث للفنان « عبد الوارث عسر » نشرته مجلة الأسبوع العربي البيروتية في الأسبوع الثاني من شهر ديسمبر « كانون الأول » سنة ١٩٦٧ ، وقام بإجراء هذا الحديث مع الفنان « عبد الوارث » في هذه المجلة الصحفي « فاروق البقيلي » وفيه أوضح طبيعة الفنان الرومانسية وصور عواطفه الإنسانية .

ثم إن من أشهر الطرق الحديثة في هذا الفن من فنون الصحافة ، وهو الحديث طريقة « القصة الإخبارية » ونحن نعرف أن القصة الإخبارية لابد لها من عنوان ، وصدر ، وجسم أو صلب ، ثم إن الطريقة الحديثة لا غنى لها عن عنصر الوصف الذي يتخلل الحديث الصحفي ، وهو خير ما يضمن انتباه القارىء وقراءته الحديث من أوله إلى آخره ، وبدون هذا العنصر يصبح الحديث جافا كل الجفاف لا يستطيع القارىء متابعته بيسر .

والأمثلة على طريقة « القصة الاخبارية » في إجراء الأحاديث الصحفية كثيرة تطالعنا بها الصحف اليومية والمجلات على الدوام مؤثرة إياها على غيرها من الطرق لسهولتها ومرونة الصحفيين في كتابتها ، وتدربهم عليها .

ومن هذه النماذج — على سبيل المثال — حديث صحفي للدكتور طه حسين أجراه ، معه الأستاذ « كمال الملاخ» المحرر بصحيفة الأهرام ، وذلك بمناسبة بلوغ الدكتور « طه حسين» الثامنة والسبعين من عمره وقد نشر الحديث ومعه صورة للدكتور « طه حسين » جالسا بمفرده ، وأخرى له مع زوجته ، وقد نشر بجريدة الأهرام في عددها الصادر في ١٩٦٧/١١/١٥ .

الفصل السابع

التحقيق الصحفى وأنواعه وقوالبه

كثيرون من الناس على حق حين يقولون إن الجديد فى الصحافة الحديثة هو « فن التحقيق الصحفى » ، وإن كان التاريخ يحدثنا أن التحقيق فن قديم فى الصحافة الأوربية ، فيذكر لنا عن ديفو Defoe أنه أول من اهتدى إلى هذا الفن فى الصحافة الإنجليزية ، ثم أتى بعده ثور نكليف Thorncliff عام ١٨٩٦ فجعل من فن التحقيق الصحفى ركناً هاماً فى صحيفته الشعبية « ديلى ميل » ، وبفضل الجهود التى بذلها هذا الصحفى الأخير ، وبذلها أمثاله من الصحفيين تغير مزاج القراء الإنجليز ، وأصبح هؤلاء القراء يشبعون رغباتهم عن طريق « التحقيق الصحفى » أكثر مما يشبعونها عن طريق القصص .

ولا غرابة فى ذلك فقد جدت ظروف غيرت وجه المجتمع الإنجليزى إذ ذاك ومنها :

أولا — انتشار التعليم الذى أصبح فى متناول أكبر عدد ممكن من أفراد الشعب منذ ذلك الوقت .

ثانياً — انتصار الديموقراطية على الأرستقراطية فى انجلترا ، ومعها أكثر بلاد العالم المتمدن .

ثالثا — تقدم الوعى الاجتماعى ، وهو الوعى الذى نبه الأذهان إلى كثير من المشكلات الاجتماعية ، وحرك فى النفوس كل رغبة فى الوصول إلى حل لها بمختلف الطرق .

رابعا — تقدم علم النفس ، وعلم الأخلاق ، وجنوح الكتاب المحدثين فى كتاباتهم إلى التحليل النفسى لجميع الشخصيات التى يكتبون عنها ، سواء

أكانت شخصيات تميل بطبعها إلى الخير ، أم كانت تميل بطبعها إلى الشر .

والذى لا ريب فيه أنه إلى جميع هذه الأساليب المتقدمة يرجع الفضل فى تقدم « التحقيق الصحفى » لا فى الصحافة الإنجليزية أو الأوربية فقط ، ولكن فى الصحافة المصرية أو الشرقية ، وصحافة العالم كله كذلك .

أما الغرض الأساسى من التحقيق الصحفى أيا كان موضوعه فهو التفسير الاجتماعى للأحداث ، والتفسير النفسى للأشخاص الذين اشتركوا فى هذه الأحداث .

ورب قائل يقول :

ولكن ما الفرق بين الخبر والتحقيق ؟

نقول : إذا كان الخبر الصحفى جوابا عن الأسئلة الستة المعروفة ، وهى : من ، ولماذا ، ومتى ، وكيف ، وأين ، وماذا ، فإن التحقيق الصحفى جواب لأداة واحدة فقط من أدوات الاستفهام السابقة ؛ وهى « لماذا » ؟

فالخبر يعرض للمادة أو الواقعة ، ويبين الظروف التى اكتنفتها ، والمكان الذى وقعت فيه ، والأشخاص الذين اشتركوا فيها ، وما إلى ذلك .

والتحقيق يحاول الشرح والتعليق ، ويوضح الأسباب النفسية والخلقية والمادية ، ويفسر الحادث كله تفسيراً يقوم على شىء من علم النفس ، وشىء من الأخلاق ، كما يقوم على شىء من علم الإجرام إذا اتصل التحقيق بخبر من أخبار الجريمة .

وبهذه الطريقة يستطيع التحقيق الصحفى أن يلقى جملة أضواء على المشكلة المعروضة ، ويزيد فى قدرة القراء على الاستمتاع به وتتبع قراءته ، وهذا الشرح أو التعليل هو الذى يجعل للتحقيق صفة الجذب ، وهو الذى يكثر من عدد القراء .

ورب قائل يقول أيضاً :

وما الفرق بين التحقيق الصحفى والقصة الأدبية ؟

ونقول : أما القصة الأدبية — قصيرة كانت أم طويلة — فإنها تعتمد على الخيال ، وقد تصور جزءاً من واقع الحياة فى قالب قصصى ممتاز ، على حين أن التحقيق الصحفى يعتمد كل الاعتماد على الحقائق الملموسة ، والوقائع المحسوسة ، والشكاوى التى تصدر عن الناس من وضع معين من أوضاع الحياة التى يحيونها .

ورب قائل يقول أيضاً :

وما الفرق بين التحقيق الصحفى ، والمقال الافتتاحى أو الرئيسى ؟

وبحسبنا أن نقول : المقال الرئيسى إنما يعبر عن رأى الصحيفة ، أما التحقيق فلا يعبر عنها ، وإن كان مسايراً لسياستها العامة ، والتحقيق صورة من صور الحياة الواقعة صيغت فى قالب صحفى لا أدبى ، واستعان المحرر فى صياغتها بتجاريبه ومطالعاته ، ومراجعاته ، وتحركاته ، واتصالاته ، وإن فى اعتماد التحقيق على شىء من علم النفس ، أو علم الأخلاق ، أو علم الإجرام — كما سبق القول فى ذلك — ماينأى بالتحقيق عن أن يكون سرداً علميا ، أو سطحيا ، ولكن يجعل منه سرداً إنشائيا ، يبنى على طريقة جذابة تأسر العقول ، وتهفو إليها الأفئدة .

ورب قائل يقول أيضاً :

وما الفرق بين التحقيق الصحفى ، والمقال الأدبى Essay ؟

ونقول : أما الأول فأكثر موضوعية ، وأما الثانى فأكثر ذاتية ، والأول ألصق بالمجتمع ، والثانى أعلق بقلوب الأفراد فى هذا المجتمع ، وأشد تعلقا بقلب الكاتب الذى كتب المقال بوحى من شعوره الذاتى أكثر من شعوره الجماعى .

ورب قائل يقول :

وما الفرق بين التحقيق والعمود الخاص بالموضوعات الإنسانية ؟

والجواب على ذلك ، أن بينهما تشابها وثيقاً من جهة ، واختلافا

فى الوقت نفسه من جهة ثانية ، فكلاهما يتناول أشخاصــــا وحوادث وقعت فى زمن معين ومكان معين ، وهما من هذه الناحية متفقان ، إلا أن التحقيق — بوصفه فنا من فنون التقرير الصحفى — له غاية معينة ، هى مجرد نقل المعلومات إلى القارىء ، أما الموضوعات ، أو الأعمدة الإنسانية فتهدف فقط إلى التسلية ، وغرضها الوحيد إثارة إحساساته .

يقول الأستاذ كارل وارين :

« ومع هذا فليس هناك خط واضح يفصل بين الموضوعات الإنسانية والتقرير ، فحدودهما تختلط كما تختلط الألوان فى قوس قزح ... وكثيرون من المحررين يقولون إن الموضوعات ، أو الأعمدة الإنسانية ليست إلا امتداداً للتقرير الصحفى » (١) .

* * *

ولقد أجرى العلماء إحصاءات كثيرة لإثبات هذه الحقيقة ، وهى أن التحقيق الصحفى من ألزم الفنون للصحافة الحديثة ، ومن هؤلاء « السيدة هيلين باترسون » أستاذة فن المقال بإحدى جامعات أمريكا ، وإليك خلاصة بسيطة لإحدى هذه الإحصاءات ، قالت السيدة هيلين :

« فى أمريكا الآن ٤١٦ مجلة ، وعدد طبعاتها فى العام ١٧١,٣٤٠ طبعة ، وأما عدد الدوريات ، بين شهرية ونصف شهرية وسنوية ونصف سنوية ، فيبلغ الآن ١١,٤٨١ دورية ، وعدد طبعاتها فى السنة يقدر بنحو ١,٣٤٨,١٩٧ طبعة ، وجميع هذه المجلات والدوريات ــ بدون استثناء ــ تعنى عناية تامة بمادتى التحقيق الصحفى والحديث الصحفى ، وذلك فضلا عن عناية الصحف اليومية بهذه المادة ، ويبلغ عدد هذه الصحف الآن ٤٨٥ ، كما يبلغ عدد طبعاتها فى العام ٢٥٢,٢٠ طبعة ، ولكل صحيفة يومية من هذه الصحف قسم خاص بإعداد المادة الخاصة بكل من التحقيق والحديث .

---

(١) انظر كتاب « كيف تصبح صحفياً » ترجمة عبد الحميد سرايا ص ١٣٥ .

« وباختصار يمكن القول بأن عدد الصحف الأمريكية التى تهتم اهتماما خاصا بهذه المادة لا يقل عن ١٢,٣٣١ صحيفة ، وبأن عدد الطبعات التى تصدرها هذه الصحف سنويا لا يقل عن ١,٣٧٣,٤١٨ طبعة ، وبأنه حتى الآن لم يظهر أن واحدة فقط من تلك الصحف ، أو طبعة واحدة أيضا من تلك الطبعات استطاعت أن تجد نفسها فى غنى عن فن التحقيق بنوع خاص ، وفى هذا ما يدل دلالة صريحة على خطورة هذا الفن من فنون الصحافة » (١) .

القوالب الفنية لكتابة التحقيق الصحفى :

من السهل على المحرر أن يصب تحقيقه الصحفى فى أحد هذه القوالب الفنية التالية :

١ — قالب العرض Expositiorr

٢ — قالب القصة Narration

٣ — قالب الوصف Discription

٤ — قالب الاعتراف Confession

٥ — قالب الحديث Interview

وليست هذه القوالب كلها بحاجة إلى الشرح ، فهى غنية بأسمائها عن شىء من ذلك ، ولكن المهم هو أن يختار المحرر الصحفى الزاوية التى ينظر منها إلى موضوع تحقيقه حتى يبدو مثيراً — بقدر المستطاع — لانتباه القارىء .

ذلك أن لكل موضوع من موضوعات التحقيق زاوية فنية تناسبه وقد لا تناسب غيره على الإطلاق .

---

(١) نحن نشارك الأستاذة هيلين باترسون تقديرها لفن التحقيق الصحفى ، وننظر بعين الاعتبار إلى هذه الإحصائية الدقيقة ، ولكنا كنا نود أن توضح لنا هذه الاحصائية كذلك شيئاً عن النسبة المئوية لفن التحقيق بين سائر الفنون الأخرى فى الصحيفة الأمريكية .

فطبيب يخترع علاجاً لعودة الشباب لا يصح أن يكتب موضوعه بطريقة علمية جافة تتعرض لوصف الدواء ، وطريقة الاستعمال ، وإنما يكتفى فى مثل هذا الموضوع بمقابلة شخصية للطبيب ، وحديث صحفى يدور حول الدواء الجديد .

وظاهرة غريبة كظاهرة « السيول فى قنا » لا بد فيها من الذهاب إلى هذه المدينة من مدن الصعيد ، ووصف ما جرى فيها ، وقراءة بعض الكتب فى الموضوع ، واتصال المحرر الصحفى ببعض المهندسين المختصين ، ولا ينبغى له فى مثل هذه الحالة أن يهمل الحديث مع المنكوبين بهذه السيول ، والآثار التى تركها فيهم هذا الحادث .

وزائرة عادت من رحلة كبيرة فى الخارج يمكن أن تكون موضوع تحقيق طريف يدور حول عادات الناس فى البلاد التى زارتها ، ومعرفة شىء عن أخلاقهم ونظامهم فى حياتهم الخاصة والعامة ، ونحو ذلك .

الخطوات التى تتبع فى كتابة التحقيق الصحفى :

لكى ينجح التحقيق الصحفى ينبغى للمحرر — ما أمكنه ذلك — أن يتّبع فى كتابة تحقيقه هذه الخطوات وهى :

أولا — العناية « بالعنوان » عناية لا تقل عن العناية بالصور الشمسية المصاحبة للتقرير ، كما تنبغى العناية بالعنوانات الصغيرة التى تتبع العنوان الكبير فى المعتاد .

فيجب أن تكون هذه العنوانات كلها زاخرة بالحياة ، قادرة على التصوير ، مليئة بالتعبير ، غنية بعنصر الجذب والتشويق ، مناسبة لجو التحقيق .

وبدون ذلك لا يضمن الكاتب كسب انتباه القارىء ، ولا يضمن إقناعه بخطورة موضوع التحقيق منذ اللحظة الأولى .

ثانياً — يأتى بعد العنوان فى المعتاد « مدخل » يثير اهتمام القراء ، ويعتبر حافزاً لهم على القراءة ، وعاملا من العوامل التى يعتمد عليها فى المحافظة

على اهتمامهم بالموضوع ، ومقنعاً لهم كذلك بأن ما سيقرءونه متصل بهم وبحياتهم على نحو ما .

ثالثاً — يلي « المدخل » ما يعمد إليه المحرر عادة من الإدلاء بمعلومات جديدة ، وأخبار مثيرة ، يأتي بها الكاتب املا في كسب ثقة القارىء ، وإشعاره إذ ذاك بأن ما يقرؤه جديد على سمعه تماماً .

على أن أهم ما في الموضوع هو الطريقة التي يعرض بها الكاتب معلوماته وأفكاره وحقائقه ، وطريقة العرض لا تحتاج إلى شيء كحاجتها إلى سلامة الذوق ، وسمو النفس ، وعظم الموهبة الصحفية التي تكاد تولد مع الفرد ، وكما أن الطاهى الماهر يستطيع أن يقدم لك طبقاً من الطعام تلتهمه التهاماً ، وتزدرده ازدراداً ، في لحظات قصار ، فكذلك المحقق الصحفي الموهوب يستطيع أن يقدم لك مادة شائقة ، تقرؤها بلهفة عظيمة ، وسرعة متفوقة .

رابعاً — العناية التامة بعد ذلك بإيراد الأمثلة والشواهد ، وهنا ينبغي للكاتب أن يقلل ما أمكنه من الاعتماد على المبالغة والتهويل يشترى بهما اهتمام قرائه ، إذ الواقع أنه ينزل بهما في أعينهم إلى منزلة المهرج الذى يبعث عمله على الهزء والسخرية ، بدلا من أن يبعث على الاحترام والثقة .

كل ذلك مع المراعاة التامة للتناسب الكامل بين أجـزاء التحقيق الصحفي ، بحيث لا تكون المقدمة أطول من صلب الموضوع ، أو تكون الأدلة أقل مما يلزم لإقناع القراء .

وكل ذلك أيضاً مع الاعتماد في الاحتفاظ التام باهتمام القراء على ما ركبه الله فيهم من الغرائز التي من أهمها غريزة حب الاستطلاع التي ينبغي أن يصدر الكاتب عنها في كل ما يقدمه لقرائه من حين لآخر .

ثم الاعتماد — كما قلنا — على علم النفس ، وعلم الأخلاق ، وعلم الاجتماع في كل تحقيق صحفي يمكن تقديمه إلى الصحيفة .

ونعود فنقول : إنه مما لا شك فيه أن التحقيق الصحفى الذى لا يبنى على شيء من هذه العلوم التى أشرنا إليها يفقد الغرض الذى كتب من أجله أولا ، ويفقد القراء الذين يتهافتون على قراءته بعد ذلك .

خامساً — وأخيراً تأتى الخاتمة — وهى آخر مايستقر فى ذهن القارىء ، فلابدمن أن تكون تلخيصاً للحقائق الأساسية لموضوع التحقيق ، أوتأكيداً للقضية الهامة التى من أجلها نشر هذا التحقيق بالصحيفة .

وكثيراً ما تنجح المادة الصحفية — أياً كان نوعها — متى وفق الكاتب إلى عبارة قوية يختمها بها ، وتمتاز بقدرتها على تلخيص الفكرة الأساسية من جهة ، وعلى المطابقة التامة لموضوع هذه المادة الصحفية من جهة أخرى .

خطوات الحصول على التحقيق الصحفى :

جرى المحررون الصحفيون فى كتابة التحقيق على اتباع هذه الخطة التى بنيت عندهم على خطوات خمس :

أولا — جمع الحقائق اللازمة لكتابة التحقيق .
ثانياً — جمع الأحاديث اللازمة له أيضاً .
ثالثاً — وضع الخطة التى يكتب بها الموضوع .
رابعا — التفكير فى الأسلوب الممتع الجذاب الذى يكتب به هذا التقرير .
خامسا — مطابقة التحقيق لسياسة الصحيفة .

وتقول السيدة «هيلين باترسون» التى مر ذكرها : «إننا ما دمنا نتفق على أن التحقيق الصحفى لا بد أن يمر بهذه الخطوات الخمس فيجب أن تعرف الأهمية التى لكل خطوة منها بالقياس إلى الأربع الأخرى ، وعندى أن هذه الأهمية يمكن أن تصبح متكونة من النسب المئوية الآتية ، وهى :

١٠ ٪ لجمع الحقائق اللازمة .

١٠ ٪ لجمع الأحاديث .

٤٠ ٪ لخطة الموضوع .

١٠ ٪ للأسلوب الممتع الجذاب .

٣٠ ٪ لمطابقة الموضوع لسياسة الصحيفة .

ومعنى ذلك أن الأهمية الأولى فى نظر السيدة الباحثة لخطة الموضوع أو للتحقيق ، والأهمية الثانية لمطابقة الموضوع لسياسة الصحيفة . أما العناصر الثلاثة الباقية وهى : جمع الحقائق ، وجمع الأحاديث ، والأسلوب الممتع الجذاب فكلها تأتى بعد العنصرين السابقين فى الترتيب من حيث الأهمية ، وكلها تتساوى فى هذه الأهمية ، بحيث لا يزيد أحدها عن الآخر ، ولا يقل عنه .

الفصل الثامن

مصادر التحقيق الصحفى ونموذج له

لهذا الفن من فنون الصحافة — بوجه عام — مجال يسبح فيه ، ويدور معه ، وهو مجال « المشكلات العـــامة » التى تعرض للمجتمع كله تارة ، وتعرض لطائفة من طوائفه تارة أخرى .

من أجل ذلك لا يشترط فى موضوع التحقيق ما يشترط فى الخبر من عامل « الجدة الزمنية » ، ولكن مهارة الكاتب الصحفى تظهر دائماً فى إيهام القارىء بأن الموضوع الذى يتناوله فى تقريره مشكلة من المشكلات الهامة ، وأنها تتطلب حلا سريعاً يتقدم به المعنيون بهذه المشكلة ، وأن فى استطاعة بعض القادرين من غير هؤلاء أن يشاركوا فى إيجاد الحل اللازم لها متى استطاعوا ذلك ، ووظيفة التحقيق الصحفى فى هذه الحالة تنحصر — أو تكاد تنحصر — فى جمع الآراء من هنا وهناك ، والتأليف بينها قصد الوصول إلى الحل المطلوب .

وإذن فكما يبنى المقال الأدبى ، أو العلمى ، أو الصحفى على فكرة يتلقفها الكاتب من الوسط الذى يعيش فيه ، وينفعل به ، فكذلك يبنى التحقيق الصحفى على مشكلة يتلقفها المحرر من الوسط الذى يعيش فيه ، ويتعاون معه ، وما أكثر هذه المشكلات لمن يحاول الوقوع عليها ، والنفوذ إليها من باب الصحافة ، أو من باب الأدب .

فهناك مشكلة الأسرة ، ومشكلة التعليم ، ومشكلة الشباب ، ومشكلة البطالة ، ومشكلة المرض ، ومشكلة الفقر ، ومشكلة الجهل .. الخ . والحق أن كل وضع من أوضاعنا مشكلة ، وفى كل مرفق من مرافقنا العامة مشكلة ، وشعورنا بهذا الشعور دليل على حيويتنا العظيمة ، وعلى رغبتنا

فى الوصول إلى الأوضاع السليمة ، والطرق المستقيمة ، وتلك سنة البقاء والوجود متى أريد به أن يكون وجوداً سليماً وسائراً فى طريقه إلى التقدم المستمر .

وكما يكون موضوع التحقيق إحـــدى المشكلات التى تهم طائفة من الناس، كذلك يمكن أن يكون موضوع التحقيق شخصية من الشخصيات الكبيرة ، أو مكاناً من الأمكنة ذات الذكريات الوطنية العزيزة ، أو رحلة من الرحلات ، أو حفلة من الحفلات ، أو مهرجاناً عظيماً ، أو كشفاً علمياً جديداً ، وهكذا .

ومن هنا تنوعت أشكال التحقيق ، كما تنوعت القوالب التى ينصب فيها — كما رأينا — وتنوعت كذلك المصادر التى ينبع منها .

فما هى مصادر التحقيق الصحفى على وجه الإجمال ؟

يرى الأستاذ بلير Bleyer أن للمحقق الصحفى أن يرجع إلى مصدر من هذه المصادر الخمسة ، وهى :

أولا — إخبار الصحف :

فرب نبأ عن وفاة عامل من العلماء ، أو أديب من الأدباء ، أو زعيم من الزعماء يبعث على كتابة مقـــال أو تقرير ، يتناول فيه المحرر حياة الرجل، ويصف بلاءه فى الحياة العامة ، ويعرض لمبادئه التى يكافح من أجلها طول حياته .

ورب نبأ عن هدم بيت قديم يثير فى نفس الكاتب رغبة ملحة فى كتابة تقرير من النوع السابق ، بل رب نبأ سريع عن قرب انتخاب رئيس جديد للجمهورية يحمل الكاتب على الرجوع إلى الأعداد القديمة من الصحف ليحصل منها على معلومات عن الطريقة التى يتم بها انتخاب رؤساء الجمهوريات ، وهكذا .

ثانياً — الملاحظة الشخصية :

وهذه مجالها واسع أمام المحرر ، ومادتها غزيرة لا تكاد تنضب ، وطرق الوصول إليها تتعدد بتعدد الأشخاص القادرين على هذه الملاحظات ، فاختلافك الكثير إلى المعارض والمتاحف ، وغير ذلك من الأماكن يمكنك دائماً من الكتابة فى هذه الموضوعات ، ومن تسجيل ما تلاحظه فيها ، وقيامك بعمل ما من الأعمال التى تهم الجمهور كالشرطة أو القضاء أو الطب أو التعليم يسمح لك بأن تجمع الملاحظات والمعلومات عن هذه المهنة ، وذلك فى وقت يكون فيه الجمهور على استعداد لتتبع ما تكتبه عنها.

والمحرر الصحفى مطالب على الدوام بأن يكون من أكبر الناس تنبهاً فى مثل هذه الموضوعات العامة ، وقدرة على رؤية وجوه النقص فيها .

ثالثاً — التجربة الإنسانية :

قد تصلح التجربة الإنسانية فى ذاتها موضوعاً للتحقيق الصحفى ، فـكافحة شعب من شعوب الأرض ضد الاستعمار ، ونجاة أحد من الناس من الانتحار ، ووقوفك لحظة أمام المحكوم عليه بالإعدام ، كل هذه وأمثالها تجارب إنسانية تصلح كل واحدة منها لأن تكون موضوعا لتحقيق صحفى .

على أن هذه التجارب الإنسانية فى ذاتها مصدر لشيئين عظيمين هما : الأدب من جهة ، والصحافة من جهة ثانية ، وإن كانت إلى الأول أقرب ، وبه أشبه .

رابعاً — الأحاديث الصحفية :

وهذه من المصادر القيمة للإعلام والتقرير على السواء ، فرب حديث صحفى يتناول موضوعاً ما يوحى إلى المحرر الذكى بموضوعات أخرى لا تصلح لأن تكون جزءاً من الحديث الأصلى ، ولكنها تصلح أن

تكون موضوعاً مستقلا عنه ، ورب حديث صحفى مع شخصية ذات حظ كبير من الشهرة يترك فى نفوس الجماهير أثراً من نوع خاص يصلح أن يكون فى ذاته موضوعاً لتحقيق صحفى .

خامسا — النشرات والوثائق :

كثيراً ما يكون فى هذه النشرات من المعلومات المبسطة فى العلم ، أو فى الفن ، أو فى الأدب ، أو فى الفكر ما يتيح أثمن الفرص أمام المحرر الصحفى لكتابة تقرير أو تحقيق يقرؤه الجمهور فيفهم عن هذه العلوم أو الفنون قدراً لا يفهمه عن طريق الكتب الخاصة .

ولا شك أن تبسيط العلوم ، وطرق الإفادة منها ، وتنوير الشعب عن هذا الطريق — كل أولئك من عمل الصحفى — وليس من عمل الأديب أو العالم أو الفنان أو الباحث المتخصص فى أى نوع من أنواع المعارف الإنسانية .

نموذج من التحقيق الصحفى

إن الأمثلة على ذلك كثيرة لا حصر لها يمكن أن تؤخذ من التحقيقات الصحفية التى نشرت فى الأعوام الأخيرة بالصحف المصرية ، وسأكتفى بمثل واحد منها يغنى عن بقيتها ، وهذا المثل هو التحقيق الذى نشرته مجلة « آخر ساعة » بالعدد ١٠٣٩ بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٤ ، وموضوعه : « فساد النظام البيروقراطى فى وزارة التربية والتعليم » وقد جرى فيه المحرر على الخطة الآتية :

أولا — عنى بكتابة العنوان الرئيسى فجعله هكذا :

الأخطبوط الذى يواجه كمال الدين حسين فى مجاهل العلم

ثم أردف ذلك بعنوانات أخرى غير رئيسية على هذا النحو :

٣٠٠ ألف ملف فى طريق الضياع

هيلانة جرجس تخرجت من الأزهر الشريف

مشاكل ١٥٠ ألف موظف ، وملايين العقد فيها

ثانيا ــ دخل الكاتب على الموضوع دخولا مثيراً بالطريقة الآتية، حيث قال :

« أجراس الخطر تدق فى وزارة التربية والتعليم .. أكبر وزارة فى مصر . الوزير كمال الدين حسين يقود المعركة .. ويعلنها صريحة مدوية .. خمسة آلاف معلم ومعلمة ينتمون إلى خمس وعشرين طائفة .. لا ترابط بينها ولا تعاون .. ولابد من توحيد جهودهم لصالح التلاميذ !

كان لكل وزير فيما مضى سياسة خاصة ، وطائفة معه تسانده ، وتناصره على حساب الطوائف الأخرى ، وقد آن الأوان للقضاء على الطائفية !

الجهاز الإدارى فى الوزارة والجامعات مصاب بالشلل ، والأعمال تسير بخطوات السلحفاة ، ولابد من أن تعلن الحرب على الروتين الذى تغلغل فى جميع المرافق .

ثالثاً ــ أتى دور المعلومات التى سعى المحرر فى الحصول عليها ، وكتبها ليكسب ثقة القارىء ، ويضمن انتباهه ، فأخذ المحرر يكتبها بهذه الطريقة :

تركة مثقلة بالديون

للمرة الأولى تشهد وزارة التربية والتعليم وزيراً يكشف حقيقة موقف الوزارة وموقفه من المشاكل التى تعترض طريقه ، ومن التركة المثقلة التى آلت إليه !

وهذه الصراحة التى يواجه بها الموقف لون جديد لم يكن مألوفا عند الوزراء السابقين ، فقد كانت هناك عقبات ومشاكل فى طريق كل وزير

جديد . . كان هناك فساد ، وقليلون هم الذين كان يخطر ببالهم أن الفساد قد ظهر فى وزارة العلم والنور !

كان هناك — ومن كان يصدق — سرقات بلغت ربع مليون من الجنيهات من أقوات التلاميذ ، ولم يكشف عنها سوى ديوان المحاسبة !

وكانت هناك ثورة مشتعلة فى نفوس الموظفين لفساد الجهاز الإدارى فى الديوان وفى الجامعات . . ولم تحظ ثورة الموظفين من كل وزير إلا بابتسامة رقيقة !

رابعاً — جاء دور الشواهد والأمثلة فذكرها الكاتب بقوله :

وشكلت لجنة لحصر التركة فوجدت حقائق مرة ! :

٨٢ ألف موظف يشغلون جميع الدرجات الدائمة والمؤقتة ، ٣١ ألف مستخدم خارج الهيئة . . لكل من هؤلاء مشكلة ، إما فى ترقيته أو فى تسوية حالته ، أو فى ادخاره وتأمينه أو معاشه .

٤٦٦٣٦ حالة مدرس يستعجلها وزير المالية باسم الإنسانية فى خطاب مؤثر يقول فيه لزميله وزير المعارف السابق بالحرف الواحد :

«إن الوزارة تهاونت فى إرسال استمارات التأمين والادخار ، وإن إدارة الصندوق عاجزة تماماً عن أداء رسالتها نحو الذين يستحقون معاشات أو تأمينات ، وإن الجهود التى بذلت لإنصاف هؤلاء البؤساء وأسرهم قد ذهبت عبثاً بسبب إهمال المسئولين فى وزارتكم » .

« إن بعض المدرسين الذين توفوا عام ١٩٥٢ لم تصدر قرارات فصلهم بعد ، وعلى رأس هؤلاء المرحوم « حسن أبو العلا » المدرس بالمدرسة الإنجليزية للبنات . . وإن ورثته ما زالوا ينتظرون عطف الموظف المختص ! »

« وفى إدارة القيد والحفظ مشكلة لا تقل خطورة عن مشكلة إدارة

المستخدمين ، فقد سيطر الروتين الحكومى سيطرة تامة على هذه الإدارة ، وقضى بأن تحتفظ بـ ٣٠٠ ألف ملف فى أرشيف لجميع الموظفين ، ولجميع الموضوعات الخاصة والعامة بكل منطقة ، حتى ضاقت الحجرات المخصصة لذلك ، واضطر الموظفون إلى إيداع الملفات فى مخـــازن أشبه بعش العنكبوت ، وضاعت ملفات الموظفين ، وأصبح من العسير استخراج ملف موظف بعينه ،

وهكذا أخذ الكاتب يسوق الأمثلة الكثيرة ، والشواهد العديدة على فساد الروتين الحكومى فى وزارة التعليم ، حتى بلغ الحد بهذا الروتين الحكومى أن وُجد فى أوراق وزارة التعليم ملف ذكر فيه أن « هيلانه جرجس عبد الملك » خريجة الجامع الأزهر الشريف ! إلى غير ذلك من الأوراق التى تبعث على السخرية من ذلك الروتين ، وتصور المشكلة على أنها جديرة بعناية الوزير ، وعناية الموظفين ، وعناية الجمهور :

خامسا — ختم الكاتب تحقيقه الصحفى بهذه العبارة :

الأمل المنتظر

إن ملايين الآباء والأمهات والتلاميذ والتلميذات يعيشون الآن على أمل كبير ، أمل قيام نهضة تعليمية حقة تنعم فيها البلاد بالاستقرار ، وتهدأ أعصاب التلاميذ التى تحطمت من وطأة التغيير والتبديل .

ويسير على القارىء أن يلاحظ أن كاتب هذا التحقيق — وهو هنا الأستاذ محمد نصر — اتبع خطة صحيحة فى كتابة الموضوع ، واتبع الخطوات الست التى سبقت الإشارة إليها فى طريقة تحرير الموضوع ، وإن جاءت الخاتمة قليلة الصلة بهذا الموضوع فى صميمه ، إذ الشكوى فى التحقيق ليست من عدم الاستقرار ، ولا من الحاجة إلى نهضة التعليم ، وإنما الشكوى من فساد النظام الإدارى أو البيروقراطى فى ، الوزارة ومن العبث بالناس

الذين اتصلت مصالحهم بهذه الوزارة ، ثم المطالبة بالتخفيف من وطأة هذا الروتين الحكومي الذي هو السبب الرئيسي في جميع هذه الأضرار .

* * *

وجدير بنا أن ننوه في ختام هذا الفصل بالتحقيقات الصحفية الناجحة التي كتبها الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ، وهي كثيرة ومعروفة لدى القراء في العالم العربي . وترجع شهرتها في الواقع إلى أسباب كثيرة منها :

أولا — براعة الأسلوب الذي تكتب به هذه التحقيقات وهو أسلوب يتميز بالإسهاب وطول النفس في العبارة والاستطراد الذي يقود القارىء من فكرة إلى أخرى بدون أن يشعر أو يمل .

ثانياً — أنها تعبر أوضح تعبير عن منهج الأهرام وسياسته حتى بدت الأهرام للقراء كأنها لسان حكومة الثورة .

واعتقد الكثيرون — إن صدقا وإن كذبا — أن كاتب هذه التحقيقات إنما يرجع فيها إلى السيد رئيس الجمهورية ويعبر فيها عن رأيه .

ثالثا — إن هذه التحقيقات تميزت كذلك بالتوقيت الدقيق ، ووضع النقط على الحروف ، والإجابة الصريحة عن كل سؤال من الأسئلة التي تقفز إلى أذهان القراء عقب كل مشكلة من المشكلات السياسية ، كما نجحت هذه التحقيقات في شرح العلاقات السياسية بين الجمهورية العربية المتحدة وكل من المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي والدول التي تدور في فلك هذين المعسكرين .

ولا يتسع هذا الكتاب للإتيان ولو بنموذج واحد من هذه التحقيقات التي تنشر في يوم الجمعة من كل اسبوع ، وتملأ الصحفحة الأخيرة كلها بجميع الأعمدة الثمانية التي تشتمل عليها ، فليرجع إليها من أراد .

* * *

« وبعد ، فليست هذه القواعد والأصول قيوداً من حديد نريد أن نضعها فى يد الكاتب أو المحرر ، بل هى لا تعدو أن تكون أموراً يهتدى بها فى كتابة هذا الفن الصحفى ، إذ المعول فى كل ذلك على الموهبة الصحفية أولاً وعلى حسن التصرف وسلامة الذوق من جانب الكاتب الصحفى نفسه بعد ذلك ».

* * *

الفصل التاسع

الماجريات وطريقة تحريرها

« الماجرى » لفظ مركب من كلمتين هما : « ما » و « جرى » بمعنى « ما حدث » ، وهو اصطلاح صحفى لا يجرى بمعناه اللغوى على الأحداث التى تقع فى أى مكان ، كالطريق ، أو المنزل ، أو المدرسة ، أو المكتب أو الجامعة ، أو الملعب ، ونحو ذلك ، وإنما يقصد بهذا الاصطلاح كل مايحدث فى الجلسات التى تعقدها الهيئات العامة ذات الصلة الوثيقة بمصلحة عليا من مصالح الوطن الذى تصدر فيه الصحيفة ، والأوطان التى تربطها به علاقة ما (١) .

ونحن نعرف أن الصحف فى وقتنا هذا تفرد مكاناً خاصاً لهذه الجلسات وتكل إلى محرريها وصف ما يدور بها من مناقشات ، وما يتخذ فيها من قرارات ، وإن كانت الإذاعة فى الوقت الحاضر — كما سيكون التليفزيون فى وقت قريب — منافساً خطيراً للصحافة فى هذا الباب — مع فارق واحد بينهما فى ذلك ، هو أن الإذاعة لاتعلق فى الغالب على هذه الجلسات بالذات فور إعلانها ؟ إلا من حيث إنها نبأ من الأنباء ، وهناك فارق آخر هو أن التليفزيون يمكنه أن يعرض هذه الجلسات على الجمهور كما هى تماما ، وكذلك تفعل الإذاعة إن أرادت ، على حين أن قلم المحرر الصحفى لهذه

---

(١) يرجع الفضل فى استحداث هذا الاصطلاح إلى الأستاذ المرحوم الدكتور محمود عزمى الرئيس السابق لمعهد التحرير والترجمة والصحافة بجامعة القاهرة ، فهو الذى أطلق هذا الاسم على هذا الفن من فنون الصحافة الحديثة فى المحاضرات التى ألقاها على طلبة هذا المعهد .

الماجريات يؤدى دوراً هاما فى تصويرها للقارىء بما يتفق وسياسة الجريدة ، فيحذف ما يشاء أن يحذف من أقوال الأعضاء ، ويثبت ما يشاء أن يثبته منها .

أما هذه الهيئات العامة ذات الصلة الكبرى بمصالح الوطن الذى تصدر فيه الجريدة فكثيرة من أهمها : مجالس النواب ، والمحاكم على اختلاف أنواعها ، والمؤتمرات السياسية فى بلاد تربطها بها مصلحة عليا ،والمؤتمرات أو الجلسات العامة التى تعقدها جميع المنظمات الدولية التى تشترك فيها أكثر من دولتين من دول العالم . ومن الأمثلة على هذه المنظمات : عصبة الأمم فيما مضى ، ومؤتمر نزع السلاح ، وهيئة الأمم المتحدة ، ومؤتمرات جامعة الدول العربية ، ومؤتمر العمال الدولى ، ونحو ذلك .

والعناية بالجلسات التى تعقدها هذه المجتمعات ، أو المنظمات ، أو الهيئات ، وتسجيل المناقشات التى تدور فيها ، والقرارات التى تتخذها ، ووصف الجو المحيط بكل جلسة من هذه الجلسات — كل ذلك موضوع « الماجريات الصحفية » التى نتحدث عنها .

ورب قائل يقول : وما الفرق إذن بين الأخبار والماجريات ؟ والجواب أن بينهما فروقاً من أهمها ما يلى :

أولا — أن الماجرى يتناول أعمال الهيئات التى أشرنا إليها ، وهذه الهيئات قسمان : أحدهما — ذو صبغة وطنية أو محلية ، ومنه المحاكم ومجالس النواب ، والمؤتمرات الوطنية التى تنعقد فى مناسبات خاصة ، والآخر ذو صبغة عالمية ، ومنه الهيئات الدولية الكبرى ،كهيئة الأمم المتحدة بمنظماتها المختلفة ، ومنها — كما نعرف — مؤتمرات العمال الدولية ، ومؤتمرات الصحة العالمية ، والبنك الدولى للإنشاء والتعمير ، ومجلس الأمن ، ولجنة حقوق الإنسان ، والمجلس الاقتصادى الاجتماعى ، ومجلس الوصاية،ومحكمة العدل الدولية .

وعلى حين يجب على محرر المباجريات الصحفية أن يعنى بهذه الجلسات عناية خاصة ، ويكتب عنها تقريراً من نوع خاص ، نرى محرر الأخبار لا تعنيه هذه الأمور ، ولا يكلف من قبل الصحيفة بشيء منها ، بل تقف عنايته عند نتائج هذه الماجريات ، ومواعيد حدوثها ، والأمكنة التى حدثت فيها .

ثانيا — أن الماجرى ليس مجرد سرد للأخبار والحقائق يقصد به إلى مجرد الإعلام ، لكنه — أى الماجرى — يشتمل على عنصرين فى وقت معا ، وهما : عنصر الإعلام ، وعنصر التوجيه والإرشاد ، وقد يضاف إليهما عنصر التعليق البسيط فى غضون التقرير متى دعت الضرورة لذلك ، والماجرى على هذا الوجه عبارة عن تقرير مفصل ، لحادث كبير ، عقدت له جلسات هامة ، حضر فيها ممثلون عن الدول التى تصدر فيها الصحيفة ، أو الدول التى ترتبطها بها مصلحة كبيرة .

ثالثا — أن مهمة الأخبار يمكن أن يقوم بها صحفى ناشىء ، أومخبر مبتدىء ، على حين أن الماجريات يجب ألا يضطلع بها إلا صحفيون من ذوى الخبرة الطويلة والثقافة العريضة ، وخاصة فيما يتصل بالماجريات الدبلوماسية والبهولية ، فإن هذين النوعين من الماجريات يحتاجان فى الواقع إلى أفق سياسى واسع ، وإلى علم بالسياسة مكتمل .

ولسائل كذلك أن يسأل : ما الفرق بين الماجرى الصحفى ، والتحقيق الصحفى .

ونقول : إن بينهما فروقا منها :

أولا — أن التحقيق أعم ، والماجرى أخص ، أى أن الماجرى يمكن اعتباره — بشيء من التساهل — نوعا من التحقيق ، ولكن لا يمكن أن يعتبر التحقيق نوعا من أنواع الماجرا بحال ما .

ثانياً — أن التحقيق الصحفى - كما رأينا - قائم فى أكثر الأحيان على دراسات المتخصصين ، وآراء الفنيين ، وقد يقتصر مجهود المحرر الصحفى فى هذه الحالة على جمع هذه الآراء ، وتسجيل هذه الدراسات ؛ أو عرضها بشكل يجذب التفات القارىء ، ويشركه فى التفكير الجدى للوصول إلى حل من الحلول لهذه المشكلة التى يعرض لها التحقيق .

أما فى الماجريات فالمجهود كله واقع على كاهل المحرر ، والتنظيم كله صادر منه أيضا ، والماجريات على هذه الصورة الأخيرة ذاتية فى كثير من الأحيان ، أى أنها تحمل ، إلى حد ما — طابع كاتبها ، على حين أن التحقيق الصحفى موضوعى فى أكثره ، أى أنه لا يحمل — فى الغالب — مثل هذا الطابع .

ثالثا — أن التحقيق الصحفى يعتمد دائما على الصور الكثيرة التى لا غنى له عنها ، أما الماجريات الصحفية فأقل حاجة إلى هذا العنصر ، إذ يكتفى كاتب الماجريات بصورة واحدة فقط للقاعة التى حدثت فيها المناقشات ؛ أو للشخصية البارزة التى استطاعت السيطرة على هذه المناقشات ، وقد تظهر هذه الماجريات فى الصحيفة بدون صور على الإطلاق .

رابعا — أن الماجريات الصحفية إنما تتناول الحوادث القريبة ، أو ما يطلق عليه « حوادث الساعة » ، بينما التحقيق الصحفى يمكن أن يتناول الحوادث البعيدة ، أو الموضوعات التى توصف بالجدة الزمنية ، كمشكلة الغلاء ، ومشكلة البطالة ، ومشكلة الزواج والطلاق ، ومشكلة الروتين الحكومى

* * *

أنواع الماجريات وطرق تحريرها :

أننا إذا ذهبنا نحصى الماجريات الصحفية بوجه عام وجدناها أربعة أنواع :

١ — الماجريات البرلمانية .

٢ — الماجريات القضائية .

٣ — الماجريات الدبلوماسية .

٤ — الماجريات الدولية .

وبدهى أن محرر هذا الفن من فنون الصحافة يحتاج إلى معرفة دقيقة باللغة القومية ، إن كانت الماجريات مما يتصل بدور النيابة أو القضاء ، وباللغات الأجنبية إن كانت الماجريات مما يتصل بالسياسة ، وخاصة ما دار منها فى إحدى منظمات هيئة الأمم .

أما الطريقة العامة التى تتبع فى تحرير الماجريات فشبيهة بالطريقة العامة التى تتبع فى كتابة القصة الإخبارية ، ومعنى ذلك باختصار أن محرر الماجريات لا بد له من كتابة العنوانات الكبيرة ، فالتى أصغر منها لكى يلفت إليها نظر القارىء ، وعلى محرر الماجريات بعد ذلك أن يجعل لهذا النوع من التقرير الصحفى « صدراً » يثبت فيه أهم النتائج التى يشتمل عليها التقرير ، و « صلبا » يحتوى على التفاصيل ، ومنها كلمات المؤيدين ، وردود المعارضين ، ووصف الجو الذى كان يسود الجلسة ، وتسجيل القرارات التى اتخذتها .

على أن هناك فرقاً تجب مراعاته دائماً بين القصة الخبرية والتقرير الذى على شكل ماجريات ، ويأتى هذا الفرق من ناحية التفاصيل فى كل منهما ، وهذه التفاصيل فى القصة الإخبارية ليست لها الأهمية التى للتفاصيل فى الماجريات الصحفية .

ولتوضيح ذلك نقول : إنه بينما تستطيع الصحيفة أن تتصرف دائماً فى تفاصيل القصة الخبرية ، فتحذف ما تريد أن تحذفه ، وتثبت ما تريد أن تثبته تبعاً لظروف الطباعة ، أو لظروف المساحة المخصصة للأخبار ، إذ بالصحيفة لا تستطيع فى أغلب الأحيان أن تتصرف فى تفاصيل

الماجريات الصحفية ، وخاصة ما كان منها يتصل بالأمور السياسية ، ففي هذه الحالات الأخيرة نرى التفاصيل تشتمل على القرارت ، أو البيانات ، أو الكلمات التي تصدر عن الملوك والرؤساء والوزراء ممن يشتركون في مؤتمر دبلوماسي ، أو آخر دولي ، وفي هذه الحالة يصعب على المحرر الصحفي أن يحذف من هذه المواد كلها شيئاً ما ، إلا عند الضرورة القصوى .

وفي مجال تحرير الماجريات الصحفية يتفاوت الكتاب ، وتظهر الفروق الواسعة بينهم في الكتابة .

فهذا كاتب يميل إلى الإلمام بالموضوع في إيجاز ، ويركز معلوماته تركيزا خاصاً ، فيورد أهم الأحداث التي جرت داخل الجلسة ، ويسجل أهم الأحاديث التي دارت بها ، ولا يكترث لغير ذلك من الحوادث الصغيرة ، أو الأحاديث العابرة أو التي لا تؤثر في المجرى العام لسير الجلسة نفسها .

ومثل هذا الكاتب أو المحرر نراه يجهد نفسه كثيراً في التفرقة بين الغث والسمين من هذه الحوادث ، والمناقشات العامة والخاصة ، وقصده من ذلك واضح ، هو توفير وقت القارىء ، أو كما يقول الأستاذ ويكهام ستيد فيما يلي :

« إن من الضروري لكل صحيفة تريد لنفسها النجاح والرواج أن تحرز في كل يوم نصراً جديداً في الإخراج تتغلب به على عنصر الملل والركود عند القارىء ، وكثيراً ما يكون ذلك عن طريق التحرير الصحفي قبل أي شيء آخر » .

ثم إن هناك كاتبا آخر — على العكس من الأول — يميل إلى الإسهاب والتفصيل ، ويحرص الحرص كله على تسجيل كل شاردة وواردة ، ويصور الجو العام للجلسة ، ويطيل في ذلك ، حتى ليصف للقراء ملابس الأعضاء ، وألوان هذه الملابس ، وحركات المتحدثين ، وطريقة كل منهم في كلامه ، وجداله ، ... ارتفع صوته في هذا الجدال ، ومتى انخفض ،

ويجعلنا باختصار نشعر شعوراً كاملا بأننا شهدنا معه الجلسة البرلمانية ، أو القضائية ، أو الدولية .

غير أن هذه الطريقة القائمة على الإسهاب لا تصلح إلا « للطبعات » التى تصدرها الصحيفة للأقاليم — لاللعاصمة — حيث الناس فى تلك الجهات النائية يجدون الوقت الكافى لقراءة هذه التفاصيل ، والاستمتاع بما فيها من أوصاف كثيرة ، وتعليقات طريفة .

أما « الطبعة » التى تصدر فى العاصمة فلا يصلح لها شىء من ذلك ، إذ الناس فى العاصمة يعرفون للوقت قيمته ، فلا يميلون إلى تلك المواد الصحفية التى نسى محررها تقدير هذه التفرقة .

وهذا كاتب ثالث تراه يخلط بين المذهبين السابقين ، ويجمع بين الطريقتين الآنفتين : يوجز فى مواطن الإيجاز ، ويسهب فى مواطن الإسهاب ، ويتحاشى الإيجاز الذى يضيع الفائدة على القراء ، كما يتحاشى الإسهاب الذى يطغى على جزء كبير من وقتهم ، ويصرفهم عن عملهم ، ولذلك يحفظ لنفسه طريقاً وسطاً ، لا تفريط فيه ولا إفراط .

* * *

نستطيع بعد ذلك أن نقف وقفة قصيرة عند كل ضرب من الأضرب الأربعة السابقة للأجريات ، لنشرح شيئاً من الطرق المتبعة فى كتابته ، والأمور التى ينبغى توافرها فى كاتبه ومحرره .

الفصل العاشر

الماجريات البرلمانية

اعتاد المحررون الصحفيون أن يمهدوا لهذا النوع من الماجريات بعرض سريع يصفون به أهم الأحداث التى جرت بالجلسة ، ويشيرون فيه إلى أهم المناقشات التى دارت بها ، وينوهون فيه بأهم الأعضاء الذين اشتركوا فى المناقشة ، وكثيراً ما يضمنون هذا العرض إشارة إلى أهم القرارات التى اتخذها المجلس .

وقد يحدث أن يهمل المحرر البرلمانى — عن قصد — بعض الأعضاء الذين كانت لهم مشاركة قوية فى مناقشات المجلس ، فلا يذكر أسماءهم ، ولا يتعرض لهم بمدح أو بذم ، يفعل ذلك حقداً منه على هؤلاء ، لأنهم ينتمون إلى حزب غير الحزب الذى تدافع عنه الصحيفة !

وبعد الفراغ من العرض على هذا النحو يدخل المحرر البرلمانى فى الموضوع مسجلا فيه ما رأى وما سمع فى هذا الجلسة ، وإذ ذاك ينبغى له أن يجتهد فى مراعاة أشياء منها :

أولا — العناية التامة بالموضوع الأساسى للمناقشة ، والالتفات إلى أظهر المتكلمين فيعرف كيف دخل كل منهم فى الموضوع ، وما هى الطريقة التى سلكها فى الإقناع ، وما الرأى الذى اتجه إليه فى المناقشة ، ومتى انبرى له العضو المعارض ، وكيف ساق حججه وأدلته .

ثانياً — يجدر بالمحرر البرلمانى أن يسير فى تقريره على النظام الذى سارت فيه الجلسة ، فإذا بدأ المجلس بالرد على الاستجوابات التى كان قد قدمها الأعضاء ، ثم قام المجلس بعد ذلك بتشكيل اللجان المختصة ، وإحالة الموضوعات المختلفة إلى كل منها ، ثم دخل المجلس بعد ذلك فى مناقشة هامة

حول موضوع معين ، فعلى المحرر البرلمانى أن يسير فى تقريره — كما قلنا — على هذا النظام ، حتى يريح نفسه ويريح معه القراء .

ثالثاً — على المحرر البرلمانى كذلك ألا ينسى « الجو العام » للجلسة ، ولا بأس من اتصاله بالأعضاء قبيل الجلسة — متى أمكنه ذلك — حتى يعرف نياتهم ، ويقف على اتجاهاتهم ، ويستشف مشاعر الأعضاء الذين يمثلون الأحزاب المختلفة .

رابعاً — يحسن بالمحرر البرلمانى أن يؤجل كتابة البيانات ، والخطب الطويلة إلى نهاية التقرير الذى يكتبه ؛ حتى لا يقطع على القارىء سير الجلسة حين يقرأ عنها فى الصحيفة .

خامساً — على المحرر البرلمانى أن يهتم اهتماماً خاصاً بنهاية الجلسة ، وكيف وصل الأعضاء فيها إلى قراراتهم ، وماهى هذه القرارات بالتفصيل .

وللمحرر البرلمانى فى هذه الحالة أن يعتمد على « المضبطة الرسمية » لمجلس النواب ، وله فى هذه الحالة أيضاً أن يدخل على هذه المضبطة بعض الحواشى ، ويقسمها إلى فقرات ، ويجعل لبعضها عنوانات ، حتى يسهل على القارىء العادى تتبعها دون ملل أو سأم .

غير أن الأفضل للصحفى دائماً ألا يعتمد على المضبطة الرسمية ، فقد يترتب على ذلك تأخير وصول التقرير البرلمانى إلى الصحيفة ، وقد ينجم عن هذا السبب تأخير صدور الصحيفة عن الوقت المحدد ، على أن « المضبطة » فى ذاتها قد لا تصور الوقائع التى يحرص القارىء على معرفتها معرفة جيدة .

الطريقة الحديثة فى كتابة التقرير البرلمانى :

إن من أحدث الطرق فى كتابة التقرير البرلمانى ما تعمد إليه بعض الصحف الأوربية فى الوقت الحاضر ، إذ يتعاون مندوبو الصحف المختلفة

بعضهم مع بعض على أداء هذه المهمة ، فينظمون أنفسهم فى شرفة الصحافة على هيئة فرقة ، ويكون لكل منهم رقم خاص يعرف به ، ويدل عليه ، وينتخبون من بينهم رئيساً لهم ينظم تسجيل الوقائع داخل الجلسة ، فتعطى الإشارة للأول فى بداية الجلسة ، فيقوم بالعمل مدة دقيقتين فقط، ثم تعطى الإشارة إلى الثانى ، فالثالث ، فالرابع ، وهكذا ، ولما كان هؤلاء المندوبون يستخدمون فى عملهم هذا « ورق الكربون » فإنه يتوفر لديهم — فى نهاية الجلسة — عدد كاف من النسخ لجميع المندوبين المشتركين فى وقائعها، وبهذه النسخ يمكنهم أن يذهبوا إلى مكاتبهم ، كل فى الصحيفة التى يعمل بها .

ذلك أن للإنسان طاقة محدودة ، وهو قادر على تركيز قواه البدنية ، والعقلية فترة وجيزة ، لا تفوته شاردة ، ولا واردة فيها ، أما إذا قام بهذا العمل ساعات طويلة ، فلا شك أنه يعجز عن أدائه على الوجه الأكمل ، وقد يفلت منه الزمام ويدركه السأم فى أخطر جزء من أجزاء الكلام ، أو أهم واقعة من وقائع المجلس .

ومما هو جدير بالذكر أن صحيفة « التايمز » الإنجليزية تنفرد دون غيرها من الصحف البريطانية بوجود جهاز لها ؛ هو « التلغراف الكاتب Telepriner » بدار البرلمان الإنجليزى ، وبه تستطيع أن تحصل فى الحال على ما يجرى من مناقشات داخل البرلمان دقيقة بدقيقة ، وتستطيع الصحيفة أن تتصرف بعد ذلك فى طبعة العاصمة ، وطبعات الأقاليم بما تراه .

ولا شك أن مثل هذا الجهاز يتيح للمحررين الصحفيين فرصة التفرغ لمشاهدة الجلسة ، والتأمل فى وثائقها ، ودراسة الشخصيات الهامة التى اشتركت فيها ، بحيث يستطيع المحرر الصحفى بعد ذلك أن يكتب الماجريات البرلمانية كتابة دقيقة ، تستوفى جميع مطالب الجمهور القارىء لمثل هذه الصفحة الهامة من صفحات الجريدة .

نموذج من المناقشات البرلمانية

عقد مجلس النواب المصرى فى الثانى من شهر ابريل سنة ١٩٤٧ جلسة كان من أهم موضوعاتها الاستجواب الذى قدمه الأستاذ مكرم عبيد عن مصادرة الصحف ، ونشرت صحيفة «الأهرام» الصادرة فى الثالث من ذلك الشهر تقريرها عن هذه الجلسة بعنوان :

في مجلس النواب

الاستجواب عن مصادرة الصحف

كلمة مكرم عبيد وبيان رئيس الحكومة

بدأت جلسة النواب فى مساء أمس بأن حلف اليمين الدستورية «فلان وفلان من النواب الجدد» ، ثم أحيلت مشروعات القوانين الجديدة إلى اللجان المختصة ، ومنها مشروع قانون التعامل فى الأوراق المالية ، ومشروع قانون بعدم قبول الطعن فى أعمال وزير المالية الخاصة بالحراسة فقط .

شركة مياه الاسكندرية

وأجيب بعد ذلك من الأسئلة الباقية ، وكان أولها سؤالا للنائب «فلان» عن مدة التزام شركة مياه الاسكندرية ، وانفرادها بتحديد سعر المياه فى المدينة بأن العقد ليس به مدة محدودة ، ولكن البلدية ترى أنه ليس له صفة الدوام ، أما أسعار المياه فحدودة فى العقود ، ولكن للسلطة مانحة الامتياز حق تعديلها .

الاستغناء عن البعثة العسكرية

وأجيب عن سؤال للنائب «فلان» عن موعد الاستغناء عن البعثة العسكرية بأنه تقرر إنهاء عقود نصف أعضاء البعثة فى آخر شهر يونيه ، والنصف الآخر فى نهاية العام .

في المدارس الأجنبية

وأجيب عن سؤالين للنائبين « فلان » وفلان » في صدد إلزام المدارس الأجنبية باحترام دين الدولة الرسمي ، بأن الوزارة لما بلغها بأن مدرسة سانت أنطوان وزعت كتاباً على التلاميذ به طعن في الدين الإسلامي قامت بمصادرته ؛ وإجراء التحقيق ، ومنعت دخوله إلى البلاد ؛ وأرسلت مفتشيها إلى جميع المدارس الأجنبية لفحص الكتب المدرسية وغيرها مما يوجد في مكتباتها ؛ واتخاذ الإجراءات اللازمة ضد أية مدرسة تحتفظ بأى كتاب يشتمل على طعن في الدين الإسلامي .

حول التصريح ببطاقات الغزل

وأجيب عن سؤال للنائب « فلان » عن شركة الفيوم للنسيج ، وهل منحت بطاقة غزل استثناء ببيان طويل مدعم بالأدلة يستخلص منه أن تقرير بطاقة لهذه الشركة إنما كان تطبيقاً لقاعدة عامة تهدف إلى خدمة صالح الممولين ؛ دون نظر إلى أى اعتبار آخر ، وأنه لم يكن لأشخاص المتقدمين بالطلبات أى تأثير في توجيه الوزارة إلى القرار الذى اتخذته .

الموافقة على تسعة مشروعات

ثم وافق المجلس بنداء الأسماء على تسعة مشروعات قوانين تم بحثها بالفعل في الجلسة الماضية .

حرية الصحافة

وعلى أثر ذلك أخذ المجلس في مناقشة الاستجواب الموجه إلى دولة رئيس الوزراء من معالى مكرم عبيد « باشا » والأستاذ محمد حنفي الشريف في مصادرة الصحف ، والتجاء الحكومة إلى أوامر الحظر دون سبب قانوني .

كلمة مكرم « باشا »

وأعطيت الكلمة لمعالى مكرم عبيد «باشا» فقال: إنه جمع في استجوابه

بين المصادرة والحظر ، لأن لهما معنى واحداً ، هو مصادرة حرية الرأى ، وذكر أنه لم يدفعه إلى تقديمه إلا الرغبة فى الاحتكام إلى المجلس ، ولعل الحكومة تتفق مع النواب على أن المصادرة عقوبة ، ولا يجوز للحكومة أن تحكم بعقوبة ، لأن ذلك من اختصاص السلطة القضائية ، فإذا أجازته السلطة التنفيذية لنفسها كان فى هذا مصادرة للحريات التى كفلها الدستور وطلب السدر بهذه المناقشة عن أى اعتبار إلا اعتبار المصلحة العامة ، خصوصاً فى هذا الوقت الخطير .

ثم استطرد قائلا : إن الذى يعنيه أولا هو الناحية الوطنية ، ففى مصادرة الصحف تقييد شديد للحرية ، ولا يجوز فى الوقت الذى نتقدم فيه إلى الاحتكام الدولى مطالبين بالحرية أن نعتدى نحن على الحرية . ولو جاز هذا فى أى وقت من الأوقات لما جاز فى الوقت الحاضر .

وذكر أن مصادرة الصحف مصادرة لحرية الرأى ، مع أنه كفلتها مادة أساسية من مواد الدستور . وهى فى الوقت نفسه مصادرة للرقابة القضائية ، واعتداء على سلطة القضاء ، وعلى مبدأ الفصل بين السلطات ، وعلى الرقابة البرلمانية أيضاً ، لأن الحكومة تصادر الصحيفة لتمنع وصول خبر من الأخبار إلى نواب البلاد .

وهنا سأله دولة رئيس الوزراء :

« وإذا كان الخبر كاذباً ، وكان من شأنه أن يحدث اضطراباً ؟ فأجاب بأن المصادرة الإدارية لا تجوز على أية حال ، بل يجب أن يترك الأمر للقضاء ، وإذا سلمنا بنظرية المصادرة لصار حالنا أسوأ منه فى سنة ١٨٨١

ثم تلا المادة الخاصة بالمصادرة فى قانون المطبوعات عامئذ ، وفيها أنها لا تكون إلا بقرار من مجلس الوزراء ، أو بعد الإنذار مرتين ، أما الآن فإن الصحيفة تصادر وهى خارجة من المطبعة ، وقد يحدث أن يوقظ دولة رئيس الوزراء من نومه ، ويقال له إن جريدة كذا تجب مصادرتها ، لأنها كتبت كذا ، فيصدر أمره التليفونى بالمصادرة ، غير حاسب حساباً لأرزاق الناس ، ولا للضرر الذى يصيبهم

وتلا «مكرم» المادة الخاصة بحرية الصحافة من الدستور ، ثم تلا المناقشة التى دارت حولها بين أعضاء لجنة الدستور ، واستخلص منها أن الفقرة الخاصة بوقاية النظام الاجتماعى إنما قصد بها إصدار تشريعات تحدد فيها أحوال المصادرة التى تتخذ لحماية النظام الاجتماعى ، ودعم رأيه بالمذكرة التفسيرية الخاصة بالمادة ١٥ من الدستور .

وقال إنه فى ١٧ فبراير سنة ١٩٣٦ وضع قانون المطبوعات ، ونص فيه على الأحوال التى تجوز فيها المصادرة ، والأحوال التى تجب فيها ، واستشهد ببحوث رجال القانون ، فتلا بحثاً لوحيد رأفت « بك » يفسر فيه عبارة « وقاية النظام الاجتماعى » بأنها دفع خطر الشيوعية والبلشفية وإن كانت بعض المحاكم لم تقصرها على هذا المعنى .

ثم ذكر أن هناك فرقاً بين النظام السياسى والنظام الاجتماعى ، فلا خطر من الخلاف بين الأحزاب ، واستطرد قائلا : إن الدستور الفرنسى يبيح المصادرة فى حالة أخرى ، هى حالة الخطر الداهم الذى لا يمكن تداركه إلا بالتعطيل ، عملا بالمبدأ القائل : « إن سلامة الدولة هى القانون الأعلى »

وقال معاليه : إن المغفور له أحمد ماهر « باشا » خطب فى سنة ١٩٢١ فقال :

« إن من يتولى الحكم يجب أن يعرض أعماله جميعاً للنقد ، وإن محمد محمود (باشا) تكلم عن قضية الصحافة فى عام ١٩٤٠ فقال :

« إنه كلما كانت حرية الصحافة أوسع ازداد الدستور احتراماً » .

وأراد مكرم « باشا » أن يتلو بيانا للدكتور هيكل « باشا » عن المادة ١٥ من مواد الدستور ، فقال له دولة النقراشى « باشا » إنه لم يصادر استناداً إلى المادة ١٥ من الدستور ، بل بحكم المادة ١٩٨ من قانون المطبوعات ، ولذلك فإنه يحتكم إلى رئيس المجلس فى أنه لا داعى للكلام فى المادة ١٥ هذه .

واستطرد مكرم « باشا » فتلا بعض فقرات من مذكرة رئيس الشيوخ ، مستشهداً على أنه ليس للحكومة الحق فى مصادرة الصحف إلا لوقاية النظام الاجتماعى .

وانتقل إلى المادة ١٩٨ من قانون العقوبات فتلاها ، وهى تجيز المصادرة إذا كان النشر جريمة استعمل فيها سوء القصـــد . وهذه الجريمة هى التحريض على ثورة ، أو الاعتداء على الأعراض ، أو ما يماثل ذلك ، وفى هذه الحالة يكون المقصود بالمصادرة هو منع انتشار الجريمة ، على أن يتولاها رجال الضبطية القضائية .

واستطرد قائلا : إنه سيبين للنواب هل صودرت صحيفتنا « حزب الكتلة » لجريمة تنطبق عليها هذه المادة؟ وهنا رأى سعادة رئيس المجلس — الأستاذ محمد حامد جوده — أن تذكر الحكومة أسباب المصادرة ، ثم يرد عليها مكرم باشا .

بيان الحكومة

وكان دولة رئيس الوزراء قد غادر القاعة لسبب طارىء ، فتولى عبد الرحمن عمار « بك » مدير الأمن العام إلقاء بيان «دولته» ، وهذا نصه :

حضرات النواب المحترمين :

تحرص الوزارة على كفالة حرية الرأى فى شتى مظاهرها ، ومختلف نواحيها ، ولعل أجل صورها تلك التى يتعين توافرها فى شأن الصحافة وهى تؤدى رسالتها التى هى رسالة قومية خطيرة الشأن ، عظيمة الأثر .

وقد عملت الوزارة منذ وليت الحكم على تقدير ما يجب أن تحاط به هذه الرسالة من قدسية ، وما ينبغى أن يتوافر لها من حرية شاملة ، فلم تلجأ الحكومة إلى مصادرة الصحف فى عهدها القائم إلا فى ثلاث حالات اضطرت فيها إلى ذلك اضطراراً بدافع من المصلحة العامة ، ونزولا على أحكام قانون المطبوعات .

ثم شرح بيان الحكومة هذه الحالات الثلاث، وأتت صحيفة الأهرام على هذا البيان الحكومى برمته ، وفيه شرح لكل حالة من الحالات الثلاث، ولكنا نوجز الحديث عنها إيثاراً للإيجاز .

فالحالة الأولى : هى مصادرة صحيفة المصرى فى ١٩٤٦/١١/١٢ وذلك بمناسبة المظاهرة التى نظمها طلبة معهد « فؤاد الأول » الدينى بمدينة أسيوط ، وتفريق البوليس لها ، ووقوع حوادث تولت النيابة تحقيقها ، وأصدرت أمرها بحظر إذاعة أى خبر يتصل بهذه الحوادث ، ومع ذلك ، ومع أن صحيفة المصرى نشرت أمر هذا الحظر ، فإنها عمدت إلى نشر أنباء عن هذا الحادث من شأنها التأثير فى سير التحقيق .

الحالة الثانية : مصادرة أعداد من صحيفتى « الكتلة، و«صوت الأمة» الصادرتين بتاريخ ١٩٤٧/١/٢٠ .وسبب ذلك أن كلتا الصحيفتين قد نشرتا خبراً غير صحيح تحت عنوان بارز بخط عريض مؤداه أن رجال البوليس أطلقوا الرصاص على طلبة مدرسة حلوان الثانوية للبنين فى يوم الحداد ١٩ يناير ، وأنه قد أصيب منهم عشرة طلاب !

غير أن القضاء كشف عن بطلان هذه الأخبار .

الحالة الثالثة : مصادرة أعداد صحيفتى «الكتلة» و«صوت الأمة» الصادرة فى ١٩٤٧/٢/١٠ ، ذلك أن صحيفة الكتلة نشرت تحت عنوان « الحالة فى الجامعتين أنباء غير صحيحة من شأنها إثارة الخواطر ، ومؤداها أن جامعة « فؤاد الأول » قد حوصرت منذ الصباح الباكر بقوات كثيرة من المشاة ، والخيالة ، والسيارات المصفحة ، والدبابات ، فضلا عن سيارات إنجليزية من النوع المعروف باسم « جيب » بها جنود من الإنجليز كانت ترابط فى مناطق بمدينة الجيزة .

كما نشرت « صوت الأمة » تحت عنوان : « الحالة فى الجامعتين والمدارس» أنباء غير صحيحة من نوع الأنباء التى نشرتها صحيفة « الكتلة »

من شأنها كذلك إشاعة الفتنة والاضطراب ، وتكدير السلم ، وخلاصة هذه الأخبار أن رجال البوليس قد عاودتهم الشهوة الجامحة ، واعتدوا على الطلاب اعتداء وحشياً بالعصى الغليظة ، فأصيب بعضهم بإصابات مختلفة، وأنهم قبضوا على فريق منهم ، وأودعوهم مختلف الأقسام ...

ولما كانت جميع هذه الأنباء عارية عن الصحة فقد بادرت الوزارة إلى تبليغ النيابة عن الصحيفتين ، إذ أن نشر هذه الأخبار غير الصحيحة ، والمكدرة للسلم جريمة تعاقب عليها المادة ١٩٨ من قانون العقوبات .

وقد باشرت النيابة العامة التحقيق فى هذا الشأن ، وحصلت مصادرة أعداد الصحيفتين المذكورتين فى يومى ٢٠ يناير و ١٠ فبراير تطبيقا للمادة ١٩٨ من قانون العقوبات .

ومضى البيان يدافع عن سياسة الحكومة فى مصادرة الصحف ، مستنداً فى ذلك إلى مواد فى قانون العقوبات أهمها المادة رقم١٩٢، والمادة رقم١٩٨ ثم أعطيت الكلمة للأستاذ أحمد عبد الغفار « باشا » فقال :

إن الحكومة تتسامح فى التعريض بأشخاصها ، ولكنها تلجأ إلى المصادرة لعلمها أن المعارضة تبذل كل جهدها لتكدير الأمن العام ، وفى سبيل حماية الأمن العام ستستعمل الحكومة كل سلاح يبيحه القانون ، وستمنع اللعب بالنار بكل حزم .

وهنا طلب مكرم « باشا » حذف هذا الكلام من المضبطة ، لأن فيه اتهاماً صريحاً للمعارضة لا تقبله على نفسها .

وبعد أن انتهى مكرم « باشا » من إلقاء كامته طلب الكلمة عبدالرحمن عمار « بك » ، فاعترض فكرى أباظة « بك » طالباً أن يؤذن للمستجوب الثانى الأستاذ محمد حنفى الشريف بالكلام قبل أن تتكلم الحكومة، واحتج الأستاذ الشريف على عدم الإذن له بالكلام ، قائلا : إن فى ذلك مخالفة

للائحة الداخلية ، فأفهمه الرئيس بأنه لا يمنعه من الكلام ، وكل ما فى الأمر أن الحكومة طلبت الكلمة ، ولها الحق فيها كلما أرادت .

بقية بيان الحكومة

وتكلم عبد الرحمن عمار « بك » عن الحظر ، فقال إن الاستجواب فى حظر النشر غير دستورى ، لأن النيابة هى التى تصدر أوامر الحظر ، وهى تقوم بعمل قضائى ، هو من صميم اختصاص السلطة القضائية ، والاستجواب لا ينسجم مع مبدأ فصل السلطات ، وذكر أن هذا الرأى يقره رجال القانون ، واستشهد بفتوى فى ذلك لمعالى وزير العدل .

وقد اعترض الأستاذ فكرى أباظة قائلا : إن هذا الكلام خطير ، لأن النيابة لا يمكن أن يباح لها أن تصدر أوامر الحظر كلما أرادت ، ودون أى تقييد .

واستطرد عمار « بك » فتلا مذكرة لمعالى وزير العدل فى ذلك ، ثم ذكر أن كل حرية يجب أن يكون لها حدود ، وليس من الحرية ترك الصحف تقول ما تريد لتكدير السلم ، وضرب المثل بقول جريدة « الكتلة » إن جامعة « فاروق الأول » قد أحيطت بالدبابات ، وإن رجال البوليس أعملوا عصيهم فى الطلبة ، وإن عشرات منهم أصيبوا بالرصاص فى حين أنه لم يحدث شىء من ذلك .

واختتم عمار « بك » كلامه بأن الحكومة ماضية فى خطتها فى غير ما تعسف ولكن حماية للأمن العام .

المناقشة تستأنف اليوم

وعلى أثر ذلك رفعت الجلسة على أن تستأنف المناقشة فى هذا الاستجواب « اليوم » فى السادسة مساء .

* * *

هذا مثل عادى من أمثلة « الماجريات البرلمانية » التى وقعت فى مصر ، ومنه يتضح كيف أن المحرر البرلمانى عرض لمشروعات القوانين بسرعة وإيجاز ،

ولم يطل الوقوف عند شيء منها ، حتى إذا بلغ الموضوع الرئيسى للجلسة البرلمانية — وهو موضوع مصادرة الصحف — لم يدع من كلام النائب المستجوب ، أو كلام الحكومة فى الرد على هذا الاستجواب شيئاً ما .

وقد وضح للقارىء كذلك الطريقة التى سلكها صاحب الاستجواب فى التدليل على حقه فى تقديم هذا الاستجواب ، وهى طريقة تقوم على الحجج القانونية للموضوع من جميع الوجوه ، وكان الحكومة كانت تعرف بالضبط شيئاً عن هذه الطريقة فتأهبت للرد لتبرىء نفسها من التهم التى كالتها لها الصحف السالفة الذكر .

على أن هذه الجلسة لم تتمكن من الوصول إلى قرار فى هذا الشأن ، فلم يستطع المحرر البرلمانى أن يذكر لنا شيئاً من ذلك ، ولا استطاع أن يصف نهاية الجلسة فى ذاتها ، مرجئاً كل ذلك للجلسة التالية .

ولا نستطيع أن ندع الكلام عن « الماجريات البرلمانية » دون الإشارة إلى جهود الدكتور « محمود عزمى » فى هذا السبيل .

والحق أن أهمية الدكتور عزمى فى تاريخ الصحافة المصرية ترجع فى معظمها إلى تلك الجهود (١) .

---

(١) فإن ننس لا ننسى تلك التقريرات البرلمانية التى كان يكتبها الدكتور عزمى فى جريدة السياسة للدكتور محمد حسين هيكل ، وقد كان الدكتور محمود عزمى يوما ما مندوبا برلمانياً لهذه الجريدة ، وفى « تلك الماجريات البرلمانية » كان عزمى يرسم صورة قلمية ساخرة للنواب المصريين ، ويضع يده على كثير من مواطن الضعف فيهم ، وبلغ من ذلك حداً أثار عليه المجلس فقرر أعضاؤه إذ ذاك أن يطردوه من المجلس ، وأن يحرموه الجلوس فى شرفة الصحافة ، ويحرموا جريدة « السياسة » من نشر محاضر البرلمان ، ووقف عزمى وحده فى شرفة الصحافة يواجه ضجة المجلس ، وفى اليوم التالى ظهرت جريدة السياسة وفيها مقال عنيف بقلم الدكتور محمود عزمى ضد مجلس النواب المصرى ، وفيها كذلك وصف دقيق لما ورد فى الجلسة التى حرم منها ، واستمرت جريدة « السياسة » تنشر وصفا لهذه الجلسات التى يعقدها البرلمان حتى هاج المجلس مرة أخرى ، وطالب بإجراء تحقيق مع مندوبى الصحف ، وموظفى المضبطة لمعرفة الموظف الذى يمد جريدة السياسة بأخبار هذه الجلسات ، ومع هذا وذاك لم ينته التحقيق الصحفى إلى نتيجة ما ، واستمر قرار المجلس بحرمان مندوبى جريدة « السياسة » من دخول البرلمان حتى نهاية الدورة .

الفصل الحادى عشر

الماجريات القضائية

ربما كانت «الماجريات القضائية» أقدم ما عرف من أنواع الماجريات الأربعة التى سبقت الإشارة إليها (١) ذلك أن القضايا المحلية على الدوام هى أكثر ما يسترعى أنظار القراء للصحيفة .

فالواقع أنه ليس كل الشعب قادراً على تتبع الماجريات الدولية أو الدبلوماسية ، ولكن أكثر الشعب يستطيع أن يفهم الظروف التى تحيط ببعض القضايا المنظورة أمام المحاكم الوطنية ، أو المحاكم العسكرية .

وفوق هذا وذاك فإن من حق كل مواطن فى الدولة أن يرى بعينيه ، ويسمع بأذنيه كيف يطبق القانون فى بلاده ، وأن يطمئن على سلامة هذا التطبيق ، وإلى نزاهة القائمين عليه ، وحق الشعب فى ذلك هو كحقه تماماً فى أن يطمئن إلى أن أعضاء البرلمان ، أو مجلس الأمة — وهم الموكلون عنها فى القيام بمهمة التشريع وسن القوانين — قادرون على ذلك بأمانة تامة.

على أن هذا الحق الجماعى يتيح الذى للجمهور أن يراقب بنفسه طريقة سن القانون ، وتطبيق هذا القانون يتعارض فى الوقت نفسه تعارضاً تاماً مع حق الفرد الذى تمسه القضية ويتناوله القضاء، كما يتعارض وحقوق النواب الذين يتناقشون فى داخل البرلمان، أو داخل مجالس الأمة ، فإن من حق هؤلاء جميعاً

---

(١) عندى أن الماجريات ليست أربعة فقط من حيث العدد ، ولكنها خمسة كاملة بإضافة « الماجريات الجامعية » إليها ، ونعنى بهذه الأخيرة جميع التقارير التى يمكن نشرها فى الصحف حول الجلسات العلنية التى تناقش فيها الرسائل المقدمة من الطلبة للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه من إحدى كليات الجامعة ، وإن صح — بشىء من التجوز — اعتبار «الماجريات الجامعية» جزءاً «من الماجريات القضائية» باعتبارها محكمة علمية .

أن تحفظ لهم كرامتهم، وأن تصان لهم سمعتهم ، وألا تقوم الصحف بالتشهير بهم، فقد توجه المحكمة بعض التهم الخطيرة للمتهمين، وكثيراً ما يعاملهم القضاة فى أثناء المحاكمة بشىء من العنف ، وقد يحدث فى داخل البرلمان أن يتراشق أعضاؤه بالسباب ، أو أن يتنابزوا بالألقاب ، أو أن يسم بعضهم بعضا بميسم الخيانة للوطن ، فإذا انتقلت التهم القضائية إلى مجال الصحف فهنا يشعر المقصودون بها فى جميع هذه المواطن السابقة بالخجل والحرج ، وقد يثبت القضاء من جانب ، أو البرلمان من جانب آخر ، أن هؤلاء كانوا على حق فى موقفهم من خصومهم فى المحكمة أو فى البرلمان .

ومع هذا التعارض الشديد بين الحق الجماعى للأمة ، والحق الشخصى للفرد الواحد ، أو الجماعة الواحدة من جماعات هذه الأمة ، فإن العرف والتقاليد يسمحان للصحافة بأن تخبر عما يحدث فى داخل المحاكم الوطنية ، وذلك بالقدر الذى سمح به للصحافة أن تخبر عما يحدث فى داخل المجالس النيابية ، ومتى نشرت هذه الأخبار جميعها فى الصحف فقد أصبح من حق الأمة والأمم الأخرى جميعها أن تعرف ما يجرى فى هذه الدور ، التى نشير إليها .

ومن هنا يبدو الفرق الكبير بين الحالتين بالقياس إلى المتهم فى إحدى القضايا .

ففى الحالة الأولى — وهى الحالة التى تمتنع فيها الصحف عن النشر — يشعر المتهم بأنه قد نجا بنفسه ، وبماء وجهه من أن يراق على نطاق واسع كبير ، وهو نطاق الشعب الذى هو منه ، والشعوب التى يمكن أن تصل إليها صحف الأمة التى ينتمى إليها .

وفى الحالة الثانية — يقع المتهم فى الحرج الذى وصفناه .

نقول هذا لكى نلفت نظر الصحف جيداً فى كتابة «الماجريات القضائية»

إلى أن تنص على نوع الحكم الذى تصدره المحكمة ، وخاصة إذا كان الحكم بالبراءة .

ونقول هذا أيضاً حتى لا تتورط الصحف فى اتهام الأشخاص الذين لم تثبت إدانتهم ، والقاعدة المعمول بها فى القضاء دائماً هى « أن المتهم برىء حتى تثبت إدانته » .

ثم إنه على الرغم من التسليم بهذا المبدأ المتقدم ، وهو نشر « الماجريات القضائية » فى معظم الحالات والبلدان ، فإننا نرى بلاداً كانجلترا لا تقر هذا المبدأ ، ولا توافق على نشر « الماجريات القضائية » بل إن قانون القذف عندهم Libelact يتضمن حظراً على الصحافة أن تخوض فى القضايا المنظورة أمام المحاكم ، أو تنشر شيئاً عن بعض هذه القضايا فى أثناء ذلك ، ويعبر القانون الإنجليزى عن مخالفة هذا الحظر بتهمة « التهاون بالقضاء » أو تهمة « ازدراء المحكمة contempt of court » على حين أننا نرى أن نشر القضايا المنظورة أمام المحاكم المصرية مباح لجميع الصحف وإن كان قانون الإجراءات الجنائية يجعل من حق القاضى أن يحظر النشر متى رأى المصلحة فى أن يكون التحقيق سرياً ، ومتى كان فى هذه السرية رعاية من جانب القضاء للصالح العام ، والآداب العامة .

ويفهم من هذا أن إباحة النشر وحظره بالنسبة للقضايا المنظورة أمام المحاكم المصرية مسألة اعتبارية بحتة ، وأنها متروكة للمحقق ؛ أو للقاضى

ولكن ينبغى للقاضى أو المحقق ألا يسىء أحدهما استعمال هذا الحق ، كما حدث ذلك فى بعض القضايا العامة ذات الصلة بالمصلحة العليا للبلاد ، أو الصلة القوية بالرأى العام ، ومن الأمثلة على هذه القضايا : « قضية الأسلحة الفاسدة » فى أثناء الحرب الفلسطينية ، فقد حظر المحقق على الصحف أن تنشر شيئاً ما عن هذه القضية التى تهم الشعب المصرى كله ، والشعوب العربية

بأسرها ، ولم يكن القضاء على حق فى هذا الإجراء بحال من الأحوال .

* * *

أما تحرير الماجريات القضائية فتتبع فيه إحدى الطرق الثلاث التى تقدم ذكرها فى نهاية الفصل الخامس ، فطريقة التركيز توحى إلى كاتبها أو محررها بتلخيص موضوع الدعوى والمرافعات فى شبه مقال شديد الإيجاز ، وكثيراً ما يكون محرر هذا النوع من الماجريات رجلا من رجال القانون ، كأن يكون مشتغلا بالمحاماة ، أو تكون له خدمة سابقة فى سلك القضاء ، ونحو ذلك .

وبالطريقة التحليلية يفصل المحرر القول فى هذه القضية التى يعرضها للقراء ، ويسجل فى هذا التفصيل كل سؤال وجهته المحكمة إلى المتهمين ، وكل إجابة صدرت عنهم ، كما يسجل المحرر شهادة الشهود ، ويعنى العناية التامة بمرافعة المحامين من الجانبين ، ويصف كل ما وقع فى الجلسة من أخذ، ورد، وحركة وسكون ، ويتضمن التقرير بهذه الطريقة أيضاً كل ما صدر عن الحاضرين من الجمهور من إشارات ، وتعقيبات ، ونحو ذلك .

وبالطريقة المختلطة يقصر المحرر جهده على وصف الظروف والحوادث التى نشأت عنها الدعوى ، ويصف الظواهر النفسية ، والدلائل الخلقية التى تقترن بها غالبـاً ، وله أن يهمل وقائع الجلسة فى ذاتها ، مكتفياً بتسجيل الحكم الذى نطق به القاضى .

على أن المهم من الناحية الصحفية البحتة هو الإدلاء بتفصيل الحوادث التى سبقت المحاكمة ، وأوصلت الطرفين المتنازعين إلى ساحة القضـاء . وللمحرر الصحفى أن يعتمد فى هذا الإدلاء على ما جرى بالفعل فى داخل المحكمة مما شهده بعينه ، أو سمعه بأذنه ، أو على مصدر آخر كمحاضر التحقيق و « ملف » القضية ، أو على المستندات الرسمية الموجودة فعلا فى غير هذا « الملف » .

وهذا نموذج من « الماجريات القضائية » نشرته صحيفة « الأخبار » الصباحية ، وكان حول حادث سيارة أودى بحياة أطفال ، وكان شعور الشعب منذ البداية ضد المتهمة فى هذا الحادث ، وهى الآنسة « نوال نور ». وكانت الصحافة تتملق شعور الشعب فى ذلك ، وكانت تراعى فى عرض الجلسات التى تعقدها المحكمة مسايرة لعرض هذا الشعور ، ومع هذا فإن المحكمة لم تتأثر بالشعور العام فى هذه القضية ، وحكمت فيها ببراءة المتهمة ، وإليك ما حدث يومئذ بالضبط .

نشرت صحيفة « الأخبار » بالعدد رقم ١٠٦٤ من السنة الرابعة ، وهو العدد الصادر فى يوم الأحـد ١٩٥٥/١١/٢٧ فى صفحتها الثالثة من هذه القضية ، هذه العنوانات :

براءة نوال نور

المحكمة تستمع إلى الشهود والنيابة والدفاع

عم نوال يدافع عنها بوصفه زعيم العائلة

ثم قالت الجريدة فى صدر هذا التقرير القضائى ما نصه :

أصدر القضاء حكمه أمس ببراءة نوال من تهمة القتل الخطأ ، اتهمت «نوال» بأنها قتلت اثنين ، وجرحت اثنين بسيارتها الـ «بويك» . . استمعت المحكمة إلى أقوال الشهود والنيابة والمدعين بالحق المدنى والدفاع ، وانضم عمها «محمود متولى نور» إلى هيئة الدفاع ، وقال إنى أدافع عنها بوصفى زعيما لأسرة نور . تشنجت والدة أحد القتلى وأسعفت فى الجلسة .

كان هذا هو « صدر » التقرير ، وبعد ذلك أخذت الجريدة فى نشر « صلب التقرير » على النحو الآتى :

بدأت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة صباحاً ، وعلى أثر افتتاح الجلسة نودى شهود الإثبات الذين أعلنتهم النيابة ، فتبين عـدم حضور أحد منهم

سوى إبراهيم عبد الجواد التاجر ، وقام أحد محامى المتهمة وطلب سماع أقوال شهود النفى ، فرد القاضى بأن الدفاع سبق أن تنازل عن سماع شهاداتهم ، ثم قام الأستاذ عدلى فيج محامى والد الطفل ، إيليا كارازيدس ، الذى قتل فى الحادث ، وطلب سماع شهادته فوافقت المحكمة على ذلك .

ثم نوديت المتهمة فمثلت أمام المحكمة وقال لها القاضى :

انت ارتكبت الجريمة دى ، وتسببت بإهمالك فى قتل اتنين ، وإصابة اتنين .

نوال — لا

الشاهد الأول

ثم بدأت المحكمة فى سماع أقوال الشهود ، ونودى الشاهد الوحيد الذى حضر من شهود الإثبات الذين أعلنتهم النيابة ، وهو التاجر إبراهيم عبد الجواد ، فحضر وحلف اليمين ، ثم بدأ شهادته بقوله :

إنه شاهد شخصين داخل السيارة ، هما فتاة وبجوارها شاب . ، وإن الفتاة قد غادرت السيارة من الباب الأيسر أولا ، ثم تبعها الشاب ، وقال إنه لا يعرف أين ذهبت ، وإنه شاهد الطفل الذى قتل وقد غطى ببعض أوراق الصحف ، وأضاف الشاهد إنه عثر على « شنطة » يد بيضاء سقطت على الأرض من سيدة .

أعرفها شعرها قصير

ووصف الشاهد الحادث قائلا : إن صوت السيارة المرتفع المفاجىء هو الذى نبهه ، فالتفت نحوه حيث شاهد السيارة تدخل الأجزاخانة ، وقد أصيب ثلاثة أشخاص ، وسقط طفل تحت عجلاتها ، وحاول الجمهور إنقاذه . وصمم الشاهد على أنه شاهد الفتاة وهى داخل السيارة أمام عجلة القيادة قبل نزولها مباشرة ، وعقب الحادث فوراً . . وسأله القاضى عما إذا كان يعرف المتهمة من قبل ، فأجاب بالنفى ، وأضاف بأنه يمكن

التعرف عليها حيث شاهدها يوم الحادث ، ويعرف أن شعرها قصير . .
وعندما أشار القاضى إلى المتهمة ، وسأله عما إذا كانت هى التى رآها تقود السيارة وقت الحادث أجاب بالإيجاب .

والدة القتيل

ثم نوديت الشاهدة الثانية ، السيدة اعتماد عثمان غالب ، والدة محسن محمود جوهر الطفل الذى قتل فى الحادث لحضرت ، ووقفت أمام المحكمة ، وكانت الدموع تذرف من عينيها بغزارة ، وحلفت اليمين ، ثم أدت شهادتها على الوجه التالى :

المحكمة — كم عمرك ؟

اعتماد — ٢٧ سنة .

المحكمة — ما معلوماتك ؟

اعتماد — أنا يوم الحادث كان معى ابنى محسن علشان أوديه السينما ، وما لقيتش تذاكر فقلت له تعال نتفرج على الفسقية اللى فى ميدان التحرير وبعد ما رحنا واجتزنا الميدان لغاية الرصيف فى محل «استرا» قال : اشترى لى شربات ، فذهبنا إلى محل الشربات ، وفجأة سمعت صوت سيارة مسرعة خلفى ، ولقيت عربية سودة طالعة على الرصيف ، وصدمت ابنى ...

ثم أخذت السيدة اعتماد تبكى ، وأصيبت بتشنج ، وأخذت تصيح :

ده ابنى . وأبويا .. وجوزى وحبيبى .. ده كل حاجة لى فى الدنيا . .

وطلب منها القاضى أن تهدىء نفسها ، وتروى كيفية الحادث ، فجففت دمعها ثم قالت : إنها شاهدت نوال بالسيارة ، وحلفت اليمين على أنها شاهدتها ، وكانت تلبس فستان « كاروهات » ، وشعرها قصير ، وشاب بجوارها يهمس ويقول لها : « انزلى انت يا نوال » .

وروت والدة القتيل كيفية مصرع ابنها فقالت : كنت ماسكة ابنى

محسن ، ثم جاءت السيارة مسرعة ، وصوتها مسموع بشكل ظاهر وواضح ، وبمجرد التفاتى وجدت شيئاً خاطفاً كالوحش يهجم حيث سقط وحيدها تحت العجلة .

ورددت اعتماد عدة مرات أنها شاهدت «نوال» وهى تمسك «الدركسيون» ساعة الحادث ، وأنها تركته ونزلت من باب السيارة الأيسر .

المحكمة — قلت فى محضر النيابة إنك شاهدت «نوال» وهى واقفة أمام السيارة ، وليست أمام عجلة القيادة !

اعتماد — لا أذكر ؛ وكنت وقتئذ كالمذهولة ، فلم يكن مر على حادث قتل ابنى بالسيارة سوى ٢٤ ساعة فقط .

المحكمة — هل هذه – وأشار القاضى إلى نوال – هى المتهمة التى أحدثت الحادث ؟

اعتماد — نعم ، هى نفسها ، ونظرات عينيها تدل على أنها فتاة ارتكبت جريمة قتل .. جريمة إن دلت على شىء فهى لا تدل إلا على استهتار امرأة .

المحكمة — اتركى هذا التعليق أو الكلام للمرافعة .

اعتماد — إنه إبنى الوحيد ، ثم أخذت فى البكاء الطويل ، وهدأت وقالت :

إنه زوجى . . إن محسن كان جميل !

المحكمة — هل تعرفين شخصاً اسمه محمد محمود السمنى ؟

اعتماد — سمعت عنه .. وهو الذى أخذنى إلى محل «الشربتلى» لأجلس على كرسى ، فطلبت منه إسعاف ابنى وتجبيسه .

الشاهد الثالث صاحب الصيدلية

ثم نودى شاهد الإثبات الثالث «الدكتور أديب هلال يعقوب» صاحب صيدلية وندسور ، فحضر وحلف اليمين ؛ وأدلى بشهادته قائلا : إنه أغلق

الأجزاخانة يوم الحادث ٤ سبتمبر » حوالى الساعة العاشرة إلا ثلثاً مساء ، وركب مع بعض أصدقائه فى سيارتهم إلى كازينو « سان سوسى » بالجيزة ، وترك سيارته فى الشارع المجاور لمحل أسترا حتى عودته . . وقال : إنهم مكثوا فى الجيزة فترة لا تتجاوز ١٠ دقائق أو ١٥ دقيقة ، ثم عاد لسيارته، حيث فاجأه المنادى بأن يسرع ويلحق بصيدليته ، لأنها أصيبت بحادث ، فأسرع إليها وشاهد مقدم السيارة داخلا فى الباب ، وطفلا ميتاً .

سؤال من المدعى با لحق المدنى :

ماذا فعلت فور علمك بالحادث ؟

الشاهد — توجهت لقسم قصر النيل .

المدعى بالحق المدنى — هل شاهدت المتهمة فى القسم ومعها أحد ؟

الشاهد — كانت فى غرفة المأمور ومعها سيدة وولد صغير .

المدعى بالحق المدنى — ألم تلاحظ معاملة خاصة من البوليس لشهود الرؤية فور وقوع الحادث ؟

الشاهد — مكثت فى القسم لغاية الساعة ٢ صباحاً بعد منتصف الليل فى غرفة المأمور، وأعلم أن شاباً ميكانيكياً طلب سماع أقواله كشاهد إثبات ، فرفض المحقق إجابة طلبه ، وأمر عسكرى البوليس بإخراجه من القسم فوراً .

الشاهد الرابع

ثم نودى الشاهد الرابع « الدكتور مرقص جندى» فحضر وحلف اليمين ، ثم قال : فى يوم الحادث أغلقنا الأجزاخانة حوالى التاسعة و ٣٥ دقيقة مساء ، وتوجهنا أنا وبعض أصدقائى والدكتور أديب إلى كازينو سان سوسى بالجيزة ، حيث أقمنا فترة قصيرة ثم أشرت عليهم باقتراح ، وهو النوم مبكراً ، لأننا كنا متعبين وقتئذ فاجتزنا ميدان التحرير، ووصلنا إلى الصيدلية ،

فى حوالى الساعة العاشرة والنصف مساء ووجدنا السيارة داخل الصيدلية .. ووجدنا جسما لشاب ميت ملقى بجوارها على الرصيف .

المحكمة — ألم تسمع متى حدثت الحادثة ؟

الشاهد — الذى سمعته أن الحادث وقع فور مغادرتنا للصيدلية قاصدين إلى كازينو «سان سوسى» وعلى كل فالمسافة بين تركنا الصيدلية ، وعودتنا إليها لم تستغرق أكثر من ثلثى ساعة على الأكثر ..

وقال الشاهد إنه سمع من الناس الذين كانوا موجودين وقت الحادث ، أن السيارة كانت تقودها فتاة ، وشخص كان يقف بجوارها ، وأشار عليها بالهرب و « الزوغان » . . وأضاف أنه سمع هذا الكلام من أناس كثيرين جـــداً .

الشاهد الخامس

ثم نودى الشاهد الخامس وهو «صبحى تادرس» فحضر وحلف اليمين ، وروى شهادته التى لا تخرج عن شهادة الطبيبين السابقين .

مدير سينما شهر زاد

ثم نودى شاهد الإثبات «عبد المنعم محمد» مدير سينما شهر زاد ، فحضر وحلف اليمين ، وسأله القاضى : إيه معلوماتك ؟

الشاهد — لا أعرف شيئاً عن الحادث .

المحكمة — ولماذا حضرت إلى هنا ؟

الشاهد — وصلنى إعلان بالحضور .

المدعى بالحق المدنى — هل تعرف المتهمة كمترددة دائمة على السينما ؟

الشاهد — نعم وأعرف شكلها .

المدعى بالحق المدنى — أثناء عرض الأفلام .. ماهى حدود اختصاصك !

الشاهد — أكون بجوار الباب أثناء دخول الجمهور .

المدعى بالحق المدنى — حيث إن اختصاصك هكذا .. فما موقف العمال الذين يقطعون التذاكر ؟

الشاهد — من نفس باب السينما .

المدعى بالحق المدنى — إذا حدث شىء غير عادى على السلم ، هل يلفت هذا نظرك أم لا ؟

الشاهد — كل الذى أراه فى السينما أشعر به .

المدعى بالحق المدنى — فى مساء الأحد ٤ سبتمبر الماضى : هل تذكر على وجه التحديد إذا كانت نوال حضرت للسينما فى ذلك اليوم أم لا ؟

الشاهد — لا . . وجايز تكون حضرت .

المدعى بالحق المدنى — هل تستطيع أن تحدد لنا وقت الاستراحة الأولى بين الأفلام المختلفة ؟

الشاهد — السينما تعرض عادة ٣ أفلام . . والاستراحة الأولى ، وهى بين الفيلم الأول والثانى تكون فى حوالى الساعة التاسعة ، أو التاسعة والربع مساء ، والاستراحة الثانية بين الفيلمين الثانى والثالث ، لأنها تبدأ فى الساعة الحادية عشرة والربع مساء .

شقيقة القتيل

ثم نوديت شاهدة الإثبات « الآنسة جمانى » شقيقة القتيل الثانى الطفل إيليا كارازيدس فأدلت بشهادتها .

إسماعيل السنوسى

ثم نودى شاهد الإثبات « إسماعيل السنوسى » تاجر الأفلام فحضر ، وحلف اليمين ، وقال إنه شاهد أثناء جلوسه بمحله المجاور للصيدلية السيارة وهى تقتحم الصيدلية بسرعة مذهلة ، ثم نزلت منها فتاة ، وقد مال عليها شاب وهو يأمرها بالهرب ، و « الزوغان » حيث شاهدها بعد ذلك وهى

واقفة مع بوليس النجدة ، والناس يشيرون إليها ويقولون : أهى دى اللى كانت سايقة السيارة .

الطفل بوللى هارجيان

ثم نودى الطفل « بوللى هارجيان » وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره لحضر وحلف اليمين ، وروى للمحكمة شهادته من أنه كان واقفاً مع الطفل «إيليا» على الرصيف المجاور لمحل أسترا ، ثم فوجىء بالسيارة وهى تقتل زميله الطفل « إيليا » وقال إنه شاهد الفتاة وهى تقود السيارة وفى يدها عجلة القيادة وقت الحادث .

قضية لا تحتاج إلى جهاد

وبعد ذلك نهض الأستاذ سليمان أيوب ، ممثل النيابة العامة وقال : إن القضية لا تحتاج إلى جهاد فهى ثابتة ، والوقائع ليس مختلفاً عليها ، والشهود كثيرون ، ويؤيدون اتهام الفتاة ، وأنها كانت تقود السيارة بسرعة مذهلة ، حتى صعدت إلى الرصيف ، وصدمت كل من يقف عليه .

وقال وكيل النيابة : إن الإصابة لا يمكن وصفها إلا بأنها قتل .. وشهود الإثبات وصفوا الواقعة وصفاً دقيقاً ، والنيابة لا يسعها إلا أن تطلب تطبيق أقصى العقوبة ، والحكم بحبسها مع النفاذ .

مرافعة المدعين بالحق المدنى

ثم نهض الأستاذ «عدلى فرج» الحاضر مع والد الطفل «إيليا» كارازيدس ، فقال : إن المتهمة وشهودها حاولوا التلفيق ، ثم فند أقوال شهود الإثبات .

وانتقل إلى تفنيد أقوال الأنجال الثلاثة للدكتور محمد كامل مرسى مدير جامعة القاهرة ، وقال إن ولدهم هو الصديق الحميم لعائلة نور ، وإن ولديه جميل والمعتز صديقان لشقيقها حازم

اللهم وفق

وقال الأستاذ عدلى :

نعرف أن نوال وشقيقها قد انتهزا غيبة السائق ، وأخذا السيارة ، لأن معهما مفتاحاً ثانياً لها . . وسموها ياحضرات القضاة زى ما تسموها .. رعونة .. شيطنة .. شقاوة .. عدم تقدير للمسئولية .. المهم أن « نوال نور » أرادت أن تخرج فى نزهة مع من كانوا معها بعيدا عن أعين السائق .. وفى سبيل هذه النزهة أرادت نوال أن تقود العربة ،فقتلت طفلين ،وحطمت رجلين ، وأتلفت ممتلكات وأثكلت أمهات .

استراحة

وكانت الساعة قد بلغت الواحدة مساء فرفعت الجلسة للاستراحة ثم أعيدت للانعقاد فى الساعة الواحدة والنصف .

مرافعة الأستاذ حسين رءوف

ونهض الأستاذ «حسين رءوف» المحامى عن المدعية بالحق المدنى ، وهى السيدة اعتماد والدة القتيل محسن جوهر .. وقال إن القضية قضية وقائع ، وتدور حول نقطة هامة ، وهى : هل كانت « نوال نور » فى سينما شهر زاد كما تدعى ، أم أنها كانت فى السيارة وقت الحادث ؟

وانتهى إلى القول بأن التهمة ثابتة قبل « نوال نور » ، وطلب الحكم عليها بأشد العقوبة .

مرافعة الأستاذ عبد الرحمن حسن

ثم نهض الأستاذ « عبد الرحمن حسن » المحامى عن والد القتيل الطفل « محسن » ، وقال إن حكم القضاء العادل سوف يكون هو الرادع القوى للطائشين من أمثال نوال وغيرها من المستهترين .

مرافعة جمال الشريف

وأعقبه الأستاذ جمال الشريف المحامى الحاضر مع المدعى بالحق المدنى إسماعيل لبيب ، وقال : إنه يطلب جعل مبلغ الثلاثة آلاف جنيه التى طلبها تعويضاً مؤقتاً لا كاملا ، ثم قدم للمحكمة شهادة طبية من مستشفى الدكتور الغريانى أثبت فيها أن موكله هو ميت حى فى كفن من الجبس .

استراحة

وكانت الساعة قد بلغت الثانية والنصف مساء فرفعت الجلسة على أن تعود للانعقاد فى جلسة مسائية أخرى بدأت من الثالثة والنصف .

الجلسة المسائية

وفى الساعة الثالثة والنصف استأنفت المحكمة جلسة مسائية ثانية لنظر القضية ، ونهض الدفاع عن المتهمة ، الأساتذة : محمد إسماعيل عوض ، ومحمد ممدوح ، وترافعا ، ففندا أقوال الشهود ، وتكلما كثيراً فى الناحية القانونية ، وطلبا براءة موكلتهما ، ورفض الدعوى المدنية .

مرافعة عم المتهمة

ثم نهض عم المتهمة الأستاذ محمود متولى نور ، محافظ القاهرة السابق ، وقال : إنه ينضم إلى زملائه المحامين عن ابنة شقيقه ، ولكنه يتكلم بوصفه زعيم أسرة نور . . وقال : إن القضية ليس فيها دليل قبل نوال نور .

وعقب ذلك نهض الأستاذ «عدلى فرج» عن المدعى بالحق المدنى ، وعقب على مرافعة الدفاع ، وقال : إنه بعد سماع هذه المرافعات ينتهى إلى أن القضية أكثر ثبوتاً الآن قبل نوال نور .

ثم عقب عليه الأستاذ « محمد ممدوح » وصمم على طلب البراءة .

وكانت الساعة قد بلغت السابعة إلا ربعاً ، فرفعت للمداولة حيث أعيدت للانعقاد فى الساعة الثامنة والربع ، وأصدر القاضى الحكم الآتى نصه :

أولا ــ حكمت المحكمة حضورياً للمتهمة وللمدعين بالحق المدنى ببراءة المتهمة عما أسند إليها ، ورفض الدعاوى المدنية الأربع المقدمة ضدها من كل من اعتماد عثمان غالب ، ومحمود سليمان جوهر ، وإسماعيل أحمد لبيب ، وبردورس كازاريدس مع إلزام رافعيها بمصاريفها وبلا مصاريف جنائية .

وزغردت بعض النسوة الحاضرات مع نوال ، وهتف بعض مؤيديها « يحيا العدل » ، ثم خرجت وركبت سيارتها الشفروليه موديل ٥٥ الجديدة التى اشترتها عقب الحادث .

* * *

بهذه الطريقة كتبت صحيفة « الأخبار » تقريرها عن هذه القضية التى شغلت بال الجمهور فى مصر نحواً من سنة ، وكان شعور الجمهور — كما سبقت الإشارة إلى ذلك ــ ضد المتهمة التى كانت السبب فى هذه الجناية ، وتوخت الصحيفة مسايرة هذا الشعور العام ، فكانت تأتى بالصور التى تتفق وهذا الاتجاه ، أو التى توحى بهذا الإحساس ، كما كانت تكتب « بالبنط الأسود » بعض أقوال الشهود والمحامين الممثلين للاتهام مما له دلالة خاصة ، وتأثير معين فى سير القضية نحو الإدانة لا البراءة .

ومع هذا وذاك فقد شاء القضاء المصرى أن يصدر حكمه بالبراءة على نحو ما رأيت .

الفصل الثانى عشر

الماجريات الدبلوماسية

لكل دولة من الدول سياستها الخاصة بها ، الداعية إليها ، والمروجة لها ، غير أن هذه السياسة الخاصة تتغير من وقت لآخر حسبما تقتضيه الظروف والأحوال، وحسبما يحيط بالدولة نفسها من ملابسات ، وتيارات. ومهما يكن الأمر فلا مناص للدولة الواحدة من أن تكون لها سياسة واحدة فى فترة من الزمن واحدة ، وإذ ذاك تحاول هذه الدولة أن تجذب إليها أكبر عدد ممكن من الدول التى يمكن أن تتفق معها فى هذا الاتجاه . وفى سبيل هذه الغاية تعقد الدولة من حين لآخر بعض المؤتمرات التى تدعو إليها ، أو تدعى هى إليها ، للنظر فى هذه الاتجاهات السياسية التى تهمها ، وتهم الدول الضالعة معها ، وهذا ما يطلق عليه « الأحداث الدبلوماسية » ، ومنها على سبيل المثال : مؤتمر الصلح بين دولتين متحاربتين ، والمؤتمرات السياسية التى تعقد فيها المعاهدات وقت السلم ، والمفاوضات ، أو المشاورات التى تدور حول بعض المشكلات الدولية على اختلافها .

ومن الأمثلة على هذه الأخيرة :

المؤتمر الذى عقد من ممثلى كوريا الشمالية ، وكوريا الجنوبية فى أثناء الحرب الكورية ، ومنها مؤتمر رؤساء الحكومات العربية الذى انعقد بالقاهرة فى أوائل عام ١٩٥٤ لبحث الموقف العربى عقب الاعتداءات الصهيونية على حدود البلاد العربية ، ومنها المؤتمر الثلاثى المؤلف من ملك المملكة العربية السعودية ، ورئيس الجمهورية السورية ، ورئيس الجمهورية

العربية المتحدة ، وقد انعقد بالقاهرة فى مارس سنة ١٩٥٦ لتحديد السياسة العربية تجاه إسرائيل والدول الاستعمارية .

ومنها مؤتمر وزراء خارجية مصر ، وسوريا ، والأردن ، ولبنان المنعقد فى شهر مايو سنة ١٩٥٦ بدمشق لبحث تقرير الجنرال « بيرنز » مندوب هيئة الأمم المتحدة عن مشروع تقسيم مياه الأردن ، ومنها كذلك المؤتمر الذى ضم ملوك العرب ورؤساءهم فى بيروت فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ للنظر فى سياسة الدول العربية ، وعلاقاتها بكل من انجلترا وفرنسا ، وذلك عقب الاعتداء الثلاثى المسلح من جانب هاتين الدولتين ، ومعهما دولة إسرائيل فى الحادى والثلاثين من شهر أكتوبر من السنة المذكورة .

ومنها كذلك المؤتمر الذى عقدته دول كولمبو « الهند ، وأندونيسيا ، وسيلان ، وبورما » للنظر فى سياستها المشتركة بإزاء العدوان الثلاثى المسلح الذى تقدم ذكره .

على أنه من الملاحظ أن هذه المؤتمرات الدبلوماسية كثيراً ما تنعقد بصفة سرية فلا يتمكن الصحفيون من حضورها ، اللهم إلا فى البداية ، أعنى فى الجلسات الافتتاحية ، وهى الجلسات التى يكتفى فيها بعرض جدول الأعمال ، وإلقاء كلمات الترحيب أو التشجيع من جانب الملوك والرؤساء والوزراء ، ثم يمضى المؤتمر الدبلوماسى بعد ذلك فى عقد جلساته دون السماح لمندوبى الصحف بالحضور إلا فى حالات خاصة .

من أجل ذلك يصعب على الباحث أن يحصل على تقارير فى شكل ماجريات دبلوماسية دقيقة . وبدهى أن رجوع الباحث العلمى فى الصحافة إلى محاضر هذه المؤتمرات لا يفيده كثيراً ، لأنه إنما يعنى بالطريقة الفنية التى تعالج بها الصحف هذه الماجريات السياسية، ولا عناية له بهذه الأحداث من الناحية التاريخية .

من أجل ذلك تلجأ بعض الصحف إلى إهمال هذا النوع من الماجريات

فتكتب عنه بإيجاز شديد فى أول الأمر ، ثم تنتظر إلى الجلسة الأخيرة . فتبذل فيها كل ماتستطيع من جهد، وتكتبها فى شكل ماجريات دبلوماسية بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة عند إطلاقها . والسبب فى ذلك أن هذه الجلسة الأخيرة هى التى ينتهى فيها المجتمعون إلى قرار مشترك يصدرونه بشكل « بيان رسمى » يعبر عن آرائهم ، ويوضح اتجاهاتهم ، وينم عن الخطط التى وضعوها للسير فى هذا الاتجاه .

نموذج

لقد اخترنا أن يكون النموذج لهذه الماجريات الدبلوماسية هو المؤتمر الذى عقده وزراء خارجية الدول العربية بالقاهرة فى أوائل يناير سنة ١٩٥٤ ، وفيه انتهى هؤلاء الوزراء من رسم « السياسة العربية الجديدة » على ضوء المشروع الذى قدمه الدكتور فاضل الجمالى وزير خارجية العراق فيما يلى :

نشرت الأخبار فى يوم الاثنين ١١ يناير سنة ١٩٥٤ بالصفحة الأولى من صفحاتها بعنوانات كبيرة ، وأخرى أصغر منها ما يلى :

محمود فوزى يشرح للجنة السياسية آخر تطورات القضية المصرية

اللجنة السياسية تدرس مشروع الجمالى

صيغة عربية لرفض المفاوضات مع إسرائيل

ثم قالت الصحيفة :

علمت « الأخبار » أن مصر قبلت مشروع الدكتور فاضل الجمالى ، رئيس وفد العراق من حيث المبدأ ، وهو المشروع الذى أعده للعرض على اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ،أما تفصيلات المشروع فإن مصر ستشترك فى بحثها فى اجتماعات اللجنة السياسية .

ويقضى هذا المشروع باتحاد الدول العربية فى شئون الدفاع والمالية والتعليم والاقتصاد والسياسة الخارجية .

وقد انتهت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية أمس من مناقشة آخر تطورات القضية المصرية ، كما عرضها فى الاجتماع الدكتور محمود فوزى ، وزير الخارجية .

وقد صرح بذلك الدكتور فاضل الجمالى رئيس وفد العراق ، وتفرعت عن اللجنة السياسية فى اجتماعها أمس لجنة فرعية من سفراء الدول العربية برياسة الأستاذ سامى أبو الفتوح ، وكيل وزارة الخارجية .

ووافقت اللجنة على صيغة الرد الذى سترسله حكومة الأردن إلى سكرتيرية الأمم المتحدة ، والذى سترفض فيه طلب الأمم المتحدة إجراء مفاوضات مباشرة مع إسرائيل .

وعرضت الصيغة على اللجنة السياسية ، فأقرتها فى هذا الاجتماع .

اجتماع اللجنـــة

وكتب مندوب « الأخبار » للشئون العربية ما يلى :

عقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية أولى اجتماعاتها فى وزارة الخارجية فى الساعة الخامسة بعد ظهر أمس برياسة الدكتور محمود فوزى ، وزير الخارجية المصرية ، وحضور سائر وزراء الوفود العربية ، ووزراء خارجيتها ، والأستاذين عبد الخالق حسونة الأمين العام ، وأحمد الشقيرى الأمين المساعد .

كلمة محمود فوزى

واستهل الدكتور فوزى الاجتماع بكلمة رحب فيها بالوفود العربية باسم الجمهورية العربية المتحدة ، وتمنى لهم التوفيق فى مهمتهم ، وأكد أن كل ما ترجوه مصر لشقيقاتها العربية هو السيادة الكاملة ، والتحرر من كل

نفوذ أجنبي ، وأن تسعد الشعوب العربية بوحدتها وحريتها ، وأن مصر لن تدخر وسعاً فى هذا السبيل ، حتى تغدو الأمة العربية خفاقة الأعلام فى البر والبحر ، مرفوعة الكرامة فى الشرق والغرب .

وأشار إلى فلسطين ، فوصفها بالشقيقة الشهيدة المظلومة ، وأنها يجب أن تعاد كما كانت ، وينعم بها أهلها المشردون فى كل قطر .

مناقشة القضايا الكبرى

وعقب ذلك انصرف الأعضاء إلى دراسة الموقف الدولى وتطوراته فى الأمم المتحدة ، وموقف الدول الكبرى من القضايا العربية ، وفى مقدمتها القضية المصرية .

بحث القضية المصرية

وظلت المناقشة نحو ساعة فى هذا الشأن ، ثم بدءوا فى بحث القضية المصرية وموقف بريطانيا منها .

الانقسام إلى ثلاث لجان

وفى نحو الساعة السابعة والربع انقسمت اللجنة السياسية إلى ثلاث لجان: الأولى من وزير الخارجية المصرية مع رؤساء الوفود العربية، وقد اجتمعوا نحو ساعة فى مكتب الوزير ، وأطلعهم الوزير على تطورات القضية المصرية ، وظروف المباحثات مع بريطانيا ، وحضر هذا الاجتماع السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة .

واجتمعت اللجنة الثانية فى مكتب الأستاذ سامى أبو الفتوح ، وكيل الخارجية مع بعض أعضاء الوفود ، ومعهم الأستاذ أحمد الشقيرى الأمين المساعد ، وبعد ساعة انضمت هذه اللجان ، وواصلت بحثها ، وفى منتصف الساعة التاسعة ارفض الاجتماع، وصرح الأستاذ عبد الخالق حسونة الأمين العام بالبيان التالى :

« بدأت اللجنة السياسية مناقشتها الليلة للقضايا العربية الكبرى ، ومن بينها القضية المصرية ولم تنته المناقشة بعد، وإن اللجنة ستستأنف اجتماعاتها فى الساعة الرابعة من بعد ظهر غد — اليوم — لمواصلة أبحاثها » .

وأضاف أن اللجنة بحثت أيضاً فى قضية فلسطين وقضايا شمال أفريقيا.

العرب يؤيدون مصر

وذكر الأستاذ حسونة أن جميع الوفود العربية يساندون القضية المصرية ، ويؤيدونها تأييداً تاماً .

الجمالى لم يقدم مشروعه بعد

وسئل عما تم بشأن موضوع اتحاد الدول العربية الذى يقترحه الدكتور فاضل رئيس الوفد العراقى ، فقال إن الدكتور الجمالى لم يقدم بعد أى شيء للجنة ، وأن أعضاء اللجنة طالعوا المشروع فى الصحف .

اقتراح الجمالى

وكنا قد أشرنا أمس إلى الاقتراح الذى سيقدمه الدكتور فاضل الجمالى إلى مجلس الجامعة ولجنته السياسة ، وهو المشروع الخاص باتحاد الدول العربية ، وقد صيغ الاقتراح فى مذكرة خطية من صفحة واحدة فى حجم « الفولسكاب » وتبدأ بمقدمة عن أهمية الوحدة العربية ، وكيف أنها الأمل المنشود للشعوب العربية ، وأن العراق لا يرحب بتحقيق الوحدة فحسب ، بل يعمل على تحقيقها

وقد تضمنت المذكرة أن مصر فى عهدها الجديد قد اتجهت كذلك إلى الدعوة للوحدة العربية ، والعمل أيضاً على تحقيقها، وأن الدول العربية لترحب بهذه الدعوة وتلبى نداءها ، ولذلك فإن العراق يرحب بالاتحاد مع كل دولة عربية ، ويعرض اقتراحه هذا تاركا التفاصيل الخاصة بتنفيذه لتبحثها الدول العربية .

وجاء فى المذكرة كذلك ، أنه من الطبيعى ألا يتيسر فى الوقت الحاضر تحقيق الوحدة الشاملة بين جميع الدول ، ولذلك فإنه يمكن أن يبدأ بتحقيقها على مراحل ... وفى هذه الحالة تظل الجامعة العربية قائمة إلى أن تتم الوحدة المنشودة.

وطالب بأن يبدأ بتحقيق الوحدة بين دولتين أو أكثر ، وبعد ذلك تنضم بقية الدول العربية بالتتالى !

وبعد ذلك لخص فاضل الجمالى الفكرة ، فقال إنها تتركز فى توحيد الدول العربية من حيث شئون الدفاع والسياسة الخارجية والشئون الاقتصادية والمالية والثقافية.

وختم الفكرة بقوله : وإننى أترك البحث فى التفاصيل ، وفى تنفيذ الفكرة إلى الدول العربية ، لتقرر ما تراه .

* * *

من هذا النموذج الذى قدمناه للماجريات الدبلوسية تتضح لنا الخطوات التى ينبغى اتباعها فى كتابة هذا النوع ، وتتلخص هذه الخطوات فيما يلى :

أولا — دراسة موضوع التقرير دراسة جيدة من جانب المحرر الصحفى الذى عهدت إليه الصحيفة بكتابته ، وبدهى أن هذه الدراسة لازمة لمعالجة مثل هذا التقرير ، ولفهم القضايا السياسية التى يعرضها الأعضاء المشتركون فى هذا المؤتمر الدبلوسى أو ذاك.

ثانياً — حضور الجلسات التى يعقدها المؤتمر إذا كان ذلك ممكناً ، لأن كثيراً من هذه الجلسات يكون سرياً ؛ كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ، ولكن هذا لا يمنع الصحفى من الوجود فى مكان المجتمع ، والتربص بالأعضاء لكى يتصيد كل ما يمكن من الأخبار ، ويلقى الأسئلة على من يراه منهم ، ويبذل فى ذلك كل جهد مستطاع .

وهـــكذا يستطيع المحرر الصحفى أن يجمع المعلومات والقرارات والأحاديث والبيانات حول موضوع التقرير الذى يريده .

ثالثاً — المبادرة بكتابة هذا التقرير ، وهو حديث عهد به وبالحوادث التى اكتنفته والجو الذى حصل فيه مستعيناً فى ذلك « بأرشيف الصحيفة » إذا كان هناك مايدعو إلى هذه الاستعانة ، وذلك لتوضيح بعض ملابسات الموضوع ، وصلة هذا الموضوع بقرارات وبيانات سابقة .

رابعاً — يراعى فى كتابة التقرير أن يكون على شكل يقرب من القصة الخبرية فى الصحيفة ، بمعنى أن يكون له «صدر» ، و «جسم » أو « صلب » ، مع ملاحظـة الفرق بين القصـة الخبرية ، والتقرير الصحفى ؛ كما سبقت الإشارة إلى ذلك . وخلاصة هذا الفرق أن التفاصيل فى القصة الخبرية ليست لها نفس الأهمية التى للتفاصيل فى الماجريات الصحفية ، وذلك أن التفاصيل فى القصة الخبرية يمـكن الاستغناء عن بعضها متى أدت ظروف الطباعة فن وإخراج الصحيفة إلى ذلك، بحيث لا تتأثر القصة الخبرية نفسها بهذا الإجراء ، أما التفاصيل فى الماجريات الصحفية فـكلها ضرورية ، وإذا حذف شىء منها ظهر أن هذه الماجريات مبتورة بتراً واضحاً للقراء .

على أنه إذا رأت الصحيفة أن مساحة التقرير كبيرة ، فنى هذه الحالة يمـكن أن يختصر جزء من هـذا التقرير بطريقة فنية لا آلية ، بشرط ألا يحذف هذا الجزء جملة ، على نحو ما يحدث فى «فن المقال» بوجه عام .

خامساً — أما القرارات والبيانات الرسمية ونحو ذلك فأشياء لا يستطيع المحرر الصحفى أن يتصرف فيها على نحو ما .

ذلك أن هذه المواد تعتبر وثائق رسمية يرجع إليها يوماً ما ، وغاية ما هنالك أنه يمـكن للمحرر أن ينشر هذه المواد مستقلة عن التقرير نفسه ، وفى مكان بالصحيفة قريب من مكان هذا التقرير .

الفصل الثالث عشر

الماجريات الدولية

ليس من السهل فى حقيقة الأمر أن يفصل الباحث فصلا تاماً بين الماجريات الدبلوماسية ، والماجريات الدولية ، فكل من هذين النوعين من الماجريات إنما يقوم على السياسة الخارجية للحكومة بوصفها ذات مصالح وعلاقات خاصة بالدولة الأخرى ، أو بعبارة أخرى : بوصفها عضواً من أعضاء الأسرة الدولية فى العالم أجمع .

غير أن الفرق الأوحد بين النوعين : أن الأول — وهو الدبلوماسى — أضيق نطاقا من الثانى ، وهو الدولى ، فكل دولة — كما سبقت الإشارة إلى ذلك — تدور فى فلك دول أخرى قريبة منها فى الاتجاه السياسى ، أو تدور هذه الدول معها فى هذا الفلك السياسى ، فحيث تعقد المؤتمرات بين رؤساء هذه الدول المتشابهة فى السياسة أو بين وزراء الخارجية فيها — فهذا هو الماجرى الدبلوماسى ، وحيث تعقد الاجتماعات الدولية الكبيرة التى تشترك فيها الدول بصفة عامة ؛ فتلك هى الماجريات الدولية .. ومع هذا وذاك لا يزال الفصل بين النوعين فصلا تاماً فى غير مقدور البحث العلمى إلى يومنا هذا .

فى الوقت الذى نكتب فيه هذا الكتاب حضرت إلى مصر لجنة خماسية يرأسها المستر روبرت مانزيس R. menzis رئيس الوزارة الاسترالية ، وكان ذلك فى أوائل شهر سبتمبر سنة ١٩٥٦ ، وقد جاءت هذه اللجنة لتفاوض رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى أمر «تدويل قناة السويس» ، وقبلت مصر المفاوضة ؛ ولكن على غير هذا المبدأ ، لأن مصر كانت قد فرغت من تأميم القناة ، وبقيت مصممة على موقفها هذا إلى اليوم .

فهل نعتبر هذه اللجنة التى أشرنا إليها مؤتمراً دبلوماسياً ؟ أم نعتبرها مؤتمراً دولياً ؟ .

الواقع أنها تعتبر مؤتمراً دولياً دبلوماسياً فى وقت معاً .

ومثل ذلك يمكن أن يقال بالقياس إلى مؤتمر لندن ، وهو المؤتمر الذى عقد فى أغسطس من السنة المذكورة ؛ وكان قوامه ثلاثاً وعشرين دولة اجتمعت بلندن للنظر فى نفس المشكلة المتقدمة ، وهى مشكلة قناة السويس، فهو يعتبر فى نظرنا ذا صبغة مزدوجة .

أما الماجريات التى تختص بجميع المنظمات الدولية : مثل عصبة الأمم فيما مضى، ومؤتمر نزع السلاح ، وجلسات الأمم المتحدة بفروعها المختلفة(١) ومؤتمر الكتلة الآسيوية الأفريقية الذى اجتمع فى باندونج ، وغيرها من الاجتماعات العامة التى يباح للصحفيين حضورها فى الأعم الأغلب ، فكلها مجتمعات دولية بحتة ، والتقارير التى تكتب عنها تعتبر من الماجريات الدولية التى لاشك فى دوليتها .

وقد اخترنا أن نضرب المثل هنا بالمؤتمر الذى عقدته الكتلة الآسيوية الإفريقية ، وهو :

مؤتمر باندونج

هو المؤتمر الذى تألف من الدول الآسيوية والأفريقية التى تجمعها غاية واحدة ، هى الوقوف بين الكتلتين الشرقية والغربية ، كما تسعى لتحقيق هدف معين ، هو محاربة الاستعمار ، وتحقيق التعاون بينهما فى الميادين الاقتصادية ، والثقافية ، والسياسية .

---

(١) وهذه الفروع حسب ورودها فى ميثاق الأمم المتحدة هى :
١ — الجمعية العامة ٢ — مجلس الأمن ٣ — المجلس الاقتصادى والاجتماعى
٤ — مجلس الوصاية ٥ — محكمة العدل الدولية ٦ — الأمانة .

ولأن هذا المؤتمر يعتبر فى الواقع أجل حادث سياسى فى إعام ١٩٥٥ ، فقد اخترناه مثلا من أمثلة الماجريات الدولية . وسنعتمد فى ذلك على صحيفة «الأهرام» الصادرة فى يوم الإثنين الخامس والعشرين من شهر أبريل من السنة المذكورة، وقد صدرت يومئذ وفى صفحتها الأولى هذه العنوانات الكبيرة التالية :

مؤتمر باندونج يقر مبادىء السلام العالمى

مناشدته العالم خفض القوات المسلحة

وتحريم استخدام أسلحة الدمار الشامل

الرئيس جمال عبد الناصر يشيد بنجاح المؤتمر فى جلسته الختامية

ثم قالت الأهرام :

انتهت أمس فى باندونج اجتماعات المؤتمر الأفريقى الآسيوى الأول ، وقد أجمعت الدول السبع والعشرون التى اشتركت فيه على اتخاذ قرارات فى مختلف المسائل التى بحثتها ، وفى مقدمتها برنامج لتحقيق السلام العالمى تضمن عشرة مبادىء ، وهى :

١ — احترام حقوق الإنسان ، وميثاق الأمم المتحدة .

٢ — احترام سيادة جميع الدول ، ووحدتها .

٣ — الاعتراف بحق المساواة بين جميع الأجناس ، والقوميات .

٤ — عدم التدخل فى شئون الدول الأخرى .

٥ — حق كل دولة فى الدفاع عن نفسها بمفردها ، أو بالاشتراك مع غيرها ، طبقاً لميثاق الأمم المتحدة .

٦ — الامتناع عن استخدام أية تدابير ، أو اتفاقات جماعية لصالح

أية دولة من الدول الكبرى ، والامتناع كذلك عن الضغط على الدول الأخرى .

٧ — الامتناع عن أعمال التهديد ، أو العدوان ، أو استخدام القوة من جانب أية دولة .

٨ — تسوية كل المنازعات الدولية بالطرق السلمية .

٩ — تنمية المصالح المتبادلة ، وزيادة التعاون .

١٠ — احترام العدالة ، والالتزامات الدولية .

وفيما يلى ما تلقيناه من الجلسة الختامية للمؤتمر :

باندونج فى ٢٤ :

من ممدوح طه مندوب «الأهرام» الخاص ، وجيبون سيموندز مراسل «الأهرام» الخاص :

ارفض مساء الجمعة المؤتمر الآسيوى الأفريقى الأول ، وأعلن فى البيان الرسمى الذى صدر بهذه المناسبة أن الدول السبع والعشرين التى اشتركت فيه وافقت بالإجماع على القرارات التى اتخذت بشأن كل المسائل التى بحثتها .

عقد المؤتمر مرة أخرى

وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد عرض على المؤتمر أن يعقد اجتماعه القادم فى القاهرة ، واقترح شواين‌لاى فى جلسة اليوم أن ينعقد المؤتمر مرة أخرى ، وقد وافق المؤتمر على ذلك ، ولكن دون تحديد موعد الاجتماع ومكانه .

التنديد بالأسلحة الذرية

وقبل أن يعقد المؤتمر جلسته الأخيرة قامت لجنة فرعية بإعداد صيغة البيان الرسمى عن أعمال المؤتمر ، بينما أعدت لجنة أخرى صيغة قرار بالتنديد بالأسلحة الذرية .

تقرير اللجنة الاقتصادية

وكانت اللجنة الاقتصادية قد انتهت من أعمالها ، وأعدت تقريراً بذلك تجنبت أن تشير فيه إلى مسألة حظر تصدير المواد الاستراتيجية من الدول الغربية إلى الصين الشيوعية .

قيود التعليم بالمغرب العربي

ونددت اللجنة الثقافية في تقريرها ببعض الدول الاستعمارية التي لا تزال تحرم الشعوب الخاضعة لها من الحقوق الأساسية ، ولا سيما فيما يتعلق بالتعليم ، كما هو الحال في تونس ، والجزائر ، ومراكش — بحيث تحرم فرنسا شعوب تلك البلاد من تعلم لغتهم الأصلية ، وهي اللغة العربية .

التنديد بالاستعمار

كانت الدول المناهضة للشيوعية في اللجنة الفرعية المكلفة بوضع صيغة قرار المؤتمر عن التنديد بالاستعمار متمسكة بوجوب النص في القرار على التنديد أيضاً بأعمال التسلل السياسي ، والحركات الهدامة .

ولكن الدول الأخرى — ومنها الصين ، والهند ، ومصر ، وبورما ، وسوريا وغيرها — رأت أن يكتفي بالنص في القرار على الاستعمار في كل أشكاله ، بدون الإشارة إلى أعمال التسلل السياسي ، والحركات الهدامة ، على اعتبار أن ذلك موضوع آخر لا علاقة له بالاستعمار .

وقد اجتمعت هذه اللجنة اليوم وتمكنت — بعد مناقشات طويلة ، وتبادل في وجهات النظر — من الاتفاق بالإجماع على الاكتفاء بالنص في القرار على التنديد بالاستعمار بكل أشكاله ومظاهره (١) .

---

(١) كان المقصود من إضافة العبارة « بكل أشكاله ومظاهره » انتهاء الخلاف الذي نشب بين أعضاء اللجنة حول تحديد معنى كلمة « الاستعمار » ، إذ رأت بعض الدول المرتبطة بالأحلاف الغربية أن هذا المعنى يشمل العلاقة بين الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الشرقية (راجع تقرير الأمين العام لجامعة الدول العربية عن مؤتمر باندونج)

وكان السودان ، وليبيا ، ولبنان من الدول التى تضامنت مع العراق ، وتركيا وغيرها من الدول المناهضة للشيوعية .

معجزة فى آخر لحظة

وكان قد بدا للكثيرين أن لا سبيل للاتفاق ، وخاصة بعد أن طالت المناقشات واقترب الموعد المحدد لعقد الجلسة الختامية للمؤتمر ، وشاع أن المؤتمر سيضطر إلى إرجاء جلسته الختامية ، ولكن حدثت معجزة فى آخر لحظة بعد أن رأت الوفود المختلفة أنه لا بد من أن يصدر المؤتمر قراراً ينـدد فيه بالاستعمار بأى شكل ، وإلا فإن الرأى العام العالمى سينظر إلى المؤتمر على أنه قد أخفق ، ولم يتفق أعضاؤه فيما بينهم على المسألة الرئيسية التى اجتمعوا من أجلها ، وهى مسألة الاستعمار !

التعايش السلمى

وتعرضت اللجنة المكلفة بإعداد صيغة القرار الخاص بالمعايشة السلمية بين مختلف النظم السياسية لصعوبات مماثلة ، ولكنها تغلبت عليها فى النهاية .

ويقول المراقبون السياسيون : إن موافقة المؤتمر على إسقاط عبارة « أعمال التسلل السياسى والحركات الهدامة » من القرار الخاص بالتنديد بالاستعمار يعد نصراً للشيوعيين ، ومن تضامنوا معهم ، ومعنى هذا أن الدول الموالية للغرب ، والمناهضة للشيوعية اضطرت فى النهاية إلى التسليم بوجهة نظر معارضيها .

برنامج لتحقيق السلام

ووافق المؤتمر على برنامج لتحقيق السلام فى العالم ، ويتألف هذا البرنامج من النقاط العشر الآتية :

« ثم ذكر المحرر الصحفى القرارات العشرة التى ذكرها فى مقدمة التقرير » .

كلمات الوفود

ولما عقد المؤتمر جلسته الختامية فى المساء أبدى نحو عشرين وفداً رغبتهم فى إلقاء كلمات لمناسبة انتهاء أعمال المؤتمر ، فتم الاتفاق على تخصيص خمس دقائق لكل وفد .

كلمة وفد الأفغانستان

وكان أول الخطباء فى هذه الجلسة السردار محمد نعيم وزير خارجية أفغانستان وقد استهلها بقوله :

« لقد جئنا إلى هذا المؤتمر وقلوبنا مليئة بأمل عظيم ، ونحن نغادره اليوم وقلوبنا مفعمة بأمل عظيم » .

ثم قال : « لقد أوضحت الدول الآسيوية الأفريقية المشتركة فى هذا المؤتمر أن رغبتها هى ذات الرغبة المشتركة لصون السلم والمعارف الإنسانية » .

كلمة وفد أندونيسيا

وتكلم بعده السيد على ساسترو إميد جوجو رئيس وزراء أندونيسيا فقـــال :

«إن المؤتمر لم يتخذ قراراً يقيم الأرض ويقعدها ، أو يخلق عهداً جديداً ، ويكاد هذا لا يثير أية دهشة ، فالغرض الذى من أجله وجهت الدعوة إلى هذا المؤتمر هو اجتماع زعماء الدول الآسيوية ، والأفريقية لتبادل وجهات النظر بغية تحقيق تفاهم أفضل ، وهذا هو ما فعله المؤتمر » .

وأردف قائلا : « إن مناقشاتنا قد أظهرت بعض الخلافات ، وتعارضاً فى الآراء ، وكان لابد أن نتوقع هذا ، نظراً لا تساع الرقعة الجغرافية التى تشغلها الدول الممثلة هنا ، وفى هذا العالم المضطرب الذى تسوده الشكوك

وعدم التفاهم يجب أن نعتبر أى تحقيق وأى تفاهم فى أى جزء منه مرحلة فى سبيل التقدم » .

كلمة شواين لاى

وتكلم بعده شواين لاى رئيس حكومة الصين الشيوعية ؛ فبدأ خطابه بالإعراب عن شكره لدول « كولومبو » الخمس صاحبة فكرة الدعوة إلى هذا المؤتمر، ثم وجه التحية إلى رجال الحكومة الأندونيسية التى استضافت وفود المؤتمر ، وإلى رئيس هذه الحكومة السيد على ساستر وأميد جوجو .

ومضى فقال : « إن المؤتمر سيكون له أثره العظيم فى المساعدة على مقاومة الاستعمار ، وتأمين السلم، وتحقيق المزيد من التفاهم ، وإن أهميته تتضح مما أسفر عنه من تفاهم بين الدول الآسيوية والأفريقية ، واتفاق على بعض المسائل الكبرى » .

ثم قال : « إن هذا المؤتمر قد أظهر الحقيقة الواقعة ، وهى أن وجهات نظرنا متباينة فيما يتصل بالكثير من المسائل ، وقد ناقشنا جانباً من هذه الخلافات ، ولكنها لم تمنعنا من الوصول إلى اتفاق مشترك على الخطوات المؤدية إلى السلم العالمى ، والاتفاق على المسائل الاقتصادية .

ثم أشار إلى أن شعور الدول الآسيوية والأفريقية يشارك بعضها بعضاً ذات المصير ؛ وذات الرغبات ، وعرض لموقف حكومته من عدة مسائل يتناولها البيان المشترك فقال :

إن الشعب الصينى يعرب عن عطفه التام ، وتأييده الكامل لشعوب مراكش ، وتونس ، والجزائر ، فى كفاحها للفوز بالحكم الذاتى ، وكذلك اللاجئين العرب الذين يعملون على نيل حقوقهم الإنسانية .

وأعرب شواين لاى أيضاً عن عطف الصين الشيوعية على أندونيسيا فى جهودها لتحرير غينا الجديدة من الاستعمار .

وقال إن القرارات التى اتخذها المؤتمر بشأن هذه المسائل وغيرها مما

يساعد على إزالة ما هناك من توتر بسببها ، ثم تحدث عما تقتضيه الضرورة من تنفيذ أصحاب الشأن فى الهند الصينية للاتفاق الذى تم فى جنيف ، كما قال بوجوب عمل ذوى الشأن فى كوريا على الوصول إلى حل عاجل لمشكلات هذه الدولة المجزأة .

وهنا أكد شواين لاى حق بلاده فى تحرير فرموزا ، فقال :

« إن الصين والولايات المتحدة يجب أن تتفاوضا وتعملا معاً على إزالة التوتر القائم فى الشرق الأقصى ، وخاصة فى تايوان « فرموزا » ، وبديهى أن هذا لا يؤثر بحال من الأحوال فى مطالب الشعب الصينى العادلة ، وهى استخدام ماله من حقوق السيادة فى تحرير تايوان « فرموزا » .

وأخيراً قال شواين لاى :

« إنى آمل أن تتكرر كثيراً الاتصالات بين الدول الآسيوية والأفريقية ، وأن تجرى الاتصالات الودية بين شعوب هذه الدول » .

واختتم كلمته بالإعراب عن أمانيه الطيبة لجميع أعضاء الوفود ، وسلامة العودة إلى أوطانهم .

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

وألقى الرئيس جمال عبد الناصر خطاباً فى هذه الجلسة الختامية ضمنه رأيه فى المؤتمر ، وشكره للدول الداعية إليه ، والدولة المضيفة ، هذا نصه :

« إن مؤتمرنا يقترب من نهايته بعد مداولات ودية مثمرة استغرقت ثمانية أيام ، وقد سبقت هذه الأيام الثمانية استعدادات واسعة النطاق ، وجهود بدأتها السكرتيرية المشتركة للمؤتمر ، فكانت عظيمة الفائدة حقاً .

ولا شك فى أن مؤتمرنا قد أحرز نجاحاً عظيما ، لأن السلم والتعاون الدولى سيفيدان فائدة عظيمة من التضامن والانسجام اللذين كشفت عنهما قراراته ، وأن قضية السلم تستمد إلهاما عظيما مما أبدته جميع الدول

الآسيوية والأفريقية من اهتمام بالغ ، وتأييد تام فيما يتصل بمسألة حقوق الإنسان ، وحق تقرير المصير .

ثم قال : إن كثيراً من الفضل فى نجاح المؤتمر يرجع للجهود الشخصية للسيد على ساستروجوجو رئيس المؤتمر ، وإلى خبرته ، وطول أناته ، كما أن روح أعضاء الوفود التى اتسمت بطول الأناة ، والرغبة فى التوفيق ساعدت فى جعل مداولاتنا تنهج نهجاً إنسانياً فى الأوقات التى بدا فيها ألا مندوحة من وقوع الخلاف !

واختتم الرئيس عبد الناصر كلمته بشكر الحكومة الأندونيسية على ما أظهرته من كرم الضيافة . وشكر الدول الداعية إلى المؤتمر لا تخاذها الخطوة الأولى فى سبيل عقده .

* * *

بهذه الطريقة السابقة كتبت «الأهرام» فى صفحتها الأولى تقريرها عن هذا « الماجرى الدبلوماسى » الخطير الذى تمخض عن القرارات العشرة لمؤتمر باندونج .

وقد اتبعت الصحيفة فى كتابة هذا التقرير على وجه التقريب نفس الطريقة المتبعة فى كتابة الخبر ، ومعنى ذلك أنها جعلت للتقرير عنواناً رئيسياً كبيراً هو :

مؤتمر باندونج يقرر ١٠

مبادىء لصون السلام العالمى

ثم أعقب ذلك بعنوانات هى :

* مناشدته العالم خفض القوات المسلحة

* وتحريم استخدام أسلحة الدمار الشامل

الرئيس عبد الناصر يشيد بنجاح المؤتمر فى جلسته الختامية

وعلى أثر ذلك أتت الصحيفة على القرارات العشرة التى هى ثمرة هذا المؤتمر .

ومن كل ما سبق تألف مايسمى « بصدر الخبر » أو المـاجرى ، ثم انتقلت « الأهرام » من ذلك إلى « الجسم » ، أو الصلب ، أو التفاصيل ، فرأيناها تجعل لـكل تفصيل منها عنواناً خاصاً ، حتى إذا وصلت إلى الجزء الخاص بالقرارات العشرة أولته عناية تامة ، وعادت تـكتب هذه القرارات « بالبنط » الأسود ، أو الظاهر ، وأعطت لـكل قرار منها رقماً مستقلا به .

ثم عنى التقرير بعد كل هذا بالخاتمة ، وقد اقترنت هذه الخاتمة بكلمات رؤساء الوفود . وقد اكتفى المحرر الصحفى بأربع كلمات منها كلمة رئيس الحكومة المصرية وبها انتهى التقرير .

* * *

على أن مؤتمر باندونج — بالرغم من سعة رقعته ، ونبل غايته — يعتبر نموذجاً صغيراً للماجريات الدولية ، وذلك إذا قيس بالاجتماعات الـكبيرة التى تعقدها هيئة الأمم المتحدة وتدعو إليها أكثر دول العالم كله ، بما فى ذلك دول الـكتلة الشرقية ، ودول الـكتلة الغربية ، ودول الـكتلة الآسيوية والأفريقية التى عقدت أول مؤتمر لها فى « باندونج » .

ولعل من أوضح الأمثلة على جلسات هيئة الأمم منذ نشأتها إلى اليوم تلك الجلسات العاصفة التى عقدتها الهيئة بسبب « أزمة قناة السويس » ، وذلك منذ شهر أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

على أن هيئة الأمم المتحدة لم تشهد أخطر ولا أعنف من الجلسات التى عقدتها فى أوائل نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، وذلك على أثر العدوان الثلاثى المسلح على مصر ، وهو العدوان الذى دبرته كل من انجلترا وفرنسا وإسرائيل فى التاسع والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٥٦ .

غير أن هذه الجلسات العنيفة الخطيرة التى نشير إليها قامت بتسجيلها — على شكل « ماجريات دولية » — إذاعة الحكومة المصرية بما لم يدع للصحف الوطنية أية فرصة لمنافستها فى ذلك .

والذى لاشك فيه أن الإذاعة المصرية كانت تفرض شخصيتها على هذه الماجريات الدولية ، بل كانت تتدخل فى طريقة عرض الماجريات بما يتفق ووجهة النظر المصرية البحتة ، وكان من حقها أن تفعل ذلك وأكثر منه وراء غاية هامة ، هى تعبئة الشعور القومى الذى كان من أكبر واجبات الصحافة والإذاعة فى مصر والشرق فى مثل ذلك الظرف .

الفصل الرابع عشر

تحرير الصورة والإعلان

انتهينا من الحديث عن التحرير بفنونه المختلفة : من خبر ، إلى مقال ، إلى تقرير ، وبقيت كلمة أخيرة عن تحرير الصورة ، وأخرى عن تحرير الإعلان ، ومحرر الأولى يعرف فى الأسرة الصحفية « بمحرر الصورة » ، والمحرر الثانى يعرف « بمحرر الإعلان » .

أهمية الصورة

من المعروف أن المعلومات التى تصل إلينا عن طريق الصور والرسوم ربما كانت أوضح من المعلومات التى تصل إلينا عن طريق الكلمات المكتوبة ، لأن هذه الأخيرة تتميز بطبيعتها الرمزية .

بل إن المعانى التى تعطيها الصور والرسوم قد تكون أقل قابلية للخطأ وسوء الفهم من المعانى التى تعطيها الكلمات المكتوبة ، ثم إن الجاذبية التى نشعر بها نحو الصور والرسوم تضمن إطالة التذكر للشىء الذى تعبر عنه هذه المواد .

ونحن نعرف أن الحياة نفسها مليئة بالخبرات العاطفية التى لا تستطيع الكلمات وحدها أن تصف واحدة منها ، وذلك كما فى حالة الجندى فى أثناء تعرضه لنيران الأعداء فى إحدى المعارك الحربية ، وكما فى حالة إنسان سبق أفراده فى تسلق جبل شاهق ، وكما فى حالة إنسان فقد بصره أو سمعه ونحو ذلك . إن الخبرة السابقة الخصبة والمقدرة اللغوية البالغة هما شرطان لفهم المشاعر الدقيقة والمعانى الكثيرة التى تنطبق عليها الإجراءات العاطفية المعقدة .

وكثيراً ما نمزج الصور بالألفاظ كما فى الصحف المصورة ونحوها ، وكذلك تحتاج الصور الصحفية إلى قدرة فى كتابة الألفاظ المعبرة عنها، وهو ما يسمى بتحرير الصورة .

ومع هذا وذاك فإن هناك أنواعا من الصور الممتازة بوضوحها ،قادرة على التعبير عن نفسها بنفسها بحيث لاتحتاج فى الحقيقة إلى توضيح ما، والمثال على هذه الأنواع يوجد فى مجموعة الصور المعروفة باسم « أسرة الإنسان » وهى تمثل كل أنواع الجنس البشرى فى أجزاء كثيرة من العالم ، وتعبر بالرسم عن « الأخوة البشرية » دون حاجة إلى توضيحات لفظية ، إلا أن أمثال هذه الصورة القوية الدلالة الشديدة الوضوح نادرة ، ومعنى ذلك أن حاجة الصورة إلى التحرير أو إلى الألفاظ التى تساعد على فهمها لتبقى حية لا غنى عنها إلى الأبد .

إن الصور بمدلولها الواسع تعتبر بلا ريب لغة عالمية ، شأنها فى ذلك شأن الموسيقى ، ولذا أثر عن الفيلسوف « كونفشيوس » أنه قال : إن صورة واحدة تعدل ألف كلمة .

ولايخفى علينا ما للصورة من قدرة على محو « الأمية البصرية » إذا صح هذا التعبير ، فإن كثيراً من الناس يعرفون من خلال الصور شيئاً غير قليل من عادات الشعوب البعيدة ، وماله دراية بالحياة التى تتبعها ونحو ذلك .

وتعتبر الصورة فى الصحيفة من أهم وسائل الإعلام والإيضاح فى وقت ما ، بل إنها تعتبر كذلك من أكبر أدوات الإثارة والتوجيه والإرشاد وذلك كله فضلا عن الإعلان .

وتتنوع الصور الصحفية تنوعاً كبيراً : فهناك صور الشخصيات وصور الأماكن ، وصور التجارب ، وصور المواقف الإنسانية ، وصور الألعاب الرياضية ، وهكذا تستعمل الصور فى الصحف على أوسع نطاق ممكن حتى ليخيل إلى الصحفى أنه بحاجة إلى أن يضع الصورة بجوار كل فقرة جديدة

أو كل خبر صغير أو كبير ، أو كل شخصية يأتى ذكرها فى كلامه ، أو كل فكرة أو حقيقة ولو لم تكن فى حاجة إلى التوضيح وهكذا ، والسبب فى ذلك أن الصورة تضفى على العبارات حيوية ومعنى وإحساسا وعاطفة ونحو ذلك .

على أن الصورة التى تعنى بها الصحف عادة هى التى تعبر عن حركة أو موقف أو موضوع ، ولذلك تستخدم الصورة عادة فى الأحوال التى يحتاج الإيضاح فيها إلى عامل الحركة أو عامل الإيضاح ، بل يمكن استخدام مجموعة من الصور لبيان حركة معينة أو عدة حركات ونحو ذلك .

يقول اللورد نور ثكليف :

« ربما كان التحرير المصاحب للصورة من أشق الأعمال الفنية فى الصحيفة » ، وهو كذلك فى الحقيقة ، فلا يقف التعليق على الصورة عند وصف ما فيها من الأشخاص ، أو المعالم أو المناسبات ، ولكن يجب أن يضيف المحرر إلى هذا الوصف شيئاً آخر ،فيضيف إلى اسم صاحب الصورة مثلا أنه عالم من العلماء المعدودين فى نوع خاص من العلوم ، أو أنه لاعب كرة ممتاز بمهارته فى الأوساط الرياضية ونحو ذلك .

كذلك يجب على محرر الصورة أن يلفت نظر القارىء إلى مركز الأهمية فى الصورة بطريقة لا شعورية ؛ بحيث يشعر القارىء أنه إنما ينظر من تلقاء نفسه إلى تلك النقط الهامة فى الصورة التى أمامه .

ثم إن أسلوب تحرير الصورة يحتاج كذلك إلى توفر عوامل الجذب والتشويق ، وإلى حسن اختيار اللفظ المناسب ، المشتمل على أكبر قدر ممكن من التعبير ، وكثيراً ما يوفق محرر الصورة إلى أن يكتب تحتها حكمة من الحكم البالغة ، أو مثلا من الأمثال السائرة ، أو عبارة من العبارات الكثيرة الورود على لسان صاحب الصورة المنشورة فى الصحف ، أو جملة من الجمل تدل على إحدى لوازمه وهكذا .

ولا يتسنى لمحرر الصورة ذلك إلا إذا كان على حظ ما من الثقافة والاطلاع فى السياسة ، وفى الأدب ، وفى التاريخ والاجتماع ، والوقوف التام على طبقات المجتمع وما تمتاز به كل طبقة من حيث الزى ، أو التقاليد ، أو الأخلاق ، أو العادات .

إن محرر الصورة — سواء أكانت شمسية أم كاريكاتورية — يجب أن يكون ممتازاً بصفات لا تقل فى مجموعها عن الصفات التى يتحلى بها محرر التحقيق الصحفى ، وبذلك يستطيع أن يقوم بهذا العمل الفنى الذى تعرف له الصحافة مكانته وخطورته ، وتقدر له دقته ، وصعوبته ، وتختار له من المحررين من يتوافر فيه الشعور الكامل بكل هذه الأشياء .

والصور (Guts) عنصر هام فى الصحيفة الحديثة ، وهى تشمل الصور الفوتوغرافية ، والرسوم البيانية ، والخرائط ، والكاريكاتير ، وما إليها . وإذا كانت بعض الصور تنشر التجميل ، أو لأنها تمثل شخصيات تدور حولها المادة الصحفية ، فإن بعض الصور كذلك تستطيع أن تحل محل الكلمات فتنقل إلينا خبراً أو رأياً .

والصورة التى تنقل الخبر هى الصورة الفوتوغرافية التى التقطت لإحدى لحظات الحدث المعبرة . أما الصورة التى تنقل الرأى فهى الكاريكاتير الذى ينقد فى سخرية شخصاً أو فكرة .

ولعل أول صورة صحفية فى تاريخ الصحافة المصرية هى الصورة التى نشرتها « الأهرام » فى الرابع من شهر مارس سنة ١٨٨١ — وهى صورة فرديناند دليسبس ومعه طفلة ، ثم كانت « الجريدة » أول صحيفة تستخدم صوراً فوتوغرافية للأشخاص والأماكن مع الأخبار والحوادث الهامة ، وكان ذلك ابتداء من الثامن والعشرين من شهر يونيه سنة ١٩٠٨ .

ولما كان الإعلام أهم وظائف الصحف فى العصر الحديث ، فقد

أصبحت الصورة الخبرية تتمتع بمكانة ملحوظة بين مواد الصحيفة ، وزاد من اهتمام الصحف بنشر الصور الخبرية نجاحها فى وسائل الإعلام الأخرى التى تعتمد عليها ، وهى : المجلة والسينما ، والتليفزيون .

ولا مبالغة فى القول بأن الصورة قد تكون أفضل من ألف كلمة ، فإن آلة التصوير الحديثة تستطيع أن تسجل من اللقطات البارعة ، والمشاهد المعبرة ما يعجز الكلام عن وصفه مهما بلغ من الفصاحة والبيان .

فلا غرو بعد هذا أن أصبح المصور الصحفى الحديث محرراً ومصوراً يتخير اللقطات التى تنقل إلى القارىء خبراً ، أو تيسر لذهنه استحضار مشهد معين ، وكذلك أصبح المراسل الحديث يجيد التصوير حتى لا يفوته استخدام عدسته كما يستخدم قلمه .

والصورة الخبرية قد تكون مستقلة تروى بدقائقها وبما يصحبها من عبارات قليلة موضوعاً كاملا ، كما أنها قد تصحب خبراً فتوضحه وتلقى الضوء على تفاصيله .

والكلام الذى يصحب الصورة « Caption » يراعى فى عبارته دائماً أن تكون موجزة بقدر الإمكان ، فالأصل هنا ، هو الصورة ، والكلام لمجرد التوضيح المختصر .

وقد أصبح من وظائف وكالات الأنباء فى العصر الحاضر نقل الصور الخبرية — فضلا عن نقل الأخبار — إلى مشتركيها ، بل إن الصورة الخبرية أصبحت لأهميتها تنقل بالراديو حتى تحقق الغرض منها فى سرعة الوصول إلى القارىء كالكلمة سواء بسواء .

وتعتمد وظيفة التسويق بدورها على الصورة اعتماداً كبيرا . ومما لا شك فيه أن الإعلان التجارى الحديث أصبح يعتمد على الصورة أكثر من الكلام لترويج ما يدعو إليه سواء أكانت صورة فوتوغرافية ، أم رسميا يدويا ، أم كاريكاتيرا .

وسأكتفى هنا بأن أضرب الأمثـلة على تحرير « الصورة » بما نشر فى صحيفة « السياسة الأسبوعية » التى كان يشترك فى تحريرها الشيخ عبد العزيز البشرى ، وقد مر ذكره فى فصل عنوانه : « المقال الكاريكاتورى » :

الصورة الخاصة « بزيور باشا » كتب العبارة التى أثرت عن هذا الوزير ، وكانت مثاراً لسخرية المصريين فى زمانه ، وهى قوله : « لإنقاذ ما يمكن إنقاذه » :

وتحت الصورة التى رسمت لعدلى يكن « باشا » كتب المحرر هذا البيت من الشعر :

لا مُتَمَنٍّ بكل شىء ولا كل عجيب فى عينه بعجيب !

وتحت الصورة التى رسمت لعبد الخالق ثروت « باشا » ، وكان يعرف لشدة كتمانه باسم « أبى الهول » كتب المحرر :

لى فى ضمير الدهر سر كامن لا بد أن تستله الأقدار !

وفى الصورة التى رسمت للدكتور محجوب ثابت ، وكان معروفاً بتعدد شخصياته ، كتب المحرر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد !

وتحت الصورة التى رسمت لإسماعيل سرى « باشا » كتب المحرر هـذه العبارة :

لا أبالى إزاء نفع الأقارب والأصهار أجف النيل أم ذرت الأثمار !

وتحت الصورة التى رسمت لعبد الحميد سعيد « بك » ، من أعضاء الحزب الوطنى ، كتب المحرر هذا البيت من الشعر :

من أطاق التماس شىء غلاباً واغتصاباً لم يلتمسه سؤالا

وتحت الصورة المرسومة لطلعت حرب ، منشىء بنك مصر ، كتب المحرر هذه العبارة لقاسم أمين :

« الوطنية الصحيحة تعمل كثيراً ، ولا تعلن عن نفسها »

وتحت الصورة المرسومة لإسماعيل صدقى « باشا » كتب المحرر هـذه العبارة :

(من ذخائر الأمم !!)

وتحت الصورة المرسومة لمحمد محمود « باشا » ، وكان معروفاً بالشمم والتكبر ، كتب المحرر :

وإنى لمن قوم كان نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظما !

أما الصورة التى رسمت للشيخ أبى الفضل الجيزاوى ، شيخ الجامع الأزهر ، فكتبت تحتها العبارة الآتية :

الحمد لله لم يبق إلا مائة ألف جنيه و ٥٠٠ سهم بنك عقارى قديم حتى أنقطع لعبادة الله ، والزهد فى الدنيا !

* * *

قد لا يدرك شباب الجيل الحاضر ما لهذه العبارات التى استعان بها المحرر فى تحرير الصورة الكاريكاتورية السابقة من قوة الدلالة ، لأنهم لم يعاصروا شخصياتها ، ولكن الواقع أن كل عبارة كتبها محرر الصورة جاءت ملخصة أحسن التلخيص للأوصاف التى لصاحب الصورة ، دالة أقوى الدلالة على مغزاها ومرماها والقصد من نشرها ، أو نشر المقال الذى كتب من أجلها ، وهل يستطيع ذلك إلا كاتب ماهر ألم بموضوع الصورة إلماما جيداً ، وعرف ما حولها من الظروف والملابسات معرفة جيدة ؟

وقل مثل ذلك فى الصور التى تشتمل على المناظر ، أو الحوادث ، أو ما يتصل بالأخبار ، أو التقارير الصحفية على اختلاف أشكالها ، فإن المحرر فى كل حالة من هـذه الحالات محتاج إلى دقة بالغة ، ومهـارة ظاهرة فى تحرير الصورة التى يجعلها مصاحبة للخبر ، أو التقرير الصحفى الذى ينشره بالصحيفة .

من أجل ذلك ينبغى أن يتعاون المخبر ، أو محرر التقرير ، أو المقال مع محرر الصورة ؛ وبدون هذا التعاون لا يتم تحرير الصورة التى تعتبر جزءاً متمماً للتقرير أو الخبر أو المقالة ، وكثيراً ما يكون محرر الصورة هو كاتب الخبر أو التقرير أو المقالة ، وفى ذلك ما يدل دلالة صريحة على مدى التعاون الذى لا بد من وجوده بين هذين المحررين .

تحرير الإعلان :

أما الإعلان — سواء أ كان فى مجلة أم فى صحيفة — فإنه يحتاج إلى استيفاء الخطط الأربع الآتية ، وهى :

أولا — خطة تهدف إلى تشويق القارىء ، وجذب انتباهه للشىء المعلن عنه فى الصحيفة .

ثانياً — خطة تهدف إلى مخاطبة وجدان القارىء ، حتى يشعر بالحاجة الماسة إلى الحصول على هذا الشىء المعلن عنه ، وإلى أنه سيسد حاجة قوية من حاجاته .

ثالثاً — خطة تهدف إلى حسن العرض ، وفيها يبذل المحرر أقصى الجهد حتى ينجح فى لفت نظر القارىء .

رابعاً — خطة تهدف إلى حسن تحرير الإعلان أو العناية بالعبارة التى تستخدم فى تحريره .

وقد رتب الأستاذ « هوتشكس Hotchkiss » فى كتابه : « تحرير الإعلان » Advertising Copy تلك الخطط الأربع على النحو المتقدم ، ثم زاد على ذلك أنه وضع نسبة مئوية لكل منها ، على النحو الآتى :

٥٠٪ لخطة التشويق .
٢٥٪ لمخاطبة وجدان القارىء
٢٥٪ لطريقة العرض .
١٠٪ للتحرير .

ثم قال الأستاذ : ومع ذلك فهى العشرة الأخيرة فى المائة ، فإذا فشلت هذه الأخيرة فى مهمتها فشل معها كل ترتيب سابق(١) .

فانظر إلى قوله :

« ومع هذا وذاك فهذه العشرة فى المائة للتحرير هى العشرة الأخيرة » !! فإنها تدل دلالة كبيرة على عظم الأهمية التى للتحرير من بين عناصر الإعلان ، على الرغم من صغر النسبة المئوية التى له بالقياس إلى النسب الأخرى .

ومهما يكن من شىء فإن على محرر « الإعلان » أن يسأل نفسه عند الكتابة هذه الأسئلة التالية :

ما هى الفكرة الأساسية للإعلان ؟

وما الصلة بين الإعلان ونفس القارىء ؟

وأى أسلوب يجدر به اتباعه فى تحرير الإعلان الذى أمامه ؟

ولا شك أن الإجابة عن جميع هذه الأسئلة تحدد الأسلوب الذى يتبع فى التحرير .

أسلوب تحرير الإعلان :

إن هـــذا الأسلوب المتبع فى تحرير الإعلان إما أن يكون منطقى الصورة ، وإما أن يكون عاطفى الصورة ، وإما أن يجمع بين الأمرين .

ففى الأسلوب المنطقى الصورة يذكر المحرر الإعلانى مميزات السلعة ، معتمداً فى ذلك على الحقـــائق التى لا تقبل الجدل ، متخففاً ما أمكن من المصطلحات العلمية التى تدق على ذهن القارىء العادى .

وفى الأسلوب العاطفى الصورة يخاطب المحرر الإعلانى نفوس القراء ،

---

(1) Advertising copy by: Hotchkiss P. 6

ويثير أخيلتهم جهد المستطاع ، ويدعوهم إلى ما يسمى « التسامى الحضارى » ، ومعناه : تمشى الإنسان مع المخترعات الحديثة ، وعدم التخلف عنها ، وبذل أقصى الجهود فى الإفادة منها مهما كلفه ذلك من مال فى شراء هذه الأشياء .

وليعلم المحرر الإعلانى هذه الحقيقة ، وهى أن الإنسان مسوق بالعاطفة أكثر منه مسوقاً بالعقل أو المنطق ، وهو لهذا يستجيب للإعلان العاطفى ، ولكنه فى نفس الوقت يشعر بالحاجة القوية إلى بعض المبررات العقلية التى تجعله يعتقد أن استجابته العاطفية تستند إلى الحق دائماً ، وفى سبيل هذه الغاية يسلك « المحرر الإعلانى » طرقاً شتى لنجاح إعلانه ، منها :

أولا — طريقة القصة :

وذلك بأن يخترع المحرر قصة صغيرة حول الشىء المعلن عنه ، وكثيراً ما يتوخى المحرر الإعلانى أن تكون هذه القصة الإعلانية فى ذيل قصة من القصص الأدبية أو الصحفية التى تنشرها المجلة أو الصحيفة بقصد إمتاع القراء ، وكثيراً ما يتوخى المحرر إيجاد الصلة بين هذه القصة الأدبية ، والقصة الإعلانية .

ثانياً — طريقة الوصف :

والقاعدة المتبعة فى ذلك إلى اليوم هى قولهم ، « تجنب أن تقول بالألفاظ ما يمكن أن تقوله بالصور » ، على أن الصور فى ذاتها قد لا تؤثر فى أكثر من حاسة واحدة فقط من حواس القارىء ، هى حاسة النظر . وفى هذه الحالة يجب على المحرر الإعلانى أن يقوم بإتمام التأثير فى بقية الحواس ، كحاسة الشم ، وحاسة الذوق ، وحاسة اللمس ، وحاسة السمع . ولا يتأتى كل ذلك إلا عن طريق اللفظ الذى يتوخى فيه المحرر الإعلانى الدقة البالغة ، حتى يعبر عن جميع الإحساسات التى تعجز الصورة عن التعبير عنها .

وبهذه الطريقة يتعاون التحرير والصورة على أداء مهمة التأثير فى القارىء .

مثال ذلك : صورة نوع خاص من الصابون ، كالنوع المعروف باسم « بالموليف » ، فإن الصورة هنا لا تكفى لأن تعطى للقارىء فكرة عن رائحتـــه الجميلة ، ولا عن تأثيره فى البشرة ، وإذ ذاك يجب على المحرر الإعلانى أن يجعل تحريره مكملا للصورة التى يعلن بها عن هذا النوع من أنواع الصابون .

ثالثاً — طريقة الكلمات التى تشبه الحكمة أو المثل :

« القرش الصغير يصنع القرش الكبير ، وذلك فى مجال الدعوة إلى الإقبال على صناديق التوفير .

رابعاً — طريقة العمود الصحفى :

كثيراً ما يكون العمود الصحفى وسيلة ناجحة من وسائل الإعلان ، إذ يحدث أن تخصص بعض الصحف أعمدة ، أو صفحات كاملة ، تكتب فيها عن بعض الموضوعات التى تهم الجمهور ، كموضوع « المنزل الحديث » ، وموضوع « المسرح الحديث » ، وموضوع « الراديو » أو « التليفزيون » ، وهنا ينتهز المعلنون هذه الفرص فيحيطون هذه الأعمدة أو الصفحات بإعلانات عن سلع أو أشياء تتصل بهذه الموضوعات المتقدمة : فحول « المنزل الحديث » يعلنون عن الثلاجات ، والأدوات الكهربائية اللازمة لراحة السيدة ربة المنزل ، وحول موضوع « الراديو » أو « التليفزيون » يعلنون عن الأجهزة المختلفة لهذين الجهازين ، وهكذا ، وكثيراً ما يتم الاتفاق بين الصحيفة والمعلنين على هذه الطريقة ، والسبب فى ذلك أن الصحف — بالقياس إلى الإعلان — لا تبيع مساحة بيضاء فى الواقع ، وإنما تبيع إلى جانب ذلك جواً نفسياً ، وإطاراً فكرياً فيهما يعيش الإعلان الناجح ، وبطريقهما يتفنن المحررون فى انتهاز الفرص لنشر الإعلان .

ومهما يكن من شىء فأهم ما فى التحرير الإعلانى من حيث هو أمران :

أولهما — اختيار الألفاظ .

وثانيهما — القوالب الفنية .

وقد تحدثنا عن هذا الأخير بغاية الإيجاز .

أما الألفاظ التي يستخدمها المحرر في الإعلان فإنها تحتاج ، كما قلنا ، إلى اختيار دقيق من جانب المحرر ، وهو اختيار يبنى دائما على ذكائه ، وعلى معرفة تامة بدلالات الألفاظ ، وما لها من قوة الإيحاء .

والقاعدة في ذلك هي « أن الألفاظ الشائعة الاستعمال هي الأولى بالاستعمال » ، ومن ثم كان محظوراً على محرر الإعلان أن يلجأ إلى معاجم اللغة ، أو يستشير كبار اللغويين في لفظ من الألفاظ ، أو أسلوب من الأساليب ، أو طريقة من طرق الأداء التي أشرنا إلى بعضها .

والخلاصة — أن تحرير الإعلان يمر غالباً في خطوات أربع :

الأولى — كتابة العنوان الأول ، أو العنوان الكبير ، والقصد منه عادة هو جذب انتباه القارىء .

الثانية — كتابة العنوان الثاني ، أو العنوان الصغير ، والقصد منه هو إثارة اهتمامه .

الثالثة — شرح الإدعاءات التي يدعيها المنافسون للسلعة المعلن عنها ، والرد على هذه الادعاءات ؛ والقصد من هذه الخطوة هو إقناع القارىء .

الرابعة — الخاتمة ، وكثيراً ما تكون في جملة واحدة من الجمل القوية المؤثرة ، والقصد منها هو حمل القارىء على الإقدام على شراء السلعة ، وهو مرتاح الضمير ، كبير الثقة بالفائدة .

تلك هي الخطوات الأربع التي يمر فيها محرر الإعلان غالباً ، ولكن ليس من الضروري مطلقاً أن يمر تحرير الإعلان بجميع هذه الخطوات في إعلانه عن كل سلعة من السلع ، فقد يكتفي التحرير أحياناً بأقل من نصفها ، إذ المدار في كل ذلك على المرحلة الإعلانية التي يمر بها ، ونحن نعلم أن الإعلان يمر بمرحلة الارتياد أولا ، فمرحلة المنافسة ثانياً ، فمرحلة المحافظة

على السمعة فى نهاية الأمر ، ولكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث خطة للتحرير خاصة بها .

ومهما يكن من شىء ، فللرسالة الإعلانية فى ذاتها جانب نفسى ، وآخر فنى ، وفى الأخير تهتم بالألوان والظلال ، وبما تحمل هذه الأشياء من المعانى إلى القارىء ، وفى الأول تهتم الصحيفة بأمور أخرى ، من أهمها : التحرير ، وهنا ننصح لكتاب الرسائل الإعلانية بدراسة جزء من علم البلاغة ، ولا نعنى بهذا الجزء « المحسنات اللفظية » ، وإنما نعنى به « المحسنات المعنوية » ، وهى كثيرة جداً فى هذا العلم أو الفن ، ومنها على سبيل المثال فى البلاغة العربية : « قالب المدح بما يشبه الذم ، وقالب الحض بما يشبه التحذير » .

ومن الأمثلة على هذا الأخير عبارة كتبت يوماً فى عربات السكك الحديدية بمدينة لندن إعلاناً عن السجاير المصرية ، هذا نصها :

« الدخان ممنوع ، ولو كانت سجاير البستانى » .

مر صديق لى بحى من أحياء القاهرة ؛ هو حى مصر القديمة ، فوجد عبارة مكتوبة على باب فوال — أعنى بائع الفول المدمس — هذا نصها :

« إذا خلص الفول أنا غير مسئول »

فعجبت لهذه العبارة الإعلانية البديعة Slogan ، ودهشت لهذا القدر من التوفيق فى كتابة هذه العبارة ، ولصدورها من رجل أمى هدته سليقته الإعلانية إلى اختيارها بحيث تؤثر فى الجمهور تأثيراً ليس إلى إنكاره من سبيل .

وقديماً كانت الأزجال والأشعار والمواليا تقوم بمهمة الإعلان عن السلع خير قيام ، والأدب الغربى حافل بأمثلة شتى من هذا القبيل ، وحسبنا هنا أن نشير إلى بائع « الخمر » — بضم الخاء — جمع خمار ، وهو ماتستر به المرأة رأسها ورقبتها وصدرها ، فقد قيل إن تاجراً من تجار هذه الخمر

بالعراق أوشك على الإفلاس يوماً ما ، فلجأ إلى شاعر من الشعراء صنع له أبياتاً ينادى بها على هذه السلعة ، أولها :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ماذا صنعت بزاهد متعبد .. الخ

وهى أبيات مشهورة تصور هذا الزاهد العابد ، وقد خرج من محرابه وترك صلاته منذ اللحظة التى وقع فيها بصره على تلك المرأة المليحة التى وضعت على رأسها هذا الخمار الأسود !

وبهذه الأشعار راجت بضاعة التاجر العراقى ، وأثرى ثراء عظيما .

والأمثلة على هذه الأضرب البلاغية فى الإعلان كثيرة جداً يعرفها المعلنون بالسليقة .

مصادر الكتاب الرابع

1 — Jonrnalism in the United States.
by : Robert. W. Jones.
Newyork. E. P. Dutton & compony, 1947.

2 — The News in America.
by : Frank Luther Mott.
Harverd University Press.

3 — The Press & The World.
by : Rodert W. Desmond.

4 — The Complete Journalism.
by : F. L. Mansfield.

5 — Pictorial Journalism.
by : I. R. Hunt.

6 — Newspaper Writing & Editing.
by : Willard Bleyer.

7 — How to Write Reports.
by : Calvin D. Linton, 1555.

8 — The Wayward Pressman.
by . A. I. Liebling. 1948.

9 — Patterns of Publicity Company.
by : Stewart Hurial.

10 — Newsmen at Work.
by : Laurence Campbell F Robert Wolseley.

11 — Keys to Ruccessful Interviewing.
University of Oklahoma Press 1954.

12 — News paper Advertising & Promotion.
by : Maclure.

13 — Advertising copy Writing.
by : Burton.

14 — Writing and Selling Feature Articles.
by : H. Pattersn.

15 — Modern Feature Writing.
by : Reddick.

16 — How to Write advertising that sells.
by : Bedell.

17 — How to Wirte for Homemakers .
by : Richardson.

18 — Writing the Featnre Article .
by : Steigleman.

19 — Advertisng Copy
by : Hotchkiss .

٢٠ ـ الإعلان فى الصحافة ، للدكتور على زفاعة الأنصارى « رسالة لم تطبع بعد » .

٢١ — فى المرآة ، للشيخ عبد العزيز البشرى .

٢٢ — محاضرات الدكتور محمود عزمى « لم تطبع بعد » .

٢٣ ـ الصحف المصرية المعاصرة على اختلافها .

الخاتمة
مستقبل التحرير الصحفي

مستقبل التحرير الصحفى فى مصر

إذا أردنا ان نتكلم عن مستقبل فن من الفنون ، أو علم من العلوم فلا غنى لنا عن معرفة شىء عن ماضى هذا الفن أو العلم ، ثم شىء عن حاضر هذا الفن أو العلم ، وعلى أساس من الماضى والحاضر نستطيع أن نتكهن — إلى حد ما — بالمستقبل .

* * *

ونظرة عاجلة إلى صحافتنا المصرية منذ نشأتها إلى اليوم ترينا أن هذه الصحافة مرت بخمس مراحل ، ولا بأس من أن نقف لحظة واحــــدة عند كل مرحلة منها على حدة . .

المرحلة الأولى :

وهى المرحلة التى بدأت بولاية « محمد على » على مصر ، واستمرت إلى قرب ولاية إسماعيل ، ولقد ظهر من كبار الصحفيين فى تلك الفترة : رفاعة الطهطاوى فى صحيفة « الوقائع المصرية » ، ومجلة « روضة المدارس » ، وعبد الله أبو السعود فى صحيفة « وادى النيل » ، ومحمد أنسى فى صحيفة « روضة الأخبار » ، وعثمان جلال فى صحيفة « نزهة الأفكار » ، وميخائيل عبد السيد فى صحيفة « الوطن » ، وسليم وبشارة تقلا فى صحيفة « الأهرام » .

ولقد اعتدنا فى دراستنا لهؤلاء أن نطلق عليهم اسم « المدرسة الصحفية الأولى » .

ووجدنا لهذه المدرسة أسلوباً فى التحرير يوصف فى مجموعه بالهبوط عن كل من المستوى الأدبى ، والمستوى الصحفى فى وقت واحد معاً ، والسبب فى ذلك أن المدرسة الأولى فى مصر إنما ورثت عن الأجيال الأدبية السابقة

لها أسلوباً مهلهل النسيج ، ضعيف البناء ، يعتمد على الزينة اللفظية ، والزينة المعنوية ، ولكن كما تعتمد السيدة الجاهلة بأمور التجميل على كثرة المساحيق ، وعلى استخدامها بطريقة تدل على السذاجة ، والبعد عن الحضارة وعدم الفهم الصحيح للغرض الأساسي من الزينة ، واستمر الحال على ذلك حتى جاءت المرحلة الثانية :

المرحلة الثانية :

وهي المرحلة التي شبت فيها الصحافة المصرية عن الطوق ، بعد إذ كانت في المرحلة الأولى تمثل دور الطفولة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى .

وفي هذه المرحلة الثانية ظهر من نوابغ الصحفيين المصريين والسوريين من تمثل فيهم شباب الصحافة المصرية من حيث التحرير ، ومن أولئك الصحفيين الممتازين :

أديب إسحق في صحف : « مصر » ، و « التجارة » ، و « مصر القاهرة » ، وسليم النقاش في صحيفتي « المحروسة » ، و « العصر الجديد » ، وحسن الشمسي في صحيفة « المفيد » ، ومحمد عبده في صحيفتي « الأهرام » ، والوقائع المصرية » ، ومجلة « العروة الوثقى » وعبد الله النديم في صحف : « التنكيت والتبكيت » ، و « الطائف » ، و « الأستاذ » ، وابراهيم المويلحي في صحف كثيرة أصدرها بنفسه من أهمها صحيفة « مصباح الشرق » .

أما فن التحرير عند هذه المدرسة الثانية فقد جنح جنوحاً واضحاً إلى الأسلوب الأدبي الخالص ، وهو أسلوب يمتاز عن سابقه بالجودة ، وحسن استخدام الزينة اللفظية ، والزينة المعنوية إلى حد يدل في مجموعه على مهارة الكاتب .

ولقد بلغ هذا الأسلوب أوجه عند رجلين بنوع خاص ، هما : أديب إسحق ، وإبراهيم المويلحي .

واستمر الحال على ذلك حتى دخلت الصحافة المصرية فى المرحلة الثالثة:

المرحلة الثالثة :

وفيها ظهرت الصحافة اليومية ، وحلت محل الصحافة الدورية ، وفيها وقعت حوادث الثورة العرابية والاحتلال البريطانى .

وقد اعتمد الاحتلال يومئذ على صحيفة مصرية ، هى صحيفة « المقطم » التى صدرت عام ١٨٨٨ ، فعز على الوطنيين أن يكون للاحتلال الإنجليزى صحيفة ، وألا تكون لهم صحيفة ، فاجتمع رأيهم على إنشاء صحيفة « المؤيد » لصاحبها السيد على يوسف عام ١٨٨٩ ، ثم تلتها صحف وطنية أخرى ، منها : صحيفة « اللواء » لصاحبها مصطفى كامل عام ١٩٠٠ ، و « الجريدة » لمحررها أحمد لطفى السيد عام ١٩٠٧ .

وهناك ظاهرة تستحق التسجيل فى هذه المرحلة من مراحل الصحافة المصرية ، هى أنه فى دور هذه الصحف التى أشرنا إليها نشأت الأحزاب المصرية التى سمعنا عنها ، ففى دار « الجريدة » نشأ حزب الأمة ، وفى دار « المؤيد » نشأ حزب الإصلاح على المبادىء الدستورية ، وفى دار «اللواء» نشأ الحزب الوطنى .

والمهم أن الصحافة فى المرحلة الثالثة استطاعت أن تفصل فصلا يوشك أن يكون تاماً بين فنونها المختلفة التى هى : فن الخبر ، وفن المقال بأنواعه الثلاثة : الأدبى ، والعلمى ، والصحفى ، فبعد أن كانت هذه الفنون تكتب كلها بلغة واحدة وصياغة فنية واحدة ، أدرك الصحفيون فى تلك الفترة أن الفرق عظيم بين المادة الصحفية الخالصة ، والمادة الأدبية أو العلمية الخالصة وبعبارة أخرى : استطاع الصحفيون أن يميزوا تمييزاً واضحاً بين الأسلوب الأدبى ، والأسلوب الصحفى ، ولا شك أن السيد على يوسف هو رائد الجميع فى كل ذلك ، ثم جاءت المرحلة الرابعة :

المرحلة الرابعة :

وهى المرحلة التى بدأت حوالى عام ١٩٢٢ ، وانتهت حوالى عام ١٩٤٢ ، وهنا نلاحظ شيئاً هاماً فى تاريخ الصحافة المصرية ، هو اهتمام هذه الصحافة اهتماماً بالغاً بالأدب ، حتى ليصح لنا أن نطلق على هذه المرحلة الرابعة اسم « مرحلة الأدب » ، وفيها أنجبت مصر — فى الواقع — خير أدبائها ، وكتابها ، وقصاصيها ، وقد أشرنا إلى ذلك فى الفصل الأول من كتاب « فن المقال » .

ويحسبنا أن نصف هذه المرحلة بأنها « مرحلة الأدب » — كما قلنا — لتصور الحد الذى بلغته الكتابة فى تلك الفترة ، وقد ضربنا الأمثلة على فنونها المختلفة فى الفصول الثلاثة التى تلت الفصل الأول من كتاب « فن المقال » ، وأخيراً تأتى المرحلة الخامسة :

المرحلة الخامسة :

وهى المرحلة التى نعيش فيها الآن ، وفيها نرى تحولا جديداً فى الصحافة المصرية تدل عليه ظواهر شتى ، من أهمها قلة العناية بالأدب ، حتى لكأن النهضة الأدبية نفسها قد انتكست فى هذه المرحلة ، وأصابها شىء من المرض أو الكسل .

ومنها — أى من تلك الظواهر — أن الصحافة فى هذه المرحلة الأخيرة أصبحت صحافة خبر فى أكثرها ، ولم تعد صحافة مقال كما كانت الحال قبل ذلك .

وأكبر الظن أن السبب الرئيسى فى هذه النكسة الأدبية التى تعانيها مصر ، ويعانيها العالم أجمع ، فى وقتنا هذا ، يرجع إلى انقسام العالم المتحضر إلى معسكرين كبيرين ، هما : المعسكر الشرقى ، والمعسكر الغربى ، وحرص كل منهما على تتبع الأخبار ، وصياغتها بطريقة خاصة ، من شأنها أن تحدث

التأثير الذى يطلبه كل معسكر منهما على حـــدة ، ومن شأنها أن تجعل « الحرب الباردة مستمرة وباقية » .

كما يرجع السبب فى قلة العناية بالمقال كذلك إلى تغير كبير طرأ على طبيعة القارىء ، فبعد أن كان القراء محصورين تقريباً فى طبقة الموظفين أصبح القراء فى عصرنا هذا طبقات مختلفة ، منها الموظفون ، ومنها العمال وأصحاب الأعمال ومديرو الشركات والمؤسسات على اختلافها وغيرهم من ذوى الأمزجة العقلية المختلفة ، ولابد للصحيفة من إرضاء كل هذا العدد من القراء على اختلافهم ، وبيان أمزجتهم .

* * *

تلك نظرة عجلى إلى المراحل التى مرت بها الصحافة المصرية منذ نشأتها إلى اليوم ، فماذا عسى أن تكون عليه هذه الصحافة فى المستقبل ؟

لعل أول سؤال يتبادر إلى الذهن هو :

إلى أى حد تعتبر « الصحافة » فى وقتنا هذا مرادفة « للأدب » ؟

أو بعبارة أخرى : إلى أى حد يمكن التمييز فى الوقت الحاضر بين الصحافة ، والأدب ؟ وبين الصحافى ، والأديب ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال هى وحدها التى تهدينا إلى الطريق الصحيح فى التنبؤ بمستقبل التحرير الصحفى فى مصر ، وفى غيرها من أقطار العالم المتمدين .

نقطة التحول فى الصحافة :

الواقع أن الصحافى والأديب كانا شيئاً واحداً إلى وقت قريب جداً ، وليس ذلك فى مصر فقط ، ولكن فى غيرها من جهات العالم أيضاً ، والدليل على ذلك أن أعلام الصحافة فى مصر — وقد ذكرنا عدداً كبيرا منهم —

كانوا كلهم أو معظمهم من رجالات الأدب والفكر فى وقت معاً ، وقل مثل ذلك فى الصحافة الإنجليزية ، أو الفرنسية ، أو الأمريكية .

غير أننا نشاهد الآن تحولا كبيراً فى هذه الظاهرة ، نشاهد أن الصحافة نفسها غدت حرفة من الحرف ، وإن كانت ما تزال تربطها صلات متينة بالأدب .

فتلك إذن هى نقطة التحول الحقيقى فى تاريخ الصحافة الحديثة فى العالم المتمدين .

ومنذ أصبحت الصحافة حرفة كحرفة الطب ، أو التدريس ، أو المحاماة ، أو الهندسة ، أصبح لهذه الحرفة — وهى الصحافة — فنون خاصة بها ، ومن أهم هذه الفنون ثلاثة هى : فن التحرير ، وفن الإخراج ، وفن إدارة الصحف .

ولسنا نحتاج الآن إلى النظر فى الفنين الأخيرين ، ولكننا بصدد النظر فى الفن الأول ، فماذا عسى أن يكون عليه مستقبل الصحافة المصرية فى « فن التحرير » ؟

الواقع أننا حين نقول « فن التحرير » نعنى شيئين دائماً ، هما :

التفكير من جهة ، والتعبير من جهة ثانية ، أو بعبارة أخرى : الموضوع والأسلوب فى وقت معاً .

فأما من حيث الأسلوب ، فقد لاحظنا من تاريخ الصحافة المصرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر أنها ورثت عن القرون السابقة أسلوباً عتيقاً يميل إلى التكلف ، ثم أخذ هذا الأسلوب يتخلى شيئاً فشيئاً عن هذا التكلف حتى جاءت المدرسة الصحفية الثالثة ، وعلى رأسها السيد على يوسف صاحب « المؤيد » . فوجدنا أنفسنا أمام كتاب يميزون بين الأسلوب الأدبى ، والأسلوب الصحفى ، ومضى التحرير الصحفى فى طريقه هذا إلى الوقت الحاضر ، وإذاك وجدنا له لغة تبعد بعداً ظاهراً عن لغة الأدب ، فقد

استحدث الصحفيون الحاليون تراكيب جديدة لم تخطر للأدباء الأولين على بال .

فمن ذلك قول بعضهم : وهنا نريد أن نضع النقط على الحروف . . وذلك بدلا من قولهم : وهنا نريد أن نوضح المسألة توضيحاً لايدع مجالا للشك أو الإبهام .

ومن ذلك ما نسمعه بين حين وآخر من الصفات والنعوت التى لاوجود لها فى الكتب القديمة أو فى الصحافة القديمة ، مثل :

الحقيقة الصارخة .

الأكذوبة البيضاء .

الليلة الحمراء .

ثم من ذلك ما نراه من معان جديدة لبعض الأفعال ، كما فى قول بعضهم :

« وهكذا أصبح حشد الجنود التركية على حدود سوريا يشكل خطراً على هذه البلاد » .

والشاهد فى قوله « يشكل » ، فقد أصبح لهذا الفعل معنى جديد فى لغة الصحافة ، ولغة السياسة .

ومن ذلك قول بعضهم — وهو التابعى — على سبيل المثال :

« وهنا قفزت طائفة كبيرة من علامات الاستفهام ، معبراً بذلك عن معنى الغرابة ، أو التعجب .

وقول آخر :

« فكان علىّ أن أضع أعصابى فى ثلاجة بعد سماعى هذا الكلام » ا

إلى غير ذلك من مئات التراكيب التى أثرت عن أمثال : مصطفى أمين ، وعلى أمين ، وسلامه موسى ، ويوسف السباعى ، وحسنين هيكل ، وسامى داود ، وعبد الرحمن الخميسى ، ومن إليهم من شباب الصحفيين المصريين فى وقتنا هذا .

والمهم أن هذه الأساليب التى تطالعنا بها الصحف كل يوم جديدة ، ومن صنع هذه الصحافة ، ولا صلة لها مطلقـاً بالأدب ، ولا بطرائفه المعروفة لدى القدماء من الأدباء والمحدثين على السواء .

وهناك أثر آخر من آثار الصحافة فى الأسلوب ، فكثيراً ما نشاهد فى المقال الصحفى أو فى العمود أن الكاتب يؤثر استخدام الجمل الاسمية التى دخلت عليها « إن » بكسر الهمزة يريد بذلك شيئين فى حقيقة الأمر :

أولهما — أن تبدو كل جملة من الجمل كأنها وحدة مستقلة بذاتها عن الجمل أو الوحدات الأخرى .

ثانيهما — أنه يؤكد المعنى الذى قصد إليه من كتابة كل جملة .

والذى لا شك فيه أن الكاتب ، أو المحررين الصحفيين ، إنما اعتادوا هذا الأسلوب لتأثرهم بالصحافة ، وتأثرهم بنوع خاص بطريقة كتابة الأخبار . وقد أشرنا من قبل إلى أن من القواعد المعترف بها فى كتابة الخبر الصحفى قاعدة تقوم بتقسيم « صلب الخبر » إلى وحدات متكاملة ، تستقل كل وحدة منها عن الأخرى ، والغرض من ذلك هو إتاحة الفرصة للصحيفة لكى تحذف ما تريد من هذه الوحدات عند الحاجة بدون أن يؤثر ذلك على المعنى العام لصلب الخبر(١) .

ولك أيها القارىء أن تتأمل هذه الظاهرة فى جميع الأعمدة الصحفية التى يكتبها محررون من أمثال : مصطفى أمين ، وعلى أمين ، ومحمد زكى عبدالقادر ، وغيرهم من المحررين والمذيعين بالإذاعة المصرية .

هذا كله من حيث الأسلوب ، أما من حيث الموضوع فقد رأينا العجب أيضاً : رأينا الموضوع يتجه قدماً نحو « التوسع » ، ورأيناه يغزو مناطق جديدة ، وعديدة ، بحيث أصبح يشمل جميع مرافق المجتمع ، ورأينا الفنون الصحفية المستحدثة تعين على هذا التوسع والتضخم ، ومن هذه الفنون

---

(١) راجع الفصل السادس من الكتاب الثانى من كتب هذا البحث الذى بين يديك .

الأخيرة فن الحديث الصحفى ، والتحقيق الصحفى ، وفن الماجريات ، ورأينا الصحيفة أشبه ما تكون بمعرض من المعارض الوطنية ، أو الدولية تعرض فيها جميع المنتجات على اختلاف أنواعها ، واختلاف أثمانها ، واختلاف جودتها .

ولقد كان من نتيجة كل ذلك أن أصبح الجيل الحاضر أوسع علماً من الأجيال السابقة كلها ، وإن كانت الأجيال السابقة كلها تمتاز على الجيل الحاضر من حيث العمق ، ومن حيث الفهم لأصول العلم أو الفن ، وذلك أن كل طائفة من طوائف الأجيال الماضية توفرت على علم بعينه ، أو فن بعينه لم تكن تتركه إلى سواه .

* * *

مستقبل الخبر فى الصحيفة :

هذا كله من حيث « المقال » ، وهو أحد شطرى التحرير الصحفى . أما من حيث « الاخبار » ، وهى الشطر الثانى من التحرير الصحفى فقد أصبح لها فى الصحافة الحديثة شأن آخر ، والخبر عند كثير من الصحفيين هو الغرض الأول من إصدار الصحيفة (١) .

وقديماً كانت الصحف المصرية تحرر الأخبار بطريقة عجيبة حرصت فيها على إيراد الخبر مورد السجع ، والجناس ، والطباق ، ثم بالتدريج أخذت الصحف تتخلص من هذا الشكل العتيق من أشكال التحرير ، ثم لم يقف الأمر عند هذا الحد حتى وجدنا أن « فن تحرير الخبر » أصبح له

---

(١) من طريف ما قرأت فى ذلك أن كلمة الأخبار بالإنجليزية News تتألف من أربعة أحرف ، وهى : حرف N وتدل على الشمال North ، وحرف E وتدل على الشرق East ، وحرف W وتدل على الغرب West ، وحرف S وتدل على الجنوب South . ومعنى ذلك أن الصحيفة مسئولة عن تزويد القارىء بالأخبار من جميع أنحاء العالم ، بجهاته الأربع .

أصول ، وله قواعد ، وله قوالب خاصة ، وصيغ معينة ، هى التى مرت بك فى الكتاب الثانى من كتب هذا البحث ، وهو كتاب « فن الخبر » .

ولقد أصبحت للأخبار هذه الأهمية الكبرى من حيث التحرير ، وقد شاهدنا من حيث الإخراج نوعاً من الصراع الكبير بينه وبين المقال ، وما زال هذا الصراع قائماً بينهما ، فأيهما أولى بعناية الصحيفة فى الوقت الحاضر ؟ المقال ، كما كان الشأن إلى وقت قريب فى حياتنا الصحفية ، أم الخبر ، كما هو الحادث بالفعل فى السنوات الأخيرة ؟ .

ولاريب أن الخبر فى هذه الأيام مقدم على المقال، وأن الصحافة تفسح من صدرها للأخبار ، وما يتصل بالأخبار مالا تفسحه للمقال .

والرأى عندنا أن هذا وضع شاذ من أوضاع الصحافة الحديثة ، والسبب فيه — كما قلنا — هو مايعانيه العالم الحديث من موقفه من المعسكرين الغربى والشرقى .

والرأى عندنا كذلك أن الصحافة الحديثة ستعود فى القريب العاجل إلى وضعها الطبيعى ، أو ـ على الأقل ـ إلى المساواة التامة، من حيث العناية، بين الخبر والمقال ، غير أن ذلك مشروط بالاستقرار الذى يهيء للكتاب والمفكرين أن يفرغوا أفكارهم ، ويتقنوا إنتاجهم ، حتى يكون من وراء هذه الثروة الفكرية ربح عظيم للبشرية ، ويومئذ تشعر الصحافة الحديثة بأن عليها واجباً عظيماً ، هو تغذية العقل البشرى بالأفكار الصحيحة ، والآراء السليمة ، وإذ ذاك تفتح الصحيفة الحديثة صدرها من جديد للأدباء ، والمفكرين، والفنانين ، والفلاسفة ، وتستعين بهم — على نطاق واسع — فى مادة المقال السياسى ، والمقال الأدبى ، والمقال العلمى، والمقال الاجتماعى، والمقال الفنى ، ونحو ذلك .

وإذ ذاك تتقدم النهضة الفكرية ، والنهضة السياسية ، والنهضة الاجتماعية ، وأكبر الظن عندى أنه لن يمضى وقت طويل حتى تصيب الصحافة هذا القدر من التقدم لخير البشرية .

المخترعات الحديثة وأثرها فى الصحافة :

على أن هناك خطراً آخر يهدد « الخبر » فى الصحيفة ، ويجب أن تحسب له الصحافة حسابه منذ الآن ، وهذا الخطر هو المخترعات الحديثة ، وهى المخترعات التى سوف تلعب دوراً خطيراً فى تكييف الصحـــافة فى المستقبل .

ومن أهم هذه المخترعات : الإذاعة ، والتليفزيون ، فقد أصبحتا منافستين خطيرتين للصحافة .

أما الإذاعة فإنها تمد القارىء بالأخبار فور وقوعها تقريباً ، وأما التليفزيون فإنه يضيف إلى ذلك تمكين الجمهور من مشاهدة واقع الحادث فضلا عن العلم به ، ومن ثم تتمكن الجماهير من رؤية جلسات البرلمان ، أو المحاكم ، أو الهيئات الدولية على اختلافها بغاية السهولة .

وإذن فماذا تكون جدوى الصحيفة بعد ذلك ؟

إن الصحف الحديثة أمام هذه الوسيلة الجديدة ستبدو كأنها وسيلة عنيفة من وسائل نقل الأخبار ، وستصبح شبيهة بوسائل النقل الأولى ، كالحمير والبغال ، وذلك بالقياس إلى الوسائل الحديثة التى هى الطائرة والقطار !

لن يكون أمام الصحـافة الحديثة إذن إلا التسليم بالمخترعات الحديثة على طول الخط .

وإذ ذاك سوف تجد الصحـــافة نفسها مضطرة إلى التقليل نوعاً ما من الأهمية الأولى التى للأخبار أو الإعلام ، وإذ ذاك ستضطر الصحافة الحديثة إلى العناية بالمهمة الأخرى من مهام الصحيفة ، وهى « مهمة تفسير الأخبار » أو « التعليق » عليها ، أى أن القراء فى المستقبل القريب لن يطالعوا الصحيفة ليقفوا منها على أخبار « آخر ساعة » ، ولكنهم سيطالعون الصحيفة ليفهموا كنه الحوادث الجارية ، وهى مهمة لا يستغنى عنها السواد الأعظم من القراء على اختلاف طبقاتهم ، وتنوع ثقافاتهم .

وتصبح الصحيفة اليومية باختصار أشبه بالمجلة الدورية ،لاتعنى بالسبق الصحفي من حيث الأخبار ، وإنما تعنى بالسبق الصحفي من حيث التعليق على هذه الأخبار .

وإذ ذاك يعود المقال ليحتل مكانه القديم فى الصحافة الحديثة ، ويعود الكتاب والمفكرون فيصبحون من أهم أعضاء الأسرة الصحفية الجديدة .

وشيء آخر نبشر به الصحافة فى القريب العاجل ، وهو التخصص .

والتخصص فى ذاته ظاهرة تدل على التـــقدم ، فسيوجد فى الصحف المصرية المتخصص فى السياسة ، والمتخصص فى الاقتصاد ، والمتخصص فى التربية والتعليم ، والمتخصص فى الأدب ، والمتخصص فى شئون المرأة ، والمتخصص فى شئون الرياضة ، والمتخصص فى شئون المسرح ، بل سنرى قريباً المتخصص فى الصفحة الأولى ؛ والمتخصص فى الصفحة الثانية من الصحيفة ، وهكذا .

وعلى هذا النسق سيكون لكل صحفى من صحافيي الغد لون يعرف به ، ومادة يتميز بها ، وعمل يخالف عمل الآخرين كل المخالفة .

وسيكون من آثار هذا التخصص المنتظر تخلص الصحافة الحديثة من التفاهات العقلية الكثيرة التى توصم بها ، بل تخلصها كذلك من هذه الثقافة الضحلة الهابطة التى جنت بها على الجيل الذى نعيش فيه ، بل تخلصها من هذا العبث المعيب بمواد الصحيفة ، والضعف البادى على محرريها ، حتى لقد أصبحوا يعتمدون فى تحريرهم على النقط الكثيرة ، وعلامات الترقيم الكثيرة هنا وهناك ، والفراغ الكثير الذى يتركونه بين كل كلمة وأخرى وكل جملة وأخرى ، ونحو ذلك من الطرق التى توحى للقارىء بأن المحررين قد أعوزهم التعبير، فراحوا يستعينون بكل هذه الوسائل لعلهم يكملون بها تعبيرهم ، ويستمدون منها الحركة والحياة اللازمين لهذا التعبير .

بل إن هذا التخصص الذى نتنبأ به للصحافة فى المستقبل سيجعل من الصحيفة شيئاً محبباً لدى القراء ؛ وشيئاً لازماً لهم لزوماً تاماً فى نفس

الوقت ، لأنها ستقدم لكل طائفة من القراء ما يناسبها ؛ أو يتفق وميولها الخاصة .

وكما يقول الأستاذ « ويكهام ستيد » :

« إن من الضرورة لكل صحيفة تريد لنفسها النجاح والرواج أن تحرز فى كل يوم نصراً جديداً فى الإخراج تتغلب به على عناصر الركود والانحلال ، وأكثر ما يكون ذلك عن طريق التحرير الصحفى قبل أى شيء آخر . ألا ما أضخم هذا العبء الذى سوف تقوم به صحافة الغد ، وما أثقل هذه التبعات التى ستنهض بها ؛ وما أنبل هذه الرسالة التى ستحققها للبشرية فى القريب العاجل »

أو كما قال الأستاذ « ويكهام ستيد » أيضاً :

لكل أمة صحافتها التى تستحقها

نعم ، لكل أمة صحافتها التى تستحقها ، ونحن نريد أن تكون مصر أهلا لصحافة راقية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، وليس عسيراً عليها أن تبلغ من ذلك ما تريد .

المحرر المثالى :

وفى ختام هذا البحث عن مستقبل التحرير فى مصر ، نرى أن ننقل عبارة كتبها الأديب الإنجليزى « شو » إلى مجلة « تايم آند تايد » Time & Tide ، ثم أتى الأستاذ « ويكهام ستيد » W.Steed لجعلها كذلك فى نهاية كتابه : « الصحافة Journalism » (١) .

يقول « شو » بطريقته الساخرة المعروفة : « إن عمل الصحفى

---

(١) انظر الترجمة العربية لهذا الكتاب ، بقلم الدكتور على الأنصارى ص ٥٤ .

فى الأصل هو الإخبار والإعلام ، وليست الفلسفة السياسية ، وإن جمهور القراء لا يطيق الجعجعة الفارغة التى لا تحوى شيئاً ، كما لا يطيق سخافة المدعين من الوعاظ ورجال الدين ، ولا من رجال السياسة أيضاً . ولقد يقرأ الجمهور لبعض الخفى من هؤلاء وأولئك لأن هذا الذى يقرءون خير من لا شىء ، ولكن متى ظفر الجمهور القارىء بذلك الشخص الذى يستطيع أن يغذيه « بشىء حقيقى » فإذ ذاك لن تجد حداً لنهم هذا الجمهور ، وتهافته على القراءة » !

وهنا تساءل « ستيد » قائلا : « ولكن ما هو هذا الشىء الحقيقى » ؟

وأجاب هو على سؤاله بقوله :.

« هو ما يشعر الناس بأنه حيوى لهم ، ومؤثر فى حياتهم ومعرفتهم . ومعنى ذلك أنه لابد أن يجمع المحرر الصحفى إلى عنصر الطرافة عنصر صدق الفكرة ؛ سواء أكانت هذه الفكرة جديدة أم قديمة ، أى أن مهمة التحرير هى تقديم ذلك الشىء الحقيقى للقارىء ، ومن هنا كان الأكفاء من المحررين الصحفيين أندر من الذهب ، أو الماس ، وهم بكفاءتهم النادرة هذه قادرون دائماً على أن ينتجوا فى الأدب ، ولكنهم يفضلون على الدوام أن يعملوا فى الصحافة على أن يعملوا فى الأدب » .

ثم استطرد « ستيد » يقول :

« لكن من ينظر إلى الصحف اليومية فى عصرنا هذا يمكنه أن يلاحظ — مع الأسف — أن إدارتها أشبه بالسجون التى عكف فيها المحررون ، وانقطعوا فيها انقطاعاً تاماً عن العالم الخارجى ، وعن الحياة السياسية ، وعن المحاضرات العلمية ، وعن حفلات الموسيقى ، ودعوات العشاء ، بحجة أنهم يكونون فى ذلك الوقت مشغولين بتأدية أعمالهم فى عقر هذه السجون التى حالت بينهم وبين الحياة نفسها ؛

« ولعلاج تلك الحالة أقترح أن يكون للصحيفة اليومية ثلاثة رؤساء

للتحرير، وليس رئيساواحدا فقط، حتى يكون لكل واحد من هؤلاء الثلاثة يوم أو يومان ينقطع فيهما عن العمل بإدارة الصحيفة، ويتصل فى أثنائهما بالعالم الخارجى، وبغير هذا تصبح الصحف كأنها تعيش متأخرة عشرين عاماً إلى الوراء، لأن محرريها يكونون — كما هم الآن — أشبه بنساك يعتزلون الحياة، ولا يزيدون عن حراس المنارات على شواطىء البحار».

وهكذا استطاع «شو» أن يضع يده على الداء الأليم الذى يعانى منه التحرير فى الوقت الحاضر، وجاء «ستيد» فاقترح حلا لهذه الهوة العميقة بين المحررين والقراء.

وثم اقتراح آخر لتقوية الصلة بين المحررين والقراء، وهو ما كانت تفعله «صحيفة المؤيد» للسيد على يوسف منذ أواخر القرن الماضى، وما كانت تفعله صحيفة الأهرام منذ سنوات قليلة، وهذا الاقتراح هو فتح باب الصحيفة، أو بالأحرى باب رئيس التحرير كل مساء لاستقبال الصفوة من المصريين فى العلم، والأدب، والسياسة، والاجتماع، والاقتصاد، حيث يتناقش هؤلاء جميعاً فى جو من البساطة والحرية فى شتى المشكلات التى تهم القراء، ورئيس التحرير يصغى لجميع هذه المناقشات كل الإصغاء، ثم ينقل لقرائه فى اليوم التالى زبدة الفكر المصرى، وخلاصة التجارب المصرية.

ولندع هذا الاستطراد جانباً، لنعود مرة أخرى إلى عبارة «شو» التى قال فيها:

«ولكن متى ظفر الجمهور بذلك الشخص الذى يستطيع أن يغذيه «بشىء حقيقى» فإذ ذاك فقط لا تجد حداً لنهم هذا الجمهور، وتهافته على القراءة».

فهذه العبارة وحدها تصلح لأن تكون أساساً لجانب من جوانب هذا البحث، وهو الجانب المتصل بما نسميه «ثقافة الصحفى».

والذى نعلمه حق العلم أنه لا مفر للصحفى فى عصرنا هذا من أن يكون

رجلا مركباً من عدة رجال ، أو بعبارة أخرى : أصبح عليه — كما يقول علماء الصحافة — أن يجمع فى حذق ، وانسجام ، ومهارة ، بين صفات السياسى ، والأديب ، والمحدث ، والقديس ، والاجتماعى ، والفيلسوف ، ورجل المال والاقتصاد فى وقت واحد » !

وعلى الصحفى فى عصرنا هذا أن يظهر للناس وكأنه موسوعة عظيمة ، أو دائرة معارف كبيرة ، وضعت لتكون تحت تصرف القراء فى أية لحظة من اللحظات .

والصحفى المثالى — كما يقول أولئك العلماء كذلك — هو « من تمكن من حكمة القدماء ، وهضمها هضماً جيداً ، وألم بفلسفة المحدثين ، وفهمها فهماً مستقيما ، وعرف آلات المهندسين مما يتصل بفن الطباعة والتصوير وما إليهما ، ودرس تاريخ عصره ، فضلا عن تاريخ العصور التى سبقت عصره ، ثم عرف العوامل المؤثرة فى الحياة السياسية ، والحياة الاقتصادية، والحياة الاجتماعية ، وشعر بأن عليه مع هذا كله أن يختزن فى صدره جميع هذه العلوم والمعارف ، كما عليه بعد هذا كله أن يقدر حاجات القراء من هذه العلوم والمعارف ، وأن يعرف مدى تقبلهم لهذه الأشياء ، وأن يمدهم منها بين آن وآخر بالقدر الذى يسيغونه ، وبالطريقة التى يحبونها »[1].

ثم مضى « ستيد » كذلك يقول :

« لهذا كان من الخطأ كل الخطأ أن نظن أن الجمهور يجرى وراء أولئك الذين يتملقون غرائز القراء ، إذ الحقيقة التى لا مراء فيها أن الجمهور إنما يريد أن يشعر دائماً بأن أولئك الزعماء الذين يقودونه يعرفون الجهة التى يقصدون إليها ، كما يعرفون الطرق المؤدية إلى هذه الجهة ؛

« والحقيقة الأخرى التى يجب أن نصدقها كذلك هى أن الجمهور

---

(١) المصدر المتقدم ص ٥٠

لا يمكنه فى الوقت نفسه أن يغتفر ذنباً لأولئك الذين يضللونه ، أو يغررون به » .

* * *

«وبعد» فإن للبحث فى مستقبل الصحافة والأدب فى مصر كتاب آخر لنا غير هذا الكتاب ، هو « مستقبل الصحافة فى مصر ـ الأدب والصحافة » .

ولكن حسب هذا الكتاب الذى بين يديك أنه أول تنظيم على ظهر فى مصر والعالم العربى لمادة من مواد الحضارة الحديثة ؛ هى : « مادة الفن الصحفى » .

أجل ؛ حسب هذا البحث أنه المحاولة الأولى من نوعها فى هذا السبيل ، وإننا لنرجو ـ مخلصين ـ أن تتبعها محاولات أخرى كثيرة وجليلة إن شاء الله .

فمن حق مصر أن تشارك دائماً فى بناء الحضارة الإنسانية بجميع مظاهرها ، ومن حق المصريين ألا يكونوا متخلفين يوماً ما عن غيرهم من سكان العالم المتحضر فى شأن من شئونه ، والله يوفقنا دائماً لما فيه الخير .

« تم بحمد الله »

الفهرس

صفحة

مقدمة الطبعة الرابعة ٣
هذا الكتاب ٥

الكتاب الأول
والرأى العام

الصحافة والرأى العام ١٦
تعريف الرأى العام ١٩
الفرق بين الرأى العام، والسخط العام، والاتجاه العام ٢٢
أنواع الرأى العام ٢٤
دور الصحافة فى تكوين الرأى العام ٢٦
القانون والرأى العام ٣١
الرقابة على الصحف ٣٤
نشأة الرأى العام فى مصر ٤٠

الكتاب الثانى
فن الخبر

نشأة الخبر وأهميته ٥٠
تعريف الخبر ٥٦
فى سبيل الحصول على الخبر ٦٣
طرق مشروعة للحصول على الخبر ٦٨
قضية التلغرافات ٧٢
تقويم الخبر ٧٤

صفحة

مذاهب نشر الخبر	٨٤
القوالب الفنية لصياغة الخبر	٩٥
قالب	٩٦
قالب القصة الإخبارية	١٠١
الأسئلة الستة وطريقة استخدامها	١٠٣
طرق التجديد فى صياغة صور الخبر	١٠٨
صلب الخبر	١١٣
الحوادث الداخلية أو المحلية وكيف تصاغ فى قصة إخبارية	١١٩
طرق صياغة القصة الخبرية لحادث داخلى	١٢٣
الأخبار الخارجية	١٣٤
أنواع الأخبار الخارجية	١٣٩
مصادر الأخبار الخارجية	١٤٠
طبيعة اللغة التى يكتب بها الخبر	١٥٣
تحرير العنوان	١٥٧
من الذى يقوم بصياغة العنوان	١٥٨
ما هو العنوان، وما أهم أشكاله فى الصحف ؟	١٦١
خصائص كتابة العنوان	١٦٣
كتابة العنوانات الفرعية	١٦٥
التعليق على الخبر	١٦٧
الطرائف المتصلة بالخبر	١٧٥
كيف تجمع الطرائف ؟	١٨٠
أنواع الطرائف	١٨٣
أسلوب كتابة الطرائف	١٨٤
من هم كتاب الطرائف ؟	١٨٦

صفحة

ما الفائدة التى تعود على القراء من الطرائف ؟ ١٨٧
الخبر والمجتمع ١٩٢
رأى المؤيدين للشر خبر الجريمة ١٩٣
رأى المعارضين فى نشر خبر الجريمة ١٩٤
الأخبار من الزاوية الأخلاقية وزاوية المسئولية الإعلامية ٢٠١
الذوق الصحفى والخبر ٢١٣
دعوى القذف فى الصحف ٢١٤

الكتاب الثالث

فن المقال

فنون المقال ٢٢٣
تعريف المقال ٢٢٦
المقال القصصى ٢٣٤
مقال الاعترافات ٢٤٢
المقال الكاريكاتورى ٢٥٢
مقال الخواطر والتأملات ٢٦١
المقال العلمى ٢٦٩
الأذن السحرية ٢٧٨
المقال الصحفى ٢٨٣
فنون المقال الصحفى وطريقة صياغتها ٢٨٤
لغة المقال الصحفى ٢٨٦
المقال الافتتاحى ٢٩٠
خصائص المقال الافتتاحى ٢٩٢

	صفحة
الصفات التى ينبغى توافرها فى كاتب المقال الافتتاحى	٢٩٧
أهمية المقال الافتتاحى فى الصحافة	٢٩٩
العمود الصحفى	٣٠٥
تعريف العمود الصحفى وخصائصه	٣٠٦
صياغة العمود الصحفى	٣١٠
مؤسسات العمود الصحفى فى الوقت الحاضر	٣١٥
عمود الموضوعات الإنسانية :	٣١٩
إلى البطل الشهيد عادل محمد غانم	٣٢٣
الماموث والناموس	٣٢٦
عمود الرياضة والفنون	٣٢١
صفحة الألعاب الرياضية	٣٢٩
صفحة الفن	٣٣٥
الحملة الصحفية	٣٤٠
الخطة فى كتابة الحملة	٣٤٢
الحيل الصحفية أو الصراع بين الصحيفة والرقيب	٣٤٦
اختراع الشخصيات	٣٥١

الكتاب الرابع

فن التقرير ، وبه الكلام عن فن تحرير المجلة

المجلة	٣٦٠
هيئة تحرير المجلة وطبقة المحررين بالقطعة	٣٦٠
المصادر التى تستق منها مواد المجلة	٣٦٢
الأرشيف الصحفى للمجلة	٣٦٥
ماهى قيمة الأرشيف العام للصحيفة ؟	٣٦٥

صفحة

ما المقصود بالأرشيف الخاص وما قيمته ؟ ٣٦٦
المقال فى المجلة ٣٧٠
صفات كاتب المقال ٣٧١
حقائق حول كتابة المقال فى المجلة ٣٧٤
الواقعية فى المقال ٣٧٥
النظام التقليدى لصياغة المقال ٣٧٧
القصة فى المجلة ٣٧٩
فن القصة القصيرة ٣٨٠
عناصر القصة القصيرة ٣٨٢
عنصر الحوادث والأخبار ٣٨٢
عنصر الشخصيات ٣٨٤
عنصر الفكرة أو المعنى ٣٨٧
لحظة التنوير ٣٨٨
نسيج القصة ٣٨٨
الواقعية فى القصة القصيرة ٣٩٠
وظيفة التقرير الصحفى وأهميته ٣٩٤
المقرر الكبير ومكانته فى الصحافة الحديثة ٣٩٩
فن الحديث الصحفى وأنواعه ٤٠٤
أنواع الحديث الصحفى ٤٠٦
مراحل إعداد الحديث الصحفى ونموذج له ٤١٥
أولا — مرحلة الإعداد للحديث الصحفى ٤١٥
ثانياً — مرحلة قيادة الحديث ٤١٧
ثالثاً — مرحلة صياغة الحديث ٤١٩
رابعاً — مرحلة النشر ٤٢٣

صفحة

نموذج للحديث	٤٢٦
التحقيق الصحفي وأنواعه وقوالبه	٤٣٥
القوالب الفنية لكتابة التحقيق الصحفي	٤٣٩
الخطوات التي تتبع في كتابة التحقيق الصحفي	٤٤٠
خطوات الحصول على التحقيق الصحفي	٤٤٢
مصادر التحقيق الصحفي ونموذج له	٤٤٤
ماهي مصادر التحقيق الصحفي على وجه الإجمال	٤٤٥
نموذج من التحقيق الصحفي	٤٤٧
الماجريات وطريقة تحريرها	٤٥٣
أنواع الماجريات وطرق تحريرها	٤٥٦
الماجريات البرلمانية	٤٦٠
الطريقة الحديثة في كتابة التقرير البرلماني	٤٦١
نموذج من الماجريات البرلمانية	٤٦٣
الماجريات القضائية	٤٧٣
الماجريات الدبلوماسية	٤٨٧
الماجريات الدولية	٤٩٥
تحرير الصورة والإعلان	٥٠٧
أسلوب تحرير الإعلان	٥١٤

الخاتمة

مستقبل التحرير الصحفي

مستقبل التحرير الصحفي في مصر	٥٢٤
المرحلة الأولى	٥٢٤
المرحلة الثانية	٥٢٥
المرحلة الثالثة	٥٢٠

صحيفة

المرحلة الرابعة	٥٢٧
المرحلة الخامسة	٥٢٧
نقطة التحول فى الصحافة	٥٢٨
مستقبل الخبر فى الصحيفة	٥٣٢
المخترعات الحديثة وأثرها فى الصحافة	٥٣٤
المحرر المثالى	٥٣٦
الفهرس	٥٤١

